رواية

لوسي مود مونتغومري

آن في آفونلي

مكتبة ١٠٧٧

ترجمة: محمد الحباشة

راجعته: نهاد المعلاوي

مسكيلياني

مكتبة | سُر مَن قرأ

آن في آفونلي

3 2 2023
telegram @soramnqraa

عنوان الكتاب الأصليّ المعتمد في هذه الترجمة

Anne of Avonlea
by L. M. Montgomery

لوسي مود مونتغومري

مكتبة | سُر مَن قرأ

آن في آفونلي

رواية

ترجمة: محمد الحباشة
مراجعة: نهاد المعلاوي

الكاتبة: **لوسي مود مونتغومري**

عنوان الكاتب: **آن في آفونلي**

ترجمة: **محمد الحباشة**

مراجعة: **نهاد المعلاوي**

خط الغلاف: **الفنّان عمر الجمني**

تنضيد: **سعيد البقاعي**

تصميم الغلاف: **عبد الفتّاح بوشندوكة**

ر.د.م.ك: **978-9938-9990-5-1**

الطبعة الأولى: 2022

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

السعودية - عرعر - حي الجوهرة- شارع الخمسين

الهاتف: 00966-547094709

https://rashm-store.com

الإيميل: rashm.ksa@gmail.com

مسكيلياني للنشر والتوزيع

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر، المنطقة الحرّة، الشارقة، الإمارات

الهاتف: 508386699(971+) أو 21512226(216+)

الإيميل: anizos55555@yahoo.fr

مكتبة
t.me/soramnqraa

(1)
جارٌ ساخِط

ذاتَ ظهيرةٍ حارّةٍ مِن شهرِ أوت، جلستْ فتاةُ السادسةَ عشرةَ بعتبةِ مزرعةِ جزيرةِ الأميرِ إدوارد الواسعةِ المصنوعةِ مِن الحجَرِ الرّمليِّ الأحمَر. بدَتْ طويلةً ونحيلةً بعينيْن رماديّتيْن جِدّيّتيْن وشعرٍ بنّيٍ مُحْمرٍّ كما يحلُو لأصدقائِها وصفُه، وقد عقدتِ العزمَ على تحليلِ مقطعٍ مِن كتابٍ لفيرجيل. ولكنْ، أليستْ ظهيرةُ شهرِ أوت هذِه، الّتي تلوّتْ فيها أعمِدةُ الدّخانِ الزّرقاءُ فِي حقولِ المنحدراتِ، ووشوشتْ فيها النّسائمُ مِثْلَ الجانِ شجرَ الحُورِ، وارتجلتْ فيها شقائقُ النّعمانِ في ركنٍ مِن بستانِ الكَرَزِ رقصةَ باليه لامعةً مَع دغلٍ داكنٍ مِن أشجارِ الصّنوبرِ النّابتةِ، مُناسِبةً للأحلامِ أكثر ممّا هي مُلائمةٌ لدِراسَةِ اللّغاتِ الميّتَة؟ غيْر أنَّ فيرجيل يتسلّلُ سريعًا إلى الروحِ، دون حتّى أنْ تنتبهَ آن إلى ذلك. أسندتْ ذقنَها إلى يديْها المُتشابِكتيْن، وأرسلتْ عينيْها إلى كتلةِ السُّحبِ الرّقيقةِ المتكدِّسةِ قُرْبَ جبلٍ أبيضَ، فوْقَ بيتِ السّيّدِ هاريسون تحدِيدًا، فحلّقتْ بِها ذاكرتُها بعيدًا، نحو عالمٍ لذيذٍ، حيثُ كانتْ معلِّمةٌ مّا تؤدِّي مُهِمّةً رائِعةً، مُشكِّلةً مصيرَ رجالِ دولةٍ مستقبليّين، ونافخةً في قلوبِ الشّبابِ وفي عُقولِهِم قِيمًا نبِيلةً وسامِيَة.

في الواقعِ، علينا الاعترافُ بأنَّ آن لا تفعلُ ذلك إلاّ نادرًا، وعِنْدَ الضّرُورة فقط. فليْسَ تخرّجُ العدِيدِ مِنَ المشاهيرِ مِنْ مدرسة «آفونلي» أمرًا مُحتَمَلًا، ولكنْ، لا أحدَ يمكِنُهُ أبدًا تخمينُ ما يمكنُ أنْ يحدُثَ، خاصّة عندما تؤثّرُ معلّمةٌ مّا فِي طلّابِها تأثيرًا بالغَ الإفادَة. وهي مقتنعةٌ بأنَّ المعلِّم يستطيعُ إنجازَ أشياءَ عظيمةٍ شرطَ أنْ تتوفّرَ لديه الوسائلُ الملائِمةُ لإنجازِها. وجدتْ نفسَها إذن في قلبِ مشهدٍ شدِيدِ الشّاعِريّة. تخيّلتْ نفسَها بعْدَ أربعين سنةً، برفقةِ شخصٍ مشهورٍ. ومع أنّها لَمْ تعرفْ بعْدُ مَنْ سيجعلُ مِنْها شهيرةً، فقد قالتْ في قرارةِ نفسِها إنّ عميدَ جامعةٍ أو وزيرًا أوّلُ لكندا سيكون ملائِما للغايَة. انحنتْ على يدِها المتجعّدةِ، وأكّدتْ لها أنّها مَنْ أشعلتْ طموحَها مُنْذُ البدايةِ، وأنَّ كلَّ نجاحِها في الحياةِ كان بفضلِ الدّروسِ الّتِي وفّرتْها لَها فِي مَدْرسةِ «آفونليي». وفجأةً، انقطعتْ هذه الرّؤيةُ السّاحرةُ، بطريقةٍ سيّئةٍ للغايَة.

ظهرتْ بقرةُ جيرسي، وأسرعتْ على الطّريقِ صغِيرةً وبرِيئةً، وبعْدَ خمسِ دقائقَ جاءَ السّيّدُ هاريسون، إذا صحّ لنا استعمالُ الفعلِ «جاء» لوصفِ ظُهورِه المُباغِتِ في السّاحةِ وصفًا دقِيقا. فقد قفزَ مِنْ فوقِ السّياجِ، دُون حتّى أنْ يتكبّدَ عناءَ فتحِ الحاجزِ، ثمّ تسمّرَ أمامَ آن بسَحنةٍ غاضِبة. فوقفتْ، وظلّتْ تُراقِبُه بِحَيْرَة. إنّه السّيّدُ هاريسون، جارُهم الجدِيدُ القاطنُ على يمينِهم، وبالرّغم مِنْ أنّها رأتْهُ مرّةً أو مرّتيْن في السّابقِ، إلاّ أنّها لَمْ تجتمعْ بِهِ مِنْ قَبْل.

ففِي بدايةِ شهرِ أفريل، وقبْلَ أنْ تعُودَ آن مِنْ جامعةِ «كوينز»، باعَ السّيّدُ روبرت بيل بيتَهُ الّذِي تُجاوِرُ مزرعتُهُ حقولَ «كثبرت»

غربًا، وانتقلَ إلى «شارلوت تاون». اشْتَرى السّيّدُ م.ج. إ هاريسون المَزْرَعة. وكلُّ ما يُعرفُ عنْهُ هو اسمُه واسمُ مقاطعتِه الأصليّةِ: «برنز ويك الجديدة». ومعَ أنّه لَمْ يمُرَّ على قُدومِه إلى «آفونلي» شهرٌ واحدٌ، فقد شاعَ بيْنَ الجميعِ أنّهُ شخصٌ غريبُ الأطوارِ، شخصٌ «مُنحرِفٌ» حسْبَ السّيّدةِ راشيل لِيند. إذْ تتميّزُ السّيّدةُ راشيل بصراحتِها الشّديدةِ، والمؤكّدُ أنّ الّذين عرفوها مِن بينِكم، يتذكّرون هذا جيّدا. وقدْ بدَا السّيّدُ هاريسون شخصًا مختلِفًا فِعْلًا، ومثْلما يَعرِفُ الجميعُ، فإنّ هذه ميزةٌ أساسيّةٌ لشخصٍ «غريبِ الأطوار».

فِي البدايةِ، أدارَ بيتَه بنفسِه، وصرّحَ علَى المَلإِ بأنّه لا يريدُ رؤيةَ أيِّ امرأةٍ بلهاءَ تجولُ حوْلَ منزِلِه. فانتقَمَ مِنْهُ المُجتَمعُ النّسائيُّ في «آفونلي» بتبادُلِ ثرْثرةٍ رهيبةٍ حوْلَ طريقتِه فِي الطّبخِ والقيامِ بأشغالِ المنْزِل، ثرْثَرةٍ اختفَى خلفَها الصّغِير جون هنري كارتر القادمُ مِنْ «وايت ساندز» بعْدَ أنْ وظّفَه السّيّدُ هاريسون. فقد أذاعَ أوّلًا، أنّهُ لَمْ تكنْ هُناك ساعةٌ مُحدّدةٌ لتناولِ الطّعامِ في بيتِ السّيّدِ هاريسون. فهذا الأخيرُ «لا يتناولُ عضّةً» إلاّ إذا أحسَّ بالجُوعِ، فإذا كانَ جون هنري في الأرجاءِ حينَها، قاسمَهُ طعامَه، وإذا لَمْ يكنْ فِي الأرجاءِ، فإنّ عليْهِ الانتظارَ حتّى تصرُخَ معِدةُ السّيّدِ هنري مِنَ الجوعُ مرةً أخْرى. كما أكّدَ جون هنري بنبرةٍ كئيبةٍ أنّه أوشكَ أنْ يموتَ جوعًا لَوْ لَمْ يعدْ إلى بيتِهم أيّامَ الآحادِ ليقومَ «بتعبئةٍ كاملةٍ»، ولَوْ لَمْ تجهِّزْ لَهُ أمُّهُ قفّةً مملوءةً يرقاتٍ ليأخُذَها معَهُ أصْبَاحَ الاثنيْن. وأضاف ثانيًا أنّ السّيّدَ هاريسون لا يغسِلُ الأوانِي إلاّ في أيّامِ الآحادِ المُمطرةِ، ويقومُ بذلك في برميلِ مياهِ المطرِ، ثمّ يترُكها تجفُّ هُناك.

وعِلاوةً على كلِّ ذلكَ، أظهرَ السّيّدُ هاريسون بُخلًا شدِيدا. فكلّما طُلبَ مِنْهُ المساهمةُ في دفعِ أجرِ القَسِّ آلان، أجابَ بأنّه سينتظرُ سماعَ المواعِظِ، حتّى يُقيِّمَها بالدّولار... إنّه ليسَ رجلًا مِنَ النّوعِ الّذِي يشترِي «القِطّ في كيسِه». وفِي كلِّ مرّةٍ زارتهُ فِيها السّيّدةُ ليند لتحثَّهُ على المساهمةِ في مُهمّاتِها التّبشيريّةِ، وتُلقِي نظرةً على مسكنِه مِنَ الدّاخلِ في الوقتِ نفسِه، أخبرها بأنّه تُوجدُ وثنيّاتٌ بيْنَ عجائزِ «آفونلي» الثّرثاراتِ أكثرَ مِنْ أيِّ مكانٍ آخرَ عرفَه، وبأنّه سيَسْعَدُ بتنصِيرِهنّ إذا أرادتِ التّكفّلَ بهنّ. هربتْ السّيّدةُ راشيل في كلِّ مرّةٍ، مردّدةً أنّ مِنْ حسنِ حظِّ السّيّدةِ روبرت بيل أنّها تنامُ فِي سلامٍ داخلَ قبرِها، لأنّ قلبَها كان سينفطِرُ لرؤيةِ حالِ بيتِها الّذي تعوّدتْ على أن تفخَر به.

قالتِ السّيّدةُ ليند لماريا كثبرت بسُخط:

- عندما أتذكّرُ أنّها كانتْ تفركُ أرضِيّةَ المطبخِ بالفرشاةِ كلَّ يومين! لو ترينَها الآن! أُجبِرتُ على رفعِ تنّورتِي حتّى أسيرَ فوقَها. وزيادةً على كلِّ ذلك، يُربِّي السّيّدُ هاريسون ببّغاءً يُدْعى جينجر. لَمْ يسبِقْ لأحدٍ في «أيفونلِي» امتلاكُ ببّغاءٍ، لذلك مِنَ الصّعبِ اعتبارُ هذه العادةِ عادةً مُحترَمَة. ويالهُ مِنْ ببّغاءٍ! فعلى رأيِ جون هنري كارتر لا وجودَ لببّغاءٍ فِي مثلِ بذاءتِه وشرِّهِ! فهو يشتُمُ بشكلٍ مُرِيع! ولو تمكّنتِ السّيّدةُ كارتر مِنْ إيجادِ مكانٍ أفضلَ لابنِها لسحبتْهُ مِن هُناك دون تَرَدُّد. زيادةً علَى أنَّ جينجر عضّ جون هنري

فِي عُنُقِه، ذاتَ يومٍ، عندما اقتربَ كثيرًا مِنَ القفَص. فظلّتِ السّيّدةُ كارتر تُطلِعُ الجميعَ على النّدبةِ كلّما عادَ ابنُها إلى البيتِ أيّامَ الآحادِ.

تذكّرتْ آن كلَّ هذِه الأحداثِ بيْنما وقفَ السّيّدُ هاريسون أمامَها، صامِتًا وساخِطًا بشكلٍ واضِح. لا يمكنُ القولُ إنَّ السّيّدَ هاريسون رجلٌ وسيمٌ، حتّى عندما يكونُ فِي مزاجٍ رائِق. فهو قصيرٌ، وسمينٌ، وأصلعُ، وقد بدا لآن فِي هذِه اللّحظةِ، بوجهِهِ المستدِيرِ البنفسجيِّ مِنْ شِدّةِ الغضبِ، وعينيْه اللّتين كادَتا أنْ تخرُجَا مِنْ رأسِه، كأقبحِ ما رأتْ عيناها مِنَ البشرِ. وجدَ السّيّدُ هاريسون صوتَه فجأةً:

- لا أستطيعُ تحمّلَ هذا يومًا إضافِيّا.

ثمّ تلعثَم:

هل تسمعِينني يا آنستي. إنّها المرّةُ الثّالثةُ بحقِّ الرّبِّ، المرّةُ الثّالثةُ! وإنَّ لِصبْري حدودًا. لقد حذّرتُ خالتَكِ المرّةَ السّابقةَ، وطلبتُ مِنْها الانتباهَ حتّى لا يتكرّرَ هذا مرّةً أُخْرَى... ومع ذلك تَرَكَتِ الأمرَ يحدثُ... تركتْهُ يحدُثُ... لأيِّ سببٍ؟ هذا ما أريدُ معرِفتَه. لهذا السّببِ أنا هنا يا آنِستي.

سألتْ آن بنبرتِها الأكثرِ وَقارا:

- هلاّ فسّرتَ لي مشكلتَكَ؟

إنّها تتحدّثُ كثيرًا بهذِه النّبرةِ مؤخّرًا، حتّى تكونَ جاهزةً للعودةِ

المدرسيّةِ، ولكِنّها على ما يبدُو، لَمْ تُحدِثْ أيَّ تأثيرٍ في هذا الجارِ الخارجِ عَنْ طَوْرِه.

- هل قلتِ مُشكِلتِي؟ يا إلهِي ! فِي الواقِعِ، إنَّها: مُشكِلةٌ، إذا أردْتِ رأْيِي. المشكلةُ يا آنسةُ أنّي وجدتُ بقرةَ الجرسي هذه التّابِعةَ لخالتِكِ فِي حقلِ شوفاني، منذُ نصفِ ساعةٍ فَقَط. وهذِه هِيَ المرّةُ الثّالثةُ الّتِي يحصلُ فيها هَذا الأمْر، إذْ وجدتُها يومَ الثّلاثاءِ الفارِطِ، وبالأمسِ أيْضا. لذلك جئتُ إلى هُنا كيْ أحذّرَ خالتَكِ، وأنبّهَها إلى ألاّ يتكرّرَ هذا مرّةً أخْرى، رَغْمَ أنَّها لا تهتَمّ. أين خالتُكِ يا آنسة؟ إنّي حريصٌ على رُؤيتِها دقيقةً واحدةً كي أوبِّخَها على طريقتِي، طريقةِ توبيخِ السّيّدِ ج أ هاريسون.

أجابتْ آن بِوقارٍ أَكْبَر:

- إذا كنتَ تتحدّثُ عنِ الآنسةِ ماريا كثبرت، فهي ليستْ خالتِي، وقد عادتْ إلى «إيست غرافتون» كيْ تعتنيَ بقريبةٍ بعيدةٍ أصابَها مرضٌ شدِيد. أنا آسفةٌ لأنَّ بقرتِي عبرتْ حقلَ شوفانِك... إنّها بقرتِي، وليستْ بقرةَ الآنسةِ كثبرت... لقد أعطانِي إيّاها ماثيو منذُ ثلاثِ سنواتٍ، عندما كانتْ مجرّدَ عِجْلَةٍ صغِيرة، اشتراها مِنَ السّيّدِ بيل.

- آسفة ! ولكنْ ماذا يعنِي لِي أنْ تكونِي آسفةً يا آنسة؟ سيكونُ أفضلَ لَو ذهبْتِ وعاينْتِ الأضرارَ الّتِي تسبّبتْ فِيها بقرتُكِ في حقلِي... لقد داستْ شوفانِي مِنْ وسَطِ الحقلِ حتّى

أطرافِهِ.

كرّرتْ آن بصوتٍ حازِمٍ:

- أنا حقًّا آسفةٌ. ولكنْ، ربّما لو كانَ سياجُكَ في وضعٍ جيّدٍ، لما استطاعتْ دُولي ولوجَ حقلِك. فقد لاحظتُ ذاتَ يومٍ أنَّ الجزءَ مِنْ سياجِكَ الفاصِلَ بين حقلِ شوفانِك ومرعانا ليسَ في حالةٍ جيِّدَة.

أجابَ السّيّدُ هاريسون فجأةً، وبغضبٍ أشدّ أعجزَ آن عنْ رمْيِ الكرةِ في ملعبِه مجدّدًا:

- وضعُ سياجِي جيّدٌ جِدّا، ولكنْ، حتّى قضبانُ السّجنِ لا تستطِيعُ منعَ بقرةٍ شيطانيّةٍ كهذِه.

وأضافَ وهو يصعَقُ بنظرِه فيرجيل البريءَ الجاثي عنْدَ قدَميْ آن.

- وها أنا أخبرُكِ، أيّتُها الصّهباءُ، إذا كانتْ هذه بقرتُكِ فِعلًا كما تقُولين، فمِنَ الأفضلِ أن تمنَعِيها مِنْ دوسِ حبوبِ جيرانِكِ، بدلَ أنْ تجلِسي هُناك تقرئِينَ الرّواياتِ العاطِفيَّة.

في تلكِ اللّحظةِ، احمرَّ شيءٌ مّا آخر في آن زيادةً علَى شعرِها. وطالَما عرفْنا بأنّ شعرَها شكّلَ دومًا نُقطةَ ضَعْفِها. وصَرخَت:

- أفضّلُ امتلاكَ شعرٍ أحمرَ على ألاّ أمتلكَ شعرًا على الإطلاقِ، ما عدا خُصْلَتيْنِ حَوْلَ الأذُنيْن.

أصابتِ الضّربةُ هدفَها، لأنَّ السّيّدَ هاريسون حسّاسٌ جدًّا

بخصوصِ صَلَعِه. سمّرتْهُ الصّدمةُ، ولَمْ يستطعِ القِيامَ بشيءٍ غيْر النّظرِ إلى وجهِ آن بسَحْنَةٍ غاضِبَة. فاستعادتْ هذِه الأخيرةُ أعصابَها، وتابعتْ حديثَها بانطلاقٍ:

- أستطيعُ محاولةَ فهمِكَ يا سيّد هاريسون، لأنّ لِي خيَالا. يسهُلُ عليّ إدراكُ كَمْ هو قاسٍ اكتشافُ بقَرةٍ فِي حقلِ الشّوفانِ، ولستُ حاقدةً عليكَ بسببِ كلامِك. أعدُك بأنَّ دولي لنْ تعبُرَ حقلَكَ بعْدَ الآن. لكَ مِنِّي وعدُ شرفٍ بخصوصِ هذا.

تمتَمَ السّيّدُ هاريسون بنبرةٍ أكثر هدُوءًا:

- حسنًا، إنّكَ مهتمّةٌ إذن.

ولكنّه ابتعدَ غاضِبًا، وهو يضرِبُ الأرضَ بقدَميْه، وسمعتْهُ آن يُغَمْغِمُ حتّى تلاشَى صوتُه. عِنْدَها، عبرتِ السّاحةَ منزعِجةً بشدّةٍ، ثمّ حجزتِ البقرةَ في الحظِيرةِ، وقالتْ فِي نفسِها:

- مِنَ المستحيلِ خروجُها مِنْ هُناك إلاّ إذا كُسِرَ السّياجُ، إنّها تبدُو هادِئةً الآن، بلْ يسعُنِي القولُ إنّها مرِضَتْ بسببِ أَكْلِ الشُّوفَان. كانَ عليَّ بيعُها إلى السّيّدِ شيرر عندما أرادَ شراءَها الأسبوعَ الماضِي، ولكنّي فكّرتُ في أنّهُ مِنَ الأفضلِ لنَا انتظارُ بيعِ كامِلِ الماشيةِ فِي المَزاد. أعتقدُ أنَّ السّيّدَ هاريسون غريبُ الأطوارِ فعْلا. فهو لا يملِكُ بالتّأكيدِ أيَّ روحٍ طيِّبَة.

وطالَمَا احتفظتْ آن بعينٍ مفتوحةٍ دومًا لاكتشافِ الأرواحِ الطيّبة.

في اللّحظةِ نفسِها الّتي عادتْ فيها آن، وصلتْ ماريلا كثبرت إلى السّاحةِ بعربةٍ مجرورةٍ، فسارعتْ آن إلى إعدادِ الشّايِ، وتحدّثتا جالِستيْن إلى الطاوِلَة.

قالتْ ماريلا:

- سأسْعدُ عِندَما يصبحُ المزادُ العلنيُّ أمرًا واقِعًا، فامتلاكُ عددٍ كبيرٍ مِنَ الماشِيةِ مسؤوليّةٌ جسِيمةٌ، خصوصًا وأنّه ليْسَ هُناكَ غير مارتن للاهْتِمامِ بها. كما أنّنا لا نستطيعُ الوُثوقَ به. فهُو لَمْ يعُدْ إلى الآنَ، بالرّغمِ مِنْ أنّه وعدَني بالعودةِ البارحةَ، إذا سمحتُ لهُ بيومِ عطلةٍ للذّهابِ إلى جنازةِ عمّتِه. لا أعرفُ كمْ عمّةً لديْه، ولكنَّ هذِه هيَ الرّابعةُ الّتي توَفّاها الرّبُّ منذُ أن شغّلتُه قبْلَ سَنَة. سأرتاحُ راحَةً بالِغَةً عنْدَ نِهايةِ الحصادِ، حينَ يمسكُ السّيّدُ باري بزمامِ أمورِ المزرعَة. كما أنّنا سنتركُ دولي محجوزةً في الحظيرةِ إلى حينِ عوْدةِ مارتن، فلا يجِبُ أنْ نضَعَها فِي المرعَى الخلفيِّ إلاّ إذا أصلحْنا السِّيَاج. صدِّقيني، إنّنا نعيشُ في عالمٍ مِنَ المشاكلِ كما تقولُ راشيل. ها هيَ ماريز المسكِينةُ تمُوت. ماذا عساهُ يكونُ مصيرُ ذيْنِك الطفليْن؟ لديْها أخٌ في كولومبيا البريطانيّةِ كتبتْ لَهُ بخصوصِهما، ولكنَّها لَمْ تتلقَّ إجابةً بَعْد.

- كيفَ حالُهما؟ في أيِّ سِنٍّ هُما؟

- أكثرُ قليلًا مِنَ السّتِّ سنواتٍ... إنّهُما توأَم.

قالتْ آن بنبرةٍ رائِقةٍ:

- أوه!لقد اهتممتُ دومًا بالتّوائِمِ منْذُ إقامتِي عِنْدَ السّيّدةِ هاموند الّتِي كان لديْها عددٌ كبيرٌ مِنْهم. هلْ هُما جمِيلان؟

- يا إلهي ! كيف بإمكانِي أنْ أعرِفَ... فقدْ كانَا مُتّسِخيْن جِدّا. إذْ صنَعَ دايفي فطائرَ مِنَ الطّينِ، وعندما ذهبتْ دورا لتبحثَ عنْه، دفعَها، فسقطتْ برأسِها أوّلًا فِي أكبر واحِدَة. وعندما بدأتْ تبْكي رمَى بنفسِه فِيها أيضًا ليؤكِّدَ لهَا أنّهُ ليسَ عليْها البكاءُ مِنْ شيْء. قالتْ ماري بأنَّ دورا طفلةٌ جيّدةٌ، ولكنّ دايفي يُفْرِطُ فِي المَرَح. وهو لمْ يتلقَّ أيَّ تربيةٍ، إذا أردْنا القوْلَ، لأنّ والدَه ماتَ وهو مجرّدُ رضيعٍ، وسقطتْ ماري مريضةً دونَ انقطاعٍ مُنْذُ ذلكَ الوقتِ تَقْرِيبا.

أكّدتْ آن بنبرةٍ رصِينَةٍ:

- أحزنُ دومًا علَى الأطفالِ الّذين لا يتلقّوْنَ أيَّ تربيةٍ، تعرفِين أنّي لَمْ أَحْظَ بأيِّ تربيةٍ قبْلَ أنْ تأْخُذِي بيدَيَّ. أتمنَّى أنْ يهتمَّ بِهما خالُهما. ولكنْ، أيُّ صلةِ قرابةٍ تجمعُكِ تحديدًا بالسّيّدةِ ماري؟

- بماري؟ لا يجمعُنِي بِها أيُّ رابطِ قَرابَة، وإنّما بزوجِها... كان ابنُ عمِّنا الثالث. أوه ! ها هي السّيّدةُ ليند تعبرُ السّاحَة. أعتقدُ أنّها هنا لتعرفَ أخبارًا عنْ ماري.

ترجّتْها آن:

- لا تخبِرِيها شيئًا بخُصوصِ السّيّدِ هاريسون والبقرةِ.

وعدتْها ماريا ألاّ تفعلَ، ولكنْ، لَمْ يكنْ هذا الوعدُ ضرُوريّا لأنَّ الآنسةَ ليند قالتْ ما إنْ جلستْ:

- لقد رأيتُ السّيّدَ هاريسون يطْرُدُ بقرتَكِ الجيرسي مِن حقلِ شوفانِه اليومَ، وأنا عائدةٌ مِنْ «كارمودي». بدا لِي شدِيدَ الغضِبِ. هل أحدثَ ضَجّةً عارِمَة؟

تبادلتْ آن وماريا ابتِسامةً مرِحةً خِلسَة. فأشياءُ قليلةٌ فقَطْ في «آفونلي» تفلتُ مِنَ السّيّدةِ ليند. وفي ذلك الصّباحِ نفسِه قالتْ آن في سرّها: «إذا دخلتَ غرفةَ نومِكَ، اغلقْ بابَكَ، وأَنْزِلِ السِّتارةَ، ثمّ اعطسْ، لأنّكَ إذا لَمْ تفعلْ فإنّ السّيّدةَ ليند ستسألكَ فِي صباحِ الغدِ: «كيفَ حالُ رشْحُك».

أكّدتْ ماريلا للسّيّدةِ ليند:

- أعتقد ذلك، «لقد كنتُ غائبةً، لكنّه وبّخَ آن.

قالتْ آن وهيَ تهزُّ رأسَها الأصْهبَ بحِقْدٍ:

- إنّه شخصٌ سيِّءٌ جدًّا حسْبَ رأيِي.

وافقتِ السّيّدةُ راشيل باحتِفاليَّة:

- لا رأيَ أكثر صِحّةً مِنْ هذا الرّأْي.

- طالما عرفتُ أنّنا سنواجِهُ مشاكِلَ عندَما باعَ روبرت بيل بيتَهُ لرجلٍ مِنْ «نيوبرانزويك»، وتساءَلتُ عمّا ستُصبِحُ عليْهِ «آفونلي» مَع كلِّ هؤلاءِ الغرباءِ الّذين يأتُونَ للاستقرارِ بِها. لَمْ يَعُدْ بإمكانِنا النّومُ بأمانٍ فِي أسِرَّتِنا.

سألتْ ماريا بِحيْرَةٍ:

- كيفَ؟ هلْ هناكَ غرباءُ آخرون سيأتُونَ للاستقرارِ هُنا؟

- ألستِ على عِلْمٍ؟ حسنًا، هُناكَ فِي البدايةِ عائلةُ دونيل. لقد استأجرُوا بيتَ بيتر سلون القدِيم، إذ وظّفَ بيتر الرَّجلَ للاهتمامِ بطاحونتِه. جاؤُوا مِنَ الشّرقِ، ولا أحدَ يعرفُ عَنْهم شَيْئا. ثمَّ هُناك عائلةُ تيموثي كوتون، وهُمْ مجْمُوعةٌ مِنَ الكسالى سيأتون مِنْ «وايت ساندز»، وسيكونُ قدومُهم حِملًا ثقِيلًا على مجتمعِنا. فربُّ الأسرةِ يتحوّلُ إلى رجلٍ مستهلكٍ للمخدّراتِ، عندما لا يسرقُ، وزوجتُه حمقاءُ لا تعرِفُ ما تفعلُه بأصَابعِها العشْرَة. إنّها تجلسُ كيْ تغْسلَ الأوانِي! اصطحبت عندها السّيّدة جورج باي ابن أخِ زوجِها اليتِيمَ، أنطوني باي، الّذِي سَوْفَ يكونُ فِي قاعةِ درسِكِ يا آن، ولذلك تنتظركِ أوقاتٌ صعبَةٌ، هذَا مُؤكّد. سوفَ تدرِّسِين أيضًا تلميذًا غريبًا آخر، بول آرفنع، القادمَ مِنَ الولاياتِ المتّحدةِ ليعيشَ مَعَ جدّتِه. تتذكّرِين والدَه يا ماريا... ستيفن آرفنغ، ذلك الّذِي فسَخَ خطوبتَه مَعَ لافندر لويس فِي «غرافتون».

- لا أعتقدُ أنّه سيترك ذلك يمرّ. لقد تخاصما... أظنّ أنّ كليْهما مُخطِئ.

- حسنًا، هو فِي كلِّ الأَحْوالِ لَمْ يتزَوّجْها، فأصْبَحتْ غرِيبةَ الأطْوارِ جدًّا مُنْذُ ذلكَ الحِينِ، بما أنّها تعِيشُ بمفردِها فِي ذلكَ البيتِ الحجريِّ الصّغيرِ الّذِي تسمِّيه جناحَ الصّدَى.

غادَرَ ستيفن إلى الولاياتِ المتّحدةِ، واشتغلَ في مَجالِ الأعمالِ مَعَ عمِّه، وتزوّجَ أمريكِيَّة. لَمْ يعُدْ مُنْذُ ذلكَ الحينِ، ولكنَّ أمَّه زارتْه هُناك مرّةً أو مرّتيْن. ماتتْ زوجتُه منذُ سنتيْن، وعَهِدَ بالولدِ إلى أمِّه بعضَ الوَقْت. عُمْرُ الولدِ عشرُ سنَواتٍ، ولا أعرِفُ هلْ مِنَ الرّائِع أنْ يكونَ تلمِيذًا في صفّك. فلا يمكنُنا أبدًا معرفةُ ما ننتظِرُه مِنَ الأمريكيِّين».

تضعُ السّيّدةُ ليند في محلِّ شكٍّ، كلَّ الأشخاصِ الّذِينَ تكبّدُوا عناءَ الولادةِ أو التّربيةِ خارجَ جزيرةِ «الأمير إدوارد». ومع أنّهُ مِنَ الممكنِ طبعًا أنْ يكونَ مِنْ بينِهم أناسٌ شرفاءُ، فمِنَ الأفضلِ دائمًا التزامُ الحذرِ تُجاهَهم. إذْ منذُ أنْ تَحايَلَ مُوظّفٌ مِنْ «بوسطن» على زوجِها في عشْرةِ دولاراتٍ، لا أحدَ تمكّنَ مِنْ إقناعِها بأنَّ الولاياتِ المتّحدةَ ليستْ مسؤولةً عَنْ ذلكَ، لا ملائكةٌ، ولا أميرٌ، ولا وزِير.

لاحَظتْ ماريلا بنبرةٍ جافّةٍ:

- لنْ تُصِيبَ بعضُ الدّماءِ الجدِيدةِ مدْرَسةَ «آفونلي» بأيِّ خَطَرٍ. وإذا أشبَهَ هذا الولدُ، ولَوْ قلِيلًا، والدَه، فسيسيرُ كلُّ شيءٍ نحْوَ الأفضَل. لقدْ كانَ ستيف آرفنغ أفضلَ ولدٍ تربّى في هذِه الأرجاءِ، بالرّغمِ مِنْ أنَّ بعْضَ النّاسِ يعتقدُون أنّه متكبّرٌ كثِيرا. أعتقدُ أنَّ السّيّدةَ آرفنغ ستَسْعَدُ جِدًّا بعَيْشِ الوَلَدِ معَها، فهيَ وحيدةٌ جدًّا مُنْذُ وفاةِ زوجِها.

اختصرتِ السّيّدةُ راشيل، وكأنّ هذَا القوْلَ سيصلِحُ الأمْر:

- «أوه !، قدْ يكونُ الولدُ محترمًا، ولكنّهُ سيكونُ مختلِفًا عَنْ

بقيّةِ أطفالِ «آفونلي»».

لقد عُرِفتْ آراءُ السّيّدةِ راشيل حولَ أيِّ شخصٍ، وأيِّ مكانٍ، وأيِّ شيءٍ، بِصَرامتِها.

- سمعتُ أنّكِ تؤَسّسينَ جمعيّةً لتحسينِ المدينة. ما هي تحديدًا يا آن؟

أجابتْ آن وقد احمرّ وجهُها:

- لقد تحدّثْنا فقطْ إلى بعضِ البناتِ والأولادِ، خِلالَ اجتماعِ نادِي الحِوارِ الأخِيرِ، وقد فكّرُوا في أنَّ الأمرَ سيكونُ ذا نفْعٍ... وهذا هُو تحدِيدًا رأيُ السّيّدةِ آلان وزوجِها. فالعدِيدُ مِنَ المدنِ لديْها مثلُ هذِه الجمعيّاتِ الآن.

- حسنًا، لنْ تحصُدِي سِوى المشاكلِ إذا عانَدْتِ فِي هذَا المشرُوع. ومنَ الأفضلِ أنْ تتخلّيْ عنْهُ، يا آن. لا يريدُ النّاسُ أنْ يحسِّنُوا أنفسَهم.

- أوه! لن نحاولَ تحسِينَ النّاسِ، بلْ «آفونلي»، فبإمكانِنا القيامُ بأشياءَ عديدةٍ لتزيينِ المدينةِ، ولوْ استطعْنَا مثلًا حثَّ السّيّدِ ليفي بولتر على هدْمِ ذلكَ البيتِ القديمِ المريعِ في أعلَى مزرعتِه، ألنْ يكونَ ذلكَ تَحْسِينا؟

أكّدتِ السّيّدةُ راشيل:

- نَعَمْ، بالطّبعِ، فمنذ سنواتٍ، وتلكَ الخربةُ تَصْدِمُ الأنْظَار. وإذا نجحتُم، أنتم المحسِّنُون، في إقناعِ ليفي بونيتر بالقيامِ بشيءٍ مّا لمصلحةِ المجتمعِ دونَ أنْ يتقاضَى أجرًا، فإنِّي أودُّ

الحضورَ لمتابعةِ المَشْهَد. لا أريدُ إثباطَ عزيمتِكِ يا آن، لأنَّ هُناك شيئًا مّا جيّدًا ربّما فِي فكرتِكِ، ولكنّي أعتقدُ أنّكِ استقيْتِها مِنْ إحدَى المجلاّتِ الأمريكيَّةِ التّافِهَة. أنصحكِ وديًّا بأنْ تنشغِلي بعملِكِ فِي المدرسةِ، وألّا تهتمِّي بهذِه التّحسِينات، مع أنّي أعرفُ جيّدًا أنّكِ لنْ تقومِي سِوى بمَا يجولُ فِي رأسِكِ مِنْ أفكارٍ، كالعادَة. فأنتِ تذهبينَ دومًا إلى أقصَى حُدودِ أفكاركِ، كيفَما كانَت.

أشارَ شيءٌ مّا فِي المُحيطِ المُغلقِ لشفتيْ آن، إلى أنَّ تقدِيرَ السّيّدةِ لينِد للمسألةِ ليسَ بعيدًا عَنِ الحقِيقَة.

أبْدَى جيلبرت بلايت الّذِي يدرِّسُ في «وايت ساندز»، ويعودُ باستمرارٍ إلى بيتِه مِنَ الجُمُعةِ مساءً إلى الاثنينِ صباحًا، تحمّسًا كبيرًا للمشروعِ، ووافقَ معظمُ الشُّبّانِ الآخرِين علَى الالتزامِ بكلِّ ما يُفرضُ أثناءَ بعضِ الاجتماعاتِ العرضيّةِ، أمّا بالنّسبةِ إلى التّحسيناتِ، بأتمِّ ما فِي الكلمةِ مِنْ معنًى، فلا أحدَ باستثناءِ آن وجيلبرت، كان يملك فكرةً دقِيقةً عنْ طبيعتِها. لقد تحدّثَا، وخطّطَا للتّحسيناتِ حتّى أصبحتْ «آفونلي» المثاليّةُ مَوْجُودَةً فِي رأسيْهِما، وإنْ هِيَ لمْ توجَدْ فِعلًا.

حَوَتْ جعبةُ السّيّدةِ راشيل خبرًا آخرَ:

- لقدْ وظّفُوا المَدْعوّةَ بريسيلا غرانت للتّدريسِ في مدرسةِ «كارمودي». هل درستِ مع فتاةٍ بهذا الاسمِ في «كوينز» يا آن؟

قالتْ آن بحماسٍ:

- آه، طبعًا، بريسيلا ستدرِّسُ في «كارمودي»! إنّه لأمرٌ رائِعٌ!

لمعتْ عيناها الرّماديّتانِ حتّى أشبَهَتا نجمتيْن في السّماءِ، وهو ما جعلَ السّيّدةَ ليند تتساءلُ مرّةً أخرى متَى ستقرّرُ إن كانتْ آن فتاةً جميلةً أم لا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(2)
بيعٌ على عَجَلٍ ونَدَمٌ

ذهبتْ آن فِي ظهيرةِ اليومِ الموالِي للتسوّقِ في «كارمودي» بصُحبةِ ديانا باري. فقرّرتْ ديانا الانضِمامَ لجمعيّةِ التّحسينِ الّتِي كانتْ موضوعَ حديثِهما طَوَالَ المِشْوَار.

لاحظتْ ديانا عندَما مرّتَا أمامَ مبنًى على شكلِ قُبّةٍ متهدّمٍ نوعًا مّا، ومركونٍ فِي جوفٍ مكسوٍّ بأشجارِ التنّوبِ الممتدّةِ مِن كلِّ جهاتِه:

- عندما نبدأُ، ستكون أولويّتُنا هي دهنُ قاعةِ السّينما. إنّهُ مكانٌ مريعٌ، وعلينا أن نهتمَّ به، حتّى قَبْلَ أن نُقنِعَ السّيّدَ ليفي بولتر بهدمِ منزلِه. يدَّعي أبي أنّنا لنْ نتمكّنَ مِنْ ذلكَ أبدًا... فليفي بولتر وضيعٌ جدًّا، ولنْ يوفِّرَ الوَقْتَ المناسِبَ لذلك.

اقترحتْ آن بأَمَلٍ:

- قد يتركُ الأولادَ يفعلُون ذلكَ، إذا ما وعدُوهُ بإحضارِ الألواحِ كيْ يستعملَها كحطبٍ للنّارِ، يجبُ أنْ نقومَ بِما فِي وسعِنا، وأنْ نُبدِيَ صبْرًا فِي البِدَايَة. لا يمكنُ أنْ ننتظرَ إصلاحَ كلِّ شيءٍ مرّةً واحِدَة. يجبُ أوّلًا أنْ نبدأَ بتحسيسِ المُجتَمَع.

لَم تكنْ ديانا متأكّدةً تمامًا مِنْ معرِفةِ ما يعنيه «تحسِيسُ المُجتمعِ»، ولكِنَّها كانتْ كلماتٍ ذاتَ وقعٍ جيّدٍ، وشعُرتْ بالفخرِ بانتمائِها إلى جمعيّةٍ تتّبعُ مثلاً نبيلًا مِثْلَ هذا.

- بالأمسِ، وجدتُ شيئًا نستطيعُ أنْ نباشِرَ بِه يا آن. تعرفينَ تقاطعَ طُرقِ «كارمودي»؟ مِنْ «نيوبريدج» إلى «وايت ساندز»؟ إنّه مغطًّى تمامًا بأشجارِ التنّوب. أليستْ إزالتُها حتّى لا تبقَى سِوى شجراتِ البتولا الثّالث الّتي تملأُ مكانَها فكرةً جيِّدة؟

وافقتْ آن بفرَحٍ:

- رائعٌ، وسنضعُ مقعدًا ريفيًّا بسيطًا تحتَ شجراتِ البتولا، وفِي الرّبيعِ ستكون لدينا في الوَسَطِ الأرضيّةُ الملائمةُ لزراعةِ نباتاتِ إبرةِ الرَّاعِي.

أضافتْ ديانا ضاحِكَة:

- نعم، يجبُ علينا فقَطْ إيجادُ طريقةٍ كيْ تمنعَ السّيّدةُ العجوزُ سلون بقرتَها مِنَ التَّجوالِ في الطّريقِ، وإلاّ فستأكلُ كلَّ نباتاتِ إبرةِ الرّاعِي. لقد بدأتُ أفهمُ ما تعنِينَ بتحسِيسِ المُجْتمعِ يا آن. انظُرِي الآن منزلَ بولتر القدِيم. هل رأيتِ سابِقًا كوخًا مماثِلا؟ علاوةً على أنّهُ مُحاذٍ للطّرِيق. لطالما ذكّرنِي كلُّ بيتٍ قديمٍ بلا نوافذَ بشيءٍ ميّتٍ نُقِرتْ عيناه.

نطقتْ آن بسَحْنَةٍ حالِمةٍ:

- إنّه لأمرٌ محزنٌ رؤية بيتٍ قديمٍ مهجُور. يتولّد لديَّ الانطباعُ

دومًا بأنّه يتأمّلُ ماضِيه، ويبكِي لحظاتِه السّعيدةَ المنْقضِية. تقولُ ماريا إنّ عائلةً كبيرةَ العددِ عاشتْ في هذا البيتِ، وإنّه كانَ مكانًا ساحِرًا، بحديقةٍ كبيرةٍ وأزهارٍ تنبُتُ في كلِّ الأرْجَاء. امتلأَ هَذا البيْتُ ذَاتَ يومٍ بالأطفالِ الصّغارِ والضّحكاتِ والأغانِي، وها هو خالٍ تمامًا الآن. لا شيءَ يجولُ فيه عدَا الرِّيح. يالِلوحدةِ والحزنِ اللّذين يحسُّ بِهما! الأطفالُ، والأزهارُ، والأشباحُ، وأغانِي الماضِي... ربّما عادتْ جميعًا، في ليالِي القمرِ المكتملِ... وخِلالَ لحظاتٍ، يستطيعُ البيتُ أن يحلُمَ بشبابِهِ السَّعِيد.

هزّت ديانا برأسِها:

- أتجنّبُ قدْرَ الإمكانِ تخيّلَ أشياءَ مماثلةٍ يا آن. هل تتذكّرين كَمْ غضبتْ أمّي وماريا عندَما تخيّلنا أشباحًا في الغابةِ المسكونةِ؟ اليومَ أيضًا، أشعرُ بالانزعاجِ نفسِه عندما أعبُرُ الغابةَ فِي اللّيلِ، وإذا تخيّلتُ أشياءَ عنْ بيتِ بولتر القديمِ، فإنّي لن أستطيعَ المرورَ أمامَه دونَ أنْ أُصابَ بالرُّعْب. لَمْ يمتْ هؤلاء الأطفالُ في الحقيقةِ، بل كبروا ويعيشون الآن بخيْرٍ، حتّى أنَّ أحدَهم أصبحَ جزّارًا، ثمّ إنّ الأزهارَ والأغنياتِ لا أشباح لها.

كتمتْ آن تنهيدةً صغِيرة. فهي تحبُّ ديانا كثيرًا، ولطالما ألّفتْ بيْن قلبيْهما صداقةٌ رائِعَة. ولكنّها تعرفُ تمامَ المعرفةِ، منْذُ زمنٍ طويلٍ، أنّها إذا أرادتْ التّسكّعَ في مملكةِ الفانتازيا، فإنَّ عليْها الذّهابَ

وَحِيدَة. إذْ هناك طريقٌ واحدةٌ للوصولِ إليْها، ولا تستطيعُ حتّى صديقتها الأعزّ اتّباعَها فيها.

زمجرَ الرّعدُ، وهطلَ المطرُ عِندَما كانتِ الفتاتان فِي «كارمودي». لمْ تستَمِرَّ العاصِفةُ طويلًا، فراقتِ العودةُ عبر الطّرقِ الّتِي تلألأتْ قطراتُ المطرِ على أغصانِ أشجارِها، وأطلقتْ وديانُها المحاطةُ بالأشجارِ المُورِقةِ روائحَ بهاراتٍ فوّاحةً مخلوطةً برائحةِ شجراتِ السّرخَسِ المُبتلَّة. ولكنْ، في اللّحظةِ الّتِي انطلقتَا فيها على طريق «كثبرت»، تشكّلتْ أمامَ أنظارِ آن رؤيةٌ أفسَدَتْ عليْها جمالَ المشْهَد.

فقد امتدَّ أمامَهما، على اليمينِ، حقلُ السّيّدِ هاريسون بحبوبِ الشّوفانِ المتأخِّرةِ، مبتلّةً وغزيرةً، وذاتَ لونٍ رماديٍّ مائلٍ نحوَ الأخضر، وفي وسَطِهِ، وقفتْ بقرةُ الجيرسي الّتي وصلتِ الأعشابُ العاليةُ حتّى خاصرتيْها الحريريّتيْن، وعيناها ترمُشانِ بهدوءٍ فوقَ السّنيبلاتِ.

أرختْ آن الزّمامَ، ووقفتْ وهي تزمُّ شفتيْها بطريقةٍ لا تبشّرُ بأيِّ خيرٍ بالنّسبةِ لذاتِ الأربعِ المُفْترِسَة. لَمْ تنبسْ بكلمةٍ واحدةٍ، ولكنّها قفزتْ بسرعةٍ فوقَ العجَلاتِ، وتجاوزتِ السّياجَ دون أنْ تفهمَ ديانا أيَّ شيْء. ولمّا استعادَتْ صَوْتَها صَرَختْ:

– عُودِي يا آن ! سوف تفسدِين فستانَكِ فِي الشّوفانِ المبتلِّ... سوف تتلفِينَه. إنّها لا تسمعُني. حسنًا، لن تنجحَ أبدًا بمفردِها في إخراجِ تلكَ البقرةِ مِنْ هُناك. لا بدَّ أنْ أساعِدَها دُونَ شَكّ.

توغّلتْ آن داخِلَ حقلِ الشّوفانِ مِثْلَ سجِينةٍ أُطلِقتْ مِنْ أغلالِها. فقفزتْ ديانا بحيويّةٍ، وربطتِ الحِصانَ بقوّةٍ إلى عمُودٍ، ثمّ رفعتْ فستانَها الجميلَ مِنْ طِرازِ «فيشي» إلَى حُدودِ كتِفيْها، وصعِدتْ السِّياجَ لاحِقةً بصديقتِها الخارِجةِ عنْ طَوْرِها، فتجاوزتْ آن الّتِي أعاقَها فستانُها المبتلُّ والملتصقُ بجسدِها. وتركتا خلفَهما أخدُودًا سيكسِرُ قلبَ السّيّدِ هاريسون ما إنْ يرَه.

ترجّتْها ديانا المسكينةُ مُلاحِقةً أنفاسَها:

- آن، حبّا في الرّبّ، توقّفي ! لقد فقدتُ أنفاسِي، وأنتِ مبتلّةٌ حتى العظْم.

قالتْ آن لاهِثَة:

- عليَّ...أنْ... أُخرِجَ... هذِه البقرةَ... مِنْ هُنا... قبْلَ أنْ... يراها... السّيّدُ هاريسون. لا يهمُّ... إنْ... كنتُ... مبتلّةً... يجِبُ... أنْ...أصِل.

ولكنْ، لَمْ يبدُ أنَّ بقرةَ الجيرسي مستعدّةٌ للخروجِ مِنْ مَرْعَاها اللّذِيذ. ففِي اللّحظةِ الّتِي وصلتْ فيها الفتاتانِ فاقدَتا الأنفاسِ بقربِها، استدارتْ، وركضتْ نحْوَ الجِهةِ المُقابلةِ مِنَ الحَقْل.

صرختْ آن:

- اجعلِيها تستديرُ ! بسرعةٍ يَا ديانا.

ركضتْ ديانا، وحاولتْ آن أيضًا، لكنّ البقرةَ الشّرِيرةَ ظلّتْ تعدُو حَوْلَ الحقلِ كالمسُوسةِ، بل هذا ما كانتْ عليهِ فعلًا، على رأيِ ديانا.

استغرقتا عشْرَ دقائقَ قبْلَ أنْ تنجحَا في تغيير مسارِها، وتوجيهِها مِنْ خِلالِ الفتحَةِ نَحْوَ طريقِ «كثبرت».

لا يمكنُ إنكارُ أنَّ مزاجَ آن في تلك اللّحظةِ كان أبعدَ مِنْ أنْ يكونَ مَلائِكيّا. ولَمْ تلِنْ، ولو قليلًا عندما لاحظتْ عربةً مركونةً خارجَ الطّريقِ وبداخلِها يجلسُ السّيّدُ شيرر مِنْ «كارمودي» وابنُه، وقد ابتسمَ كلاهما ابتسامةً عرِيضَةً. قهقَه السّيّد شيرر:

- أعتقدُ يا آن أنّه كانَ مِنَ الأفضلِ لكِ بيعُ هذه البقَرةِ عنْدَما أردتُ شراءَها الأسبوعَ الفارطَ.

أجابتْ مالكتُها المُحمَرّةُ والشّعْثَاءُ:

- أبيعُها لكَ في الحينِ إنْ أردتَها. تستطيعُ أخذَها منذ الآن.

- أنا موافقٌ. سأعطيكِ مُقابِلَها عشرينَ دولارًا، نفسَ المبلغِ الّذِي عرضتُه عليكِ منْذُ أسْبُوع. وسيأخذُها جيم حالًّا إلى «كارمودي». ستذهبُ إلى المدينةِ مع بقيّةِ البِضاعةِ هذَا المسَاء. إذ يريدُ السّيّدُ ريد مِنْ «برايتون» بقرةَ جيرسي.

بعد خمسِ دقائقَ، انطلقَ جيم شيرر برفقةِ البقرةِ على الطّريقِ، بينما سارتْ آن المندفِعةُ على طريقِ «غرين غابلز»، ومعَها دولاراتُها العشرُون.

سألتْ ديانا:

- وماذا ستقولُ ماريلا؟

- أوه! إنّها لنْ تهتَمّ. فدولي ملكِي، وما كنّا سنحصلُ مقابِلَها على أكثر مِن عشرينَ دولارًا في البيعِ بالمزادِ العلنِيّ. ولكنْ،

يا إلهي! لو رأى السّيّد هاريسون وضعِيّةَ حقلِهِ، سيعرفُ أنّها ذهبتْ مرّةً أخْرى إلى هُناك، بعدما وعدتُه وعدَ شرفٍ أنَّ هذا لنْ يتكرّرَ مرّةً أخرى! حسنًا، سوف يعلّمُني هذا ألاّ أعطيَ وعدَ شرفٍ حوْلَ البقرِ بعْدَ الآن. لا يمكنُ أبدًا منحُ الثّقةِ لبقرةٍ تستطيعُ القفزَ فوقَ سياجِ الحظيرةِ أو المرورَ عبْرَه.

غير أنّ ماريلا زارتْ في الأثناءِ بيتَ السّيّدةِ ليند، وعنْدَ عودتِها كانتْ تعرفُ كلَّ شيءٍ عنْ بيعِ دولي ونقلِها، فقد شاهدتِ السّيّدةُ ليند الجزْءَ الأكبرَ مِنَ الصّفقةِ عبْرَ نافذتِها، وخمّنتِ الباقِي.

- أعتقد أنّهُ مِنَ الجيّدِ بيعُها، بالرّغم مِن أنّي أجدُ طريقةَ تصرّفِك مُتهوِّرةً بشكلٍ كبيرٍ يا آن. لا أعرِفُ كيفُ استطاعتْ أنْ تخرجَ مِن الحظِيرة. لا بدّ أنّها كسرتْ بعضَ الألْواح.

قالتْ آن:

لَمْ أفكّرْ في تفقّدِها، ولكنّي سأذهبُ وأرَى الآن. لَمْ يعُدْ مارتن إلى الآن. لا بُدَّ أنّ عمّاتٍ أخرياتٍ لَهُ قدْ تُوَفَّيْن. يذكّرُني هذا بحكايةِ السّيّدِ بيتر سلون مَع الثّمانِينِيّين. ففِي ليلةٍ سابقةٍ، جلستِ السّيّدةُ سلون تقرأُ جريدةً، وقالتْ لزوجِها «أرى أنَّ «ثمانينيّا» آخر قدْ تُوفِّي. ما معنى ثمانينيٌّ يا بيتر؟»، فأجابَ السّيّد سلون بأنّه لا يَعرفُ، ولكنْ، لا بدَّ أنّها كائناتٌ مريضَةٌ جِدًّا، لأنَّ الحدِيثَ عنْهُم متعلّقٌ دومًا بالاحتِضَار. ولابدَّ أنَّ هذِه هي حالةُ عمّاتِ مارتن.

استنتجتْ ماريلا باحتقارٍ:

- إنَّ مارتن مثلَ بقيّةِ الكنَدِيّين الفرنسِيّين، لا يمكنُ التّعويلُ عليهم يومًا واحِدا.

وأثناءَ تفحُّصِ المشترياتِ الّتِي قامتْ بها آن في «كارمودي»، سمعتْ ماريلا صرخةً ثاقِبةً آتِيَةً مِنْ ساحةِ الإسطبْل. بعْدَ دقِيقةٍ، سارعتْ آن إلى داخلِ المطبخِ وهيَ تعضُّ على أصابِعِها.

- آن شيرلي، هلاّ أخبرتِنِي ما يحدثُ الآن؟

- أوه! ماريلا ماذا عسايَ أفعلُ؟ إنّه أمرٌ مُرِيع. وهذا خطئِي. أوه! هلاّ تعلّمتُ يومًا أنْ أتوقّفَ وأفكّرَ قبْلَ القيامِ بأشياءَ هامّةٍ؟ لقد حذّرتْنِي السّيّدةُ ليند مِنْ ارتكابِ فعلٍ مريعٍ يومًا مّا، وها هو يحدُث الآن!

- آن، إنّكِ أكثرُ الفتياتِ اللّواتي أعرفهنّ حمقا. ماذا فعلتِ تَحْدِيدا؟

لقد بعتُ للسّيّدِ شيرر... بقرةَ الجيرسي التّابعةَ للسّيّدِ هاريسون، تلك الّتِي اشْتَراها مِنَ السّيّدِ بيل! دولي موجُودةٌ الآن فِي الحظِيرَة.

- آن شيرلي، هل تحلُمين؟

- آه لوْ كانَ هذا حلمًا! ولكنْ، لا، ليْس حلمًا، بلْ كابُوسا. ولابدَّ أنَّ بقرةَ السّيّدِ هاريسون قد وصلتْ إلى «شارلوت تاون» فِي هذِهِ السّاعة. أوه! ماريلا، اعتقدتُ أنّي انتهيْتُ مِنَ الكوارثِ، وها أنّي أواجهُ أسوأَ ما قدْ يحدثُ لي فِي حيَاتي. ماذا عسايَ أفْعَل؟

- تفعلِين؟ لا شيء آخر تفعلِينَه يا بنيّتِي غيْرَ الذّهابِ إلى السّيّدِ

هاريسون والحديثِ مَعَه. بإمكانِنا أنْ نعطيَه بقرتَنا الجيرسي إذا رفضَ أخْذَ المال. إنّ لها تقريبًا نفسَ سعْرِ بقرتِه.

قالتْ آن باكيةً:

- أنا متأكّدةٌ مِنْ أنّه سيغضبُ بشدّةٍ، وسيتصرّفُ بسُوءٍ مُريع.
- دُونَ شَكّ. فهو يبدُو شخصًا سريعَ الانفِعال. سأذهبُ، وأشرحُ له الأمرَ، إذا كنتِ تفضّلين.

قالتْ آن:

- حتمًا لا! سيكونُ هذا تصرُّفًا فظًّا مِنّي. هذا خطئِي، ولنْ أتركَكِ تتعرّضينَ لتبعاتِ هذا بدَلًا مِنّي. أنا الّتي سأذهبُ، وسأذهبُ فِي الحَال. فكلّما حدثَ الأمرُ في أقربِ وقتٍ، كلّما كانَ أفضلَ، لأنّه إذا تأخّرَ سيكونُ مهينًا جدّا.

أخذتْ آن المسكينةُ قبّعتَها والعشرين دُولارا. غير أنّها ألقتْ نظرةً مِنْ بابِ حُجرةِ المطبخِ المفتوحِ وهي تتهيّأُ للخُرُوج. كانَ هُناك علَى الطّاولةِ مرطّباتٌ بالجوزِ أعدّتْها فِي الصّباحِ، خليطٌ لذيذٌ جدًّا بكريمةٍ ورديّةٍ مثلّجةٍ مزيّنةٍ بجَوْزِ «غرونوبل» أعدّتهُ آن ليومِ الجُمعةِ حيثُ مِنَ المُنتظَرِ أنْ يجتمِعَ شبابُ «آفونلي» فِي «غرين غابلز» لوضْعِ الأسسِ الرئيسيّةِ لجمعيّةِ تحسينِ المَدِينَة. ولكنْ، منْ مِنْهم وقف حقًّا أمامَ السّيّدِ هاريسون، أو كان ضحيّة انتهاكٍ مُماثل؟ وضعتْ آن المُرطّباتَ فِي عُلبَةٍ، مُؤمِنةً أنّها بمثلِها تمتلكُ حظوظًا أوفرَ فِي تليينِ قلبِ أيِّ رجلٍ، وخاصّةً ذاك الّذِي يقومُ بأشْغالِ بيتِه بمفردِه، وقرّرتْ أنّها سوفَ تهدِيها للسّيّدِ هاريسون كعربونِ سَلاَم.

فكّرت آن بمرارةٍ وهيَ تعبرُ السّياجَ، وتأخذُ طريقًا مُخْتَصرًا يمرُّ عبْر الحقولِ المذهّبةِ بضوءِ غروبِ أوت الواهنِ:

- نعم، سوفَ يتركُ لي فرصةَ الحدِيثِ، أعرفُ الآن بماذا يحسُّ المحْكُومُ عليْهم بالموتِ وهم يُؤخَذونَ إلى سقالةِ الإعْدَام.

(3)
السّيّدُ هاريسون في بيتِه

بُنِيَ بيتُ السّيّدِ هاريسون الّذي يستندُ إلى أيْكَةٍ كثيفةٍ مِنْ أشجارِ التنّوبِ على الطّرازِ القديمِ، بسقفٍ واطِئٍ مدْهونٍ بالجِير. وجلسَ مالكُه في شرفتِه الممتلئةِ بنباتِ اللّبلابِ المُتعرّشِ، وهو يرتدِي قميصًا بالأكمامِ، ويدخّنُ ببهجةٍ غليونَه المسائِيّ. وعندما رأَى الشّخص الصّاعِدَ فِي الطّريقِ، وقفَ، ودخلَ إلى البيتِ، ثمَّ أغلقَ البَاب. لا شيءَ يمكنُ أنْ يفسّرَ هذا التّصرّفَ سوى الإزعاجِ الّذِي سبّبتْه لهُ المفاجأةُ، ممزوجًا بجرعةِ خجلٍ مُهمَّةٍ من نوبةِ غضبِه البارِحَة. وحينَها، كُنِسَ تقريبًا كلُّ ما تبقّى فِي قلبِ آن مِنْ شجَاعَة.

فكّرتْ بيأسٍ وهي تطرقُ البَابَ:

- إذا كانَ في مزاجٍ عدائيٍّ إلى هذه الدّرجةِ الآن، فما الّذِي سيحدثُ عندَما يسمعُ الحِكاية؟

ومعَ ذلكَ فتحَ السّيّدُ هاريسون البابَ مبتسمًا ابتسامةً يُرثَى لَها، ودَعاها إلى الدُّخولِ بنبرةٍ لطِيفةٍ وودِّيّةٍ نوعًا مّا، رَغْم أنّها متوتّرةٌ بعضَ الشّيء. كان قدْ تخلّصَ مِنْ غليونِه، وارتَدى سترتَه. دعا آن بكلّ أدبٍ إلى الجلوسِ على كرسيٍّ مُغْبَرّ. بدا استقبالُه مُحبًّا لولا ذلك

الببّغاءُ الثّرثارُ الّذِي نظرَ عبْرَ قضبانِ قفصهِ بعينيْن ذهبيّتيْن شرّيرتيْن، وصرخَ وآن لمْ تكدْ تجلسُ بعْدُ:

- يا إلهي، ماذا تفعلُ هذِه الصهباءُ هُنا؟

كانَ مِنَ الصّعبِ الحسمُ في أيّهما يملكُ الوجهَ الأكثرَ احمرارًا، آن أمْ السّيّدُ هاريسون.

قال السّيّدُ هاريسون، وهو يرمقُ جينجر بنظرةٍ غاضِبةٍ:

- لا تهتمّي بهذَا الببّغاء، إنّه يقولُ الهراءَ دومًا. أعطانِي إيّاه شقِيقِي. لا يستعملُ البحّارةُ عادةً لغةً عذبةً، والببّغاواتُ طيورٌ مشهورةٌ بموهبةِ تقليدِ الأصواتِ البارِعَة.

أجابتْ آن المسكينةُ:

- هذا ما اعتقدتُه.

وكتمتْ استياءَها، مُتذكّرةً المُهمّةَ الّتِي جاءتْ مِنْ أجلِها. ففِي هذِه الظّروفِ، لا يمكنُ أنْ تهَبَ نفسَها تَرَفَ ازدراءِ السّيّدِ هاريسون. لأنّنا إذا بِعْنَا للتّوِّ، وبوقاحةٍ، بقرةَ الجيرسي التّابعةَ لرجلٍ، دونَ معرفتِه أو موافقتِه، فلا يجبُ علينا الاستياءُ إذا كانَ ببّغاؤُه يكرّرُ كلماتٍ خسِيسَة. ومع ذلكَ لمْ تكنْ كلمةُ «صهباءَ» أكثرَ وداعةً مِنَ العَادَة.

- لقد جئتُ لأعترفَ لكَ بأمرٍ مّا يا سيّد هاريسون

ثمّ تابعتْ بحزمٍ:

- الأمرُ متعلّقٌ بهذِه الجِيرسي.

صرخَ السّيّدُ هاريسون بغضبٍ:

- يا إلهي ! لا تقُولِي لِي إنّها عادَتْ لتدُوسَ شُوفانِي! حسنًا، لا يهمُّ، لا يهمُّ إنْ فعلتْها، سيّانَ عندِي عادتْ أوْ لمْ تعُد. لا فرقَ أبَدًا، لقدْ تمادَيْتُ كثيرًا بالأمسِ، هذِه هيَ الحقِيقَة. لا يهُمُّنِي إنْ عادَت.

تنهّدتْ آن:

- أوه ! ليتَ الأمرَ توقّفَ عنْد هذا الحَدّ، ولكنّه أسوأُ مِنْ هذا عشراتَ المَرّات. لا أستطِيع...

- يا إلهي، لا تقُولِي لي إنّها ذهَبَتْ إلى حقلِ القَمْح؟

- لا، لا، ليستْ في حقلِ القمْحِ، ولكنْ...

- إذنْ ذهبتْ إلى نباتاتِ الملفوفِ! لقَدْ داستِ الملفوفَ الّذِي زرعتُه ورعيتُه مِنْ أجْلِ العَرْض. أليس كذلك؟

- ليس الأمرُ متعلّقًا بالملفوفِ يا سيّد هاريسون. سوفَ أشرحُ لكَ كلَّ شيءٍ، وهذا هُوَ سببُ مجيئِي. ولكنْ، أرجوكَ كفَّ عنْ مقاطعَتي. فهذا يزيدُ منْ توتُّري. فقط، اتركنِي أروِي حكايتِي، ولا تتحدّثْ قبلَ أنْ أنتهِي. ثمّ استنتجتْ، ولكنْ، في قرارةِ نفسِها فحسْبُ:

- سوفَ يكونُ لكَ الكثيرُ لتقولَه، لا أشكُّ فِي هذَا علَى الإطْلاق.

وعدَها السّيّدُ هاريسون:

- لن أنطقَ بكلمةٍ واحدةٍ أخرى.

والتزمَ بوعدِه. ولكنّ جينجر الّذي لا يلزِمُه أيُّ عقدٍ بالتزامِ الصّمتِ، فقد واصلَ يجعْجِعُ بانتظامٍ:

- الصّهباءُ، الصّهباءُ ...

حتّى أحسّت آن بنفسِها على حافّةِ النّوبةِ العَصبيَّة.

- البارحةَ، حجزتُ بقرتِي في حظيرتِنا. وهذا الصّباحُ، ذهبتُ إلى «كارمودي»، وأثناءَ عودتِي، رأيتُ بقرةَ الجيرسي فِي حقلِ شوفانِك. طاردتُها أنا وديانا، ولا تستطيعُ تخيّلَ المعاناةِ الّتِي قاسيناها. كنتُ مبلّلةً بشكلٍ مُريعٍ، ومُرهقةً، ومُختنِقة. وصلَ السّيّدُ شيرر فِي تلكَ اللّحظةِ، واقترحَ شِراءَ البقَرَة. فبعتُها لهُ فِي الحِينِ بعشرينَ دُولارا. أخطأتُ فِي فعلِ ذلك. كان عليَّ الانتظارُ، واستشارةُ ماريلا. ولكنْ، لديَّ هذا السّلوكُ الغاضبُ في ردِّ الفعلِ باندِفاعٍ: كلُّ منْ يعرفُونَنِي يستطيعُون تأكِيدَ هذَا لك. أخذَ السّيّدُ شيرر البقرةَ في الحينِ ليرسلَها مع قطارِ مُنتصفِ النّهَار.

أشارَ جينجر بنبرةٍ مُحقِّرةٍ جدًّا:

- أيّتُها الصّهباء!

في تلكَ اللّحظةِ، نهضَ السّيّدُ هاريسون، وبملامحَ تُجمّدُ مِنَ الرّعبِ أيَّ عصفورٍ آخرَ غيرَ الببّغاءِ، حملَ قفصَ جينجر إلى غرفةٍ مجاورةٍ، وأغلقَ البَاب. أنكرَ جينجر هذا الفعلَ، وشتمَ، وتصرّفَ تمامًا بسلوكِه المعتادِ، ولكنْ، عندما وجد نفسَه بمفردِه، انطوَى على صمتٍ عابِسٍ.

قالَ السّيّدُ هاريسون وهو يجلِسُ مِنْ جدِيدٍ:

- اعذريني، وواصِلِي! لمْ يعلّمْ أخي البحّارُ هذا الببّغاءَ الأخلاقَ الحسنةَ، أبدًا.

- عدْتُ إلى البيتِ، وبعد تناولِ الشّايِ، ذهبتُ إلى الحظِيرةِ يا سيّد هاريسون...

انحنتْ آن إلَى الأمامِ وهي تشابكُ يديْها في حركةٍ طفوليّةٍ، بينما ظلّتْ عيْنَاها الرّماديّتَانِ الكبيرتانِ تُحدِّقانِ فِي وجهِ محدّثِها بسَحْنةٍ متضرّعةٍ:

- وجدتُ بقرتِي ماتزالُ محجوزةً فِي الحظِيرة. لقد كانتِ البقرةُ الّتي بعتُها للسّيّدِ شيرر بقرتَك.

صرخَ السّيّدُ هاريسون، مُتفاجئًا بهذِه النّتيجةِ اللّامُتوقّعةِ:

- يا إلهي! يالهُ مِنْ عَملٍ رائِعٍ!

- أوه، ليس رائِعًا بالمرّةِ أنْ أضعَ نفْسِي في المشاكلِ، وأجرَّ معِي الآخرين.

ثُمَّ تابَعتْ بكآبةٍ:

- صرتُ مشهورةً بهذا. الجميعُ يعتقدُ أنّي تطوّرتُ بما أنّي سأبلغُ السّابعةَ عشْرةَ مِنْ عمرِي فِي مارسَ القادمِ، ولكنْ، لا أظنّني سوفَ أتغيّر. سيّد هاريسون، هلْ أستطيعُ الأملَ في نيلِ عفوِكَ يومًا مّا؟ أخاف أنّ أوانَ استِعادةِ بقرتِكَ قدْ فاتَ، ولكنْ، ها هُو ثمنُ بيعِها... أو بإمكانِكَ أخذُ بقرتِي إذا كنتَ

تفضّلُ ذلك. إنّها بقرةٌ جيّدةٌ جِدّا. لا أستطيعُ أنْ أعبّرَ لكَ عنْ حجمِ ندَمِي على كلِّ هذا.

قاطعَها السّيّدُ هاريسون بعُنْفٍ:

- شششششت. لا تقولِي كلِمةً إضافيّةً في هذا الموضوعِ يا آنسَة. إنّهُ غيرُ مهمٍّ، بلْ هو دونَ أدْنَى حدٍّ منَ الأهمّيّة. نحن معرّضُون لمثلِ هذه الحوادثِ، أنا أيضًا مندفعٌ أحيانًا يا آنسةُ، مندفِعٌ جِدّا. لا أستطيعُ أن أكبَحَ نفسِي عنْ قولِ ما أفكّرُ فيهِ للنّاسِ، وعليهم أنْ يتقبّلوني كمَا أنا. لوْ أنَّ هذِه البقرةَ في حقلِ الملفُوفِ الآن... ولكنْ، لا أهمّيّةَ لذلِكَ... بما أنّها لنْ تذهبَ، فكلُّ شيءٍ علَى مَا يُرام. أعتقدُ أنّي سآخذُ بقرتَكِ في المقابلِ، بما أنّكِ تريدِين التّخلّصَ مِنْها.

- أوه !، شكرًا يا سيّد هاريسون. أنا سعيدةٌ لأنّكَ لمْ تَغْضَب. كنتُ أخشَى ردّةَ فعلِك.

- وأعتقدُ أنّكِ كنتِ مرعوبةً مِن المجيءِ إلى هنا والحديثِ معِي بعْدَ كلِّ الضّجّةِ الّتِي أحدثْتُها بالأمسِ، أليسَ كذلك؟ ولكنْ، لا يجبُ أنْ تلومِيني، أنا رجلٌ عجُوزٌ صرِيحٌ. إنّي متمسّكٌ بقولِ الحقيقةِ بشكلٍ مُريعٍ، وبصريحِ العِبارةِ، أبالغُ في ذلكَ أحْيَانا.

أضافتْ آن قَبْلَ أنْ تستعِيدَ رباطةَ جأشِها:

- السّيّدةُ ليند هكَذَا أيضًا.

صرخَ السّيّدُ هاريسون حانِقًا:

- من؟ السّيّدةُ ليند؟ لا تخبريني أنّي أشبهُ تلكَ الكلْبَةَ العَجُوز.

«لا أشبهُها مُطلقًا، ولوْ قَيْدَ أُنمُلَة. ماذا لديكِ فِي تلكَ العُلبَة؟

أجابتْ بنبرةٍ ماكرةٍ:

- مرطّبات.

وأضافتْ وقدْ رفّعَ ودُّ السّيّدِ هاريسون اللاّمتوقّعُ فِي معنويّاتِها: «لقد أحضرتُها كيْ أهديَها لك. فكّرتُ في أنّكَ لا تَحظَى دومًا بفُرصةِ أكلِ المُرطّباتِ».

- ليسَ دومًا، في الواقع، وأنا مُولَعٌ بِها كثِيرا. أشكُرُكِ جزِيلَ الشُّكْر. تبدُو الكريمةُ المجمّدةُ لذِيذَةً جِدّا. أتمنّى أنّ داخلَ المرطّبةِ لذِيذٌ كذلِك.

أكّدت آن بثِقةٍ فرِحةً:

- هو كذلك. لقد أعددتُ سابِقًا مرطّباتٍ ليستْ لذِيذةً بالضّرورةِ، مثلما تستطيعُ السّيّدةُ آلان أنْ تروِيَ لكَ، ولكنّ هذِه رائِعَة. لقد أعددتُها من أجلِ جمعيّةِ تحسينِ المدينةِ، ولكنْ، أستطيعُ إعدادَ مرطّباتٍ أخْرى لهم.

- حسنًا، سأخبركِ بشيءٍ يا آنسةُ، عليكِ أنْ تُشارِكِيني أكلَه. سوْفَ أضعُ غلاّيةَ الماءِ علَى النّارِ، وسنتناولُ كوبًا مِنَ الشّاي. ما رأيُك؟

طلبتْ آن بنبرة مُشكّكةٍ:

-هل تسمحُ لي بإعدادِه؟

ابتسمَ السّيّدُ هاريسون ابتسامةً صغيرةً: «أرى أنّكِ لا تثِقين في مواهِبي المطبَخِيَّة. إنّكِ مُخطِئةٌ... أستطيعُ أنْ أُعِدَّ لكِ جرّةً كامِلةً مِنَ الشّاي. شايٌ لمْ تتذوّقيهِ مِنْ قبلُ، قطّ. ولكنْ، تفضّلِي. لحسنِ الحظِّ أنَّ هُناكَ الكثيرَ مِنَ الأوانِي النّظيفةِ، بما أنّها أمطرتِ الأحدَ الفارِط».

نهضتْ آن بحماسٍ، وبدأتْ عملَها. غسلتْ الإبريقَ مرّاتٍ عدِيدةً قبْلَ أنْ تَنْقَعَ الشّايَ، ونشَّفَتِ المَوقِدَ وطاوِلةَ الطّبخِ، ثمّ وضعتْ غِطاءَ الإبريقِ، وأبعدتِ الأوانِي. أرعَبتْها حالةُ المَطْبخِ، ولكنّها وجدتْ أنّهُ مِنَ الحكمةِ ألاّ توجّهَ أيَّ مُلاحَظَات. أخبرَهَا السّيّدُ هاريسون أينَ بإمكانِها إيجادُ الخُبْزِ والزّبْدةِ وعُلبةٍ مِنْ مُربَّى الخَوْخ. زيّنتْ آن الطّاولةَ بباقةٍ مِنْ أزهارِ الحدِيقةِ، وأشاحتْ بصرَها عنْ بُقعِ غِطَائِها. اسْتَوَى الشّايُ بسرعةٍ، فجلستْ آن قُبالةَ السّيّدِ هاريسون، وإلى طاولتِه، وسكبتْ لهُ الشّايَ، ثمّ بدأتْ تحادِثُه، بكاملِ حرّيتِها، عنِ المدرسةِ، وعنْ أصدقائِها ومشاريعِها. ولمْ تصدّقْ نفسَها.

أحضرَ السّيّدُ هاريسون جينجر مِنْ جدِيدٍ، مُدّعيًا أنَّ الطّائرَ المسكينَ يشعرُ بالوحْدَة. ووهبتْهُ آن جوزةَ «غرونوبل»، شاعِرةً بأنّ بإمكانِها مُسامحةُ أيٍّ كانَ على أيِّ شيْء. ولكنّ جينجر كانَ مُستاءً جدًّا حتّى يقبلَ هداياها كعربونِ وِدّ. وقفَ بتجهّمٍ على مِجثَمِهِ، ورفعَ ريشاتِهِ حتّى بدَا ككرةٍ خضراءَ مُذهّبَة.

سألتْ آن الّتي طالَمَا أحبّتْ أنْ تقعَ الأسماءُ على مُسمّياتِها:

-لماذا تسمّيه جينجر؟

فقد وجدتْ أنّ «جينجر» وكومةَ الرّيشِ المتْخمةَ هذه لا يتلاءَمانِ مطلقًا.

- أخي البحّارُ سمّاهُ هكذا. ربّما في إحالةٍ إلى طبيعتِه. فهو يعنِي لغةً نباتَ الزّنجبيلِ، واصطلاحًا الحيويّةَ والطّاقَة. إنَّ لَهُ خِصالًا عديدَة، ستُفاجَئِين لوْ عرفتِها. ولكنْ، لهُ عيوبُه بالطّبْع. لقد كلّفَنا الكثيرَ مِنْ وجهاتِ النّظرِ المُتباينةِ. إذ يحْتَجُّ بعضُ النّاسِ على شتائمِه، ولكنّهُ لا ينزعِجُ مِنْ ذلكَ مُطلقًا. لقَدْ حاوَلْتُ، وحاولَ آخرون، ولكنَّ بعضَ النّاسِ لدَيْهم أحكامًا مُسبقةً ضِدَّ البَبَّغَاوَات. الأمرُ غبيٌّ، أليسَ كذلِك؟ أمَّا أنَا فأحبُّها، علاوةً علَى أنّ جينجر رفِيقٌ رائِعٌ. لا شيءَ بإمكانِه إقناعِي بالتّخلِّي عنْ هذا الطّائرِ... لا شيءَ فِي هذا العالَمِ يا آنِسَتِي.

وجّهَ السّيّدُ هاريسون جملتَه الأخيرةَ إلى آن بقَطعِيّةٍ تَكشِفُ عنْ شكِّهِ فِي أنَّها تخطّطُ لإقناعِهِ بالتّخلِّي عنْ جينجر. ومع ذلك، بدأتْ آن تتعلّقُ بهَذا الرّجلِ العَجِيبِ والانفِعَاليّ. وقبْلَ نهايةِ الوجبةِ، كانا قدْ أصبحَا صديقيْن جيّديْن. اكتشفَ السّيّدُ هاريسون جمعِيّةَ تحسينِ المدينةِ، وأبدَى استعدادَهُ للموافقةِ عليْها.

- هذا جيّدٌ، واصِلِي. هُناكَ العديدُ منَ الأماكنِ المحتاجةِ إلى تحسينٍ فِي هذِه القريةِ... والنّاسُ أيضًا.

أجابتْ آن بحماسٍ:

-أوه !، لا أعرف.

وسواءً تعلّقَ الأمرُ بآن وحدَها أو معَ أصدقائِها، فقدْ كانتْ تُدركُ أنّ هُناك عيوبًا صغيرةً في «أفونليا» أوْ فِي سكّانِها، بالإمكانِ علاجُها. ولكنّ سماعَ رجلٍ غريبٍ مثْلَ السّيّدِ هاريسون يقولُ هذا، أمرٌ مختلِفٌ تمامًا.

- أعتقدُ أنَّ «أفونليا» مكانٌ ساحِرٌ، وسكّانُها أناسٌ طيّبون جدًّا أيْضا.

لاحظَ السّيّدُ هاريسون وهو يتأمّلُ الخدّيْن الأرجوانيّيْن والنّظرةَ الجائِرةَ لمحدّثتِه:

- أرى أنّكُم تتمتّعُون جميعًا بشخصيّاتٍ قويّةٍ، وهذا يلائمُ لونَ شعرِكم علَى ما أعتقِد. فضلًا عنْ أنَّ «أفونليا» قريةٌ جميلةٌ جدًّا ومحترمةٌ، وإلاّ ما كنتُ سأستقرُّ بِها أبدًا. ولكنْ، أعتقدُ أنّكِ أنتِ بدورِكِ تعترِفِينَ بوُجودِ بَعْضِ العُيُوب.

أكّدتْ آن بوفاءٍ

- أحبّها أكثر على عيوبها. فأنا لا أحبُّ الأمكنةَ الّتِي يكونُ ناسُها مثاليّين، لأنَّ الشّخصَ المثاليَّ في رأيِي ليسَ مهِمًّا جِدّا. تقولُ السّيّدةُ ميلتون إنّها لمْ تلتقِ في حياتِها شخصًا مثاليًّا، ولكنْ، هُناكَ شخصٌ واحدٌ سمعتْ عنْهُ، هو زوجةُ زوجِها الأُولى.

- ألا تعتقدُ أنّه مِنَ السّيّءِ الزّواجُ برجلٍ تكونُ زوجتُه الأُولَى مِثاليَّة؟

ردَّ السّيّدُ هاريسون بحسمٍ، وبعدوانيَّةٍ مُفاجِئَةٍ وغير مبرّرةٍ:

- بل الأسوأُ منْ ذلكَ الزّواجُ من امْرأةٍ مِثاليَّة.

بعد الشّايِ، أصرّتْ آن علَى غَسْلِ الأوَانِي، ولكنَّ السّيّدَ هاريسون أكّد لهَا أنَّ هُناك مِنَ الأوانِي النّظِيفةِ في البيتِ ما يكفِي لعدّةِ أسابيع. أرادتْ أيضًا تنْظِيفَ أرضيّةِ المطبخِ، ولكنّها لمْ ترَ أيَّ مِكنسةٍ، ولمْ تجرؤْ على السّؤالِ عنْ مكانِها، خوفًا منْ سماعِ جوابٍ ينْفِي وجودَ مكنسةٍ مِنَ الأسَاس.

اقترحَ السّيّدُ هاريسون عليها، لحظةَ مُغادرتِهَا:

- لا تتردّدِي فِي المجِيءِ للحدِيثِ معِي مِنْ وقتٍ لآخر. فأنا لا أقطنُ بعيدًا عنكِ، وعليْنَا تطويرُ علاقاتٍ جيّدةٍ بيْنَنا كأجْوَار. كما أنّ جمعيّتَكِ تهمُّنِي، ولديَّ انطباعٌ بأنّنا سنسْتَمتِعُ كثِيرا. بمنْ ستهتمِّين فِي المقامِ الأوّلِ؟

أجابتْ آن بنبرةٍ مليئةٍ بالوقارِ:

- لنْ نهتمَّ بالبشرِ، وإنّما فقَطْ بالأمكنةِ الّتِي نهمُّ بتحسينِها.

شكّتْ في أنَّ السّيّدَ هاريسون يسْخرُ مِنَ المَشْرُوع. وبعْدَ مغادرتِها، ظلَّ السّيّدُ هاريسون يتأمّلُ مِنَ النّافذةِ تلكَ القامةَ النّحِيلةَ للشّابّةِ القافزةِ بيْنَ الحقولِ بقَلْبٍ خفِيفٍ، مع آخرِ أشّعّةِ الشّمسِ الغارِبَة.

قال بصوتٍ عالٍ:

- إنّي رجلٌ عجوزٌ غليظُ الطّبعِ، ووحيدٌ، وطائشٌ، ولكنَّ شيئًا مّا فِي هذِه الفتاةِ الصغيرةِ أيقظَ فيّ شَبابِي... وهذا شعورٌ بدِيعٌكم!وكم أرغبُ في تكرارِ التّجربةِ منْ حينٍ لآخر.

قاطعَهُ جينجر بنبرةٍ ساخرةٍ:

- تِلكَ الصَّهْبَاء.

هدّدَ السّيّدُ هاريسون الببّغاءَ بقبْضتِه، وصرخَ:

- أيّها الببّغاءُ الشّرّيرُ!، كم تمنّيت لوْ عضضتُ رقبتَكَ عندَما أحضركَ أخِي البحّارُ إلى البيْت. هلاّ توقّفتَ عنِ التسبّبُ فيما يحدثُ لي منَ المَشَاكِل؟

ركضتْ آن بفرحٍ نحْوَ البيتِ، وروَتْ مغامرتَها لماريلّا الّتِي كادتْ أنْ تذهبَ بحثًا عنْهَا، بعْدَ أنْ انتبهتْ لطولِ غيابِها.

استنتجتْ آن مُبتهِجةً:

- العالمُ جميلٌ في النّهايةِ يا ماريلّا، أليسَ كذلِك؟ تذمّرتِ السّيّدةُ ليند في ذلك اليومِ مِنْ أنّه ليْسَ كذلِك. وقالتْ إنّنا عندَما ننتظرُ أمرًا رائِعًا، فعلَيْنَا توقّعُ الإصَابةِ بخيبةِ أملٍ.. وإنّهُ لا شيءَ سيكونُ فِي مُسْتَوَى انتظاراتِنا. حسنًا، قدْ يكونُ هذَا صائِبا. ولكنْ، هُناك فِي هذَا جانِبٌ جيّدٌ أيضًا، فحتّى الأشياءُ السّيّئةُ كذلك، لا ترتقِي إلى مُستَوى انتظاراتِنا.. وتظلُّ النّتِيجةُ دومًا أفضلَ مِمّا نَتوَقّع. لقدْ انتظرتُ أنْ أعِيشَ تجربةً سيّئةً للغايةِ عندَما ذهبتُ إلى السّيّدِ هاريسون هذَا المَسَاء، غَير أنّه أبْدَى لُطفًا كبِيرا، بل إنّي استمتعتُ كثِيرا. أعتقدُ أنّنا سنصبحُ صديقيْن جيّديْن، إذا كانَ الواحِدُ مِنّا مُتسامِحًا قلِيلًا تُجاهَ الآخر. لقدْ سارَ كلُّ شيءٍ نحْوَ الأفْضَلِ، ولكنّي لنْ أبِيعَ أبدًا بقَرةً دُونَ التّثبّتِ مِنْ مالِكِها مُجدّدًا يا ماريلّا. ثمّ، إنّي أكرهُ الببّغاوات.

(4)
اختلافٌ في الآرَاء

ذاتَ مساءٍ والشّمْسُ مائِلةٌ إلى الغُروبِ، وقفَ جيلبيرت بليث، وجين أندروز، وآن شيرلي، قُرْبَ السِّياجِ، في ظلِّ أغصانِ شجراتِ التنّوبِ المُتأرْجِحَةِ بلُطْف، وتحدِيدًا هُناكَ حيثُ تتقاطعُ طريقٌ مُختصرةٌ في الغابِ تُسمّى «درب البتولا» والطّريقُ الرّئيسيَّة. فقدْ جاءتْ جين لتُقضِّيَ المساءَ مَعَ آن، فرافقتْها آن حتّى منتصفِ طريقِ العوْدَة، حيثُ التقتا جيلبرت، قُرْبَ السّياجِ، وتحدّثَ ثلاثتُهم فِي الحينِ عنْ يومِ الغدِ الحاسِمِ، الّذي يوافِقُ الأوّلَ مِنْ سبتمبرَ، تاريخَ العوْدةِ المدرسِيّة، وفيه ستلتحقُ جين «بنيو بريدج»، بينما سيلتحِقُ جيلبرت بوايت ساندز.

تنهّدتْ آن:

- أنتُما تتمتَّعانِ بأفضليّةٍ عليَّ، فتلاميذُكما لنْ يعرفَاكُما مِثْلي لأنّ عليَّ تدريسَ رفاقِي فِي القِسْم. والسّيّدةُ لينـد تخْشى أنْ يقلِّلوا احترامَهم لِي، مثلما يفعلونَ معَ غريبةٍ، إلاّ إذا أبديتُ صرامةً شدِيدَةً في مُعاملتِهم منذُ البِدَاية. أوه !، يا لها مِنْ مسؤُولِيَّة.

لاحظتْ جين بلامبالاةٍ:

- أعتقدُ أنّنا سنقومُ بعملٍ جيِّد.

لا تهتمُّ جين بخُصوصِ التّأثِيرِ النّافعِ في تلاميذِها. وكلُّ ما تبتغِيه هُوَ جنيُ راتِبِها بشرفٍ، وإرضاءُ مجلسِ الإدارةِ، ورؤيةُ اسمِها مكتوبًا على الصبّورةِ الشَّرفِيّةِ لمتفقّدِ المدْرَسة.

- المهمُّ بالنّسبةِ إليَّ هو حفظُ النّظامِ، وعلَى المُدرّسِ، كيْ يصِلَ إلى هذَا، إظهارُ بعضِ الصّرامَة. فإذا لمْ يُطِعنِي تلاميذِي، سأعاقبُهم.

- كيف؟

- بضربِهم بِضْعَ ضرباتٍ بالسّوطِ طَبْعا.

احتجّتْ آن مصدُومةً:

- أوه جين !، لن تقومِي بهذا، لا، ليس بإمكانِكِ القيامُ بهذا!

أجابتْ جين بنبرةٍ حاسِمةٍ:

- طبعًا، أستطيعُ، وسأفعلُ إنْ كانُوا يستحقُّون.

أكّدتْ آن بنبرةٍ حاسِمةٍ أيضًا:

- أنا لا أستطيعُ ضربَ طفلٍ بالسّوطِ مُطلقًا، بل لا أؤمنُ بهذَا أبَدا. لمْ تضربِ السّيّدةُ ستايسي أيَّ واحدٍ مِنّا بالسّوطِ، ومع ذاك يُخيِّمُ علَى القِسْمِ نِظامٌ مِثاليّ. أمّا قسمُ السّيّدِ فيليبس الّذي يضربُ دومًا، فقد عمّتْهُ الفَوْضى. لا، إذا لمْ أتمكّنْ مِنْ فرضِ الطّاعةِ دونَ عقابٍ، فعليَّ ألاّ أحاولَ أنْ أكونَ مُدرِّسَة. عليَّ أنْ أحاولَ كسْبَ عاطفةِ تلاميذِي، وهكذا سيقومُون بما أطلبُه منْهم.

اقترحتْ جين بنزعتِها العمليّةِ المُعتادةِ:

- وإذا لمْ يستجِيبُوا؟

- لنْ أضربَهم بالسّوطِ فِي كلِّ الأحْوَالِ، أنا مقتنعةٌ بأنَّ هذا لنْ يفضيَ إلى أيِّ شيءٍ حَسَن. أوه! لا تضربِي التّلاميذَ، عزيزتي جين، مهما كان ما يقومُون بِه.

سألتْ جين:

- ماذا تعتقدُ يا جيلبرت؟ ألا تعتقِدُ أنَّ بعضَ الأطفالِ في حاجةٍ إلى عقابٍ مِنْ حينٍ لآخر؟

سألتْ آن بوجهٍ مُشتَعِلٍ:

- ألا تعتقدُ أنَّ ضربَ طفلٍ بالسّوطِ، أيِّ طفلٍ، أمرٌ قاسٍ وبربريٌّ؟

نطقَ جيلبرت برَوِيّةٍ، ممزّقًا بيْنَ قناعاتِه الحقيقيّةِ، ورغبتِهِ في أنْ يكونَ فِي مُستَوى تطلّعاتِ مِثاليّةِ آن:

- حسنًا، وجهتا النّظرِ تستحقّانِ التّفْكِير. أنا لا أؤمِنُ كثِيرًا بضرُورةِ ضربِ الأطفالِ بالسَّوطِ. أعتقدُ، مثلَما قلتِ يا آن، أنَّ السَّوطَ ليْسَ الوسيلةَ الفُضْلَى للتّسيير، وأنَّ العقوباتِ الجسديّةَ ليستْ سوى حلٍّ أخِير. ولكنْ، مِنْ جِهَةٍ أخْرى، أعتقدُ، مثلَما تقولُ جين، أنّه لا يمكنُ التّأثيرُ فِي بعضِ الأطفالِ إلاّ بهذِهِ الطّريقةِ، ومِنْ ثمَّ، فهُمْ فِي حاجَةٍ إلى عقابٍ يحفّزُهم علَى التّطوّر. العقابُ الجسديُّ آخرُ حلٍّ، هذِه هيَ قاعِدَتي.

بَعْدَ محاولةِ جيلبرت إرضاءَ الطّرفيْنِ، لَمْ يتوصّلْ فِي النِّهايةِ إلَى إرضَاءِ أيٍّ مِنْهما. أرجعتْ آن رأسَها إلَى الخَلْفِ.

- لن أضربَ تلامِيذِي بالسّوطِ إلاّ إذا لمْ يكونُوا هادِئين. إنّها الطّريقَةُ الأكثرُ سُرعةً وسهولةً لإقناعِهم.

رمقتْ آن جيلبرت بنظرةٍ خائِبَة، وكرّرتْ بحزمٍ:

- لنْ أضربَ طفْلًا أبدًا، إذْ لديَّ قناعةٌ بأنَّ هذا ليسَ جيِّدًا ولَا ضرُوريّا.

سألتْ جين:

- افترِضِي أنَّ طفلًا تصرّفَ بِوقاحةٍ إذا طلبنَا منْهُ القيامَ بشيءٍ مّا؟

أجابتْ آن:

- سوف أستبقِيه بَعْدَ الدّرسِ، وأحدّثُهُ بلطفٍ وحزْم. فلدَى كلِّ شخصٍ جانبٌ جيِّد. الأمرُ متعلّقٌ باكتِشافِه، هذا كلُّ شيْء. وواجبُ المدرّسِ هُو أنْ يجدَ هذا الجانِبَ الجيّدَ ويطوِّرَه. هذا ما علّمنا إيّاهُ أستاذُ الإدارةِ المَدرسِيّةِ في جامعةِ «كوينز». أخبِرِينِي! هل تعتقِدين أنّكِ ستكتشِفِينَ الجانِبَ الجيّدَ مِنْ طفلٍ بضربِهِ بالسّوْط؟ أخبرنا أستاذُنا أنَّ حثَّ الأطفالِ على فعلِ الخيرِ والتصرّفِ جيّدًا، أهمُّ بكثيرٍ منْ تعليمِهم القراءةَ والكتابةَ والحِساب.

احتجّتْ جين:

- ومع ذلك فإنَّ المتفقّدَ سيسألُهُم في مجالِ القراءةِ والكتابةِ والحسابِ، أؤكّدُ لكِ هذا. ولنْ يحرّر تقريرًا جيّدًا عنكِ إذا لمْ يُجيبُوهُ وفقَ معايِيرِه.

أكّدتْ آن بنبرةٍ حاسِمةٍ:

- أفضّلُ أنْ أكونَ محبُوبةً منْ قبلِ تلامِيذِي، وأنْ أتركَ لديْهم ذكرَى عنْ شخصٍ ساعدَهُم فعلًا، عَلَى أنْ أرَى اسمِي مكتوبًا على صبّورةِ الشّرَف.

سأل جيلبرت حائِرًا:

- ألنْ تعاقبِي تلاميذَكِ أبدًا إذا أساؤُوا التّصرّف؟.

- أوه !، نعم. أعتقدُ أنَّ عليَّ التّصرّفَ، حتَّى وإنْ كنتُ أكرهُ هذا أيْضا. نستطيعُ دومًا حجزَهم خِلالَ وَقْتِ الرّاحةِ، أو إجبارَهم على الوقوفِ فِي السّاحةِ بساقٍ مرفُوعةٍ، أو، بكلِّ بساطةٍ، إعطاءَهُم بعضَ السّطورِ لكتابتِها.

لمّحتْ جين بِسُخريّةٍ:

- أعتقدُ أنكِ لنْ تعاقِبِي البناتَ بإجبارِهم علَى الجلوسِ معَ الأوْلاد؟

تبادَل جيلبرت وآن نَظرةً، مبتسميْن ببَعْضِ البَلَاهَة. ففِي يومٍ منَ الأيّامِ، عاقبَ الأستاذُ آن بإجبارِها علَى الجلوسِ حذوَ جيلبرت، وكانتْ عواقبُ ذلك حزينةً ومرِيرَة.

استنتجتْ جين بفَلسفةٍ عندَما حانتْ لحظةُ مغادرتِها:

- حسنًا، سوف نعرفُ معَ الوقتِ أيّ الوسائلِ أفضل.

كيْ تعودَ إلَى «غرين غابلز، سلكتْ آن دربَ «البتولا» الممتلئَ بالظّلالِ وروائحِ السّرخسِ. عبرتْ وادي البنفسجِ، ومشتْ على

ضفافِ بحيرةِ الصّفصافِ الباكِي، حيثُ يغازلُ الظّلامُ الضّوءَ خلفَ أشجارِ الصّنوبرِ، ثمّ نزلتْ طريقَ العُشّاق. كانتْ هي وديانا من سمّتَا هذِه الأمكنةَ قدِيما. مشتْ ببطءٍ متنعّمةً برقّةِ الغابةِ والحقولِ، وبغروبِ الصّيفِ المرصّعِ بالنّجومِ، ومفكّرةً برصانةٍ فِي المهامِّ الجدِيدةِ الّتِي ستبدأُ في الغدِ. عِنْدَما وصلتْ إلى ساحةِ «غرين غابلز»، سمِعتْ صوتَ السّيّدةِ ليند القويَّ والحاسِمَ، يأتيها منْ نافذةِ المطبَخ. فكّرتْ آن بإشارةٍ علَى وجهِها:

- ستجودُ عليّ السّيّدةُ ليند بنصائحِها للغَد. ولكنّي أعتقِدُ أنّي لنْ أَدْخُل. ففي رأيِي أنّ نصائِحها مثل الفُلفلِ، ممتازةٌ بكمّياتٍ صغيرةٍ، ولكنّها حارقةٌ بالكمّياتِ الّتِي تُعطِيهَا لَنا. سوْفَ أقفزُ بالأحرَى قفزةً تجعلُنِي في بيتِ السّيّد هاريسون، وأتحدّثُ إليْه.

لمْ تكنْ تلكَ المرّةَ الأُولى الّتِي تزورُ فيها آن السّيّدَ هاريسون منذُ حادثةِ بقرةِ الجيرسي الشّهيرة. فلطالما زارتْه فِي المساءِ بعد أنْ أصبحا صديقيْن حميميْن، بالرّغمِ منْ أنّ آن تجدُ صراحتَه المبالغَ فيها الّتِي يفتخرُ بها، مزعجةً جِدّا. ظلّ جينجر ينظرُ نحوَها بتشكيكٍ، ساخِرًا مِنْها، ناعِتًا إيّاها «بالصّهباء». وحاول السّيّدُ هاريسون تغييرَ عادتِه هذه دُونَ جَدْوَى، إذ تعمّدَ أنْ يقفِزَ ويحرّكَ ذراعيْه عندَما يرى آن قادمةً ويقولُ:

- يا إلهي، هِي ذِي تلك الفتاةُ الصّغِيرةُ الجمِيلَة.

أو أيّ عباراتٍ لطِيفةٍ أخْرى. ولكنّ جينجر فهِمَ هذَا التّهرِيجَ،

وأنكَرَه. لا تعرفُ آن كمْ جادَ عليها السّيّدُ هاريسون بمجاملاتٍ وراءَ ظهرِها، لن يجود عليها بمثلِها في وجهِها قطّ.

- حسنًا، أعتقدُ أنّكِ ذهبتِ إلى الغابةِ لجمعِ بعضِ العصيِّ للغد، أليْس كذلك؟

بهذه الكلماتِ استقبلَ السّيّدُ هاريسون آن، بينما كانتْ تصعدُ درَجَ الشُّرْفَة.

قالتْ آن بغضبٍ:

- لا، ليْس كذلك.

وكانتْ هدفًا مُمتازًا للاستِفزازِ بالمُزاحِ، لأنّها طالما أخذتِ الأشياءَ على محملِ الجِدّ.

- لنْ أحمِلَ أبدًا عصًا إلى مدرستِي يا سيّد هاريسون. طبعًا، سأتّخذ لِي واحِدةً للصبّورة، وسأستعملُها فَقَطْ للإشارة.

- إذن، هل ستضربينَهم بحزامٍ منَ الجِلْد؟ حسنًا، لا أعلمُ، ولكنْ، معكِ حقٌّ دونَ شَكّ. فالعَصى تقرُصُ فقطْ معَ الضّربةِ، بينما ألمُ حزامِ الجِلدِ يدُوم. هذا صحِيح.

- لن أستعملَ مطلقًا شيئًا كهَذا. لنْ أضربَ تلامِيذي قطّ.

صرخَ السّيّدُ هاريسون، مشدُوهًا بشكلٍ واضحٍ:

- يا إلهي! وكيف ستفرِضِينَ النّظامَ إذن؟

- أفرضُه بالعاطفةِ يا سيّد هاريسون.

قالَ السّيّدُ هاريسون:

- لنْ ينجحَ الأمرُ. لنْ ينجحَ أبدًا يا آن. فمنْ يحبُّ كثيرًا يعاقِبُ كثيرا. عندَما كنتُ أذهبُ إلى المدْرسةِ، كان المعلّمُ يُعاقِبُني كلَّ يوم بتعلّة أنّني حتّى إذا لمْ أرتكِبْ شيئًا مؤذِيًا، فإنّي أخطّطُ له.

- ولكنّ الطُّرقَ اختلفتْ عنْ طرقِ الوقتِ الّذي ارتدتَ فيهِ المدْرسةَ يا سيّد هاريسون.

- ولكنَّ الطّبيعةَ البشريّةَ بقيتْ هي نفسها. دوّنِي جيّدًا ما أقولُه لك. لنْ تتمكّنِي أبدًا مِنْ جعلِ مجموعةٍ منَ الفتيانِ يُطيعُونكِ إذا كنتِ لا تحتفِظِينَ بعصًا إلى جانبِك. الأمرُ مستحِيل.

أجابتْ آن الّتي كانتْ تعرفُ ما تريدُ، وأثبتتْ أنّ باستطاعتِها الاستِماتةَ فِي الدّفاعِ عن نظريّتِها.

- حسنًا، سأبدأُ باختبار نظريّتي.

لاحظَ السّيّدُ هاريسون:

- إنّكِ عنيدةٌ جدًّا، حسْبَ ما أراه. حسنًا، سوف نرى يومَ تنفلتُ أعصابُكِ، فمَعْرُوفٌ عَنِ الأشخاصِ الّذِينَ يملكونَ لونَ شعركِ نزعتُهم الكبيرةُ نحو الغضبِ، وسوف تنسين نظريّاتِكِ الصّغيرةَ الجميلةَ، وستوجِّهين بعْضَ الضّرباتِ علَى المؤخّرات. في كلِّ الأحوالِ، أنتِ صغيرةٌ جدًّا على التّدريسِ، صغيرةٌ جدًّا وطفوليّةٌ جدّا.

فِي نهايةِ ذلكَ المساءِ، نامتْ آن بمزاجٍ مُتشائِمٍ بعْضَ الشّيْء. نامتْ بشكلٍ سيِّء. وفي الصّباحِ، بدتْ شاحِبةً ومأساويّةً جدًّا، إلى

درجةِ أنَّ ماريلا لاحظتْ ذلك على الفطورِ، وأصرّتْ عليْها أنْ تتناولَ فنجانَ شايٍ حارٍّ بالزّنْجبيل. ارتشفتْهُ آن علَى مهلٍ، بالرّغمِ منْ أنّها لا تعرفُ كيفَ بإمكانِ شايٍ بالزّنجبيلِ أنْ يُساعِدَها. إذا كانَ خلْطةً سحريّةً، قادرةً على منحِ العُمُرِ والتّجربةِ، فسوْفَ تشربُ نصفَ لترٍ بلا تردُّد.

- ماذا لوْ فشلتُ يا ماريلّا؟

أجابتْ ماريلّا:

- لن يكونَ منَ السّهلِ أنْ تفشلِي كلّيًّا منذُ اليومِ الأوّل. ستكون هُناك أيامٌ أخْرى قادِمَة. مُشكِلتُكِ يا آن، أنّكِ تريدِينَ تدريسَ كلّ شيءٍ لهؤلاءِ الأطفالِ، وإصلاحَ هفواتِهم مُنْذُ البدايَة. وإذا لمْ توفّقِي، تعتقِدِين أنّكِ فشلتِ.

(5)
معلّمةُ مدرسةٍ كاملةُ التّأهيل

وصلتْ آن إلى المدرسةِ في ذلكَ الصّباحِ للمرّةِ الأولى في حياتِها، بعد أنْ عبَرَتْ درْبَ «البتولا» مُشيحةً سمعَها وبصرَها عنْ جمالِه. بدا كلُّ شيءٍ هادِئًا وثابتا. فقد مرّنتِ المعلِّمةُ الّتي سبقتها الأطفالَ علَى اتّخاذِ أماكِنِهم عندَما تدْخُل. ومنْ ثمَّ واجهتْ عِنْدَ دُخولِها إلى القِسمِ صُفوفًا جميلةً لـ«وجوهٍ صباحيّةٍ مشرقةٍ» ذاتِ نظراتٍ واضحةٍ وفضوليَّة. علّقتْ قبّعتَها، ونظرتْ إلى تلاميذِها مُمنّيَةً نفسَها ألاّ يكونَ رعبُها وفزعُها واضحيْن وألاّ يكتشفَ أحدٌ إلى أيِّ درجةٍ كانت تَرتَعِشُ.

البارحةَ، ظلّتْ مستيقظةً إلى حُدُودِ منتَصفِ اللّيلِ، تؤلّفُ الخطابَ الّذِي تنْوِي إلقاءَهُ أمامَ تلاميذِها في أوّلِ يومٍ في المدْرَسة. وبعْدَ أنْ راجعتْهُ وهذّبتْهُ بعِنايةٍ، حفِظَتْهُ عنْ ظهْرِ قَلْب. إنّه خطابٌ جيّدٌ جدًّا مُزّينٌ بأفكارٍ مهمّةٍ للغايةِ، خصُوصًا حوْلَ ضرُورةِ التّعاونِ والدِّراسةِ بضَمِيرٍ حَيّ. ولمْ يكنْ هُناك سوى مشكلٍ واحدٍ: لمْ تتوصّل إلى تذكّرِ كلمةٍ واحِدَة.

وبعْدَ عشْرِ ثوانٍ بدتْ لها سنةً بأكملِها، همستْ بصوتٍ ضئِيلٍ:

- خذُوا أناجيلَكم، أرجوكُم.

ثمّ غرقتْ منزُوعةَ الأنفاسِ في كرسيِّها، وفِي صوتِ طقطقةِ أغطيةِ المكاتبِ وحفِيفِها الّذِي تلَا ذلك. جمعتْ آن زِمام نفسِها بيْنَما قرأَ التّلامِيذُ آياتِهم، ثمَّ ألقتْ نظرةً على مجموعةِ الحجّاجِ الصّغارِ وهمْ فِي طريقِهم نحْوَ أرضِ المعرِفةِ الموْعودَة.

كان الكثيرُ مِنْهم يعرفُونَها بالطّبْع. فقد غادرَ زملاءُ السّنةِ الفارطةِ القُدامَى، أمّا البقيّةُ فارتادُوا المدرسةَ معَها، ما عدا تلاميذَ السّنةِ الأولى وعشرةً آخرين وفدُوا حدِيثًا إلى «آفونلي». شعرتْ آن بنفسِها منجذِبةً بسرّيّةٍ إلى هؤلاءِ العشرةِ أكثرَ منَ الآخرين الّذِين كانتْ إمكانيّاتُهم مألُوفةً بالنّسبةِ إليْها بالكاملِ. وخمّنتْ من جهةٍ أخرى، أنّه لا بدَّ مِنْ وجودِ عبقريٍّ بيْنَهم. وكان ذلك انطِباعًا مُحفِّزا.

جلس أنطوني باي وحيدًا على مقعدٍ فِي الرُّكْن، بوجهِه الصّغيرِ الدّاكنِ والعبُوس. وثبّتُ أنظارَه فِي آن فعكستْ عيناه السّوداوان تعبيرًا عدائيًّا. استنتجتْ آن فِي الحِينِ أنّها ستفوزُ بقلبِ هذا الولدِ، وستُفْحِمُ عائلةَ باي.

وفِي الزّاويةِ الأُخْرى، جلس ولدٌ غريبٌ آخر مع آرتي سلون. إنّه فتًى صغيرٌ مرِحٌ بعينيْنِ زرقاويْنِ شاحِبتيْنِ، وحاجبيْن أصهبيْن، وأنفٍ أفطسَ ووجهٍ تنثّرَتْ عليه بقعُ النّمَشِ اللاّمِعَة. هلْ هَذا دون الصّغِير؟ إنّهُ هُو بلا شكٍّ إذا اعتمدْنا الشّبَه. جلستْ أختُهُ منْ جهةِ الممرِّ الأخْرى إلى جانبِ ماري بيل. تساءلتْ آن منْ تكونُ أمُّ البِنْتِ حتّى تُرسلَها مزيّنةً على ذلكَ النّحوِ الأخرَق. فقد ارتدتْ ثوبًا حريريًّا بلونٍ ورديٍّ متلاشٍ، ومزيّنًا بزخارفَ عديدةٍ مِنَ الدّانتيلِ

القطنيِّ، وانتعلتْ نعلًا أبيضَ قذِرًا منْ جِلدِ الماعزِ، ووضعتْ جواربَ حريريَّة. أمّا شعرُها الرّمليُّ فقدْ تمَّ تعذيبُه بتجعيداتٍ غريبةٍ وغير طبيعيّةٍ لا عدَّ لها، وعلاهُ قوسٌ ملتهبٌ لشَريطٍ وردِيٍّ أكبر منْ رأسِها. ولكنّها بدتْ فخورةً جدًّا بنفسِها لما علا وجهَها منْ تعابير.

أمّا ذاكَ الشّيءُ الصّغيرُ الشّاحبُ، الّذي يطفُو شعرُهُ بتموّجاتِهِ الحِنطيّةِ النّاعمةِ والمنسجِمةِ فوقَ الكتِفيْن، فلا بدّ أنْ يكونَ أنيتا بيل، كما فكّرتْ آن. عاشَ والِدَاها سابِقًا في الحيِّ المدرسيِّ بنيوبريدج. أمّا الآن، فقد نقلوا منزلَهم خمسين ياردةً شمالَ المكانِ القديمِ، ليجدُوا أنفسَهم في «آفونلي».

ولا بدّ أنّ الفتياتِ الثّلاثَ الشّاحباتِ المعصُوراتِ على المقعدِ نفسِهِ، ينتمِينَ إلى عائلة «كوتونز». كما أنّه ما من شكٍّ في أنّ الجميلةَ الصغيرةَ ذاتَ الخُصْلاتِ البُنِّيةِ الطويلةِ، والعينيْنِ اللّوزيّتيْنِ اللّتيْنِ تنظُرانِ شزرًا إلى جاك جيلز منْ خلْفِ حافّةِ إنجيلِها، هي بريلي روجرسون. تزوّجَ والدُها للمرّةِ الثّانيةِ قبْلَ مُدّةٍ قصِيرةٍ، وذهبَ يبحثُ عنْ «بريلي» في بيْتِ جدّتِها في «غرافتون» ليصحبَها كيْ تعيشَ معَهُ في منزِلِه. ولكنّ آن لمْ تتمكّنْ منْ معرفةِ الفتاةِ الضّخمةِ العَجِيبةِ الجالِسةِ في الخلفِ، والّتي بدَا أنَّ لها أيادٍ وأقدامٍ عدِيدَة. غيرَ أنّها عرفتْ لاحقًا أنّ اسمَها هو: بربرا شو، وأنّها جاءتْ لتعيشَ معَ عمّتِها في «آفونلي». وفضلًا عنْ ذلكَ عرفتْ آن أنَّ بربرا إذا تمكّنتْ يومًا مّا مِنَ المَشْيِ في الرّواقِ دونَ أنْ تتعثّرَ في قدَمَيْها أو في أقدامِ غيرِها، فإنّ تلاميذَ «آفونلي» سيحتفلونَ بهذَا الحدثِ المميّزِ بتسجيلِهِ على جدارِ الرِّواق.

وما إن تقاطعتْ أنظارُ آن وأنظارُ ولدٍ يجلسُ على المقعدِ المُقابِلِ لهَا، حتّى شعرتْ بانْطِبَاعٍ غرِيب. فبدَا وكأنّها اكتشفتْ عبقريّتَه. عرفتْ بأنّه لابدَّ أنْ يكونَ بول آرفنغ، وأنَّ السّيّدةَ ليند مُحقّةٌ عندَما تنبّأتْ بأنّهُ لا يشبهُ أطفالَ «آفونلي» الآخرين. بلْ هو بالنّسبةِ إلى آن أكثر منْ ذلك، فهو لا يشبهُ أيَّ طفلٍ في أيِّ مكانٍ آخر، وتولّدَ لديْها حدسٌ بأنَّ هُناك روحًا شبيهَةً كثيرًا برُوحِها تتسلّلُ عبْر تلك العينيْن الزّرقاويْن الدّاكنتيْن اللّتيْن تتابعانِها باهتمامٍ حيّي.

تعرفُ آن أنَّ سِنَّه عشرُ سنواتٍ، ولكنَّهُ يبدُو بالكادِ في الثّامنةِ، ولديْه أجملُ وجهٍ طفوليٍّ رأتْه يومًا، علاوةً على تمتُّعِهِ بملامحَ ذاتِ دقّةٍ ورقّةٍ رائعتيْن. أحاطتْ هالةٌ مِنَ الخُصلاتِ البُنّيّةِ وجهَه. أمّا فمُه فساحِرٌ، ومُمْتلِئٌ دونَ أنْ يُضفِيَ على وجهِهِ مسَحةً عابِسَة، وشفتاه الورديّتانِ تتلامَسان بلطفٍ، وتتقوّسانِ في زاويتيْن ناعمتيْن تُشكّلانِ غمّازتيْن. بدتْ تعابيرُهُ جادّةً وحادّةً ومتأمِّلةً، وكأنَّ عقلَهُ نضجَ أسرعَ منْ جسدِه. وجّهتْ لهُ آن ابتِسامةً لطِيفةً، فتركتْ تلكَ الجِدّةُ مكانَها لابتسامةٍ مُتناسقةٍ أضاءتْ كلَّ كيانِهِ، كأنَّ مصباحًا أضيءَ بداخلِه وأشعَّ بنورِهِ منْ رأسِه إلى أخمصِ قدميْه. والأشدُّ روْعةً، كانتْ عفويّةُ هذَا التّحوُّل الّذي لم يَنتُجْ عنْ أيِّ جهدٍ أو سَبَبٍ خارِجيٍّ، فعكسَ ببساطةٍ شخصيّةً سرّيةً ونادِرةً وطيِّبةً ولطِيفَة. وبِفضلِ هذا التّبادلِ السّريع، أصبحَ بول وآن صديقيْن مدَى الحياةِ، دُون حتّى أنْ ينطقَ أحدُهما بكلِمَةٍ واحِدَة.

مرَّ اليومُ كأنَّهُ حُلُم، ولمْ تتمكّنْ آن منْ تذكُّرِهِ بوضوحٍ لاحِقا. فقدْ بدَا وكأنَّها لمْ تكنْ هيَ منْ درّستْ، ولكنّ شخصًا آخرَ فعلَ ذلك

فِي مكانِها. رَغْمَ أنّها يومَها، أقرَأتْهُم الدُّروسَ، وأعطتْهُم تمارِينَ فِي الحسابِ، وأرجَعتْ لهُم الأوْراقَ بطَرِيقةٍ مِيكانيكيَّة. تصرّفَ الأطْفَالُ علَى نَحْوٍ جيِّدٍ، ولمْ يكنْ هناكَ سِوَى حالتيْنِ مِنْ عدمِ الانضِبَاط. فقدْ ضُبِطَ مورلاي أندروز فِي الرِّواقِ وهو يحمِلُ زوجًا منَ الصّراصيرِ. عاقبتْه آن بإيقافِهِ ساعَةً علَى المصطبةِ، وحجزتْ الصّرصوريْنِ، وهذا ما قهَرَهُ أكثر. أمّا الصُّرصُوريْنِ فوضعتْهما فِي عُلْبَةٍ، وحرّرتْهُما قُرْبَ وادِي البنفسجِ وهيَ عائدةٌ منَ المدْرسة. ولكنّ مورلاي اعتقدَ لاحقًا أنّهَا عادتْ بهما إلى بيتِها، واحتفظتْ بهما منْ أجلِ متعتِها الشّخصِيَّة.

أمّا المُذنِبُ الثّاني فهو أنطوني باي الّذِي سكبَ آخرَ قطراتِ ماءِ قربتِهِ على عُنُقِ أوراليا كلاي. استبقَتْهُ آن وقتَ الاسْتِراحةِ، وشرحتْ لهُ كيْفَ يُفترضُ أنْ يتصرّفَ الجنتلمان، مشيرةً إلى أنَّ هذا الأخيرَ لا يسكبُ الماءَ على عُنُقِ النّسَاء. وأخبرتْه بأنّها تريدُ أن يتصرّفَ كلُّ الأولادِ بشكلٍ جيِّد. كان خطابُها القصِيرُ لطِيفًا ومؤثّرًا، ولكنّ أنطوني باي لمْ يتأثّرْ بهِ مُطلَقا. سمِعَها بصمتٍ، وبنفْسِ الملامحِ المقطّبةِ، وصفّرَ علَى نحْوٍ محقّرٍ وهو ينصَرِف. تنهّدتْ آن، ثمّ رفّعتْ معنويّاتِها قائلةً في نفسِها إنّ الفوْزَ بعاطفةِ باي يحتاجُ إلى نفَسٍ طويلٍ، مثلما احتاجتْ روما إلى أكثر منْ يومٍ واحدٍ كيْ تُبْنَى. وفي الحقِيقةِ، كان منَ الصّعبِ أن يُحَبَّ فردٌ منْ أفرادِ عائلةِ باي. ولكنّ آن أمِلَتِ الأفضلَ منْ أنطوني. إذْ لدَيْهَا انطِباعٌ بأنَّ رِفقتَه ستصِيرُ رائعةً لو تمكّنتْ منْ تجاوُزِ طبعِهِ العُدوانِيّ.

بعْدَ نهايةِ اليومِ الدّراسيّ، ومغادرةِ الأطفالِ، تركتْ آن نفسَها

تسقطُ على الكرسيِّ مُرهَقَة. فقد عانتْ مِنَ الصُّداعِ، وشعرتْ بالحُزنِ والإحْبَاط. لمْ يكنْ هناكَ سببٌ ملموسٌ لإحباطِها، بما أنّهُ لمْ يحدثْ شيءٌ مريعٌ حقّا، ولكنّها مُحبَطةٌ بسببِ الإرْهاقِ، فضلًا عنْ أنّها تميلُ للاعتقادِ بأنّها لنْ تتعلّمَ مُطلقًا مَحبَّةَ التّعلِيم. وكمْ ستكونُ حياتُها تعيسةً لو اضطرّتْ إلى القِيامِ بشيْءٍ لا تحبُّهُ مدّةَ أربعينَ عامًا مَثَلا. تردّدتْ آن بيْنَ الانفجارِ بالبكاءِ أو انتظارِ العودةِ إلى البيتِ حيثُ تكونُ فِي مَأْمَنٍ فِي غُرفَتِها البيْضَاء. ولمْ تتّخذْ بعدُ قرارَها عنْدَما سمعتْ وقعَ كعبِ حذاءٍ عالٍ، وصوتَ حريرٍ يُخْشْخِش. وفجأةً، وجدتْ نفسَها وجهًا لوجهٍ مع امرأةٍ ذكّرتْها سَحنتُها بنقدٍ وجّهَهُ مؤّخرًا السّيّدُ هاريسون إلى امرأةٍ مِغناجٍ قابلَها فِي محلٍّ تجاريٍّ بشارلوت تاون: «بدتْ مثلَ تصادُمٍ بين عارِضةِ مُوضةٍ وكابُوس».

ارتدَتْ الوافِدةُ الجديدةُ ببذَخٍ حريرًا أزرقَ فاتحًا وخفيفًا معَ أكمامٍ منتفخةٍ وزخارفَ وثنْياتٍ حيثُما أمكنَ وضعُها. ووضعتْ على رأسِها قبّعةً ضخمةً منَ القُماشِ الأبيضِ مزيّنةً بثلاثِ ريشاتِ نعامٍ مفتُولةٍ، وارتدتْ وشاحًا قماشيًّا ورديًّا مرقّطًا بِكثافةٍ بنُقطٍ سوداءَ، يتدلّى مثْلَ طائرٍ منْ طرفِ قبّعتِها حتّى كتِفيْها، ثمّ يطفُو مثْلَ لافتتيْن وراءَها. كما تزيّنتْ بكلِّ المُجوْهَراتِ الّتِي بإمكانِ امرأةٍ قصِيرةٍ وضعُها، فضلًا عنِ العطرِ الّذِي ينْبَعِثُ نفّاذًا مِنْها. قالتْ:

- أنا السّيّدةُ دونل... السّيّدةُ ه.ب دونل. وجئتُ كيْ أتحدّثَ إليكِ بخصوصِ أمرٍ حدّثتْنِي بهِ كلاريس ألميرا عندَما تناولتِ الغداءَ معِي اليَوْم. لقد انزعجتُ بشكلٍ كبِير.

تمتمتْ آن مُحاوِلةً عبثًا تذكّرَ أيّ حادِثةٍ جدّتْ في الصّباحِ، وتعلّقتْ بالأطفالِ دونل:

- أنا آسِفةٌ.

- أخبرتْنِي كلاريس ألميرا أنّكِ تنطقِينَ بلقبِنا هكَذا: دونّل، بالضّغطِ علَى حرفِ النّونِ، ولكنْ، عليكِ أنْ تعرِفِي الآن يا آنِسة شيرلي بأنَّ نُطْقَ لقبِنَا الصّحِيحَ هو دونلّ، بالضّغطِ علَى اللاّم. أتمنَّى أنْ تتذكّرِي هذا مُستقبَلا.

قالتْ آن وهيَ تكبَحُ رغْبةً عارِمةً في الضّحكِ:

- سوف أحاولُ. أعرفُ منْ خِلالِ تجربتِي كمْ هو سيّءٌ سماعُ لقبِكِ يُنطقُ على نحوٍ خاطِئٍ، وهذا أسوأُ منَ الخطأِ في تهجِئَتِه.

- إنّهُ حتمًا كذلك. وأعلمتْنِي كلاريس ألميرا أنّكِ تُنادِين ابنِي جاكوب.

احتجّتْ آن:

- ولكنّهُ هو نفسُه منْ أخبرنِي أنَّ اسمَه جاكوب.

قالتِ السّيّدةُ ه.ب دونل بنبرةٍ تشيرُ إلى أنّه لا يجبُ انتظارُ اعتِرافٍ كبيرٍ بالجميل مِنَ الأطفالِ فِي هذَا الزّمنِ المُنحَطّ:

- توقّعتُ هذا، فلذلكَ الولدُ ذوْقٌ سوقيٌّ جدًّا يا آنسة شيرلي. عندما وُلدَ، أردتُ تسمِيتَهُ سانت كلير. يبدُو الاسمُ أرستقراطيًّا جدًّا، أليْسَ كذلك؟ ولكنَّ والدَه أصرَّ علَى تسميتِه جاكوب، علَى اسمِ عمِّه. تنازلتُ، فالعمُّ جاكوب عجوزٌ

أعزبُ وثريّ. لكنْ، لمّا وَصَلَ ابنُنا إلى سنِّ الخامسة، قرّرَ العمُّ جاكوب الزّواجَ، ولديْهِ الآن ثلاثةُ أولادٍ منْ صُلبِه. هل سبقَ أنْ سمِعتِ نُكرانَ جميلٍ كهذا؟ ومنذُ أنْ تلقّيْنا دعوةَ الزّواجِ، وكانَ لهُ وقاحةُ إرسالِ دعوةٍ إليْنا يا آنسة شيرلي، أعلنتُ أنّي لا أريدُ أيَّ جاكوبٍ بعْدَ الآن، لا، شُكْرا. وبدْءًا مِنْ ذلكَ اليوم أصبحتُ أنادِي ابنِي سانت كلير، وأنا مصرّةٌ على أن يكونَ ذلك هو الاسمُ الّذِي يحمِلُه. ومع أنَّ والدَه يصرُّ على مناداتِهِ جاكوب، ومع أنّ الطّفلَ نفسَه يكنُّ محبّةً خاصّةً ولا تفسّرُ لهذا الاسمِ المبتذَلِ، فهو سانت كلير، وسيبقَى سانت كلير. سوف تتكرّمِين وتنادِينَه بِهِ أليْس كذلك؟ أشْكُرُك. أخبرتُ كلاريس ألميرا أنّي متأكّدةٌ منْ أنَّ الأمرَ سوءُ تفاهمٍ لا غيْر، وأنّ الحدِيثَ إليكِ يكفِي لمُعالجةِ الوضع. دونلّ، الضّغطُ على اللاّم... وسانت كلير. لا استعمال لجاكوب تحْتَ أيّ مُبرّر. هل ستذكُرين هذا؟ أشكركِ.

عندَما غادَرتِ السّيّدةُ دونل المكانَ، أغلقتْ آن بابَ المدرسةِ، وعادتْ إلَى بيتِها. وعِنْدَ سفحِ التّلِّ، التقتْ بول آرفنغ علَى درْبِ «البتولا». فقدّم إليْها باقةً منْ أزهارِ الزّنبقِ البرّيِّ الّذِي يسمِّيهِ أطفالُ «آفونلي» زَنْبَقَ حقُولِ الأرزّ، وهمَسَ بخجلٍ:

- أرجوكِ، تفضّلِي يا آنسة. لقد قطفتُها منْ حقلِ السّيّدِ رايت، وجئتُ كيْ أهديَها إليكِ، لأنّي فكّرْت فِي أنّكِ مِنَ النّساءِ اللّواتِي قد يُعجبْنَ بِها، ولأنّي...

رفعَ عينيْهِ الكبيرتيْنِ الجميلتيْنِ، وأكملَ:

- أحبّكِ يا آنِسة.

شكرتْهُ آن وهيَ تأخُذُ البتلاتِ الفوّاحةَ:

- أنتَ كنز.

تبخّرَ الإرهاقُ والإحباطُ منْ روحِها، وكأنَّ كلماتِ بول خلْطةٌ سِحريّةٌ، وانبثقَ الأملُ في قلبِها منْ جديدٍ مثلَ عينٍ مِنَ الفرَح. سارتْ بخطواتٍ خفِيفةٍ على دَرْبِ «البتولا»، وباقةُ الأزهارِ هذِه تُهدِّئُها مِثْلَ نِعمَة.

سألتْها ماريلّا:

- حسنًا، كيْفَ تدبّرْتِ أمْركِ اليَوْم؟

- اسأليني هَذا السُّؤالَ بَعْدَ شهرٍ، وعندَها، ربّما أكونُ قادرةً علَى إجابتِك. الأمرُ مُستحِيلٌ الآن. أنا نفسِي لا أعرفُ الجَواب، لكنّي أشعرُ بأنّي قريبةٌ جدًّا منْ أهدافِي. ومعَ ذلكَ لديَّ انطِباعٌ بأنَّ عقلِي مثْلَ صلصةِ البيشاميل منْ كثرةِ اهتزازِه. فالمُهِمّةُ الوحِيدةُ المُتأكّدةُ منْ إنجازِها تمامَ التّأكّدِ هيَ أنّي علّمتُ كليفي رايت أنّ حرفَ الألفِ هو الألِف. لمْ يكنْ يعرِفُ ذلكَ مِنْ قَبْل. إنّها بِدايةٌ مُوَفّقةٌ أنْ تُساعِدِي رُوحًا على أخْذِ طريقٍ قدْ تؤدِّي إلى شكسبير والفردَوْسِ المفقُود.

جاءتِ السّيّدةُ ليند فيما بَعْدُ بأخبارٍ مشجِّعةٍ أكثر. فقد اعْترضَتِ السّيّدةُ الكرِيمةُ التّلاميذَ أمام سياجِها، وسألتْهم عنْ رأيِهم فِي معلِّمتِهم الجدِيدَة.

- لقَدْ أجابُوا جميعًا أنّهم يجدونكِ رائعةً يا آن، ما عدا أنطوني باي. عليَّ الاعترافُ بأنَّ إجابتَه كانتْ مُختلِفَة. قال إنّكِ لستِ نافعةً لأيِّ شيءٍ، مثْلَ كلِّ المعلِّماتِ الإناث. هذا هُو ما تُحبِّبُه عائلةُ باي. ولكنْ، لا عليكِ، لا تحمِلي همّا.

أجابتْ آن بهدوءٍ:

- لنْ أحملَ همًّا. وسوف أتصرّفُ كيْ أجعلَ أنطوني باي يُحبّني. ففِي حالتِه، أراهِنُ علَى اللُّطْفِ والطِّيبَة.

قالتِ السّيّدةُ راشيل بحذرٍ:

- في الواقعِ، لا يُمكِنُنا مَعرِفةُ ما نتوقّعُهُ منْ فردٍ منْ أفرادِ عائلةِ باي. إنَّ لديْهم روحَ التّناقُضِ، مثْلَ الأحلامِ، فمعَهم تكونُ الإجابةُ مرّةً نعم، ومرّةً لا. أمّا بالنّسبةِ إلى هذِهِ السّيّدةِ دونّل، فأؤكّدُ لكِ أنّها لنْ تسمعنِي أبدًا أناديها دونّل. إنّ لقبَها دونّل، ولطالَما كانَ كذلِك. هذِهِ المرأةُ مجنونةٌ، هذِه هيَ الحقِيقَة. يأكلُ كلبُها، كلبُ البج ذاك الّذِي تنادِيه كيني، معَ كلِّ العائلةِ، على الطّاولةِ، في صحنٍ منَ الفخّار. لو كنتُ مكانَها، لخِفتُ منَ الأحْكَام. يقول توماس إنّ السّيّدَ دونل، رجلٌ حسّاسٌ وخدومٌ، ولكنّهُ لمْ يُثبتْ دَهاءً كبيرًا عندَما اختارَ زوجتَه، هذا كلُّ ما فِي الأمر.

(6)
رجالٌ ونساءٌ مختلفُون

حلَّ يومٌ مِنْ أيّامِ سبتمبرَ بتِلالِ جزيرةِ الأمِيرِ إدوارد. فنفَختِ الرّيحُ الحييّةُ القادِمةُ مِنَ البَحْرِ فوْقَ الكُثْبَانِ الرَّمْليَّة. وتعرّجَ طرِيقٌ طوِيلٌ مُحمَرٌّ عبْرَ الحقولِ والغاباتِ، وانْعَقدَ علَى نفسِه معَ دغْلٍ منْ شجَرِ التنُّوب، ثمّ عبَرَ حقولَ قصبِ السّكّرِ، حيثُ تُشرِفُ شجيْراتٌ صغِيراتٌ على أوراقِ سرْخَسٍ كبِيرةٍ لها شكْلُ ريشَاتٍ، لينزِلَ إثْرَ ذلكَ نحوَ وادٍ صغيرٍ ينهمِرُ ماؤُهُ سرِيعًا فِي غدِيرٍ، فينبعُ منَ الغابةِ ويعودُ إليْها منْ جديدٍ، ثمّ يتشمّسُ معَ حِزَمٍ منَ البخّاخاتِ الذّهبيّةِ، والنّجومِ الزّرقاءِ الدُّخانِيّة. وتردّدَ صوتُ الهواءِ معَ نقيقِ عددٍ لا يُحْصَى منَ الصّراصِيرِ، سكّانِ تلالِ الصّيفِ الصِّغارِ والمبتهِجِين. وقفَزَ مُهْرٌ بنّيٌّ مكتنِزٌ علَى الطّرِيقِ، وخلفَهُ فتاتانِ تفيضانِ بالسّعادةِ والشّبابِ والحيويّةِ فِي بساطتِها.

قالتْ آن ببهجةٍ:

- أوه!، يا لهُ منْ يوْمٍ جمِيل، يلِيقُ به الوصفُ بأنّهُ جنّةٌ على وجهِ الأرضِ!، أليْسَ كذلكَ يا ديانا؟ هُناكَ سِحرٌ مّا فِي الفَضَاء. انظُرِي لوْنَ الحُقولِ البنفسجيَّ قُرْبَ الوادِي، يا ديانا. هل تشُمِّينَ رائِحةَ الصّنَوْبرِ الميّتِ؟ هيَ قادِمةٌ مِنْ ذلكَ الوادِي

المُشْمِسِ الّذِي قطعَ منْهُ إيبن رايت أوتادًا للسِّيَاج. إنّهُ حظٌّ كبيرٌ أنْ تكونَ حَيًّا فِي يَوْمٍ مُماثِلٍ. ورائِحةُ الصّنَوبرِ المَيّتِ! إنّهَا إلهِيّةٌ حَقّا. ثلثا هذِه لوورد سورث، والثّلثُ الآخرُ لآن شيرلي. لا أستَطِيعُ تَصْدِيقَ أنَّ أشجارَ الصّنوبرِ تموتُ فِي الفِردَوْس. ومعَ ذلكَ يبدُو لِي الخلودُ غيرَ مُكتمِلٍ إذَا لمْ نتنفّسْ نفْحةً منْ هذَا الصّنوبرِ المّيتِ، ونحنُ نعبُرُ هذِه الغابَات. ولكنْ، بإمكانِنا التمتّعُ بهذِه الرّائِحةِ دونَ أنْ يكونَ الموتُ حاضرًا. نعَمْ، أعتقدُ ذلك. إنّها حتمًا روحُ الصّنَوبرِ الّتِي تُطلقُ هذِه الرّائِحةَ اللّذِيذَةَ... وسوفَ تحتشدُ السّماءُ، بالطّبعِ، بهذِه الأرواحِ وحدها.

احتجّتْ ديانا البراغماتيّةُ:

- ليْس للأشجارِ أرواحٌ. ولكنْ، مِنَ المُؤكّدِ أنَّ رائِحةَ الصّنَوبرِ الميّتِ فوّاحَة. سوفَ أصْنَعُ وِثارًا، وأملؤُهُ بأعوادِ الصَّنوْبر. عليكِ أن تصنعِي واحدًا أيضًا يا آن.

- نعم، أعتَقِدُ ذلك. وسأضَعُها قُرْبِي عنْدَ قيلولَتِي، وهكَذا، أتَأكّدُ مِنْ أنّي سأحلمُ بأنّي حوريّةُ الغاباتِ. ولكنْ، فِي هذِه اللّحظةِ، سأكتفِي بكونِي آن شيرلي، معلّمةُ مدرسةِ «آفونلي» الّتي تَمْضِي بعَرَبةٍ مَجْرُورةٍ فِي يومٍ لطِيفٍ جِدًّا وصَافٍ.

تنهّدتْ ديانا:

- ولكنْ، إذا كانَ اليومُ ساحِرًا، فإنّ ما سنُقدِمُ عليْهِ ليْسَ ساحِرًا بالمَرّة. ما الّذِي دَهَاكِ حتّى تطوّعتِ لجمعِ الأصواتِ

والمالِ علَى هذا الطّريقِ يا آن؟ يعيشُ معظمُ منحرِفي «آفونلي» تقريبًا هُنا، وسوفَ يعامِلونَنا دُونَ شكٍّ علَى أنّنا متسوِّلتيْن. إنّها الطّريقُ الأسوأُ بيْنَ كلِّ الطّرق.

- ولهذا اخترتُه. كان جيلبر وفراد سيأخذانِ مكانَنا لوْ طلبْنَا منهُما ذلك. ولكنْ، هل تعرفِينَ يا ديانا، أجدُ نفْسِي مسؤولةً عنْ هذِه الجمعيّةِ، بما أنّي أنا منْ اقترَحَها. لذلكَ عليَّ التكفّلُ بأكثرِ المهامِّ سوءًا. أنا آسفةٌ منْ أجلكِ، غير أنّكِ لستِ مجبرةً على الحديثِ فِي المناطقِ الصّعبة. أنا منْ ستتكلّم. تقولُ السّيّدةُ ليند إنّي قادِرةٌ علَى ذلك. إنّها لا تعرفُ بعدُ إذا ما كانتْ مُوافقةً علَى جمعيّتِنا أمْ لا، معَ أنّها تميلُ إلى الموافقةِ عندَما تتذكّرُ أنَّ السّيّدَ ألان وحرمَه معَ المشْرُوعِ. لكنَّ حقِيقةَ أنَّ جمعيّاتِ تحسِينِ المَدِينةِ نشأتْ فِي البدايةِ فِي الولاياتِ المتّحدةِ، يعتبرُ عنصُرًا سلبيّا. إنّها تتأرجحُ بين رأيْن، والنّجاحُ وحدُه هو ما سيعزّزُنا أمَامَها. سوْفَ تُحرِّرُ كريسيلا وثِيقَةً حوْلَ اجتماعِنا المُقبلِ، وأنا متأكّدةٌ منْ أنّه سيكونُ مُمتازًا، لأنَّ خالتَها تكتبُ بذكاءٍ كبِيرٍ، ومِنْ ثَمَّ نستنتِجُ أنَّ الأمْرَ موهِبةٌ عائِليَّة. لن أنسَى أبدًا ما شعرتُ بهِ عنْدما عرفتُ بأنّ شارلوت مورغان هي خالةُ كريسيلا. لقد سعدتُ جدًّا بأنْ أكونَ صديقةَ فتاةٍ كتبتْ خالتُها «أيّام إيغروود» و«حديقة براعم الورود».

- وأيْنَ تعيشُ السّيّدةُ مورغان؟

- في تورنتو، وأخبرتنِي كريسيلا بأنّها سوفَ تأتِي لزيارةِ

الجزيرةِ الصّيفَ المقبلَ، وسوفَ نَحْظَى، رُبّمَا، بفُرصةِ لِقائِها. يبدُو لِي هذا أجملَ مِنْ أنْ يكونَ حقِيقةً، ولكنّي أحلم بذلكَ قبْلَ حتّى أنْ أنَام.

نُظِّمتْ أخيرًا جمعيّةُ تحسِينِ مدِينةِ «آفونلي». ترأّسَها جيلبرت بليث، ونابَهُ فريد وايت، وعُيِّنتْ آن شيرلي سكرتيرةً، وديانا باري أمينةَ الخزْنَة. وتمَّ الاتّفاقُ على اجتماعِ «مجموعةِ المُحسِّنين» كما وقعتْ تسميتُهم بسرعةٍ، مرّةً كلَّ خمسَة عشر يومًا فِي بيتِ واحدٍ مِنْهم. اعترفُوا جميعًا بأنَّ الموسِمَ متقدِّمٌ جدًّا ليتمكّنُوا مِنَ القيامِ بإصلاحاتٍ كبيرةٍ، ولكنّهم استعدُّوا للقيامِ بِحملةِ الصّيفَ المُقبِلَ، ولجمعِ الأفكارِ ومناقشتِها، وكتابةِ الوثائقِ وقراءتِها، ومثلما تقول آن، لتحفيزِ الحسِّ الجمْعيّ.

قوبِلوا فِي البدايةِ برفْضٍ واضِحٍ، ولكنَّ أكثرَ المَواقِفِ إيلامًا، وأعصَاها علَى التّحمّلِ، هوَ تحوِيلُهم إلَى مَجمُوعةٍ مِنَ السُّخَفاء. فحسْبَ الإشاعَةِ، ادّعتْ اليشا رايت أنَّ الاسْمَ الّذِي يناسِبُ الجمعيّةَ أكثرَ هوَ «نادي المغازلات». كما ردّدتِ السّيّدةُ هيرام سلون أنّها سمعتْ أنَّ المُحسِّنينَ يهدفون إلى حرْثِ كلِّ جوانبِ الطّرقِ وزرعِ نباتاتِ الجيرانيوم. وحذّرَ ليفي بولتر جيرانَه مِنْ مُحاوَلةِ المُحسِّنِينَ حثَّ الجمِيعِ علَى هدْمِ بيتِهِ وبناءِ آخرَ حسْبَ التّخطيطاتِ الّتِي يريدُونها. فضلًا عنْ تلقِّيهم رِسالةً مِنَ السّيّدِ جيمس سبنسر يطلبُ منْهم فيها

أن يتكرّمُوا بحرثِ الرّابيةِ الّتي شُيِّدَتْ فوقَها الكنيسَة، والسّؤالِ الّذي وجّهَهُ إيبن رايت إلى آن راغِبًا في معرفةِ ما إذا كانَ المحسّنُون قادرِين على إقناعِ العجوزِ جوزياه سلون بتهذيبِ شوارِبه. وأعلمَهُم السّيِّدُ لورانس بيل أنّه يقبلُ بدهنِ حظائرِهِ بالجيرِ، ولكنْ، ليسَ بتعليقِ ستائرَ منَ الدانتيل على نوافذِ إسطبلِه. أمّا السّيّدُ ماجور سبنسر فقد سألَ كليفتون سلون، وهو واحدٌ منَ المُحسِّنينَ ينقلُ الحليبَ إلى مصنعِ الجبنِ في «كارمودي»، إنْ كانَ صحيحًا أنَّ علَى كلِّ مراكزِ توزيعِ الحليبِ أنْ تكونَ مدْهُونةً باليدِ في الصّيفِ المقبلِ، ومزيّنةً.

وبالرَّغم منْ هذا، أو ربّما بسببِه، أيْ بسببِ كلِّ ما يتعلّقُ بهذهِ الطّبيعةِ البشريّةِ الّتي تجلّتْ بوضوحٍ، قرّرتْ الجمعيّةُ بشجاعةٍ ما سُتقدمُ علَى إصلاحِه خِلالَ هذَا الخريف. وخِلالَ الاجتماعِ الثّاني، في صالونِ عائلةِ باري، اقترحَ أوليفر سلون أنْ يقُوموا بجمعِ مساهماتٍ لدهنِ قاعةِ الحفلاتِ وإعادةِ تهيئتِها. فأيّدتْ جوليا بيل هذِه البادِرةَ مُضطرِبةً لشعُورِها بأنّ الحركةَ الّتي تقومُ بها، لا تلائمُ امرأةً مُطلَقا. قدّمَ جيلبرت الاقتراحَ الّذي تمَّ تبنِّيهِ بالإجْماعِ، وسجّلتْهُ آن بجِدِّيّةٍ فِي خِطابِها. ومن ثمَّ، توجّبَ عليهم تعيينُ لجنةٍ، فاقترحَ جيرتي باي أنْ تُنتخبَ جين أندروز رئيسةً لها، حريصًا على ألاّ تفوزَ جوليا بيل بكلِّ الأمْجاد. وبعْدَ دَعْمِ الاقتراحِ واعتمادِه، ردّتْ جين المُجاملةَ بتعيينِ جيرتي، وجيلبرت، وآن، وديانا، وفريد

رايت، أعضاءً للّجنةِ المعنيّةِ، فما كان منْهم إلّا أنْ اختارُوا على نحو خاصٍّ طُرُقَ الانتشارِ منْ أجلِ جمعِ التّبرّعاتِ: آن وديانا على طريقِ «نيو بريدج»، وجيلبرت وفريد في «وايت ساندز»، أمّا جين وغرتي فعلى طريق «كارمودي».

فسّر جيلبرت لآن معقوليّةَ هذا التّقسيمِ بينَما هما عائدانِ عبْر الغابةِ المسْحُورةِ:

- لأنّ عائلةَ باي تعيشُ هُنا علَى هذَا الطّريقِ، ولنْ يُعطُوا أيّ شيءٍ ما لمْ يكنْ واحدٌ منْهم منْ يطلبُ ذلك.

بدأتْ آن وديانا السّبتَ الموالي. فوصلتا إلى آخرِ الشّارعِ، ثمّ عادتَا بعْدَ أنِ استهلّتا جمعَ الأموالِ بمساهمةِ «الآنستين أندروز».

قالتْ ديانا:

- إذا كانتْ كاترين وحدَها، فسوف نحصلُ، ربّما، على شيءٍ مّا. ولكنْ، إذا كانتْ إليزا معَها، فلا شيءَ نأملُه.

وبالفعلِ، حضرتْ إليزا، حُضُورًا أشدّ تطفّلًا مِنَ العادَةِ، وبدتْ أكثرَ نحسًا مِن المألُوف. فقد انتمتْ إلى صنفِ أولئكَ الأشخاصِ الّذين يعطونكَ الانطِباعَ بأنَّ الحياةَ، فِعلًا، نهرٌ مِنَ الدّمُوعِ، وأنّ الابتسامةَ، دون الحديثِ عن ضِحكةٍ، بمثابةِ إهدارٍ مُستهْجَنٍ للطّاقَة. لقدْ ظلّتِ الآنستانِ «أندروز» آنِستيْن خِلالَ خمسينَ سنةً، وستظلاّنِ كذلكَ، علَى الأرْجَحِ، حتّى نِهايةِ حجِّهم الأرضِيّ. ومعَ أنّهُ يُقالُ إنَّ كاترين لمْ تفقِدِ الأملَ تمامًا، فإنّ إليزا، المتشائمةَ بالولادةِ، لمْ تعدْ تأملُ فِي شيءٍ علَى الإِطْلَاق. لقدْ عاشتا في بيتٍ صغيرٍ بنّيٍ،

مشيّدٍ في زاويةٍ مشمسةٍ منْ بستان «زان مارك أندروز». ولطالما تذمّرتْ إليزا منْ أنّها تموتان منَ الحرِّ في الصّيفِ، ولكنّ كاترين اعتادتِ القول إنَّ المكانَ مريحٌ جدًّا خِلالَ الشِّتَاء.

جلستْ إليزا تخِيطُ لِحافًا، ليْسَ بسببِ الحاجةِ، وإنّمَا، بِبسَاطةٍ، احتِجاجًا علَى الدّانتيلِ الأخرقِ الّذِي طرّزَتْهُ أختُها. قطّبتْ إليزا حاجبيْها، وابتسمتْ كاترين، بعْدَ أنْ سمِعتَا الفتاتيْنِ تتحدّثانِ عنْ هَدَفِ مُهمّتِهما. وبالطبْعِ، عندما تقاطعتْ أنْظَارُ كاترين وأنْظَارُ أُخْتِها، خبّأتْ إليزا ابتسامتَها وراءَ سَحْنةٍ مُذنِبةٍ ومضطَرِبة. ولكنّ الابتسامةَ أزهرتْ على ملامِحِها منْ جدِيد لاحِقًا، ونطقتْ بحدّةٍ:

- لو أنّ لديَّ مالًا لأُبدِّدهُ، فسأختارُ إحراقَه والاستِمتاعَ برُؤيةِ النّارِ، ولكنّي لنْ أتبرّعَ بهِ مُطلقًا لدهنِ هذه القاعةِ، لا، أبدًا، ولَا حتّى بفِلْسٍ واحِد. فلن تجنِيَ القريةُ أيَّ فائدةٍ منْها، لأنّها ليستْ سِوى مكانٍ للّقاءِ والترّفيهِ يرتادُه مجموعةٌ منَ الشّبابِ كانَ منَ الأفضلِ لو أنّهم بقُوا في أسرّتِهم، ولزِمُوا بيوتَهم.

احتجّتْ كاترين:

- أوه !، إليزا، لا بدَّ أنْ يستمتعَ الشّبابُ قلِيلا.

- لا أرى ضرُورةً لذلِك. فنحنُ لمْ نتسكّعْ في قاعاتِ الحفلاتِ والأمكنةِ المماثلةِ عندما كنّا شبابًا، يا كاترين أندروز. هذا العالمُ يسيرُ منْ سيّءٍ إلى أسوأَ كلَّ يَوْم.

احتجّتْ كاترين بحزمٍ:

- أنا أعتقدُ أنَّهُ يتطوّر.

عبّرَ صوتُ إليزا عنْ أعمقِ ما يكونُ مِنَ الاحتقارِ:

- أتعتقِدين هذا؟ لا قيمةَ لما تعتقِدينَه يا كاترين أندروز، فالوقائِعُ هيَ الوقائِع.

- في الحقيقةِ، أفضّلُ دومًا رؤيةَ الجانبِ المُشرقِ منَ الأشياءِ يا إليزا.

- لا يوجدُ جانِبٌ مُشرِق.

صرختْ آن الّتي لمْ تستطعْ احتمالَ هرطَقةٍ مُماثلةٍ بصمْتٍ:

- أوه !، بالطّبعِ، هُناك جانِبٌ مُشْرِقٌ، بل هُناكَ الكثيرُ منْهُ يا آنسة إليزا. فالعالمُ الّذِي نَحْظَى بفُرصةِ العيشِ فِيه، جميلٌ للغايَة.

أجابتْ الآنسةُ إليزا بمرارةٍ:

- لنْ يكونَ لكِ مثلُ هذا الرّأيِ السّامِي، لوْ عِشتِ هُنا عددَ السّنواتِ الّتِي عِشتُها. ولنْ تبثّي كلَّ هذَا الحَماسِ لتحسينِ العَالَم. كيف حالُ أمِّكِ يا ديانا؟ يا إلهي! كمْ ضعُفتْ خِلالَ هذِهِ الأيّامِ الأخِيرَة. تبدُو مُرهَقةً بشكلٍ مُرِيع. آن، كمْ بقيَ أمامَ ماريا منَ الوقتِ كيْ تُصبحَ عمياءَ بالكامِل؟

قالتْ آن بصوتٍ متردّدٍ:

- يقولُ الطّبيبُ إنَّ نظرَها لنْ يسوءَ أكثر إذا انتبهتْ بشكلٍ جيّدٍ إلى نفسِها.

هزّتْ إليزا برأسِها:

- هذا ما يقولُه الأطبّاءُ كيْ يُرفِّعوا فِي معْنوِيّاتِ مَرضَاهُم. لو كنتُ مكانَها، لما أملتُ كثِيرا، إذْ منَ الأفضلِ للمرءِ أنْ يستعدَّ للأَسوأ.

دافعتْ آن:

- ولكنْ، أليْسَ علينا أن نستعدَّ للأفضلِ، فبإمكانِ الأفضلِ أنْ يحدُثَ أيضًا، مِثْله مِثْل الأسْوأ.

أجابتْ إليزا:

- ليس بالنّسبةِ إلى تجربتِي، فلي خمسون عامًا أواجهُ بها أعوامَكِ السّتّة عشر. ستذهبِينَ، أليْسَ كذلك؟ حسنًا، أتمنّى أنْ تبدِيَ جمعيّتُك الجديدةُ قُدْرةً على منْعِ «آفونلي» منَ السّقوطِ أكثرَ فأكثرَ، رَغْم أنَّ ثِقتِي فِي حُصُولِ هذا ليستْ كبِيرَة.

اختفتْ آن وديانا مُتنفّستيْن الصُّعداءَ، وابتعدَتا بكلِّ ما استَطاعَ المُهرُ منْ سُرعَةٍ. وفِي اللّحظةِ الّتِي وصلتَا فيها إلى المُنحدَرِ، تحْتَ حقلِ الزّانِ، رأتا قامةً قصِيرةً وبدِينةً تقترِبُ بأقصَى سُرعتِها فوقَ مرعَى السّيّدِ أندروز، وتشيرُ إليهما باليد. كانتْ كاترين أندروز مُنقطِعَةَ النَّفَسِ إلى درجةِ أنّها بالكادِ استطاعتِ الحدِيث وهي تدسُّ فِي يديْ آن قطعتيْن منْ فئةِ الخمسِ وعشْرين. ولمّا استعادتْ أنفاسَها قالتْ:

- هذه مُساهَمتِي فِي دَهْنِ القاعةِ. أردتُ إعطاءَكِ دولارًا، ولكنّي لا أستطيعُ أخْذَ الأكثر منْ مالِ البيْضِ، وإلاّ فإنّ

إليزا ستكتشفُ الأمْر. إنّي مهتمّةٌ حقًّا بجمعيّتِكِ، ومتأكّدةٌ من أنّكِ ستُنجِزِينَ خيْرًا كثِيرا. فأنا مُتفائِلةٌ، وعليَّ أنْ أكونَ كذلك مادمتُ أعيشُ مع إليزا. عليّ الإسراعُ فِي العودةِ قبْلَ أنْ تُلاحِظَ غيابي، فهيَ تظنُّ أنّي أطعِمُ الدَّجَاج. أتمنَّى لكِ حظًّا موفّقًا فِي خطواتِك القادِمة. ولا تهتمِّي بكلامِ إليزا. فالعالمُ يتطوّرُ فعلًا... إنّي مقتنعةٌ بهذا.

كان بيتُ دانيال بلير الهدَفَ المُوالي.

أكّدتْ ديانا وهُما تتقدّمان مُهتزّتيْن علَى طريقٍ وَعْرَة:

- الآن، يجبُ أنْ نعرفَ إذا ما كانتْ زوجتُه هُناك: كلُّ شيءٍ متعلّقٌ بهذا. إذا كانتْ موجُودةً، فلنْ نقبضَ فلسًا واحِدا. يُقالُ إنَّ دان بلير لا يقصُّ شعرَه إلاّ إذَا طَلَبَ إذْنَها. وهُناك شيءٌ آخر مؤكّدٌ، إنّها بخيلةٌ جدًّا، إذا صحَّ هذا الوَصْف. أمّا هي فتدّعِي أنَّها تسبِقُ الكرمَ بخطوةٍ، ولكنَّ السّيّدةَ ليند تقولُ إنّها تقدّمتْ كثيرًا في السّباقِ إلى درجةِ أنَّ الكرمَ لا يستطيعُ اللّحاقَ بِها أبدًا.

في تلكَ اللّيلةِ، روتْ آن لماريلا ما حدثَ معَها فِي بيتِ عائلةِ بلير:

بعْدَ أنْ ربطنا الحصانَ، طرقْنا بابَ المطبخِ. لمْ يأتِ أحدٌ ليفتحَ، ولكنَّ البابَ كان مفتُوحا، وسمِعْنا أحدًا هائِجًا بالدّاخِل. لمْ نستطعْ تمْيِيزَ الأقوالِ، ولكنَّ ديانا قالتْ إنّها فهمتْ منْ صراخِه أنّهُ يشتُم. لمْ أستطِعْ تصديقَ أنَّ كلَّ ذاك الهيجانِ صادِرٌ عنْ رجلٍ متواضعٍ

ورصينٍ مثلَ السّيّدِ بلير. ولكنْ، يجبُ الاعترافُ، يا ماريلا، بأنَّ المسكينَ يملكُ دافِعًا قويًا. فعندما ظهرَ عنْدَ البابِ بوجهٍ متعرّقٍ ومحمرٍّ مثلَ حبّةِ الشّمندرِ، كان يرتدِي مئزرَ زوجتِه ذَا المُربّعات، وما إنْ أبصرَنا حتّى قالَ:

- لا أستطيعُ نزعَ هذا الشّيءِ الملعونِ. فقدْ شُدّتْ خيوطُه فِي عُقدةٍ كبيرةٍ، وإذا عاندتُ، سأقطعُها حتْما. لذا عليكما أنْ تعذرانِي آنسِتيَّ.

أكّدْنَا لهُ أنَّ هذا ليس مهمًّا البتّةَ، ودخلْنَا لنجلِس. جلسَ السّيّدُ بلير بدورِه. ثمّ طوَى المئزرَ وراءَ ظهرِهِ، ولكنّهُ بدا خجِلًا جدًّا ومشغولًا، إلى درجة أنّي أشفقتُ عليْه. قالتْ له ديانا إنّها تخْشَى أنّنا جئنَا في وقتٍ غير مناسبٍ. فأجابَ مُحاولًا الابتسامَ، لأنّه كما تعرِفِينَ مهذّبٌ دومًا:

- أوه ! علَى الإطلاقِ.. إنّي فقطْ مشغولٌ جدًّا، فقد كنتُ بصدَدِ تحضيرِ المرطّبَات. إذ تلقّتْ زوجتِي تليغراما منْ أختِها القادمةِ منْ مونريال هذا المساءَ، وذهبتْ لانتظارِها فِي المَحطّة. لذاك طلبتْ منّي إعدادَ مرطّباتٍ لأكلِها معَ الشّاي. صحيحٌ أنّها كتبتْ لِي الوصفةَ، وشرحتْ لِي ما عليَّ فعلُه، ولكنّي نسِيتُ نِصْفَ التّعليمَات. كما أنّها كتبتْ هُنا: «النّكهةُ حسْبَ التّذوّقِ»، ماذا يعنِي هذا؟ كيْفَ لي أنْ أعرِف؟ وماذا سيحدثُ لوْ لمْ يتلاءمْ تذوُّقِي معَ تذوّقِ الآخرين؟ هل ستكفِي ملعقةٌ كبيرةٌ منَ الفانيليا لكعكةٍ صَغِيرة؟

شعرتُ بالشّفقةِ أكثرَ فأكثرَ علَى الرّجُلِ الّذِي لمْ يبْدُ مُرتاحًا مُطْلَقا. لقد سمِعتُ حدِيثًا كثِيرًا عنْ أزواجٍ تسودُهم زوجاتُهم، وبدَا لِي أنّ واحدًا مِنْهم ماثِلٌ أمَامِي. وأوشكتُ أنْ أقولَ:

- سيّد بلير، إذا ساهمتَ فِي إعادةِ دَهْنِ القاعةِ، فسوفَ أعدُّ الكعكةَ بدلًا مِنْك.

ولكنّي خمّنتُ فجأةً أنّنا إذا أردْنَا عقدَ أواصرِ ودٍّ معَ الجيرانِ، فيجبُ أنْ نبتَعِدَ عنْ هذِه المُقايضاتِ معَ شخْصٍ فِي محْنَة. وهكذَا اقترحتُ عليْه أنْ أُعِدَّ الكعكةَ دُونَ وَضْعِ أيِّ شرْط. فوثبَ على الفُرصةِ ببَسَاطَة. اعترفَ لنا بأنّهُ قبْلَ زواجه، كان يتكفّلُ بإعدادِ خُبْزِهِ بنفسِه، ولكنّهُ يخْشَى أنْ تكونَ كعْكةُ المُرطّباتِ أشدُّ تعْقيدًا، ويكرهُ أنْ يخيّبَ ظنَّ زوجتِه. أحضرَ لِي مئزرًا آخر. فكسرتْ ديانا البيضَ، وقمتُ بإعدادِ الخلْطة، بعْد أنْ أحضرَ لنَا السّيّدُ بلير المكوناتِ راكِضًا، وناسِيًا مئزرَه الّذِي ظلَّ يطيرُ وراءَه بينما هو يركضُ، تمَاما. وقد اعترفتْ لِي ديانا بأنّها كادتْ تموتُ منَ الضّحكِ وهيَ تشاهِدُه. ولمّا صارتِ الخلطةُ جاهزةً، أكّد لنا أنَّ طبخَ الكعكةِ لن يمثّلَ أيَّ مشكلٍ بالنّسبةِ إليْه، فقد تعوّدَ فعلَ ذلِك، وطلبَ منّا لائحتنَا، ثمّ قدّمَ إلَيْنا أربعةَ دُولارات. كما تَرَيْنَ إذنْ، فقد تمّتْ مكافأتُنا. ولكنْ، حتّى ولوْ لمْ يقدِّمْ لنَا فِلسًا، فسأظلُّ مُتأكّدةً دومًا مِنْ أنّي تصرّفتُ كمَسِيحيّةٍ أصِيلةٍ بمُساعَدَتِه.

المحطّةُ المُواليةُ لديانا وآن كانتْ بيْتَ ثيودور وايت.

لمْ تضعْ آن ولا ديانا أقدامَهما هُناكَ مِنْ قبْلُ، وبالكادِ تَعْرِفانِ

السّيّدةَ وايت، الّتي لمْ تكنْ تتحلّى بسُمعةِ المُضيفةِ الجيِّدة. هل كانَ عليهما طَرْقُ البابِ الأمَامِيِّ أم الخلفِيّ؟ وبينَما هُمَا تتشاوَرانِ فِي الأمرِ، إذْ ظهرتِ السّيّدةُ ثيودور فِي البابِ الأماميِّ حامِلةً الكثِيرَ منَ الجرائدِ بيْنَ ذِراعيْها. ثمّ بدأتْ تبسطُها واحِدةً تلوَ الأُخْرى، وبطرِيقةٍ غبيّةٍ، علَى الأرضيّةِ، ثمّ على الطّريقِ، ثُمَّ علَى مَمْشَى الرّواقِ، حتّى وصلت إلى أقدامِ زائرتيْها الحائرتيْن. وطلبتْ منهُما بقلقٍ:

- هلّا تلطّفتُما بمسحِ العُشْبِ العالِقِ بأقْدَامِكما والمشيِ على الجرائد؟ لقد كنستُ البيتَ لتوِّي، ولا أريدُ أنْ أرَى حبّةَ غبارٍ واحدةً تدخلُه. لقدْ ترك مطرُ الأمسِ الطّريقَ مُوحِلةً جدّا.

وشوشتْ آن ديانا وهمَا تسيرانِ علَى الجرائدِ:

- لا تضْحكِي، أرجوكِ ! أتوسّلُ إليكِ!، لا تنظري إليَّ مهما قالتْ لكِ، وإلاّ فلن أستطِيعَ الحِفاظَ على جدّيّتِي.

امتدّتْ سجّادةُ أوراقِ الجرائدِ منَ المدخلِ حتّى مخدعٍ جميلٍ ونقِيّ. جلستِ الشابّتان بحذرٍ علَى أقربِ مقعديْن وعرضَتا طلبَهما. استمعتْ لهما السّيّدةُ وايت بأدبٍ، ولمْ تقاطِعْهما إلاّ مرّتيْن، مرّةً لاصطيادِ ذُبابةٍ مغامرةٍ، ومرّةً لأخذِ شفرةِ عُشْبٍ صغِيرةٍ سقطتْ منْ ثوبِ آن علَى السّجّاد. فشعرتْ آن بذنبٍ بغيضٍ، ولكنَّ السّيّدةَ وايت أعطتْها دولاريْن فِي الحين.

قالتْ ديانا بعْد ذهابِهما:

- حتّى تتجنّبَ عودتَنا مرةً أخرى.

ولمْ تشُدّا المُهرَ بعْدُ، عندما انتهتْ السّيّدةُ ديانا منْ جمعِ الجرائِد. ولّما كانتا تخرجانِ منِ الباحةِ، رأتاها وهيَ تمرّرُ المكنسةَ فِي المدْخَل.

علّقتْ ديانا مُقهقِهةً عندَما أصبحتا بعيدتيْن:

- لطالما أخبروني أنّه لا توجدُ امرأةٌ أكثر نظافةً منَ السّيّدةِ وايت، والآن صدّقتُ.

مكتبة
t.me/soramnqraa

قالتْ آن بصوتٍ مترنّمٍ:

- أمرٌ مفرحٌ ألاّ يكونَ لها أطفالٌ.

- كان المساكينُ سيعيشونَ حياةً مريعة.

في بيتِ عائلةِ سبنسر، شعُرتا ببؤسٍ وهما تسمعانِ السّيّدةَ إيزابيلا تستعْرِضُ أقوالَها الشّريرةَ عنْ أهالي «آفونلي». ورفضَ السّيّدُ توماس بولتر المُساهَمةَ بتعلّةِ أنّهُ عِندَما تمَّ تشييدُ البيتِ، قبْلَ عشرين سنةً، لمْ يتّبعْ أحدٌ توصياتِه. أمّا السّيّدةُ إيستر بيل، الفائضةُ بالصّحةِ، فحدّثتهما بالتّفصيلِ، وطَوَالَ نصفِ ساعةٍ، بكلِّ أمراضِها ومتاعبِها، ثمّ قدّمتْ لهما بحزنٍ خمسينَ فلسًا، بما أنّها لن تكونَ على قيْدِ الحَيَاةِ فِي مثلِ هَذَا التّارِيخِ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، بلْ فِي لَحْدِها.

أمّا أسوأُ استقبالٍ، فتمَّ في بيتِ سايمون فلتشر. إذْ عندما دخلتَا الباحةَ، لاحظتَا شخصيْن ينظرانِ نحوَهما عبْر نافذةِ الرّدهةِ. طرقتا البابَ طويلًا، بصبرٍ ومثابرةٍ، ولكنْ، لا أحدَ جاءَ ليفتَح. فانصرفتَا منْ هُناك منزعجتيْن وساخِطتيْن، واعترفتِ الآنسةُ آن بأنّها بدأتْ تشعُر بالإحباطِ، غير أنّ الحظَّ لعِب لعبتَه إثْرَ ذلكَ. فتتابعتْ زياراتُهما لمزارعَ عديدةٍ تابعةٍ لعائلةِ سلون وتحصّلتَا على مساهماتٍ

كريمة. وبعد تلك اللّحظةِ، مرّ كلُّ شيءٍ بشكلٍ جيّدٍ جدًّا، حتّى آخر منزلٍ زارتاه، ولمْ تقابلا بالرّفضِ سِوى مرّةٍ وَاحِدَة. فقد كان بيت روبرت ديكنسون البيتَ الأخيرِ الّذِي عليهما زيارتُه، وهو مشيّدٌ قرْبَ جِسْرِ البَرَكَة. كانتا عائدتيْنِ تقريبًا إلى البيتِ، ولكنّهما وافقتَا على البقاءِ منْ أجلِ شربِ الشّايِ، على ألّا تسِيئَا إلى السّيّدةِ ديكنسون المعروفةِ بحساسيّتِها الشّدِيدَة.

وبينما كانتا هُناك جاءتْ السّيّدةُ جيمس وايت، وقالتْ:

- جئتُ لتوّي منْ عندِ السّيّدِ لورنزو. إنّه الآن أشدُّ الرّجالِ فخرًا في «آفونلي». أتعرِفان لماذا؟ لقد ازدانَ فراشُهُ بولدٍ جميلٍ حدِيثِ الولادَةِ... وبعْدَ سبعِ بناتٍ، وهذا يشكّلُ حدثًا كبيرا. أؤكّدُ لكُنّ.

رفعتْ آن أذنيْها، وعندما غادَرَتا قالتْ:

«سوفَ أذهبُ مباشرةً إلى لورنزو وايت.

احتجّتْ ديانا:

- ولكنّه يُقيم علَى طَريقِ وايت ساندز، وهُوَ أبْعَدُ مِنْ مكانِنا، فليزُرْهُ جيلبرت وفريد !

أجابتْ آن بحزمٍ:

- لنْ يذْهَبا قبْلَ السّبتِ المُقبِلِ، وسيكونُ الوَقْتُ قدْ تأخّرَ كثِيرا، ويفقدُ الخبرُ السّعِيدُ تأثيرَه. فلورنزو وايت خسيسٌ جدًّا، ولكنْ، في هذه اللّحظةِ بالذّاتِ سيدفعُ أيَّ شيءٍ يُطلبُ مِنْه. علينا ضربُ الحدِيدِ وهو ساخِنٌ يا ديانا.

تحقّقتْ توقّعاتُ آن. إذْ قابلَها السّيّدُ وايت فِي الباحةِ، متوهِّجًا مثْلَ شمسِ يومِ عيدِ الفصْح. وعندما عرضتْ عليه آن المساهمَةَ، وافقَ بحماسٍ كبيرٍ:

- طبعًا، طبعًا، سأدفعُ دولارًا زائدًا على مقدارِ أكبرِ مُساهمَة.

قالتْ آن نِصْفَ مُتوجِّسةٍ:

هذا يعنِي خمسةَ دُولارات. فقد أعطانِي السّيّدُ دانيال بلير أربعةَ دُولارات.

ولكنّ لورنزو لمْ يتردَّد:

- خمسةُ دولاراتٍ، حسنًا، هَا هِي. والآنَ، سوفَ تدخُلان إلى البيتِ، فالعرضُ الّذِي ينتظرُكما يستحقُّ المُشاهدَة. لمْ يَحظَ سِوى أشخاصٍ قلائلَ بفرصةِ مشاهدتِه. ادْخُلا وأعطِيانِي رأيَيْكما.

وشوشتْ ديانا آن بحيْرةٍ حييّةٍ، وهُما تتبعان لورنزو المتحمّسَ بشدّةٍ، إلى داخلِ البيْت:

- ماذا سنقولُ إذا لمْ يكنِ الرّضيعُ جمِيلا؟

أجابتْ آن بطُمأنينَةٍ:

- أوه!، سوْفَ نَجِدُ بالتّأكيدِ تعلِيقًا إيجابيًّا لنقولَه بخصوصِه، فضلًا عن أنّ لكلِّ الرّضّعِ جانبًا ساحِرًا.

ومع ذلكَ كانَ الرّضِيعُ جمِيلًا. أمّا بالنّسبةِ إلى السّيّدِ وايت، فإنَّ افتتانَ البنتيْنِ بالمَولُودِ الجديدِ المكتنزِ، استحقَّ الخمسةَ دولاراتٍ

فعْلا. وكانتْ تلكَ أوّلَ مرّةٍ وآخرَها يقدّمُ فيهَا لورنزو أمْوَالًا لفائِدةِ شيءٍ مّا.

ورَغم تعبِها، قامتْ آن بمَجهودٍ أخِيرٍ لصالحِ الخيرِ العامِّ، فِي ذلكَ المَسَاء. فقدْ عبرتِ الحقُولَ كيْ تتحدّثَ إلى السّيّدِ هاريسون الّذِي جلسَ يدخّنُ غليونَه كعادتِهِ فِي الشّرفةِ، وجينجر إلى جانبِه. صحيحٌ أنَّ بيتَهُ موجودٌ على طريقِ «كارمودي»، ولكنَّ جين وجيرتي اللّتيْن لا تعرفانِه إلاّ مِنْ خِلالِ القيلِ والقالِ الباعثيْنِ على الشَّكِّ، توسّلا بتوتّرٍ إلى آن كيْ تعْرِضَ عليْهِ المُساهمَةَ بدلًا منْهما. ومعَ ذلكَ، رفضَ السّيّدُ هاريسون تقديمَ فِلسٍ واحدٍ، وبدَتْ كلُّ الحِيَلِ الّتِي وظّفتْها آن دُونَ جدْوَى.

قالتْ آن بنبرةِ أسَفٍ:

- ولكنّي اعتقدتُ أنّكَ أُعجِبتَ بجمعيّتِنا يا سيّد هاريسون.

- طبعًا، طبعًا، أقبلُ بها. ولكنّ قبولِي لا يعنِي إلحاقَ الضّررِ بجيبِي يا آن.

اعترفتْ آن إلى انعكاسِها في المرآةِ، قبْلَ أنْ تخلدَ إلى النّومِ:

- بضعُ تجاربَ أخرى مِثْلَ الّتِي عشتُها اليومَ، وسأصبحُ محبطةً تمامًا مثْلَ الآنسةِ إليزا أندروز.

(7)
نداءُ الواجِبِ

أسندتْ آن ظهرهَا إلى مسندِ كرسيِّها بتراخٍ، وتنهّدَت. كان المساءُ ليِّنًا كسائرِ أماسِي شهرِ أكتوبَر. وعلى الطّاولةِ الّتي تجلسُ إليْها اكتظّتِ أوراقُ التّمارِين. ولكنْ، لمْ يبدُ أنَّ للأوراقِ المُغطّاةِ بكتابةٍ صغِيرةٍ، والمبعثرةِ أمامَها، أيَّ علاقةٍ بالدّراسةِ أو بالعملِ المدرسِيّ.

سأل جيلبرت وهو يدخلُ منْ بابِ المطبخِ المفتوحِ في اللّحظةِ الّتِي تنهّدتْ فِيها:

- ما الّذِي يحدُث؟

احمرَّ وجهُ آن وخبّأتِ الأوراقَ تحْتَ مؤلّفاتِ التّلامِيذ.

- لا شيء مريعٌ. أحاولُ فقطْ اتّباعَ نصيحةِ أستاذي السّيّدِ هاميلتون، بوضعِ بعضِ أفكارِي علَى الورقِ، ولكنّي لا أتوصّلُ إلى الإحساسِ بالرِّضا. إنّها تصبحُ ثقِيلةً وبلا معنًى، عندما تكتُبُها بسوادِ الحِبرِ على بياضِ الورَقَة. فمُنتجاتُ المخيّلةِ مثْلَ الظّلالِ، لا نستطيعُ سجنَها بداخلِ الأقْفَاص. إنّها مدلّلةٌ، تذهبُ وتعودُ متَى شاءَت. قدْ أتعلّمُ سرَّ ذلكَ في أحدِ الأيّام، إذا ما ثابَرتُ. ولكنْ، ليس لِي أوقاتُ فراغٍ كثِيرَة.

أتعرفُ؟ عندَما أنهيتُ إصلاحَ هذِهِ التّمارينِ والمؤلّفاتِ، فقدتُ مذاقَ الكتابةِ لنفسِي.

قال جيلبرت وهو يجلِسُ علَى الدَّرَجِ:

- أنت تقومِينَ بعملٍ رائعٍ فِي المَدْرَسةِ يا آن، وكلُّ الأطفالِ يحبّونك.

- لا، علَى الإطْلَاق. فأنطوني باي لا يحبُّني، ولنْ يحبّنِي مُطلقا. والأسوأُ أنّه لا يحترمنِي حتّى. لا، لنْ يفعلَ أبَدا. إنّه لا يشعرُ بغيرِ الاحتقارِ تُجاهِي. وأستطيعُ الاعترافَ أمامكَ أنَّ هذا يحزنُنِي جدّا. لا يتعلّقُ الأمرُ بكونِهِ شرّيرا، ولكنّهُ مزعِجٌ قليلًا، وليْس أكثرَ مِنْ بعضِهم. إنّه لا يطيعُنِي إلاّ أحيَانا. وعندما يفعلُ، فإنّه يُظهِرُ احتِقارًا شدِيدا، إذ يتصرّفُ وكأنْ لا جدْوَى مِنْ حدِيثِي أساسًا، وإلاّ فهو لنْ يتردّدَ علَى الإطلاقِ... ولهذا السّلوكِ تأثِيرٌ سلبِيٌّ علَى البقيَّة. حاولتُ بكلِّ الطّرقِ جعلَهُ إلى صفِّي، وللأسفِ، بدأتُ أخشى أنّي لنْ أتمكّنَ مِنْ ذلكَ مُطْلَقا. ولكنِّي أريدُ ذلكَ رَغمَ كلِّ شيءٍ، لأنَّ هذا الولدَ جميلٌ، حتّى وإنْ انتَمى إلَى عائلةِ باي، وسوفَ أتمكّنُ مِنَ نيلِ محبّتِه، لوْ يمنحُنِي فُرصَةً لذلك.

- الأمرُ بلا شكٍّ نتيجةٌ منطقيّةٌ لما يسمعُهُ فِي البيْت.

- ليْسَ تحدِيدا. فأنطوني طفلٌ مُستقِلٌّ وبإمكانِهِ الحكمُ على الأشياءِ بمفردِه. لطالَما حَظِيَ بمُدرّسينَ ذكورٍ، لذلك لا تصلحُ المرأةُ بالنّسبةِ إليهِ للتّدرِيس. حسنًا، سوف نرى ماذا بإمكانِ

الصّبرِ والطّيبةِ أنْ يُقدِّما. أحبُّ تجاوُزَ الصِّعابِ، والتّعليمُ مهنةٌ مهمّةٌ جِدّا. يملكُ بول آرفنغ كلَّ ما ينقصُ الآخرين. إنَّ هذا الطّفلَ ملاكٌ يا جيلبرت، وعبقريٌّ فِي الوقتِ نفسِه.

ختمتْ آن باقتناعٍ:

- أنا مقتنعةٌ بأنّنا سنسمعُ العالَمَ يتحدّثُ عنْهُ يومًا مّا.

قال جيلبرت:

- أنا أيضًا أحبُّ التّدْريس. إنّه قبْلَ كلِّ شيءٍ تكوينٌ جيّدٌ للنّفْس. أتعرفينَ يا آن؟ طَالَمَا تعلّمتُ خِلالَ الأسابيعِ القليلةِ الّتِي درّستُ خِلالَهَا الشّبابَ في «وايت ساندز»، أكثرَ منْ كلِّ السّنواتِ الّتِي كنتُ أثناءَها أرتادُ المدرَسَة. يبدُو أنّنا نقومُ بعملٍ جيّدٍ، وبلا مشاكِلَ كثِيرَة. لقد سمعتُ أيضًا أنّ جين محبوبةٌ جدًّا فِي نيو بريدج، كمَا أعتقدُ أنّ خادِمَكِ المتواضعَ مُقدَّرٌ جدًّا في «وايت ساندز» منْ قِبل الجميع، ما عدا مِنْ قِبل السّيّدِ أندرو سبنسر. إذ اعترضتْني مساءَ أمسِ السّيّدةُ بيتر بلويت وأنا عائدٌ إلى البيتِ، واعترفتْ إليّ بأنَّ منْ واجبِها إعلامِي بعدَمِ موافقةِ السّيّدِ سبنسر على طُرقِي فِي التّدْرِيس.

سألتْ آن متأمِّلةً:

- هلْ لاحظتَ أنَّ النّاسَ عندَما يقُولون إنَّ مِنْ واجبِهم إعلامَكَ بشيءٍ مّا، فإنَّ عليكَ انتظارَ أمرٍ سيِّءٍ؟ لماذا لا يلتزمونَ مطلقًا بإعادةِ أشياءَ لطِيفةٍ سمعُوها تُقالُ عنْك؟

جاءتِ السيّدةُ ه.ب دونل إلَى المدرسةِ بالأمسِ كيْ تعِيدَ علَى مسامِعِي بعْضَ النِّقاطِ، مِنْها أنَّ السّيّدَ هارمون أندروز يفضّلُ ألاّ أرويَ قصصَ السّاحراتِ علَى مسَامِعِ الأطْفَال. أمّا بالنّسبةِ إلى السّيّدِ روجرسون، فإنّه يتذمّرُ لأنّ بريلّي لا يتقدّمُ بالسّرعَةِ الكافيةِ فِي علمِ الحسابِ، ويرى أنّ تقدّمَه سيكونُ أسرعَ لوْ أنِّي قضّيتُ وقتًا أقلَّ فِي النّظرِ شزرًا نحْوَ الأطفالِ منْ وراءِ لوحتِي. أنا متأكّدةٌ منْ أنّ جاك غيليس هوَ منْ يزيدُ فِي الكلامِ، رغم أنّي لمْ أقبضْ عليهِ متلبّسًا أبدا.

- هل نجحتِ فِي مصالحةِ ابن السّيّدةِ دونل مع اسمِه؟

نفختْ آن:

- نعم. ولكنَّ هذا لمْ يكنْ سهْلا. ففِي البدايةِ، اضطررتُ كلّما ناديتُهُ: سانت كلير إلى تكرارِ الأمرِ مرّتيْن أو ثلاثًا، قبْلَ أنْ يعِيرَنِي أيَّ انتِبَاه. وعندما يلامِسُهُ بقيّةُ الأولادِ منْ مرفقِه، يرفعُ عينيْه بسَحْنَةٍ حزينةٍ للغايَة، وكأنّنِي ناديتُهُ بجون أو شارلي، ولمْ يكنْ يتوقّعُ أنِّي أقصِدُه. فأبقيتُه ذاتَ يومٍ بعْدَ الدّرسِ، وتحدّثتُ إليهِ بلُطْف. فسّرتُ لهُ أنّ أمَّهُ ترغبُ فِي أنْ أناديَهُ بسانت كلير، وأنِّي لا أستطيعُ عَدَمَ تلبِيَةِ رغبتِها. ففهِمَ وجهةَ نظَرِي. هذا الصّبيُّ راشدٌ جِدّا. وافقَ أنْ أناديَه سانت كلير، ولكنّه قال إنّه لوْ غامرَ أيُّ واحدٍ منَ الأولادِ بهَذا، فإنّه سيُخرِجُ أحشاءَه. كان عليَّ توبيخُه بديهيًّا لاستِعْمَالِه مِثْلَ هذِهِ اللُّغَة. ومنذُ ذلكَ اليومِ، صِرْتُ أناديهِ سانت كلير،

بينما حافظ الأولادُ على مناداتِهِ جايك، وسارتِ الأمورُ نحْوَ الأفْضَل. وقد أخبرني أنَّهُ يودُّ أنْ يصبحَ نجّارًا، ولكنَّ السّيّدةَ دونل ترغبُ فِي أنْ يُصبِحَ أُستاذًا جامِعِيّا.

حدّد ذكرُ الجامعةِ مسارًا جدِيدا لأفكارِ جيلبرت، وخِلالَ لحظاتٍ، تبادَلَا الحدِيثَ عنْ مشاريعِهما وأحلامِهما بثِقلٍ كبيرٍ، وبأملٍ وحماسةٍ، تمامًا كما يتحدّثُ الشّبابُ عندما يكونُ المستقبلُ طريقًا غيرَ مُستكشَفٍ، ومليئًا بالآفاقِ الرّائِعة. وفِي النّهايةِ، اتّخذَ جيلبرت قرارَهُ: سيُصْبحُ طبِيبا.

قالَ بحماسٍ كبيرٍ:

- إنّها مِهنةٌ رائِعةٌ. يقضِي الطّبيبُ كامِلَ حياتِهِ فِي الصِّراع. ألمْ يعرّفْ أحدُهم الإنسانَ بأنَّهُ حيوانٌ مُصارِع؟ وأنا أريدُ أنْ أُصارِعَ الأمراضَ والمعاناةَ والجهْلَ، كلَّ هذِهِ الآلامِ الّتي يرتبِطُ بعضُها ببعْض. أريدُ يا آن أنْ أقومَ بدورِي في الإنسانيّةِ عبْرِ إنجازِ عملٍ شريفٍ وصادقٍ، وأنْ أُساهِمَ في زيادةِ كمِّ المعارفِ الّتي راكمَها رجالٌ أسوياءُ منذُ الأزْمِنةِ الغابِرة. إنِّي أدِينُ كثيرًا للنّاسِ الّذين عاشُوا قبْلِي، وأريدُ أنْ أعبّرَ لهم عنِ امتنانِي بتكْرِيسِ نفْسِي للّذِين سيأتون مِنْ بعدي. أعتقدُ أنّ هذِهِ هيَ الطّريقةُ الوحيدةُ التي نتحمّلُ بهَا مسؤوليّتَنا تُجاهَ النّوعِ البشَرِيّ.

قالتْ آن بنبرةٍ حالمةٍ:

- أمّا أنا، فأريدُ أنْ أضفِيَ جمالًا علَى الحيَاة. لا أريدُ أنْ أدرِّسَ

شيئًا مُحَدَّدًا للنّاسِ، رغْمَ أنّي أعرفُ بأنّ هذا هو المثالُ الأكثرُ نُبلًا، ولكنّي أريدُ أنْ يكونَ وجودُهُم أكثرَ روعةً بفضْلي. أريدُ أنْ أهبَهُم سعَادةً صغِيرةً أو فِكرةً مُبهِجةً ما كان بإمكانِهم الحصولُ عليْها لوْ لمْ أُولَد.

أكّدَ جيلبرت بإعْجابٍ:

- أعتقدُ أنّكِ تُدركِين هذِه الغايةَ كلَّ يوم.

وكانَ مُحقّا، فقد ولدتْ آن حامِلةً للنّور. وعندَما تتواصلُ معَ أيِّ أحدٍ، فإنّ ضحكتَها وكلماتِها تكون مِثْلَ أشعّةِ الشّمْس. أمّا منْ يتلقّاهَا، فإنّهُ يَرَى حياتَهُ تمتلئُ بالأملِ والسّعادةِ، خاصّةً في اللّحظةِ ذاتِها الّتِي تسطعُ فيها.

نهضَ جيلبرت بندمٍ:

- حسنًا، يجبُ أنْ أذهبَ إلى بيتِ عائلةِ ماكفارسون. لقد عادَ مودي سبورجون منْ جامعةِ «كوينز» اليومَ لقضاءِ يومِ الأحدِ، وجاءنِي بكتابٍ اقترضتُه منْ أُستاذِي السّيّدِ بويد.

- وأنا عليّ إعدادُ شايِ ماريلّا. فقدْ ذهبتْ لزيارةِ السّيّدةِ كيت هذا المساءَ، وسوْفَ تعودُ قريبا.

عنْدَ عودةِ ماريلّا، وجدتِ الشّايَ جاهزًا، والنّارَ تحترقُ ببهجةٍ فوقَ الطّاولةِ المزيّنةِ بالسّرخسِ المكسوِّ بالصّقِيعِ وأوراقِ القيقبِ الحمراءِ الدّاكنَة. كما فاحتْ روائحُ الخبزِ المحمّصِ ولحمِ الخنزيرِ المدخّنِ في كاملِ أرجاءِ البيْت. فجلستْ على كرسيِّها مُتنهِّدةً بعُمْق.

سألتْها آن بقلقٍ:

- هل تزعجُكِ عينَاك؟ هل تُعانِينَ منَ الصّداعِ؟

- لا إنّي مرهقةٌ فحسْبُ، وقلِقةٌ بخُصُوصِ ماري والأطْفال. إنّ وضعَها يسوءُ أكثرَ فأكثَر. لنْ تعيشَ أكثَرَ، وأتساءلُ عنْ مصيرِ التّوأَم.

- ألمْ يرسِلْ خالُهما أيَّ إشارةٍ علَى الحيَاة؟

- نعم، تلقّتْ ماري رِسالَةً مِنْهُ، أخبرَها فيها أنّهُ يعملُ فِي مُعسْكرٍ للحطّابِينَ، وأنّ «الأوضاعُ تغلِي»، إذا فهمتِ مقصَدَه. وفِي كلِّ الأحوالِ، يدّعِي أنّهُ منَ المستحيلِ أنْ يأخذَ الأطفالَ قبْلَ الرَّبِيع، ويقول إنّه سوفَ يتزوّجُ فِي تلكَ الفترةِ، وسيكونُ لهُ بيتٌ لاستقبالِهما. ولكنّهُ يرغَبُ فِي أنْ تطلبَ منَ الجيرانِ الاهتمامَ بِهما خِلالَ الشّتاء. لمْ تجرؤْ ماري على طلبِ ذلكَ مِنْ أَحَد. فالصّحيحُ أنّها لمْ تَحظَى مُطلقًا بعلاقاتٍ جيّدةٍ معَ سكّانِ «إيست غرافتون». وكخلاصةٍ للأمرِ يا آن، أنا متأكّدةٌ منْ أنّ ماري تريدُ أنْ تعهدَ إلَيّ برعايةِ التّوأم. لمْ تقلْ ذلكَ مُباشرةً، لكنّ عينيْها قالتَاه.

قالتْ آن بحماسٍ، وهيَ تشبكُ يديْها:

- أوه! وسوفَ تقبلينَ بهذا، أليْسَ كذلِك؟

أجابتْ ماريلا بنبرةٍ لاذعةٍ بعْضَ الشّيءِ:

- لمْ أتّخذْ قراري بعْدُ، أنا لا أندفِعُ مثلَكِ يا آن. فأبناءُ العمِّ والخالةِ أقرباءُ منَ الدّرجةِ الثّالِثَة. وليستْ صلةُ القرابةِ الّتِي

تربطنا بهم ذاتَ معنًى كبير. فضلًا عنْ أنّ الاهتِمامَ بطفليْنِ في السّادِسةِ مسؤوليّةٌ مريعةٌ، وخصوصًا وهما توأم.

- بلْ الأمرُ مُهِمٌّ جِدًّا، خصوصًا عندَما يتعلّقُ بتوأمٍ واحدٍ فقَطْ، وليْس بتوأميْن أوْ أكثر. فعندَما يكون لديكِ توأمانِ أو ثلاثةٌ يُصْبِحُ الأمرُ أكثر رَتَابَة. وأعتقدُ أنّكِ ستبتهجِينَ بأنْ يكونَ لديكِ شيءٌ مّا تُرَوِّحِين بهِ عنْ نفسكِ عندَما أكونُ فِي المدْرَسة.

- لا أنتظرُ أنْ يحْمِلَ لِي هذا الكثيرَ منَ المُتْعةِ، بل الحيرةَ والانزعاجَ أكثرَ منْ أيِّ شيءٍ آخر. في اعتقادِي، سيكونُ الأمرُ أقلَّ مُجازَفةً إذا كانا فِي مِثْلِ سنّكِ حين أخذْتُك. ليستْ دورا منْ يُقلِقُنِي، فهي تبدُو لطِيفةً جدًّا وهادِئَة. ولكنْ، دايفي هذَا، شيْطانٌ صغِير.

تحبُّ آن الأطفالَ كثيرًا، لذلك رقَّ قلبُها وهيَ تفكّرُ فِي توأمِ كيت. فضلًا عنْ أنَّ ذكرى طفولتِها المُهمَلَةَ ماتزال حيّةً بداخلِها. ولطالمَا عرفتْ أنَّ نقطةَ ضعفِ ماريلّا هيَ تفانِيها الصّارمُ تُجاهَ ما تعتقدُ أنّهُ واجبُها، وهي تختارُ حُجَجَها ببراعةٍ وفقَ هذَا المنْطِق.

- إذا لمْ يكنْ دايفي عاقِلًا، فإنّ هذا سببٌ كافٍ كيْ يتلقَّى تعليمًا جيّدًا، أليْسَ كذلكَ يا ماريلّا؟ إذا لمْ نستقبلْهما نحنُ، فلنْ نعرِفَ منْ سيستقبِلُهما، ولا أيَّ تأثيراتٍ سيتلقّوْنَها. افتَرِضِي أنْ يصِيرُوا مثلًا جيرانَ السّيّدةِ كيت المقرّبين، أيْ جيرانَ عائلةِ سبروت. تقولُ السّيّدةُ لِيند إنَّ هنري سبروت هو

منْ أكثرِ رجالِ الأرضِ شرًّا، ولا يمكنُ أبدًا تصديقُ كلمةٍ واحدةٍ منْ كلماتِ أبنائِه. سيكونُ مريعًا تلقّي التّوأمِ تعليمًا كهَذا، أليْسَ كذلك؟ هلْ تتخيّلينَ أنّهُم يذهبُونَ إلى العيشِ معَ عائلةِ ويغينز. فحسْبَ السّيّدةِ لينِد، يبيعُ السّيّدُ ويغينز هذه الأيامَ كلَّ ما بإمكانِهِ بيعَه، ليطْعِمَ عائلتَه حليبًا مقشُودا. ولنْ تُحبِّي مطلقًا أنْ يعانيَ أقرباؤُكِ مِنَ الجوعِ، حتّى وإنْ تعلّقَ الأمرُ بأبناءِ عمومةٍ منَ الدّرجةِ الثّالثةِ، أليس كذلك؟ أعتقدُ أنَّ منْ واجبِكِ استقبالُهما يا ماريلّا.

وافقتْ ماريلّا بسَحْنَةٍ داكِنَةٍ:

- أعتقدُ أنّي سأفعلُ. سوفَ أعِدُ ماريلا دونَ شكٍّ أنّي سآخذُهما. ولكنَّ إظهارَ البهجةِ لنْ يُجْدِيَ فِي شيءٍ يا آن. فهذَا يعنِي الكثيرَ منَ العملِ الإضافيِّ بالنّسبةِ إليك. وبما أنَّ حالةَ عينيَّ لا تسمحُ لِي بالخياطةِ، فسوف تكونين مسؤولةً عنْ خِياطةِ ملابسِهما وإصلاحِها، وأنتِ لا تُحبِّينَ الخِياطَة.

وافقتُ بهدوءٍ:

- نعمْ أكرهُ هذا. ولكنْ، إذا شعُرتِ بالرّغبةِ فِي الاهتمامِ بهذيْن الطّفليْن لاعتقادِكِ أنَّ هذا واجبُكِ، فسوف أخيطُ لهُما بطريقتِكِ نفسِها. فمنَ الجيّدِ دومًا القيامُ بأشياءَ لا نحبُّها، ولكنْ، باعتدالٍ طبْعا.

(8)
ماريلا تتبنّى التّوأمَ

جلستِ السّيّدةُ راشيل ليند إلى نافذةِ مطبخِها، تخيطُ لحافًا، تمامًا مثلَما كانتْ تفعلُ منذُ سنواتٍ، بينما نزلَ ماثيو كثبرت منَ التّلّةِ صحبةَ طفلٍ ستلقبّهُ السّيّدةُ راشيل بـ«يتيمِه المستورد». وقعَ هذا الحدثُ ربيعًا، وها نحن الآن فِي نِهَايَةِ الخَرِيف، حيثُ فقدتْ كلُّ الأشجارِ أوراقَها، واكتستِ الحقولُ الجّافّةُ بلونٍ بنّيّ.

أوشكتِ الشّمسُ بلونِها الأرجوانيِّ الكبيرِ على المَغِيبِ وراءَ كتلةٍ منَ الغاباتِ الدّاكنةِ شرقَ «آفونلي»، عندما ظهرتْ عربةٌ مجرورةٌ بجوادٍ بنّيٍّ ضخمٍ وهي تنزلُ منَ التلّة. نظرتِ السّيّدة راشيل نَحْوَها بفضول. ثمّ قالتْ لزوجِها الممدّدِ على أريكةِ المطبخِ:

- إنّها ماريلّا، وهيَ عائدةٌ منَ الجنازة.

تمدّدَ السّيّدُ توماس ليند أكثرَ فأكثرَ علَى الأريكةِ، ولكنَّ السّيّدةَ راشيل الّتِي لا يفوتُها أيُّ شيءٍ ممّا يحدثُ خارجَ بيتِها، لمْ تلاحظْ ذلكَ بعْدُ، فأردفتْ:

- والتّوأمُ معَها، نعمْ، ذلكَ هو دايفي يتدلّى منْ فوقِ غطاءِ العربةِ، ويمسكُ بذيلِ المُهرِ، وماريلاّ تشدّهُ إلى الوَراء. أمّا دورا، فتجلسُ على المقعدِ بكامِلِ فتنتِها. تبدُو دومًا

وكأنّها قد غُطِّستْ في النّشاءِ وكُوِيَتْ بمِكْوَاة. أوه يالماريلّا المسكينةِ!، سوف يكونُ عليْها القيامُ بمهامَّ عديدةٍ خِلالَ هذا الشّتاءِ، لا شكَّ فِي ذلك. ومع ذلك، لا أَرى أيَّ شيءٍ يمنعُها منْ استقبالِها، ففِي هذه الحالةِ، سوف تعوّلُ على آن كيْ تساعِدَها. لا بُدَّ أنَّ آن فخورةٌ بكلِّ هذهِ الحكايةِ، ولا بُدَّ أنْ أعترفَ بأنّها بارعةٌ جدًّا معَ الأطْفَال. يا إلهِي، يبدُو وكأنّ يومًا واحدًا مرَّ على إحضارِ آن نفسِها ماثيو المسكينَ إلَى البيتِ. يومَها، ضحِكَ الجميعُ على فكرةِ أنْ تربّيَ آن طِفْلا. وها هيَ الآنَ تتبَنَّى توأما. تظلُّ الحياةُ تحتفظُ لنَا بالمُفاجآتِ حتّى موتِنا. مكتبة سُر مَن قرأ

رَكَضَ المُهرُ السّمينُ على جسرِ «ليندز هولو»، ثمّ علَى الطّريقِ المؤدِّي إلى «غرين غابلز». كانتْ تعابيرُ وجهِ ماريلّا حادّةً بعضَ الشَّيْء. فقدْ مرّتْ عشرةُ أميالٍ منذُ تجاوزُوا «إيست غرافتون»، وبدَا أنّ دايفي عاجزٌ عنِ التّوقّفِ عنِ الحَرَكة. ومنْ ثمَّ ظلّتْ منفعلةً طَوَالَ الطّريقِ، لأنّها لمْ تفلحْ فِي جعلِه يَهْدَأ، كما ظلّتْ خائفةً منْ أنْ يسقطَ خلفَ العربةِ، ويكسرَ عنُقَهُ، أو ينزلَ مِنْ غِطاءِ المقْعدِ ليجدَ نفسَهُ تحْتَ حوافرِ المُهْر. وبيأسٍ، هدّدتْ دايفي بأنْ يتلقَّى عِقابًا شديدًا عندما يصلُونَ إلَى البيْت. استندَ دايفي على ركبتيْه، ورمى بذراعيْهِ المكتنزيْنِ حول رقبتِها، وعانقَها عِناقًا كبيرا. وقال وهو يقبّلُها قبلةً حميمةً على خدِّها المجعّدِ:

- لستِ جادَّةً في الأمرِ، فأنتِ لا تبْدِين سيّدَةً تستطيعُ أن تعاقِبَ طفلًا صغيرًا لأنَّه لمْ يبقَ عاقِلا. ألا تجدِين أنّ عدمَ

الحركةِ شكّل بالنّسبةِ إليكِ أمرًا مستحيلًا عندَما كنتِ فِي مثلِ سِنّي؟

أجابتْ، محاولةً الحفاظَ عَلَى نبرةٍ جادّةٍ، بالرّغم منْ أنّها أحسّتْ بقلبِها يذوبُ بفعلِ مداعباتِ دايفي العفوِيّة:

- لا، كنتُ أتكبّدُ عناءَ البقاءِ هادئةً عندَما يُطلبُ مِنّي ذلك.

أكّد دايفي الّذِي عادَ إلى مكانِهِ متلوّيًا:

- حسنًا، أعتقدُ أنَّ السّببَ هو أنّكِ بنتٌ. لقد سبقَ وكنتِ بنتًا فِي ما مضَى على ما أعتقدُ. ومجرّدُ التّفكيرِ فِي هذا أمرٌ مرحٌ جِدّا. تستطيعُ دورا البقاءَ عاقلةً، ولكنّ هذا ليْسَ ممتعًا فعلًا، على ما أعتَقِد. أظنُّ أنَّ كلَّ شيءٍ يكونُ بطيئًا عندَما يتعلّقُ الأمرُ بالفَتيَات. حسنًا يا دورا، سوفَ أوقظُكِ بعضَ الشّيْء.

وكيْ «يوقظ» أختَهُ، كانتْ تقنيتُهُ تعتمدُ على ثَنيِ تجاعِيدِ شعرِها بيْنَ أصابِعه، وجذبِها. صرختْ دورا، ثمّ بدأتْ تبْكي.

صرختْ ماريلّا فاقدةً الأملَ:

- لماذا تتصرّفُ بكلِّ هذا الشّرِ، بينَما دفنّا أمّكَ للتّوّ؟

أجاب دايفي بوثوقٍ:

- ولكنّها كانتْ سعِيدةً لأنّها تمُوت. أعرفُ هذا، لأنّها أخبرتْنِي بِه. لقدْ أنهَكَها المَرضُ للغايةِ. دارتْ بيننا محادثةٌ طويلةٌ ليلةَ قبْلَ وفاتِها. وأخبرتنِي بأنّكِ سوْفَ تتعهّدِين بنا خِلالَ الشّتاء، أنا ودورا، وأنّهُ يجبُ عليَّ أنْ أكونَ ولدًا جيِّدا. سوف أكون ولدًا جيِّدا. ولكنْ مثلما بإمكانِي أنْ أكونَ كذلك وأنا

جالسٌ، أستطيعُ أيضًا أن أكون ولدًا جيّدًا وأنا أركضُ، أليْس كذلك؟ كما أوصتنِي بأنْ أتصرّفَ بلطفٍ دومًا مع دُورا، وأنْ أدافعَ عنْها، وهذا ما سوفَ أقُومُ بِه.

- هل تعتبرُ أنّكَ لطيفٌ بشدِّها منْ شعرِها هكذا؟

أجابَ رافعًا قبضتيْه، ومقطِّبًا حاجِبيْه:

- حسنًا، لنْ أتركَ أيَّ شخصٍ آخرَ يفعلُ هذا لَها. فليحاوِلُوا ذلك وسوفَ يروْن. لم أتسبّبْ لها بألمٍ كبيرٍ، لقد بكتْ فقَطْ لأنّها امرأَة. أنا سعيدٌ بأنّي ولدٌ ولكنْ ليْس بأنّي توأم. فجيمي سبروت، عندما تعارضِهُ أختُه يقولُ لها: «إنّي أنا الأكبرُ سنّا، ومن ثمّ، فإنَّ الحقّ معِي» وهذا يفضُّ المشكلةَ. أمّا أنا فلا أستطيعُ قولَ هذا لدورا، وهيَ تواصلُ القيامَ بما يدُورُ فِي رأسِها. تستطيعِينَ ترْكِي أقودُ الحصانَ لوقتٍ قصيرٍ، بما أنّي رجُل.

أخيرًا، تنفّستْ ماريلّا الصُّعداءَ أثناءَ دخولِهم الباحةَ، حيثُ كانتْ ريحُ المساءِ تُثيرُ الأوراقَ الميّتةَ فِي دوّامَات. جاءتْ آن لاستقبالِهم عنْدَ السّياجِ، وحمَلتِ التّوأمَ لتنزِلَهما. تقبّلتْ دورا قبلتَها بهدوءٍ، بيْنَما أحاطَ دايفي عنُقَها وهو يقولُ ببهجةٍ:

- أنا السّيّدُ دايفي كيت.

تصرّفتْ دورا على الطّاولةِ كأنّها امرأةٌ صغيرةٌ، بينما لم تكنْ آدابُ دايفي مَرْضِيّةً بالمرّة.

دافعَ عنْ نفسِه عندما وبّختْه ماريلّا:

- إنّي جائعٌ جدًّا، حتّى يكونَ لي الوقتُ لآكلَ بأدبٍ. ليْس لدورا نصفُ جوعِي مُطلَقا. فكّرِي في التّمرينِ العضليِّ الّذِي قمتُ بِهِ علَى الطّرِيق. إنّ هذه المرطّباتِ لذيذةٌ جدًّا، ومليئةٌ بالخوْخ. وقدْ مرَّ وقتٌ طويلٌ منذ آخر مرّةٍ أكلنا فيها أيَّ مرطّباتٍ فِي البيتِ، لأنَّ أمّي كانتْ مريضةً جدّا علَى إعدادِها، والسّيّدةُ سبروت تقولُ إنّ مجرّدَ إعدادِها لخُبزِنا أمرٌ جيّدٌ فِي حدِّ ذاتِه. أمّا السّيّدةُ ويغينز فلا تضعُ خوْخًا فِي مرطّباتِها مطْلقا. هل بإمكاني الحصولُ على قِطْعةٍ أخرى؟

استعدّتْ ماريلّا لرفضِ الطّلبِ، ولكنّ آن قصّتْ له قطعةً سخيّةً مذكّرةً إيّاه بأنْ يقول «شكرا». وجّهَ لها دايفي ابتسامةً عريضةً فحسبُ وهو يعضّ بكاملِ أسنانِه علَى القطْعة. وعندَما أنْهَاهَا قال:

- إذا أعطيتنِي قطعةً أخرى فسوفَ أقولُ لكِ: شكرا.

قاطعتْهُ ماريلّا بنبرةٍ لا تقبلُ أيَّ إجابَةٍ:

- لا لقد أخذتَ كفايتكَ.

كانتْ نبرةً تعرفُها آن جيّدًا، وسيتعلّم دايفي أيضًا معرفتَها.

غمزَ دايفي آن، ثمّ مالَ على طرفِ الطّاولةِ، وانتزعَ منْ دورا قطعتَها الأولَى الّتِي لمْ تذقْ مِنها قضمةً واحِدَة. فتحَ فمهُ على آخرِه، وابتلعَها دُفعَةً واحِدَة. ارتعشتْ شفةُ دُورا، أمّا ماريلّا فظلّتْ صامِتةً منَ الرّعْب. وفِي الحينِ اكتسَى صوتُ آن بنبرةِ «معلِّمةِ المدْرسةِ»، وصرختْ:

- أوه دايفي، إنّكَ لا تتصرّفُ كجنتلمان!

أجابَ هذَا الأخيرُ ما إنْ نالَ فرصةَ الإجابةِ:

- أعرف، لستُ جنتلمانا.

سألتْهُ آن قانِطةً:

- ولكنْ، ألا تريدُ أن تصبحَ واحدًا؟

- بالفعلِ، ولكنْ، ليْسَ بإمكانِكَ أنْ تكونَ جنتلمانًا قبْلَ أنْ تصيرَ كبيرًا فِي السّنّ.

أجابتْ آن بسرعةٍ، مستغلّةً هذِه الفرصةَ اليائسةَ لتزرعَ حبُوبًا طيّبةً:

- طبْعًا تستطِيع. فبإمكانِكَ أنْ تكونَ جنتلمانًا منذُ الطُفُولَة. والجنتلمانُ لا يفتكُّ شيئًا أبدًا منْ أيدِي النِّسَاء. ولا تنسَ أبدًا أنْ تقولَ شُكْرًا، ولا تشدَّ أبدًا شعْرَ امرَأَة.

أجابَ دايفي بصراحةٍ:

- يبدُو أنّكَ لا تستمتعُ كثيرًا عندما تكونُ جنتلمانًا، حسْبَ ما فهِمْت. أعتقِدُ أنّي سأنتظرُ حتّى أكبرَ لأصبحَ واحدًا.

قصّتْ ماريلاّ قطعةً أخْرَى منَ المرطّباتِ لدورا، ممتثلةً للأمْرِ الواقِع. لمْ تشعرْ في تلكَ اللّحظةِ بأيِّ قوّةٍ لمُواجهةِ دايفي. فالطّريقُ الطّويلةُ، ومراسمُ الدّفنِ، جعلا مِنَ اليومِ صعبًا جِدّا. وفِي تلكَ اللّحظةِ، بدأتْ ترَى المستقبَلَ بيأسٍ كبيرٍ شبيهٍ بيأسِ إليزا أندروز.

ولئنْ لمْ يبدُ الأخَوَانِ التّوأمُ متطابقيْن تمامًا، فإنّهما كانا شقراويْن. تميّزتْ دورا بخصلاتٍ طويلةٍ وحريريّةٍ ومجعّدةٍ ورائعةٍ دومًا، وبعينيْن

بنّيتيْن ممتلئتيْنِ باللّطفِ والرقّةِ، وبأنفٍ مستقيمٍ، وفمٍ مقرُوصٍ بعضَ الشَّيْء. أمّا دايفي فقدِ امتلكَ رأسًا مستديرَةً ممتلئةً بتجعيداتٍ شعرٍ بلونِ القمحِ النّاضجِ، وعينيْن لئيمتيْن برّاقتيْن كعينيْ شيطانٍ صغيرٍ، وأنفًا مثلَ بوقٍ، وفَمًا باسمًا دوْما. بالإضافةِ إلى ذلكَ، كانَ لهُ خدٌّ بغمّازةٍ، وخدٌّ لا شيءَ فيه، وهوَ ما وهبَهُ سَحْنَةً ظرِيفةً، ومرحةً، وغيرَ متماثلةٍ عِنْدَما يضْحَك. إنّ البهجةَ والطّيْشَ يختفيانِ فِي كلِّ زاويةٍ منْ زوايا وجهِهِ الصَّغِير.

قرّرت ماريلّا، معتقدةً أنَّها الطّريقةُ الأمثلُ للتخلّصِ منْهما:

- من الأفضلِ لهما أنْ يخلدا إلى النّوم. سوف تنامُ دورا معِي، وبإمكانِكِ وضعُ دايفي فِي الجناحِ الغربيّ. لا تخافُ منَ النّومِ وحيدًا، أليْس كذلكَ يا دايفي؟

أجابَ هذا الأخيرُ بوثوقٍ:

- لا، ولكنّي لنْ أنامَ الآن.

- أوه ! بلى، سوفَ تنَام.

لمْ تكنْ ماريلّا في حاجةٍ إلى إضافةِ كلمةٍ أخْرى. فشيءٌ مّا فِي نبرتِها كبحَ جماحَ دايفي. أطاعَها، وتبعَ آن إلى الأعْلَى.

اعترفَ لهَا:

- عندما أصبحُ كبيرا، أوّلُ شيءٍ سأقومُ بهِ هو السّهرُ طَوَالَ اللّيلِ لاكتشافِ كيفَ يكونُ الأمر.

بعْدَ سنواتٍ عديدةٍ، سوفَ تتذكّرُ ماريلّا الأسبوعَ الأوّلَ منِ انتقالِ التّوأمِ إلى «غرين غابلز» بقشعريرةٍ كبِيرة، ليسَ لأنّهُ الأسوأ

منِ لاحقِيه، بلْ بسببِ التّغييرِ الّذِي أحدثهُ هذَا الانتِقال. فلمْ يكنْ يمرُّ يومٌ واحدٌ دون أن يرتكبَ دايفي عملًا طائشًا مَّا، أو يخطِّطَ واحِدا. ولكنَّ إنجازَهُ الأكبرَ والجدِيرَ بهذا الاسْمِ، حدثَ بعْد يومَيْنِ فقطْ من قُدومِه. حصلَ ذلكَ في يومِ أحدٍ جميلٍ، ودافِئٍ، ومليءٍ بالضّبابِ والرقّةِ، تمامًا كما يجبُ أنْ يكون عليهِ يومٌ مِنْ أيّامِ سبتمبر. ألبستْهُ آن ثيابَهُ استعدادًا للذّهابِ إلَى الكنيسةِ، بينما اهتمّتْ ماريلّا بدورا. في البِدايةِ، لمْ يرغبْ دايفي فِي سماعِ أيِّ شيءٍ عنْ غسْلِ وجهِه.

- لقد غسلتْهُ لي ماريلّا البارحةَ، وقامتِ السّيّدةُ ويغينز بحكِّي بصابونٍ قاسٍ منْ أجلِ مراسِمِ الدَّفن. وهذا كافٍ لأسبُوع. لا أعرفُ ما الغايةُ مِنْ أنْ تكونَ نظِيفًا بشكلٍ مُرِيع. إنّنا نشعرُ بالرّاحةِ عندَما نكونُ متّسخِين أكثرَ مائة مرّةٍ من شعورِنا بها ونحنُ نِظاف.

قالتْ آن بحِيلةٍ:

- يغسلُ بول آرفنغ وجهَهُ كلَّ يومٍ منْ تِلْقَاءِ نفسِه.

لمْ تمضِ على إقامةِ دايفي في «غرين غابلز» ثمانٍ وأربعِين ساعةً، ومعَ ذلك فقدْ بدأَ بعِبادةِ آن، وكرهِ بول آرفنغ، لأنّهُ سمِعَ آن تمدحُهُ بعْد يومٍ واحدٍ مِنْ قُدُومِه. فإذا كانَ بول آرفنغ يغسلُ وجهَهُ كلَّ يوم، فسيعملُ علَى تسْوِيَةِ الإشكالِ، لأنّه هو، دايفي كيت، سيغسلُ وجهَهُ كلَّ يومٍ أيْضًا، بالرّغمِ منْ أنَّ هذَا يزعجُه علَى نحوٍ قاتِل. ثمّ حثّتْهُ هذهِ القناعةُ نفسُها، على الخضوعِ لكلِّ مراحلِ الحمّامِ الأخْرى. لقدْ

كان يبْدُو ساحِرًا جدًّا عِنْدَما ينتهِي كلُّ شيْء. وطالما شعُرتْ آن بفخرٍ أموميٍّ تقريبًا، وهي تصحبهُ إلى مقصورةِ كنِسيّةِ «كثبرت» القدِيمَة.

تصرّف ديفي بشكلٍ جيّدٍ فِي البدَاية. نظرَ خِفيةً إلى الأولادِ الموجودِين في حقلِ بصرِهِ، محاولًا تخمِينَ بول آرفنغ منْ بينهم. مرَّ النّشيدانِ الأوّلانِ، وقراءةُ الكتاباتِ المقدّسةِ دُون إزْعاج. وعندما وقعتِ الصّدمةُ، كان السّيّدُ آلان يتلُو الصَّلاَة. فقدْ جلستْ لوريتا وايت أمامَ دايفي، برأسٍ متدلٍّ بعضَ الشّيءِ، تنزلُ مِنْهُ خصلاتُ شعرِها الأشقر فِي ضفيرتيْن تؤطّرانِ عنُقَها الأبيضَ المُنبثقَ منْ طوقِ الدّانتيلِ الفضْفاض. أغراهُ الهدفُ. فلوريتا فتاةٌ صغيرةٌ، فِي الثامنةِ، بدينةٌ وهادئَة. ولطالما خلتْ آدابُ سلوكِها فِي الكنيسةِ منْ أيِّ عيبٍ، منذُ اليومِ الأوّلِ الّذِي اصطحبتْها فيهِ أمُّها وهيَ رضِيعةٌ فِي الشّهرِ السّادِس.

دسَّ ديفي يدهُ فِي جيبِهِ، وأخرجَ يرقةً نحيلةً تتلوّى. رأتْهُ ماريلّا، وشدّتْهُ، ولكنْ، هيهاتَ، فقد تمكّنَ منْ جعلِها تنزلقُ علَى عنُقِ لوريتا. وفجأةً، انقطعتْ صلاةُ السّيّدِ ألان بمجموعةٍ منَ الصّرخاتِ الثّاقِبة. صمتَ القَسُّ المرعُوبُ، وفتح عينيه. وارتفعتْ كلُّ رؤوسِ الجمْع. بينما قفزتْ لوريتا علَى المقعدِ وهي تحكُّ ظهْرَ فستانِها باضطرَاب.

– أوه!.. ماما.. ماما.. أوه!.. انتزعيها.. أوه!.. لقد وضعَها هذا الولدُ الشّريرُ فِي عنُقِي.. أوه!.. ماما إنّها تنزلقُ، أوه أوه أوه !!!

نهضتِ السّيّدةُ وايت بحزمٍ، واصطحبتْ ابنتَها المتلوّيةَ بهستيريا إلى الخارِج. تبدّدتِ الصّرخاتُ بعيدًا، واستطاعَ السّيّدُ آلان مواصلةَ شعائِرِه. ولكنّ الجميعَ كانوا يشعرُونَ بأنّ هُناك أمرًا مّا خاطئًا فِي ذلك اليوْم. فللمرّةِ الأُولى فِي حياتِها، لم تنتبهْ ماريلّا إلى النّصِّ المقدّسِ، بينما ظلّتْ آن جالِسةً ومحمرّةً منَ الخَجل.

وبعْدَ العودةِ إلى البيتِ، أرسلتْ ماريلّا دايفي إلَى الفِراشِ، ومنعتهُ منَ الخُروجِ قبْل الغَد، كما رفضتْ تقدِيمَ العشاءِ لهُ، ولم تسمحْ لهُ سِوى بوجبةٍ صغيرةٍ منَ الخبْزِ والحَليب. أحضرتْ له آن الطّبَقَ، وجلستْ إلى جانبِهِ بحزنٍ، بينما انبرى يأكلُ بشراهةٍ، دُونَ إبداءِ أيِّ أسَف. ولكنَّ حزنَ آن الكبيرَ أدخلَ عليْهِ اضطِرابًا شدِيدًا.

قال بتأمّلٍ:

- أعتقدُ أنّ بول آرفنغ ما كان سيضعُ أبدًا يرقةً فِي عنُقِ فتاةٍ فِي الكنيسةِ، أليس كذلك؟

أجابتْ حزِينةً:

- لا، ما كان سيفعلُ ذلك.

اعترفَ دايفي:

- حسنًا، أنا آسفٌ لأنّي قمتُ بهَذا. ولكنّها كانتْ يرقةً ضخمةً وجمِيلة، وجدتُها فِي شرفةِ الكنيسةِ أثناءَ مجيئِي. كان منَ المؤسِفِ تركُها. أخبرينِي، لمْ يكنْ سماعُ تلكَ الفتاةِ تصرخُ أمرًا مرحًا، أليْسَ كذلك؟

في ظهيرةِ يومِ الثّلاثاءِ، اجتمعتْ جمعيّةُ المُساعَدَةِ في «غرين غابلز». سارعتْ آن بالعودةِ منَ المدرسةِ لأنّها تعرفُ أنّ ماريلّا ستحتاجُ مساعدتَها كثيرا. جلستْ دورا في الصالونِ معَ أعضاءِ الجمعيّةِ، جميلةً ونظيفةً في فستانِها الأبيضِ المكويِّ جيّدًا، وبحزامِها الأسْوَد. أجابتْ بأدبٍ بالغٍ كلّما توجّهَ إليْهَا أحدٌ بالسّؤالِ، ولزمتِ الصّمتَ إذا لمْ يتوجّهْ إليْها أحدٌ بالكلام. وظلّتْ تتصرّفُ كطفلةٍ مثاليّةٍ. أمّا دايفي، المسوّدُّ منْ رأسِه حتّى أخمصِ قدميْهِ، فقد صنعَ كعكاتٍ منَ الطّينِ في الإسطبل.

شرحتْ ماريلّا بسأمٍ:

- لقد سمحتُ له بذلك، إذْ فكّرتُ في أنّ هذا سيمنعُه منَ القيامِ بحماقاتٍ أسوأ، وفي أنّه بلعبِهِ في الطّينِ، لن يُوسِّخَ إلاّ نفسه. سوف نُنْهِي تناولَ شايِنا قبْلَ أنْ نقدّمَ إليْهِ شايَه. تستطيعُ دورا أنْ تتناولَ الشّايَ معَنا، ولكنّي لا أجرؤُ أبدًا علَى السّماحِ لهُ بالجلوسِ إلى الطّاولةِ وكلُّ أعضاءِ الجمعيّةِ مجتمعون.

عندَما ذهبتْ آن لاستقبالِ الضّيوفِ، لاحظتْ أنّ دورا اختفتْ منَ الصّالون، فأخبرتها السّيّدةُ جاسبر بيل أنّ دايفي نادَاها مِنْ بابِ المدْخَل. وبعدَما استشارتْ ماريلا بسرعةٍ، قرّرتْ أنّ بإمكانِ الطّفلينِ تناولَ الشّايِ معًا لاحِقا.

وفي وسَطِ تناوُلِ الوَجْبَةِ، ظهرتْ فجأةً قامَةٌ يائِسَةٌ، في قاعَةِ الطّعام. تأمّلتْها ماريلّا وآن بذُعرٍ، وأعضاءُ الجمعيّةِ باندِهاش.

هل من الممكنِ أن تكون هذهِ دورا، هذا الشّكلُ الباكِي العصيُّ على الوَصف؟ وظلَّ شعرُها وثوبُها مبتلّيْن، يقطُرانِ على سجّادِ ماريلّا الجديدِ المزيّنِ بدوائِر.

صرخت آن وهي ترمقُ السّيّدةَ جاسبر بيل بنِظرةٍ مُذنبةٍ، فعائلةُ هذِهِ الأخيرةِ تتميّزُ بأنّها الوحيدةُ في العالمِ الّتِي لا تتعرّضُ لحوادِث:

- ماذا حدثَ يا دورا؟

- نشجتِ الصّغيرةُ:

- جعلني دايفي أسيرُ على سياجِ حظيرةِ الخنازير... لمْ أرغبْ بفعلِ هذا. لقدْ نعتَنِي بالدّجاجةِ المبتلّة. إذْ لمّا سرتُ على السّياجِ سقطتُ فِي حظيرةِ الخنازيرِ، فاتّسخَ فستانِي، وقفزَ الخنزيرُ فوقي. لقد صارَ فستانِي فِي حالةٍ مريعةٍ، وقال دايفي إنّي إذا وقفتُ تحْتَ مضخّةِ الماءِ، فسوفَ ينظفُ. وهذا ما فعلتُهُ. ومع أنّ ماءها نزل فوقي، فقدْ ظلَّ فستاني متّسخًا، وأُتْلِفَ كلٌّ منْ حزامِي الجميلِ وحذائِي تمَاما.

اهتمّتْ آن بمفردِها بآدابِ الجلوسِ خلالَ بقيّةِ جلسةِ الطّعامِ، بينما صعدتْ ماريلّا مع دورا حتّى تغيّر لَها ملابسَها. تمّ القبضُ على دايفي، وإرسالُه إلى الفراشِ دُون عَشاء. وعنْد الغروبِ، صعدتْ آن لتراهُ في غرفتِه، وأجرتْ معهُ محادثةً جادّة. لقد كانتْ لها ثِقةٌ كبيرةٌ فِي هذِه الطّريقةِ، رغم أنّها فِي النّهايةِ، لمْ تعطِ نتائجَ جيّدةً إلى حدِّ الآن. اعترفتْ له بأنَّ سلوكَه يخذلُها كثِيرا.

اعترف دايفي:

- أنا أيضًا نادمٌ الآن. ولكنَّ الإشكالَ أنّي لا أندمُ أبدًا قبْلَ القيامِ بالفِعل. لمْ تُردْ دورا مُساعدتِي على صنعِ كعكاتٍ، لأنّها لم تردْ توسيخَ ملابِسِها، وقد أغضبنِي هذا جدّا. أعتقدُ أنّ بول آرفنغ ما كان سيجعلُ أختَه تسيرُ على سياجِ حظيرةِ الخنازيرِ، إذا كان يعرفُ أنّها ستسقطُ داخلَها، أليس كذلك؟

- لا، ما كان سيفكّرُ في ذلك على الإطلاقِ، فبُول جنتلمانٌ صغيرٌ مثاليّ.

أغلقَ دايفي عينيْهِ، وبدا لوهلةٍ أنّه يتأمّلُ، ثمّ تسلّقَ جسدَ آن، وأحاطَ عنُقَها بذراعيْهِ، مخبّئًا وجهَهُ الأحمرَ الصّغيرَ في كتفِها.

- آن، هل تحبّينني ولو قليلًا، حتّى وإن لم أكنْ طفلًا جيّدًا مثْلَ بُول؟

أجابتْ بصدقٍ، فعلى نحوٍ مّا، لا يمكنُ أبدًا الهروبُ منْ حبِّ دايفي:

- بالطّبعِ أحبُّك. ولكنّي سأحبّكَ أكثرَ لو كنتُ أقلَّ شرّا.

تابعَ دايفي بصوتٍ مخنُوقٍ:

- لقد... لقد قمتُ بشيءٍ آخر اليوم. أنا نادمٌ الآنَ، ولكنّي خائفٌ جدًّا منْ إخبارِكِ ما هو. لنْ تكوني غاضبةً جدًّا، أليس كذلك؟ ولن تقولِي هذا لماريلا، ها؟

- لا أعرفُ يا دايفي، ربّما سيكونُ عليَّ إخبارُها. ولكنْ أعتقدُ أنّ بإمكاني أنْ أعدكَ بأنّي لنْ أتكلّمَ، إذا مَا وعدتنِي بأنّكَ لنْ تعيدَ الكرّةَ ثانيةً، مهما كان ما فعلتَه.

- لا، لنْ أقومَ بهذا مرّةً أخرى. وفِي كلِّ الأحوالِ، أعتقدُ أنّي لنْ أجدَ ذلك الشّيءَ مرّةً أخرى هذِه السّنَة. لقدْ وجدتُهُ فِي دُرْجِ القبو.

- دايفي! ماذا فعلت؟

- لقد وضعتُ ضفدعًا فِي سرِيرِ ماريلّا. تستطيعين الذّهابَ لأخذِهِ إذا أردْتِ، ولكنْ أخبِرينِي يا آن، هلْ سيكونُ أمرًا مرِحًا إن تركتُه هُناكَ، ها؟

- دايفي كيت!

تخلّصتْ آن منْ ذراعيْ دايفي، وسارعتْ فِي الرّدهةِ، راكضةً نحْوَ غرفةِ ماريلّا. وجدتِ الفراشَ متجعّدًا بعضَ الشّيء، فأبعدتِ الأغطِيةَ بسرعةٍ: كان الضّفدعُ هُناك فعلًا، يغمزُ بعينيْهِ نحوَها منْ تحتِ الوِسَادَة.

همستْ آن مرتعشةً:

- كيف سأُخرِجُ هذا الشّيءَ المُرِيع؟

مثلتْ أمامَها مِجرفةُ المِدفأةِ منْ تلقاءِ نفسِها، فتسلّلتْ إلى الأسفلِ لإحضارِها، بينما ماريلاّ منشغلةٌ فِي قاعةِ الطّعَام. اتّضحَ أنَّ إنزالَ الضّفدعِ سيّءٌ وصعبٌ، فقد قفزَ ثلاثَ مرّاتٍ خارجَ المجرفةِ، وخِلالَ مرّةٍ، ظنّتْ أنّها فقدتهُ فِي الرّدْهة. وعندما وضعتهُ في النّهايةِ فِي بستانِ الكَرَزِ، تنفّستِ الصّعَدَاء.

- لو عرفتْ ماريلّا بهذَا، فلنْ تتمكّنَ على الإطلاقِ منَ الذّهابِ إلى فراشِها والنّومِ فِي مأمنٍ بعْدَ الآن. لحُسنِ الحظِّ أنّ ذلك

الوغدَ الصّغيرَ تابَ فِي الوقتِ المناسِب. ها هي ديانا تلوِّحُ لِي منَ النّافذة. أنا في حاجةٍ فعليّةٍ إلى التّرفيهِ عنْ نفْسِي. فتحمّلْ أنطوني باي فِي المدرسةِ، ودايفي كيت في البيتِ، خِلالَ اليومِ نفسِه، يشكّلُ امتِحانا أكثرَ منْ كافٍ للأعصابِ.

(9)
مسألةُ لونٍ

صرخَ السّيّدُ هاريسون:

- هذه المصيبةُ العجوزُ الملقّبةُ براشيل لِيند جاءتْ مرّةً أخرى اليومَ لتبتزّني. وفي هذه المرّةِ، تريدُ الاحتيالَ عليَّ في مالٍ لشراءِ سجّادةٍ لقاعةِ الاجتماعاتِ فِي الكنِيسَة. لا أكرهُ أحدًا مثلما أكرهُ هذهِ المرأة. إنّ بإمكانِها اختزالَ موعظةٍ كاملةٍ، أو نصٍّ، أو تعليقٍ، أو تطبيقٍ، فِي ستِّ كلماتٍ، ثمّ تلقِيه على وجهِكِ مثْلَ آجرّة.

وهيَ جاثمةٌ على طرفِ الشّرفةِ، أدارتْ آن منْ فوقِ كتِفها رأسًا حالِمةً. كان مغيبُ شهرِ نوفمبر رماديّا، تعزفُ فيهِ ريحُ الشّرقِ الهابّةِ برقّةٍ عبْر الحقلِ المحروثِ حديثًا، أنشودةً أصيلةً صغيرةً، عَلى شجراتِ السّرخسِ الكثيفةِ في الحدِيقَة.

لاحظتْ:

- المشكلةُ أنّك والسّيّدةَ لِيند لا تتفاهمان. المؤسفُ دومًا، عندما يكرهُ النّاسُ بعضهم بعضًا، هو سوءُ التّفاهُم. أنا أيضًا لمْ أُحِبَّ السّيّدةَ لِيند فِي البِدايةِ، ولكنّي تعلّمتُ أنْ أحبَّها منذُ بدأتُ أفهمُها.

دمْدمَ السّيّدُ هاريسون:

- بإمكانِ بعضِ النّاسِ أنْ يحبُّوا السّيّدةَ ليند. ولكنّي لمْ أبدأْ بأكلِ الموْزِ لأنَّ النّاسَ اقترحُوا عليَّ فعلَ ذلك لأحِبّه. أمّا فِي ما يتعلّقُ بفهمِها، فإنّ كلَّ ما أراهُ أنّها ذبابةٌ فِي حساءٍ، وهذَا ما أخبرتُها به.

صرختْ آن بنبرةٍ لائِمةٍ:

- أوه، لا بدَّ أنّكَ جعلتَها تتألّمُ كثِيرا. كيفَ أمكنكَ قولُ شيءٍ كهذا؟ لقد قلتُ أشياءَ مريعةً للسّيّدةِ ليند سابقًا، ولكنّها انفلتتْ تحتَ تأثيرِ الغَضَب. ما كنْتُ سأفعلُ ذلك عنْ دراية.

- كانت تلك هي الحقيقةُ، وأنا مع فكرةِ قوْلِ الحقيقةِ للجمِيع.

- ولكنّك لا تقولُ كلَّ الحقِيقَة. إنّك لا تختارُ سوى الجزءِ السّيّءِ فِي الأمْر. مثلا، قد ذكرتَ مرّاتٍ عديدةً أنّ شعْري أصهبُ، ولكنّكَ لمْ تذكرْ قطُّ أنَّ أنفي جميل.

دمْدَم السّيّدُ هاريسون:

- على الأرجحِ، لستِ في حاجةٍ إلى سماعِ هذا كيْ تعرفِيه.

- أعرفُ حتمًا أنَّ شعْري أصْهَب، وأنّه صار داكنًا أكثرَ منَ الماضِي. ومنْ ثمَّ منْ غيْر الضّروريِّ الإصرارُ على هذه النّقطة.

- حسنًا، حسنًا، سوفَ أحاولُ ألاّ أتحدّثَ في هذا مرّةً أخرى، بما أنّكِ حسّاسةٌ إلى هذِه الدّرجة. عليكِ أن تسامحيني يا آن، لقد تعودتُ على الصّراحَة. لا تولِي اهتمامًا كبيرًا لهذا.

- ولكنّي لا أستَطِيع. ولا تعتقدْ أنّكَ تبرّرُ لنفسكَ بقولِ إنَّ هذِه عادتُك. ماذا تعتقدُ فِي شأنِ شخصٍ يغرسُ المسامِيرَ والإبرَ فِي جلدِ النّاسِ، وهو يقولُ: «المعذرةَ، لا تهتمّوا لهذا، إنّها عادَتِي»، سوفَ تحكمُ عليْه بأنّه مجنونٌ، أليْس كذلك؟ ربّما لمْ تخطئْ في نعتِ السّيّدةِ ليند بأنّها ذبابةٌ حساءٍ، ولكنْ، ألمْ تلاحظْ أنّ لها قلبًا كبيرًا، وأنّها تساعدُ الفقراءَ، وأنّها غضّتِ النّظرَ عنْدما سرقَ تيموثي كوتون جرّةَ الزّبدةِ منْ محلِّ ألبانِها وأخبرَ زوجتهُ أنّهُ اشتَراها؟ فعندما اعترضتْها السّيّدةُ كوتون، وأخبرتْها أنّ لزبدتِها طعمَ اللّفتِ، أجابتِ السيّدةُ ليند ببساطةٍ أنّها آسفةٌ لأنّها كانتْ سيّئة.

اعترفَ السّيّدُ هاريسون على مضضٍ:

- أتخيّلُ أنَّ لديْها بعضَ الخِصالِ. إنّ هذا هو الوضعُ عنْدَ كلِّ النّاس. لديّ خصالٌ أنا أيضًا، لا يمكنُ أن تتخيّليها أبدا. فِي كلِّ الأحوالِ، لنْ أقدّمَ فلسًا واحدًا لشراءِ هذا السّجّاد. لديَّ انطباعٌ بأنَّ النّاسَ يتسوّلون بلا توقّفٍ فِي هذِه المدِينة. ماذا عن مشروعِكِ في إعادةِ طلاءِ المتّسخِ، هل يتقدّم؟

- إنّه يتقدّمُ بشكلٍ مذْهل. ففي اجتماعِنا الأخيرِ كجمعيّة تحسينِ مدينةِ «آفونلي»، قُمْنا بإحصاءِ مبلغٍ كافٍ منَ المالِ تلقّيناهُ منَ المساهِمين، لإعادةِ طلاءِ الصّالونِ، وحتّى تغطيةِ السّقْف. لقد أظهرَ معظمُ النّاسِ كرمًا مُنقَطِعَ النّظيرِ يا سيّدُ هاريسون.

كان قلبُ آن طيّبًا جدًّا، ولكنّ بإمكانِها أيضًا أن تضعَ، عنْدَ الحاجةِ، بعْضَ السّمِّ في عباراتٍ بريئةٍ، وتعوّلُ عليْها مُتعمِّدَة.

- أيّ لونٍ اخترتم؟

- اتّفقنا على لونٍ أخضرَ جميل. أمّا السّقفُ فسيكونُ أحمرَ داكِنًا، بالطّبْع. سوفَ يذهبُ السّيّدُ روجر باي لشراءِ الطّلاءِ منَ المدينةِ اليوم.

- ومنْ سيقومُ بالعَمَل؟

- السّيّدُ جوشوا باي. لقد انتهى تقريبًا منْ وضعِ اللّوحاتِ الخشبيّة. واضطُررْنا إلى إعطائهِ عقْدًا لأنَّ كلَّ آلِ باي، وأقصدُ بذلك العائلاتِ الأربعَ، اشترطُوا تشغيلَ جوشوا كشرطٍ أساسيٍّ لمساهمتِهم. لقد وفّرُوا جميعًا اثنيْ عشر دولارًا، ولمْ نستطعِ السّماحَ لأنفُسِنا بخسارةِ هذا المبلغِ، بالرّغمْ منْ أنّ هُناك بعضَ الأشخاصِ الّذينَ عارضُوا إشراكَ أفرادِ باي في مشاريعِنا. فحسْب السّيّدةِ ليند، سيحاولون ترؤّسَ كلِّ شيْء.

- السّؤالُ الرّئيسيُّ هو معرفةُ ما إذا كانَ سيقومُ بعملٍ جيِّد. إذا كان كذلك، فإنّي لا أرَى أيَّ قلَقٍ في أنْ يُسَمّى باي أو بادنغ.

- إنّه يتمتّعُ بسمعةٍ جيّدةٍ كعاملٍ مُجتهدٍ، بالرّغمِ منْ أنّهُ معروفٌ بغرابةِ أطوارِه. إنّه لا يتحدّثُ مطلقًا تقريبا.

أجاب السّيّدُ هاريسون بجفافٍ:

- لا بدَّ أنّه غريبٌ فعلًا إذن. أنا أيضًا، لم أكنْ ثرثارًا جدًّا قبل

استقراري في «آفونلي». ففي هذه الحِقبةِ فقطْ، اضطررتُ إلى الدّفاع عنْ نفسِي. ولو لم أفعلْ لأعلنتِ السّيّدةُ ليند للجميعِ أنّي فاقدٌ للسّمعِ، ولشرعتْ تجمعُ التبرّعاتِ منْ أجلِ تعليمي لغةَ الإشَارات. هل ستذهبين الآنَ، يا آن؟

- نعم، عليّ الذّهاب. لديَّ ما أخِيطُه لدورا هذا المساء. ثمّ، لا بدَّ وأنّ دايفي يخترعُ مقلبًا مّا فِي هذِه اللّحظةِ، ليُثيرَ غضبَ ماريلا. تخيّلْ أنّه أيقظنِي هذا الصّباحَ ليسألنِي: «أيْنَ اختَفى الظّلامُ يا آن؟ أريدُ أن أعرف». فأخبرتُه أنّهُ ذهبَ إلى الجهةِ الأخرَى منَ الأرضِ. ولكنْ، بعد الفطورِ، قال إنّ هذا غيرُ صحيحٍ، وإنّ الظّلامَ ينزلُ فِي البئر. بعد ذلك، أخبرتنِي ماريلّا بأنّها فاجأتْه أربعَ مرّاتٍ اليومَ، وهو منحنٍ فوقَ البِئر. كان يحاولُ اللّحاقَ بالظّلام.

أكّدَ السّيّد هاريسون:

- إنّه لا يُحْتَمَل. جاءَ إلى هُنا بالأمسِ، بينما كنتُ فِي الإسطبلِ، وانتزعَ سِتَّ ريشاتٍ منْ ذيلِ جينجر، قبْلَ أن أتدخّلَ فِي الوقتِ المناسِب. ظلّ الطائرُ المسكينُ منهارًا منذُ ذلك الوقْت. لابدَّ أنّ هذيْنِ الطّفليْنِ يسبّبانِ لكِ متاعبَ جمّة.

أجابتْ آن، وقد قرّرتْ بينها وبينَ نفسِها أن تغفِرَ لدايفي حماقتَه المقبلةَ بعدَ أنْ انتقمَ لها منْ جينجر:

- كلّ ما يستحقُّ العناءَ، يسبّبُ المتاعِب.

أحضرَ السّيّدُ روجر باي الطّلاءَ إلى بيتِه في ذلكَ المَساء. ومنذ

الغدِ، بدأ جوشوا العابسُ، وقليلُ الكلامِ بالطّلاء. لا أحد أزعجه فِي عملِه. فقدْ بنيتِ القاعةُ على الطّريقِ المُسمّى «الطّريق السّفليّ». وفِي نهايةِ الخريفِ، تصبحُ موحلةً ومندّاة. لذلك، فإنّ النّاسَ القادمِين من «كارمودي» يحبّذونَ إطالةَ المسافةِ، والمجيءَ عبْر «الطّريق العلويّة». فضلًا عن أشجارِ التنّوبِ الّتي تحجبُ الرّؤيةَ، بحيثُ تصعُبُ رؤيةُ القاعةِ، إلاّ على بعد خطوتيْن منْها. لذلك، قام السّيّد جوشوا باي بمهمّتهِ فِي العزلةِ والاستقلالِ العزيزيْن على قلبِه الكارهِ للبشَر.

أنهَى عملَه بعْدَ ظُهرِ الجمعةِ، وعادَ إلى المنزل. وبعد مغادرتِه بقليلٍ، ذهبتِ السّيّدةُ راشيل ليند فِي نزهةٍ لترَى كيْفَ تبدُو الغرفةُ بطبقةِ الطّلاءِ الجدِيدَة. فقد حرّقها الفضولُ إلى درجةِ أنّها تحدّتْ وَحَلَ الطّريقِ السّفليِّ، وبعْدَ أنْ دارتْ حولَ أشجارِ التنّوبِ، رأتْ ما جاءتْ منْ أجلِه.

كان للمشهدِ تأثيرٌ غريبٌ عليْها. فقد أسقطتِ اللّجامَ، ورفعتْ ذراعيْها، وصاحتْ: «بحقِّ السّماءِ!» وظلّتْ تحدّقُ عاجِزةً عنْ تصديقِ عينيْها، ثمّ انفجرتْ فِي ضحكٍ شِبْهِ هستِيريّ.

- لا بدَّ أنّ هُناك خطأً فِي مكانٍ مّا. هذا مؤكّدٌ. أعرفُ أنّ آل باي هؤلاءِ يدمّرونَ كلَّ شيء.

وفي طريقِ عودتِها، التقتِ السّيّدةُ ليند العدِيدَ منَ الأشخاصِ الّذين روتْ لهم اكتشافَها الجدِيد. فانتشرَ الخبرُ مثلَ الغُبار. ومع غروبِ الشّمسِ، كان جيلبرت بليت في بيتِه منهمكًا في دراسةِ نصٍّ، عندما جاءَ موظّفُ والدِه ليخبرَه بالأمْر. فسارعَ نحْوَ غرين غابلز

مصحوبًا فِي الطّريقِ بفريد وايت. قابَلا ديانا باري، وجين أندروز، وآن، عند حاجزِ ساحةِ «غرين غابلز»، تحْتَ أشجارِ الصّفصافِ الضّخمةِ بفرُوعِها العالِيَة، وقدْ كُنَّ اليأسَ متجسِّدًا فِي أشخاص.

تعجّبَ جيلبرت:

- لا يمكن أن يكونَ هذا صحيحًا يا آن.

أجابتْ آن الشّبيهةُ بآلهةِ التّراجيديا:

- ومع ذلك هُو صحِيح. أخبرتْنِي السّيّدةُ ليند عنْدَ عودتِها منْ «كارمودي». أوه !، إنّ الأمرَ مروّعٌ بكلِّ بساطَة. ما الهدفُ منْ محاولةِ تحسينِ شيءٍ مّا؟

- سأل أوليفر سلون القادمُ لتوِّه حاملًا قبّعةً مغلّفةً، أحضرها منَ المدينةِ لماريلّا:

- ما المروّعُ فِي الأمْر؟

تساءلتْ آن بمرارةٍ:

- ألمْ تسمعْ عنِ الأمرِ بعْدُ؟ حسنًا، لقد طلى جوشوا القاعةَ بالأزرقِ عوضَ الأخضرِ، أزرقٍ لامعٍ وداكنٍ، أي اللّونَ المستعملَ في دهنِ العرباتِ المجرورةِ والمدفوعةِ باليد. وادّعتِ السّيّدةُ ليند أنّها لمْ ترَ أو تتخيّلْ أبدًا لونًا أشدَّ بشاعةً منْ ذلك، طُلِيَ به مبنًى، خاصّةً عندما يُلاقِي أحمرَ السّقفِ. عندما سمعتُ هذا، بدا وكأنّ أحدًا مّا أسقطَني أرضًا بنقرةٍ واحِدة. هُناك سببٌ ليكونَ قلبِي مُنكسِرا، بعد كلِّ المعاناةِ الّتي كابدناها.

تذمّرتِ ديانا:

- كيف حدثَ خطأٌ مثلُ هذا؟ في نهايةِ المطافِ، تتحمّلُ عائلةُ باي كلَّ اللّومِ على هذِه المُصِيبة. لقد قرّرَ المحسّنونَ استعمالَ ألوانِ مورتون هاريس الّتي تُرقّمُ علبُها حسْب بطاقةِ ألوانٍ، فيختارُ المستهلكُ اللّونَ الموضوعَ علَى البطاقةِ، ويقدّمُ طلبَه بإعطاءِ الرّقْم. يوافقُ الرّقمُ: 147 اللّونَ الأخْضَرَ المُخْتار. وعندما كلّفَ السّيّدُ روجر باي ابنَه جون أندرو بإعلامِ المُحسّنين أنّه ذاهبٌ إلى المدينةِ لإحضارِ طلائِهم، أخبرَ هؤُلاءِ جون أندرو أنّ الرّقمَ المطلوبَ هو: 147. أكّد جون أنّه أوصلَ الرّسالةَ كما ينبَغِي، ولكنّ والدَه أكّدَ بحسمٍ أنَّ جون أندرو أخبرَهُ أنّ الرّقمَ هو: 157. كمْ تظلُّ الأشياءُ عالقةً هذا اليوم!

في تلك الليلةِ، غرقَ كلّ بيتٍ يأوي فردًا منْ أفرادِ الجمعيّةِ، في قُنوطٍ عمِيق. أمّا في «غرين غابلز»، فقد اشتدَّ الحزنُ إلى درجةٍ جعلتْ دايفي يهدأ. بينما ظلّتْ آن تبْكي. وكانَ من الصّعبِ مواساتُها.

نشجتْ:

- يجبُ أنْ أبكيَ، حتّى وإن كان عمري تقريبًا سبعةَ عشرَ عامًا يا ماريلّا، فالأمرُ مُهينٌ جدّا. إنّ ما حصلَ قرعَ ناقُوسَ الموتِ لجمعيّتِنا. سوفَ نضحكُ على أنفسِنا كثيرًا إلى درجةٍ لنْ نستطِيعَ التوقّفَ بعدها.

ومع ذلك، تسيرُ الأشياءُ، في الحياةِ، كما فِي الأحلامِ، عكسَ ما

نتوجّسُ منْه. فلمْ يضحكْ مُتساكِنُوا «آفونلي» بل غضِبُوا للغايَة. فأموالُهم هي الّتي مكّنت جمعيّةَ تحسينِ المدينةِ منْ طلاءِ القاعةِ، ولهذا السّببِ، أحزنَهم هذا الخطأُ إلى حدٍّ بعِيد. وسرعان ما أصبحتْ عائلةُ جورج باي هدفًا للغضبِ العَامّ. اتُّهِم روجر باي وجون أندروز بعرقلةِ المشروعِ، أمّا جوشوا باي فقد نُعِتَ بالمجنون لأنّهُ لمْ يشكَّ أنَّ هناكَ أمرًا مّا ليس على مَا يُرام عندمَا فتحَ علبةَ الطّلاءِ، ورأَى اللّوْن. ومعَ ذلكَ، عندَما تمّتِ الإشارةُ إلَى الأمرِ أمامَه، أجابَ بأنّ ذوقَ سكّانِ «آفونلي» فِي الألوانِ، أمرٌ لا يعنِيه بالمَرّة. فمهما كان رأيُه في الموضوعِ، فقدْ كُلِّفَ بطلاءِ القاعةِ وليسَ بمناقشةِ الألوانِ. وانتظرَ أن يُدفعَ لهُ مقابلُ عملِه.

وبعْدَ الحديثِ معَ السّيّدِ بيتر سلون، الّذي كانَ مأمورًا، دفعَ لهُ أعضاءُ الجمعيّةِ مستحقّاتِهِ علَى مَضَض. فقد أكّد بيتر:

– عليكم أنْ تدفَعُوا لَه. ليْس بإمكانِكم أنْ تحمّلوهُ مسؤوليّةَ الخطأِ، بما أنّه أكّدَ ألاّ أحدَ أعلمهُ بما يجبُ أنْ يكونَ اللّوْن. فقد تمَّ إعطاؤُهُ علبَ الطّلاءِ، وأُمِرَ ببدءِ العمَل. إنّ هذا عارٌ كبِير، والقاعةُ مرِيعةٌ جدّا.

انتظر أعضاءُ الجمعيّةِ المساكينُ أنّ تغلِيَ «آفونلي» بمزيدٍ من الأحكامِ المسبقةِ ضدّهم، ولكن عوضَ ذلك، انقلبَ التعاطفُ الجمعيُّ إلى صالحِهم. وفكّرَ النّاسُ في أنَّ الفريقَ الصّغيرَ الشّغوفَ والمتحمّسَ الّذِي اشتغلَ بجدٍّ كبيرٍ منْ أجلِ أهدافِه، قد فُهِمَ بشكلٍ سيِّء. شجّعتهم السّيّدةُ ليند على المواصلةِ حتّى يثبِتُوا لعائلةِ باي

أنّ هُناك فعليّا أشخاصًا علَى الأرضِ بإمكانِهم القيامُ بشيءٍ مّا دُونَ إفسادِه. أمّا السّيّدُ ماجور سبنسر فقد كتب لهم يقولُ إنّه سيقتلعُ كلَّ الجذورِ الضّارّةِ على امتدادِ الطّريقِ أمامَ مزرعتِه، وسيزرعُ مكانَها أعشابَ زينةٍ على حسابِه. وجاءتْ السّيّدةُ هيرام سلون إلى المدرسةِ ذاتَ يومٍ، وقامتْ بإشارةٍ إلى آن حتّى تلتحقَ بها عنْد المدْخَلِ حيثُ أخبرتْها أنّه إذا رغبتِ الجمعيّةُ في زراعةِ أرضيّةٍ منْ نباتِ إبرةِ الرّاعِي فِي الرّبيعِ، فليْس على آن الخوف منْ بقرتِها، لأنّها ستحرصُ على حجزِ الحيوانِ النّهّابِ داخلَ حواجزَ صلبَة. وبالرّغمِ منْ أنَّ السّيّدَ هاريسون قد قهقهَ فِي سرِّه، إلاّ أنّه حرصَ على إظهارِ تعاطُفٍ كبيرٍ معَهم:

- لا عليكِ يا آن. فالطّلاءُ يزدادُ قبحًا منْ عامٍ إلى آخر، بعد أنْ يشحَب. ولكنَّ هذا الأزرقَ قبيحٌ إلى درجةِ أنّهُ يحتاجُ إلى إعادةِ طلاءٍ متواصِلة. أمّا السّقفُ فمطلِيٌّ بشكلٍ صَحِيح. ومِنَ المؤكّدِ أنَّ النّاسَ سيجلسونَ في القاعةِ دونَ أن يقطرَ عليهم ماءُ المَطر. وفي جميعِ الأحوالِ، عليكِ أنْ تكوني فخورةً بما قُمْتِ بِه.

لاحظتْ آن بمرارةٍ:

- ولكنَّ القاعةَ الزّرقاءَ ستصبحُ رديفًا لآفونلي فِي كلِّ القُرَى المُجاوِرة.

ويجبُ الاعترافُ بأنَّ هذا ما سيحدُث.

(10)
دايفي يبحثُ عنْ إحسَاسٍ قويٍّ

صادفَ الوقتُ ظهيرةً منْ شهرِ نوفمبرِ، عندما تأكّدتْ آن مرّةً أخْرَى منْ حقيقةِ أنَّ الحياةَ أمرٌ رائعٌ، وهيَ عائدةٌ إلَى البيتِ على طريقِ «درب البتولا». لقد مرّ كلُّ شيءٍ جيّدًا فِي مملكتِها الصّغِيرةِ: لمْ يضربْ سانت كلير دونيل أيَّ ولدٍ بسببِ سوءِ تفاهمٍ يخصُّ لقبَه. أمّا بريلي روجرسون، فقدْ عانتْ من التهابٍ في الأسنانِ نفخَ وجهَها جدًّا إلى درجةِ أنّها لمْ تحاولْ مطلقًا إغراءَ الأولادِ الّذين كانوا حولها. ولمْ تتعرّضْ بربرا شو سِوى إلى حادثةٍ واحدةٍ: فقد دلقتْ إبريقًا منَ الماءِ على الأرضِيّة. بالإضافة إلى أنَّ أنطوني باي قد تغيّبَ عنِ المدْرسة.

قالتْ دونَ أنْ تنجحَ في التّخلّصِ منْ عادتِها الصّبيانيّةِ فِي الحديثِ بصوتٍ عالٍ:

- لقد كان شهرُ نوفمبر هذا رائعًا بكلِّ بسَاطَةٍ، ففي العَادَةِ، يمرُّ شهرُ نوفمبر سيّئًا جدًّا، وكأنَّ السّنةَ تنتبهُ فيهِ فجأةً إلَى أنّها تشيخُ، وإلى ألّا شيءَ يمكنُها القيامُ بهِ إزاءَ هذا عدا البكاءِ والعَذَاب. أمّا هذِه السّنة، فكانتْ تشيخُ بنعمةٍ، تمامًا مثْلَ امرأةٍ عجوزٍ، ووقورةٍ، وواعيةٍ بالسّحرِ الّذِي تمارِسُه، رَغْمَ

تجاعِيدِها وخصلاتِها البيْضَاء. لقد عرفْنَا فيهِ أيّامًا ولحظاتِ غروبٍ لذِيذَة. وانقضى هاذانِ الأسبوعانِ الأخيرانِ منهُ على غايةٍ منَ الهدوءِ، فحتّى دايفي تصرّفَ أثناءَهما علَى نَحْوٍ مقبُولٍ تقرِيبا. وكمْ بدتِ الغابةُ هادئةً هذا اليَوْم، فلا تُسمَعُ فِيها همسةٌ واحِدةٌ، عَدا همساتِ النّسيمِ المُخرخِرةِ في قمَمِ الأشْجار، يذكّرُنا صوتُها بالموجاتِ فِي شاطِئٍ بعِيد. كم أحبُّ الغابةَ، وكم تبدُو أشجارُها جميلةً للغَايةِ، وكم أحبُّ كلَّ شجرةٍ بينَها وكأنَّها صديقةٌ حمِيمَة.

توقّفتْ آن، وعانقتْ شجرةَ البتولا الصغيرةَ والنّحيفةَ، ثمّ قبّلتْ جذعَها الأبْيَض. وما إنْ أطلّتْ ديانا منْ منعطفٍ وشاهَدتْها، حتّى انفجرتْ ضاحِكَة:

- آن شيرلي، أنتِ تدَّعِين فقطْ أنّكِ كبرتِ. أعتقدُ أنّكِ كلّما خلوتِ بنفسكِ، تتصرّفين كالطّفلةِ الصّغيرةِ الّتِي كُنتِها دوْما.

أجابتْ آن بفرحٍ:

- أتعرفين؟ لا نستطيعُ فقْدانَ عادةِ أنْ نكونَ أطفالًا مرّةً واحِدة. هل ترينَ؟ كنتُ صغِيرةً منذُ أربعةَ عشر عامًا، ومرّتْ ثلاثُ سنواتٍ منذُ أنْ كبرْت. أنا متأكّدةٌ من أنّني سوفَ أشعرُ دومًا بأنّني طفلةٌ فِي الغابَة. ويعدّ الحيّزُ الزمنيّ الّذِي تستغرقُهُ العودةُ إلى البيتِ بعْدَ المدرسةِ، الوقتَ الوحيدَ المتوفّرَ لِي كيْ أحلمَ، إذا صحَّ القولُ، فضلًا عنْ نصفِ ساعةٍ

قبْلَ النّوم. فأنا مشغولةٌ جدًّا بالتّدريسِ، والتّعلّم، ومساعدةِ ماريلا على الاهتمامِ بالتّوأم، إلى درجةِ أنّي لا أملكُ لحظةً واحدةً أطلقُ فيها العنانَ لخيالي. وليس لديكِ أيُّ فكرةٍ عنْ كمِّ المغامراتِ الشّيّقةِ الّتي أعيشُها كلَّ ليلةٍ، خلالَ لحظاتٍ. فقبْلَ أنْ أنامَ في فراشي، أتخيّلُ دومًا أنّي شخصٌ لامعٌ جدًّا، ومنتصرٌ، ورائعٌ: أراني أتلقّى جائزةً مّا تجعلُ منّي مشهورةً، أو ممرّضةً في الصّليبِ الأحمرِ أو حتّى ملِكَة. ليلةَ البارحةِ، تخيّلتُ أنّي ملِكَة. وبهذه الطّريقةِ السّحريّةِ يمكننا استخلاصُ كلِّ المتعةِ منَ الأمرِ دونَ أنْ نتعرّض لأيِّ عواقبَ، ويمكنُنا أيضًا إيقافُ هذا السّحرِ متَى أردْنا، وهو أمرٌ مستحيلٌ في حياتِنا الواقعيّة. ولكنْ، هنا في الغابةِ، أفضّلُ تخيّلَ أشياءَ مختلفةٍ جدًّا: أنّي مثَلا حوريّةُ غاباتٍ أعيشُ في شجرةِ صنوبرٍ عمرها قرنٌ كاملٌ، أو أنّي قزمٌ يعيشُ تحْتَ ورقَةٍ جافّة. أمّا شجرةُ البتولا هذِه، الّتِي فاجأتنِي وأنا أقبّلُها، فأتخيّلُها واحدةً منْ أخواتِي. الفرقُ الوحيدُ هو أنّها شجرةٌ، بينما أنا بنتٌ، ولكنْ، ليس هذا بالأمرِ المُهمّ. وأنت، إلى أينَ تذهبينَ يا ديانا؟

- عند عائلةِ ديكنسون، لقد وعدتُ ألبرتا أنْ أساعدَها على خِياطةِ فستانِها الجديد. بإمكانكِ الانضمامُ إليَّ هذا المساء، والعودةُ معي إلى البيت.

أجابتْ آن بنبرةٍ مبالغةٍ في البراءةِ:

- ربّما... بما أنّ فريد رايت قد ذهبَ إلى المدينة.

احمرَّ وجهُ ديانا. أشاحتْ بوجهِها، وواصلتْ طريقَها. ومع ذلك لمْ يبدُ عليْها أيُّ استِياء.

اعتزمتْ آن حقّا زيارةَ عائلةِ ديكنسون فِي تلك اللّيلةِ، ومع ذلك لمْ تفعل. فعندما وصلتْ إلى «غرين غابلز»، كان الوضعُ حرِجًا إلى درجةِ أنّها لمْ ترغبْ في التّفكيرِ فِي الخُروج. إذْ قابلتها ماريلّا في السّاحة بنظرةٍ ضالّةٍ:

مكتبة
t.me/soramnqraa

- آن، لقد فقدْنا دورا!

- فقدنا دورا؟

نظرتْ آن نحو دايفي الّذي يتأرجحُ على حاجزِ السّاحةِ، ولاحظتْ لمْعةَ فرحٍ فِي عينيْه:

- دايفي، هل تعلمُ أين ذهبت؟

أجاب بشكلٍ قاطعٍ:

- لا، لا أعرفُ. لمْ أرَها منذُ العَشاء، أقسمُ بذلك.

فسّرتْ ماريلّا:

- لم أغبْ كاملَ اليوم عدا ساعةٍ تقريبا. فقدْ أصيبَ توماس لينـد بقلقٍ مفاجئٍ، وطلبتْ منّي راشيل أنْ آتيَ فِي الحِين. وعندما خرجتُ، كانت دورا تلعبُ بدميتِها فِي المطبخِ، ودايفي يصنعُ كعكاتٍ منَ الوحلِ وراءَ الإسطبْل. عدتُ منذُ نصفِ ساعةٍ فقطْ، ولم أجدْ لها أيَّ أثرٍ فِي أيِّ مَكَان. ويؤكّدُ دايفي أنّه لمْ يرَها منذُ مغادرتي.

أضافَ هذا الأخيرُ بشكلٍ رسميٍّ أكثر:

- وهذا صحيح.

قالتْ آن:

- لا بدَّ أنّهَا فِي مكانٍ مّا فِي الأرجاء. إنّها لا تبتعدُ مطلقًا بمفردِها، تعرفِين كمْ هي خجُولَة. لا بدَّ أنّها نائمةٌ بداخلِ إحْدى الغرف.

هزّتْ ماريلا برأسِها:

- لقد قلبتُ البيتَ رأسًا على عقِبٍ، ولكنّها ربّما كانتْ داخلَ مبنًى مّا.

تبعَ ذلكَ بحثٌ دقيقٌ جدّا: قلبتِ المرأتانِ المذعورتانِ كلَّ ركنٍ منْ أركانِ البيتِ والسّاحةِ والمبانِي المحيطةِ رأسًا على عقبٍ. وقطعتْ آن البساتينَ والغابةَ صارخةً باسم دورا. وفتّشتْ ماريلا القبو مستضيئةً بشمْعة. أمّا دايفي الّذِي رافقهما بالتّداولِ، فلمْ تكن لديه أيّةُ أفكارٍ عن أمكنةٍ قد تختفِي فيها أختُه. وفي النّهايةِ، التقتا في السّاحة، فاشتكتْ ماريلا:

- إنّه لغزٌ حقيقيٌّ...

قالتْ آن متنهّدةً:

- أينَ بإمكانِها أنْ تكون؟

اقترحَ دايفي ببهجةٍ:

- ربّما سقطتْ فِي البِئر.

نظرت آن وماريلا نحوه مرعوبتين. فلم تكنْ هذه الفكرةُ تفارقهما وهما تبحثان عنها، دون أن تتجرّآ على التّعبير عنها.

وشوشتْ ماريلا آن:

- هذا... ممكن.

سارت آن نحو البئر، وهي على حافّة الانهيار، ثمّ دقّقت النّظر داخله. كان الدّلو موضوعًا على اللّوحة. وفي العمق، رأت وميضًا خافتًا للمياه الرّاكدَة. إنّ بئر عائلة كثبرت أعمقُ بئرٍ في «آفونلي». ماذا لو أنّ دورا... عجزتْ آن حتّى عنْ تصوّرِ هذه الفكرة المحتملة، وعادت مرتجفة.

تضرّعتْ ماريلّا وهي تعضّ على يديْها:

- اركضي بحثًا عن السّيّد هاريسون.

- السّيّد هاريسون والسّيّد هنري غائبان. لقد ذهبا اليومَ إلى المدينة. سوف أذهب للبحثِ عن السّيّد باري.

عادتْ آن برفقةِ السّيّدِ باري، وهو يحملُ لفّةً من الحبلِ، عُلّق في آخرها نوعٌ من المخلب. وبينما انهمك في جرفِ البئر، وقفت آن وماريلّا إلى جانبيه، مرتعدتيْن من البرد والرّعب. أمّا دايفي فقد تابع العمليّة معتليًا الحاجزَ، ومتعةٌ عميقةٌ تلتمعُ على وجهِه. وفي النّهايةِ، رفع السّيّد باري رأسَهُ بسَحنةٍ مرتاحة.

- مستحيل أن تكون في جوف البئر. ومع ذلك، إنّه أمرٌ مُحيّرٌ ألاّ نعرف أين ذهبت. قل إذن، أيّها الصبيّ، هل أنت متأكّدٌ من أنّك لا تعرفُ شيئًا عن مكان وجودِ أختك؟

أجاب دايفي بنبرةٍ مستاءةٍ:

- لقد أخبرتكم عشراتَ المرّاتِ أنّي لا أعرفُ شيئًا عن مكانِها. ربّما اختطفها مجرمٌ مّا.

قاطعته ماريلّا فجأةً:

- هذا غير معقول. آن، ألا تعتقدين أنّه من الممكنِ أنْ تضيعَ في مزرعةِ السّيّدِ هاريسون؟ إنّها لمْ تتوقّفْ عن الحديثِ بخصوصِ الببّغاء منذ أنْ اصطحبتِها لتراه.

أجابت آن:

- لا أعتقد أنّ بإمكان دورا المغامرة بقطعِ كلِّ هذه المسافةِ بمفردِها، ولكنّي سوف أتأكّد.

لم يُعر أحدٌ دايفي اهتمامًا في تلك اللّحظة، وإلاّ للاحظ التّغيّر الرّاديكالي في التّعبير الّذي علا وجهَه. فضلًا عن أنّه انزلق خلسةً من فوق الحاجزِ، وركض نحو الإسطبل بكلّ السّرعة الّتي تسمح بها ساقاه البدينتان.

سارعت آن بعبور الحقولِ حتّى وصلت إلى بيتِ السّيّد هاريسون، دون أملٍ كبيرٍ مع ذلك. وجدتِ البيتَ مغلقًا، والسّتائرَ مسدلةً، ولا أثرٌ للحياةِ حوله. فوقفت في الشّرفةِ، ونادت لدورا بصوتٍ مرتفع.

ومن ورائها، في المطبخِ، بدأ جينجر ينعبُ فجأةً، ويشتم بضَراوَة. ولكنْ، بين صرخاتِه، استطاعتْ آن تمييزَ أنينٍ متأتٍّ من الكهفِ الموجود في السّاحة، والّذي يتّخذه السّيّد هاريسون سقيفة.

فركضت نحو الباب، وأبعدت حاجزَه، والتقفت بسرعةٍ الفتاةَ ذاتَ الوجهِ الملطّخِ بالدّموعِ، وقد وجدتها تجلسُ بلا حولٍ ولا قوّةٍ، على برميلِ المسامير المقلوب.

- أوه يا دورا، لقد أرعبتنا ! كيف وصلتِ إلى هنا؟

قالت الصّغيرةُ باكيةً:

- لقد جئت أنا ودايفي كي نرى جينجر، ولكنّنا في النّهايةِ لم نرهُ، وإنّما نجح دايفي فقط في جعلهِ يشتمُ بركلِ البابِ ركلًا قويًا. ثمّ اقتادني إلى هنا، وقفل البابَ، وهرب، فلم أستطع الخروج. لقد بكيتُ طويلا، وخِفْتُ جدّا، وأشعر الآن بالجوعِ والبردِ الشّديدين. اعتقدتِ أنّكِ لن تأتِي مطلقًا يا آن.

- دايفي؟

لمْ تستطعْ آن نطقَ كلمةٍ أخرى إضافيَّة. واصطحبتْ دورا إلى البيتِ، بقلبٍ مثقل. إذ أفسد الألمُ الّذي سبّبه سلوكُ دايفي فرحتَها بإيجادِ الطّفلة. كان بإمكانها التّسامحُ في فكرةِ حجزِ أختِهِ السّخيفةِ، ولكنّ دايفي كذِب عُنوةً، وبدم باردٍ، وهذا أسوأ من كلّ شيءٍ، فلم يكنْ بوسعِها ادّعاءُ تجاهُلِ الأمر. كانتْ خيبةُ الأملِ الّتي تشعُرُ بها شديدةً إلى درجةِ أنّها انفجرتْ باكِيَة. لقد أصبح دايفي عزيزًا جدًّا بالنّسبة إليها. ولم تنتبه مطلقًا قبْلَ هذه اللّحظةِ إلى أيِّ درجةٍ أحبّتْه. ولكنّ الكذبةَ المتعمّدةَ الّتي اقترفَها سبّبتْ لها ألمًا لا يُحْتمَل.

استمعتْ ماريلّا إلى حكايةِ آن بصمتٍ «لا يبشّرُ بأيِّ شيءٍ جيّدٍ

بالنّسبةِ إلى دايفي». ضحِك السّيّدُ باري ونصحهما بألاّ تتأخّرا في الاهتمامِ بالصّبيّ. وبعد مغادرته، هدّأت آن دورا الّتي كانتْ تبكي وترتعدُ، وأدفأتها، ثمّ أحضرت إليْها عشاءَها، ووضعتها أخيرًا في فراشِها. وبعدها، عادتْ إلى المطبخِ في اللّحظةِ نفسِها الّتي دخلتْهُ فيها ماريلّا بسَحْنةٍ غاضبةٍ، وهي تمسكُ بدايفي، أو بالأحرى تجرُّهُ، وهو منزعجٌ، ومغطًّى بأنسجةِ العنكبوتِ، بعْدَ أنْ عثرتْ عليهِ مختبئًا في الزّاويةِ الأكثرِ ظلامًا منَ الإسطبل.

جرّتْهُ نحْوَ البِساطِ وسَطَ الغرفةِ، وذهبتْ لتجلسَ قربَ النّافذةِ الشّرقيّةِ، بينما تهالكتْ آن على أريكةٍ قربَ النّافذةِ الغربية. فوقفَ المُذنِبُ بينهما، معطيًا ظهرَهُ إلى ماريلّا، في وضعٍ أظْهرَهُ ذليلًا وخاضعًا وخائفا، ولكنّه استقبل آن بوجهِه. ورَغْمَ الخَجلِ المسيطرِ عليْهِ، أخفتْ عيناه وميضًا منِ التّواطُؤِ. فبدا وكأنّه يعرفُ أنّه ارتكبَ أمرًا سيّئًا سيُعاقب عليهِ، غير أنّه مازالَ يعوّلُ، مع ذلك، أن يضحكَ عليْهِ طويلًا مع آن، لاحِقا.

ولكنّها لمْ تُجبْهُ حتّى بابتسامةٍ صغيرةٍ مخبّأةٍ في عينيْها الرّماديّتيْن، مع أنّ حركةً واحدةً مهرِّجةً كانَ بإمكانِها توليدُها. لابدّ أنّ المسألةَ متعلّقةٌ بأمرٍ آخر هذه المرّة، أمرٍ قبيحٍ ومُقزِّز.

سألته بحزنٍ:

- كيف أمكنك فِعلُ هذا يا دايفي؟

انطوى الطّفلُ منزعِجا.

- فعلتُ هذا لأستمتعَ. لقد ظلّ الجوُّ هادئًا جدًّا هُنا، منذُ وقتٍ

طويل. ففكّرتُ أنّه سيكونُ ممتعًا لو أخفتُكما. وهكذا كان الأمرُ.

وعوضَ أن يشعرَ بالخوفِ أو ببعضِ النّدمِ على ما فعله، ابتهج دايفي لذكرى المقلبِ الّذي نصَبَه.

قالتْ آن بحزنٍ أكبر:

- ولكنّكَ رَوَيْتَ أمرًا مزوّرًا يا دايفي.

بدا دايفي مضطَرِبا:

- ما معنى أمرٌ مزوّر؟ هل تقصِدين كذبة؟

- أقصدُ حكايةً غيرَ حقِيقِيّة.

أجاب بصراحةٍ:

- بالطّبعِ، رويتُ واحدةً، وإلاّ ما صدّقتُماني. كانَ ذلكَ ضروريّا.

ردّتْ آن الفعلَ وِفقًا لخوفِها والطّاقةِ الّتي استنفدتها. فقدْ وضعَ سلوكُ دايفي اللاّمُبالي اللّمسةَ الأخِيرة، وانبجستْ من عينيْها دمعتان ضخمتان.

كرّرتْ بِصوتٍ مرتعشٍ:

- أوه دايفي، كيف أمكنكَ فِعلُ هذا؟ ألا تعرفُ إذن كمْ كانَ الأمرُ سيّئا؟

أُصِيبَ دايفي بالذُّعْرِ، فآن تبكي. لقد جعلَهَا تبكي. اجتاحَ قلبَهُ الصّغيرَ سيلٌ مِنَ الإحساسِ بالذّنبِ، وأغرقَه. فركضَ نحوها، وهرعَ إلى ركبتيْها، ورمَى ذراعيْه حولَ عنُقِها، وانفجرَ باكِيا وهو يقول:

- لم أعرفْ أنّ قولَ حكاياتٍ مزوّرةٍ يُعدُّ أمرًا سيّئا. كيفَ بإمكانِي معرفةُ هذا حسْبَ اعتقادِك؟ فكلّ أطفالِ سبروت يروُون هذا كلَّ يومٍ وهم يقولون: «أقسمُ بالصّليبِ، ولو كذبتُ فلأذهبْ إلى الجحيمِ». أعتقدُ أنّ بول آرفنغ لا يقولُ هذا علَى الإطلاقِ، وقد قمتُ بمجهودٍ كبيرٍ كي أكون ولدًا جيّدًا مثلَه، والآن، أحْسَبُ أنّكِ لنْ تحبّينني أبدًا بعد ما بدرَ عنّي ما ساءَكِ. ولكنْ، كان عليكِ إخباري بأنّ هذا ليْس جيّدا. أنا آسفٌ حقّا لأنّي أبكيتُكِ يا آن. ولنْ أقولَ الأكاذيبَ أبدًا بعْد الآن.

خبّأَ دايفي وجهَه فِي كتفِ آن، وبكى بدموعٍ حارّة. فاحتضنتْه، وضمّتهُ إليْها، فِي زخمٍ منَ التّعاطفِ، ثمّ نظرتْ نحْوَ ماريلّا منْ فوقِ خصلاتِ شعرِهِ المُجعَّدَة.

- إنّه يجهلُ أنّ الكذبَ أمرٌ سيّءٌ يا ماريلّا. أعتقدُ أنّ علينا مسامحتَهُ هذه المرّةَ، لهذا السّببِ، إذا وعدَ بعدمِ تكرارِ هذا مرّة أخرى، وإلى الأبد.

أكّد دايفي بحزمٍ، بيْنَ شهقتيْنِ باكيتيْنِ:

- لن أكرّرَ هذا أبدًا مرّةً أخرى، بعدما عرفتُ أنّهُ أمرٌ سَيِّء. إذا اكتشفتِ أنّي أقولُ زُورًا مرّةً أخرى، تستطيعين أن...

ظلّ دايفي يفكّرُ، باحثًا عنْ عِقابٍ مُناسِبٍ:

- بإمكانِكِ جَلْدِي يا آن.

أضافتْ، وجانبُ معلّمةِ المدرسةِ الّذي فيها، يطغَى على أيِّ شيءٍ آخر:

- الحكايةُ المزوّرةُ ليست العبارةَ المناسبةَ، يا دايفي.

- لماذا؟

سألَها دايفي وهو يجلسُ براحةٍ، ويرفعُ نَحْوَها وجهًا مُتسائِلًا ومُلَطّخًا بالدُّمُوعِ:

- لماذا عبارةُ «أقول زورا» أفضلُ منْ عبارة «كذبة»؟

- «أقولُ زورًا»[1] عِبارَةٌ دارِجةٌ يا دايفي، وليْسَ منَ الجيّدِ أن يستعملَ الأطفالُ اللّغةَ الدّارِجَة.

تنَهّدَ دايفي:

- هناك العديدُ منَ الأشياءِ السّيّئةِ. لم أكنْ أعلمُ أبدًا بوجودِ كلِّ هذا الكمِّ منها. أنا آسفٌ حقّا لأنّ قوَل الأكاذيبي... الأكاذيبِ يُعدُّ أمرًا سيّئا. في الواقعِ، الأمرُ مناسبٌ جدًّا لِي، ولكنْ بما أنّه سيّءٌ، فلن أقولَهُ بعْدَ الآن، أبدًا. ماذا ستفعلان لِي بسببِ الكذبةِ الّتِي قلتُها اليومَ؟ أريدُ أنْ أعرف.

نظرتْ آن إلى ماريلّا نِظرةً متوسِّلة، فقالتْ هذه الأخيرةُ:

- لا أحبُّ معاملةَ هذا الصّبيِّ بقسوةٍ كبيرةٍ، فلا أحدَ على الأرجحِ شرحَ لهُ أنَّ الكذبَ أمرٌ سيِّء، بالإضافة إلى أنّ أطفالَ عائلةِ سبروت قد أثّروا فيهِ تأثيرًا سيِّئا. فضلًا عن أنّ المسكينةَ ماري كانتْ مريضةً جدًّا علَى تربيتِهِ تربيةً صحِيحَة.

---

(1) في النص الأصلي: whopper، وليس لهذه الكلمة مقابل حرفي في اللغة العربية. الأقرب هو عبارة قول الزور أو تضخيم الحكايات، ولكن حسب السّياق، اعتمدنا الخيار الأوّل.

فلا يمكنُ على الإطلاقِ أن نتنظرَ منْ طفلٍ في السّادسةِ معرفةَ أشياءَ مثلَ هذِه بصفةٍ طبيعِيّة. لذلك، كان علينا أن نعرفَ بديهيًّا بأنّه لا يعلمُ شيئًا عنْ كلِّ ما هوُ جيّدٌ، وأنْ نبدأ بتربيتِهِ مِنْ جَدِيد. ومع ذلكَ يجبُ أيضًا معاقبتُه على حجزهِ أختَهُ، ولا أعرف طريقةً مناسِبةً، ما عدا إرسالَه إلى الفراشِ دون عشاءٍ، وقد قمْنا بهذا مرّاتٍ عدِيدة. أليس بإمكانكِ اقتراحُ أمرٍ آخر يا آن؟ لا بدّ أنّكِ قادرةٌ على ذلكَ، بتشغيلِ خيالكِ الّذي تُصدّعِينَ بهِ آذاننا.

أجابتْ آن وهي تُداعبُ دِايفي:

- ولكنّ العقوباتِ مريعةٌ جدًّا، ولا أريدُ سِوى تخيّلِ الأشياءِ الجمِيلة. فهُناك ما يكفِي منَ الأشياءِ السّيّئةِ في هذا العالَمِ، إلى درجةِ أنّي لا أرَى ضرورةً إلى ابتكارِ أخرى.

وكالعادةِ، بقي دايفي محجوزًا في غرفتِهِ إلى الغَد. لكنّ آن عرفتْ ببداهةٍ أنّهُ ظلَّ يفكّرُ في الأمرِ، لأنّها سمعتْهُ عندمَا صعَدت لتنامَ بعْد ذلكَ، يناديها بصوتٍ منْخفِض. وعندما دخلتْ، وجدتْهُ جالسًا على فراشِهِ، واضعًا مرفقيْهِ على ركبتيْهِ، وممسكًا ذقنَهُ بيديْه. وما إنْ رآها حتّى بدأ يتحدّثُ بنبرةٍ جادّةٍ:

- آن، هل منَ السيّءِ بالنّسبةِ إلى الجميعِ قولُ الزّ... قولُ أكاذِيبَ؟ أريدُ أن أعرف.

- نعم، بالطّبع.

- هل هو سيّءٌ بالنّسبةِ إلى الكبارِ أيضًا؟

- مؤكّد.

تابع بحزم:

إذن، ماريلّا شرّيرةٌ، لأنّها تقولُ الأكاذِيب، بلْ إنّها أسوأُ منّي، لأنّي على الأقلِّ لمْ أعرفْ بأنَّ هذَا سيّءٌ، على عكسِها هي.

احتجّتْ آن، مُغتاظَةً:

- دايفي كيث، ماريلّا لم تكذبْ في حياتِها إطلاقًا!

استنتج دايفي بنبرةٍ حزينةٍ:

- بلى، لقد فعلتْ ذلك. الثّلاثاء الماضِي، وعدتني بأنَّ شيئًا مّا مريعًا سيحدثُ لي إذا لمْ أؤدِّ صِلاتي كلّ لَيْلَة. ولمْ أؤدِّهَا طيلةَ أكثر منْ أسبوعٍ، فقط لأعرفَ ماذا سيحدثُ... ولم يحدثْ شيءٌ على الإطلاق.

كبتتْ آن رغبةً لا تقاومُ في الضّحكِ، مقتنعةً بأنَّ ذلك سيكونُ مريعًا، وتابعتْ عن وعيٍ الدّفاعَ عنْ سُمْعةِ ماريلّا بصوتٍ حادٍّ:

- حسنا يا دايفي كيث، لقد حدثَ لك شيءٌ مريعٌ، واليومَ تحدِيدا.

اكتسى وجهُ دايفي بسَحْنةٍ مُفكِّرة. ثمّ قال باحتقارٍ:

- أعتقد أنّكِ تقصدِين الذّهابَ للنّومِ دونَ عَشاء، ولكنَّ هذا لا يُعتَبرُ أمرًا مريعًا يا سيّدتي. بالطّبعِ، هذا لا يعجِبُني، ولكنّه تكرّرَ مرّاتٍ عديدةً منذُ قدُومِي إلى هُنا، حتّى تعوّدتُ عليْه. ثمّ إنّكمَا لا تربَحانِ شيئًا بحرمانِي منَ العشاءِ، لأنّي آكلُ نصِيبَيْنِ علَى الغدَاءِ، دائمًا.

انحنتْ آن عنْدَ طرفِ السّريرِ محرّكةً إصبعَها بطريقةٍ رائعةٍ تحتَ أنفِ المُذنِبِ:

- ليس المريعُ في الأمرِ إرسالُكَ إلى النّومِ، بلِ الكَذِب. ثمّ يا دايفي، الكذبُ هو أسوأُ شيءٍ يمكنُ أن يحدُثَ لصبيٍّ... نعم، ربّما هوَ الأسوأُ علَى الإطْلاق. إذنْ، هل رأيتَ أنّ ماريلّا قالتِ الحقيقة؟

احتجّ الطّفلُ بِلوعةٍ:

- فكّرتُ في أنّهُ منَ المُثيرِ عيشُ تجربةٍ مُريعَة.

- لا يمكنُ أنْ نلومَ ماريلّا على تكهّناتِك. الأشياءُ السّيّئةُ ليستْ مثيرةً دوْما، بل إنّها غبيّةٌ وبشعةٌ فِي جُلِّ الأحيان.

استنتجَ الصّغيرُ وهو يضمُّ ركبتيْهِ:

- ولكنّ رؤيتكما أنتِ وماريلّا تبحثانِ في البئرِ كانَ أمرًا ممتعًا للغاية.

ظلّتْ آن جادّةً إلى اللّحظةِ الّتي عادتْ فيها إلى الصّالةِ، وهناك تهالكتْ على الأريكةِ، وانبرتْ تضحكُ حتّى آلمتْها أضلُعُها.

قالت ماريلّا حزينةً على نحوٍ غامضٍ:

- أرغب بشدّةٍ في أنْ تروِي لِي النّكتة، فليسَ هُناك شيءٌ مرحٌ حدثَ اليومَ فِي اعتقادِي.

أكّدتْ آن:

- سوف تضْحَكين عِنْدَ سماعِ هذهِ الحِكاية.

ضحِكتْ ماريلّا بالفعلِ، وهو ما يُثبتُ إلى أيّ درجةٍ تغيّرتْ منْذُ تبنّتْ آن. ثمّ تنهّدتْ بعْدَ ذلكَ تماما.

- لمْ يكنْ عليَّ، على الأرجحِ، الإيمانُ بهذه الأقوالِ، ولكنّي سمعتُ ذاتَ يومٍ قَسّا يقولُها لطفلٍ. فضلًا عن أنّ دايفي أغضبنِي يومَها بشكلٍ كبِير. حدثَ ذلكَ مساءَ ذهبْتِ إلى «كارمودي» لحضورِ حفلٍ، تحديدًا وأنا أضعُهُ في الفراش. عندها، أخبرنِي أنّه لا يرى أيّةَ أهمّيةٍ في الصّلاةِ قبْلَ أنْ يكبُرَ، وحتّى يعيرَهُ الرّبُّ اهتمامًا مّا. آن، إنّي أتساءلُ ماذا سنفعلُ بهذَا الطِّفْل، فأنا لا أفهمُه. إنّي مُحبطة.

- لا تقولي هذا يا ماريلّا. هل تذكرين كم كنتُ لا أطاقُ أوّلَ ما جئتُ إلى هنا.

- لمْ تكوني هكذا على الإطلاقِ يا آن، أبدًا. الآن ألاحظُ هذا. أعترفُ أنّكِ جلبْتِ مشاكِلَ مريعةً، ولكنّ نيّاتِكِ كانت سلِيمة. أمّا دايفي فهو شرّيرٌ، يجلبُ المشاكلَ فقطْ لأنّ هَذَا يُعْجِبُه.

قالتْ آن مدافعةً:

- أوه لا، لا أعتقدُ أنّ الأمرَ متعلّقٌ بشرٍّ خالصٍ في حالتِه أيضا، بلْ هوَ المكرُ فحسْب. فالحياةُ كما تعلمين هادئةٌ جدًّا بالنّسبةِ إليهِ هنا. إذ ليس لديهِ رفاقٌ يلعبُ معهُم، وعليْه إيجادُ شيءٍ مّا لإلهاءِ نفسِه. أمّا دورا فهيَ مدلّلةٌ جدًّا، ونظيفةٌ للغايةِ، على أنْ تكونَ رفيقةَ لعبٍ لوَلَد. أعتقدُ أنّ منَ الأفضلِ إرسالَهما إلى المدرسةِ يا ماريلّا.

قاطعتها ماريلّا:

- لا، لقدْ أكّدَ والِدي دومًا أنّه لا يجبُ مُطلقًا حجزُ طفلٍ داخِلَ أسوارِ المدْرَسةِ قبْل بلوغِ السّابعةِ، ويفكّرُ السّيّدُ ألان بالطريقةِ نفسِها أيْضا. بإمكانِ التّوأم تلقّي بعضِ الدّروسِ فِي البَيْتِ، ولكنْ، لا مجالَ لأنْ يذهبَا إلى المدرسةِ قبْلَ السّابعَة.

قالتْ آن بحماسٍ:

- حسنًا، علينا إذنْ أنْ نحاوِلَ إصلاحَ سلوكِ دايفي فِي البيْت. فهذا الطّفلُ الصّغيرُ محبّبٌ جدًّا رَغْمَ كلِّ عُيوبِه. لذلك لا أستطيعُ كبْحَ نفسِي عنْ مَحبّتِه. ربّما منَ المُريعِ قولُ هذا يا ماريلّا، ولكنّي، بصدقٍ، أفضّلُ دايفي علَى دورا، الّتي تُعدُّ فِي النِّهايةِ طِفلةً مِثاليَّة.

اعترفت ماريلّا:

- هذا غريبٌ، ولكنّي أشعرُ بالشّيءِ نفسِه، وهذا غيرُ عَادِلٍ لأنَّ دورا لا تسبّبُ أيَّ متاعب. لا يمكنُنا أبدًا الحلمُ بطفلٍ أفضل منْها، حتّى أنّنا بالكادِ نلاحظُ وجودَها.

أكّدتْ آن:

- دورا طيّبةٌ جدّا، إنّها تتصرّفُ بشكلٍ جيّدٍ حتّى وإنْ لمْ يكنْ هُناكَ منْ يوجّهُها إلى كيفيّةِ التّصرُّف. لقدْ وُلِدَتْ مُتعلِّمَة. فليستْ بحاجةٍ إلينا إذن.

تابعتْ واضعةً إصبعَها على موطنِ حقيقةٍ رئيسيّةٍ:

- وأعتقدُ... أعتقدُ أنّنا نحبُّ أكثرَ أولئك الّذِين همْ بحاجةٍ إليْنا. وهَذِهِ هي تمامًا حالةُ دايفي.

وافقتْ ماريلّا:

- من المؤكّدِ أنّه بحاجةٍ إلى شيءٍ مّا. تقولُ راشيل ليند إنّه بحاجةٍ إلى صفعةٍ جيّدةٍ على مؤخّرتِه.

(11)
أحلامٌ ووقائعُ

«التّعليمُ مهنةٌ فاتنةٌ».

كتبتْ آن إلى صديقةٍ منْ جامعة «كوينز»:

تتذمّر جين منْ روتينيّةِ العملِ، ولكنّي لا أوافقُها الرّأي. إنّنا متأكّدُون منْ عيشِ حوادثَ هزليّةٍ كلَّ يومٍ، تقريبًا، إذْ يركّبُ الأطفالُ كلماتٍ برُوحٍ مرحةٍ جدّا. تقول جين إنّها تعاقبُ الأطفالَ عندَما يقولونَ حماقاتٍ، وربّما لهذا السّببِ تجدُ عملَها مُملاّ. هذهِ الظّهيرةَ، لمْ يتوصّلِ الصّبيُّ جيمي أندروز إلى تهجئةِ كلمةِ «منقّطٌ». فاعترفَ فِي النّهايةِ قائلًا: «لا أتوصّلُ إلى تهجئَتِها، ولكنّي أعرفُ مَعْنَاهَا»، حينئذٍ سألتُهُ: «وما هو معناها؟»، فجاءتْ إجابتُهُ: «إنّه وجهُ سانت كلير دونيل يا آنسة».

صحيحٌ أنَّ النّمشَ منثورٌ على وجهِ سانت كلير، ولكنّي أحاولُ منعَ الآخرين منْ إبداءِ أيِّ ملاحظاتٍ حولَ الأمر، بما أنّ وجهِي كان على تلك الحالةِ أيضًا، وأتذكّرُ جيّدًا كيفَ كانَ الأمْر بالنّسبةِ إليّ. غيرَ أنّي لا أتوقّعُ أنّ هذا يُزعجُ سانت كلير. وبدلًا منْ ذلكَ لكمَ جيمي وهما على طريقِ العودةِ منَ المدرسةِ، لأنّهُ ناداه بهذا الاسم: سانت كلير. وقدْ رُوِيتْ لي هذه الحادثةُ، ولكنْ،

بشكلٍ غيرِ رسميٍّ، لذلك أعتقدُ أنّي لنْ آخذَ ذلك بعينِ الاعْتِبار.

البارحةَ، حاولتُ تعليمَ لوتي رايت القيامَ بعمليّةِ جمْع. قلتُ لهُ: «إذا كان لديك ثلاثُ قطعِ حلْوَى فِي يدٍ، وقطعتان في الأخْرى، فكمْ سيكونُ لك؟»، فأجابني: «سيكون فمِي ممتلئًا بها». وعندَما سألتُهُم فِي درسِ العلومِ الطّبيعيّةِ مدِّي بسببٍ جيّدٍ لعدَمِ قتلِ الضّفادعِ، أجابنِي بينجي سلون بحدّةٍ: «لأنَّ المطرَ سينزلُ فِي الغد».

يصعُبُ عليَّ المحافظةُ على جدّيّتِي يا ستيلا. عليّ أن أكبتَ نوباتِ ضحِكي حتّى أعُودَ إلى البيتِ. تقول ماريلا إنّ هذا يوتّرها، أيْ سماعُ ضحكاتٍ تنفجرُ في البيتِ دُونَ مبرّرٍ واضِحٍ، وتكرّر على سمعِي أنَّ هُناك رجلًا في «غرافتون» أصبحَ مجْنُونا، بعْدَ أنْ بدأَ كلُّ شيءٍ بالنّسبةِ إليهِ هكذا.

أتعرفين أنّ القَدّيسَ توماس بيكيت كان ثُعبَانا؟ هذا ما تدّعِيه روز بيل... أتعرفين أيضًا أنّ وليام تينديل كتبَ العهْدَ الجدِيد. و«جبل الجليد»؟ إنّهُ، حسْبَ كلود وايت، شخصٌ يصنعُ إطاراتِ النّوافذ!

أعتقدُ أنَّ أصعبَ شيءٍ في التّعليمِ، وأهمَّ ما فيهِ كذلك، يتوقّفُ على تحريضِ الأطفالِ علَى التّعبيرِ عمَّا يدُور بخلدِهم فِعلا. في يومٍ رعديٍّ من أيّامِ الأسبوعِ الفارطِ، جمعتهم حولِي ساعةَ الغداءِ، وحاولتُ حثّهمْ على مصارحتِي كأنّي واحدةٌ منْهم. فطلبتُ منهم أنْ يسمُّوا لِي الأشياءَ الّتِي يحبّونَها أكثر. كانتْ بعضُ الإجاباتِ مبتذلةً، كالدُّمى والأحصنةِ والزلاّجات. ولكنَّ بعضَ الإجاباتِ

الأخرى كانتْ متفرّدةً بشكلٍ كبير. فهستر بولتر ترغبُ في ارتداءِ فستانِ الأحدِ كلَّ يوم، وتناولِ الطّعامِ في الفراش. وترغبُ هانا بيل في أنْ تكونَ فتاةً مثاليَّةً دونَ القيامِ بأيِّ مَجْهُود. أمّا ماجوري وايت، ذاتُ السّنواتِ العشْرِ، فتريدُ أنْ تصبحَ «أرملة». وعندما سألتُها عنِ السّببِ، أجابتْ بصرامةٍ بأنّنا عندَما لا نتزوّجُ، فإنَّ النّاسَ ينعتُوننا بالعانساتِ، وعندما نتزوّجُ فإنَّ أزواجَنا يُثقِلونَ كواهِلَنا بالمطالبِ والواجباتِ، أمّا إذا كُنّا أراملَ، فإنّنا لا نتعرّضُ لهذا أو لذاك. ولكنّ الأمنية الأكثر غرابة كانتْ من نصِيبِ سالي بيل الّتي كانتْ تطمَحُ إلى الذّهابِ في «شهر عسل». ولمّا سألتُها عمّا إذا تعرفُ ماذا يعنِي هذا، أجابت بأنَّ منَ المؤكّدِ تعلّقَ الأمرَ بنوعٍ جميلٍ جدًّا منَ الدّرّاجاتِ الهوائيّةِ، لأنّ ابنةَ عمّها المتزوّجةَ حديثًا في مونريال، قد ذهبتْ لقضاءِ «شهرِ عسلٍ»، وهي تملكُ دومًا آخرَ صيحاتِ الدرّاجاتِ الهوائِيَّة.

وذاتَ يوم، طلبتُ منهم أن يرْوُوا لي أكثرَ أفعالِهم مكرا. فرفضَ أكبرُهم سنًّا، ولكنَّ تلاميذَ السّنةِ الثّالثةِ أجابُوا دونَ أنْ ألحَّ عليْهم: أضرمتْ إليزا بيل النّارَ في لفائفِ صوفِ عمّتِها المُمَشَّط. ولمّا سألتُها هل قامتْ بهذا عُنوةً، قالتْ: «ليْسَ فعْلا». فقدْ أرادتْ فَقَطْ أنْ تُشعِلَ قطعةً صغيرةً لترى كيف يحترقُ الصّوفُ، لكنَّ الحزمةَ كلَّها اشتعلتْ في لمحِ البصَر. واشترى إمرسون جيليس قِطَعًا منَ الحلْوَى بالأموالِ المخصّصةِ للمهامِّ التّبشِيرِيَّة. أمّا أسوأُ جريمةٍ اقترفتْها آنيتا بيل فتمثّلتْ في أكْلِ التّوتِ النّابتِ في المَقبَرَة. وتزَحْلقَ بيلي وايت مرّاتٍ عدِيدَةً مِنْ فَوْقِ سَقْفِ حظيرةِ الغنمِ بسروالِ يومِ الأَحَد.

ثمّ قال لي: «ولكنّي عوقِبْتُ على ذلكَ بارتداءِ سِرْوالٍ مُرقَّعٍ طَوَالَ الصّيفِ خِلالَ دُرُوسِ الأحدِ، وعِنْدَمَا تُعاقَبُ على أمْرٍ مُماثِلٍ، ليْسَ عليْكَ أنْ تتوبَ بعْدَ ذلك.

أرغبُ بشدّةٍ فِي أنْ تطّلِعِي على بعضِ تآليفِهم الّتي أرسلتُها إليكِ، وهي منْ أشغالِ الدّروسِ الأخِيرة. لقدْ طلبتُ منْ تلاميذِ الرّابعةِ الأسبوعَ الفارطَ أنْ يكتُبوا لِي رِسَالةً فِي موضُوعٍ مِنْ اختيارِهم. اقترحتُ عليْهم أن يحدّثونِي عنْ مكانٍ زارُوه، أو عن شخصٍ أو شيءٍ مّا مهمّ شاهدُوه. واشترطتُ عليْهم أن يكتبُوا لي علَى ورقِ رسائلَ حقيقيٍّ، ثمّ يختمُوا الظّروفَ، ويرسِلُوها على عُنوانِي دونَ مساعدةٍ منْ أحد. وجدتُ يومَ الجمعةِ الفارطَ حزمةً منَ الرّسائلِ علَى مكتبِي، وفِي اللّيلةِ نفسِها، أدركتُ ما هيَ أفراحُ التّعليمِ وما هيَ وأتراحُه. أتعلمين؟ بإمكانِ هذِهِ المؤلّفاتِ تحريرُ أشياءَ عدِيدَة. هذه رسالةُ نيد كلاي، بالعنوانِ والقواعدِ النّحويّةِ الأصليّةِ:

«الآنسةُ، المعلّمةُ شيرلي

«غرين غابلز»

صندوقُ بريدِ جزيرةِ الملكِ إدوار

عَصافِيرُ.

«آنستي العزيزة، أعتقدُ أنّي سأكتبُ لك عنِ العصافيرِ، العصافيرِ وحيواناتٍ أخرَى مفيدةٍ جِدّا. يصطادُ كلبِي العصافِير. اسمُ كلبِي: وليام، ولكنَّ والدِي يسمِّيهِ: توم. وهو مخطّطٌ بأكملِهِ، وقدْ أتلفَ

صقِيعُ الشِّتَاءِ الفارِطِ أذنَهُ، ولولا هذا العيبُ، كان سيبْدُو جميلًا جِدّا. أمّا عمّي، فقد تبنّى قِطّا. جاءَ القطُّ إلى بيتِهِ يومًا، ولمْ يغادِرْ بعْدَ ذلِك قَطُّ. يقول عمّي إنّه قد نسيَ أشياءَ عديدةً، أكثرَ حتّى ممّا بإمكانِ جميعِ النّاسِ تذكّره. وتقول عمّتِي إنّه متعلّقٌ بالقطِّ أكثرَ منْ أبنائِهِ، وهذا ليْسَ جيِّدا. يجبُ أن نكونَ لُطفاءَ معَ القططِ، وأنْ نعطيَهم الحليبَ الطّازجَ، ولكنْ، لا يجبُ أن نتصرّفَ معهم أفضلَ ممّا نتصرّفُ مع أبنائِنا. هذا كلُّ ما فِي الأمْر. ليس لي ما أقولُ أكثر منْ هذا.

إدورد بلايك كلاي».

أمّا سانت كلير دونل فمختصِرٌ، كالعادةِ، ويذهبُ مباشرةً نحْوَ الهدَف. فهذا الطّفلُ لا يبذِّرُ الكلماتِ مُطلَقا. ولا أعتقد أنَّ اختيارَ الموضوعِ، أو إضافةَ تذييلٍ يُعَدّانِ مكرًا مُسبَقا. الأمرُ فقطْ أنَّهُ يفتقِرُ إلى الخيالِ أو اللّباقَة.

«الآنسةُ شيرلي العزيزةُ،

لقد طلبتِ منّا وصفَ شيءٍ غريبٍ رأيناه، وسوف أصفُ قاعةَ «آفونلي». إنّ لها بابان، واحدًا منَ الدّاخلِ والآخر منَ الخارِج. ولها أيضًا ستُّ نوافذَ ومِدْفَأَة. لديْها نهايتانِ وجانِبان. وهي مطليّةٌ بالأزرق. هذا ما يجعلُها غريبةً جدّا. إنّها مبنيّةٌ على طريقِ «كارمودي»، فِي الأسْفَل. إنّها ثالثُ أهمِّ بناءٍ في «آفونلي». البناءان المتبقّيان هما الكنيسةُ ومحلُّ «بلاكسميث» التّجاريّ. تُنظَّمُ فِي القاعةِ اجتماعاتُ الجمعيّةِ، والنّقاشاتُ والمحاضراتُ والحفلات.

مجنونُكِ المُخلِص.

لونُ القاعةِ أزرقُ لامعٌ جدّا».

كانت رسالةُ آنيتا بيل طويلةً نوعًا مّا، وهو ما حيّرني، لأنَّ تأليفَ الإنشاءِ ليْسَ نقطتَها القويّة. وعادةً ما تكونُ تأليفاتُها مُختَصَرةً أكثرَ منْ تأليفاتِ سانت كلير. أنيتا هادئةٌ ومثالٌ في السّلوكِ الجيّدِ، ولكنْ، لا وجود لأيِّ تفرّدٍ فِيها. وهذِه هي رسالتُها.

«مدرّستِي العزيزةُ،

أريدُ أنْ أكتبَ رسالةً لكِ لأخبرَكِ كمْ أحبّك. أحبّكِ بكاملِ قلبِي، وبكلِّ رُوحي وعقلي الصّغير. أي بكلّ ما بإمكانِه أن يحبّ بداخِلي. ولا أتمنَّى سِوى شيءٍ واحدٍ: تسخيرُ حياتِي لخدمتِك. سيكونُ هذا أكبرَ امتيازٍ لي. ولهذا أحاولُ قدْرَ الإمكانِ أنْ أكونَ جيّدةً فِي المدرسةِ، وأنْ أحفظَ دُرُوسِي.

أنتِ مذهلةٌ يا آنستي. صوتُك موسيقى، وعيناكِ أفكارٌ مضمّخةٌ بقطرِ النّدَى. أنتِ ملِكَةٌ عظِيمةٌ جلِيلَة. يتلوَّى شعرُكِ فِي موْجاتٍ ذَهبِيَّة. يدّعي أنطوني باي أنَّ خصلاتِكِ صهباءَ، ولكنْ، لا تهتمِّي بما يقولُه.

لا أعرفكِ إلاّ منذُ أشهرٍ قليلةٍ، ولكنِّي بالكادِ أدركُ أنّ زمنًا طويلًا مرَّ دُونَ أنْ أعرفكِ، وقبْلَ أنْ تدخلِي حياتِي لتباركِيها وتقدّسِيها. سوف أتذكّرُ دومًا هذهِ السّنةَ على أنّها الأفضلُ في حياتِي، بما أنّها سمحتْ لِي أن أقابلك. ثمّ هي السّنةُ الّتي انتقلنا فيها من «نيوبريدج» إلى «آفونلي». الحبُّ الّذي أكنّه لكِ قد أثرى

حياتِي وحمانِي منَ الكثيرِ منَ المُعاناةِ والألَمِ. أنا ممتنّةٌ لكِ بهذا، معلّمتِي العزيزة.

لنْ أنسَى أبدًا كمْ كنتِ جميلةً آخرَ مرّةٍ رأيتُكِ فِيها، في ذلكِ الفستانِ الأسودِ، وبأزهارٍ فِي شَعْرِك. سوف أراكِ دومًا هكذا، حتّى وإن جعلَ العُمْرُ شعْرَكِ رمَادِيّا.

بالنّسبة إليّ، سوف تبقيْنَ دومًا شقراءَ وشابّةً، معلّمتي العزيزة.

أفكّرُ فيكِ بلا توقّفٍ، في الصّباحِ، والظّهيرةِ، وعلى ضوءِ القمر. أحبّكِ عندما تبتسمِينَ، وأحبّكِ عندما تتنهّدين، وحتّى عندما تبدِين متكبّرةً بعضَ الشّيء. لم أركِ على الإطلاقِ وأنتِ في مزاجٍ سيّءٍ، بالرّغم منْ أنّ أنطوني باي يقولُ إنّ هذه هي سَحْنتُكِ المُعْتادَة. ولكنْ، لا يفاجئني على الإطلاقِ أنْ أراكِ غاضبةً بسببِهِ، لأنّه يستحقُّ ذلك. أحبّكِ في كاملِ فساتينِك. أنتِ أكثرُ جمالًا منْ فستانٍ إلى آخر.

تصبحِينَ على خيرٍ يا معلّمتي العزيزة. لقد غربتِ الشّمسُ، والنّجومُ تلمعُ منْ بعِيد. النّجومُ جميلةٌ ولامعةٌ مثلَ عينيكِ. أقبّلِ يديكِ ووجهكِ، يا محبوبتي. ليحرسكِ الرّبُّ، ويبعدْ عنكِ كلَّ الشّرور.

تلميذتكِ المحبوبةُ

أنيتا بيل».

تركتني هذه الرّسالةُ الرّائعةُ في حيرةٍ منْ أمْري. كنتُ متأكّدةً منْ أنّ أنيتا عاجزةٌ عنْ كتابتِها، مثلَما هي عاجزةٌ عن الطّيران. وفي

الغدِ، ونحنُ في المدرسةِ، استغللتُ وقتَ الرّاحةِ لأتمشّى معَها قليلًا نحَو الغدِيرِ، وطلبتُ منْها إخبارِي الحقيقة. بدأتْ أنيتا تبكِي، واعترفتْ لي بكلِّ شيْء. حكتْ لي أنّها لمْ تكتبْ رسالةً واحدةً فِي حياتها، وأنّها لا تعرفُ كيفَ تفعلُ ذلكَ، بلْ وليس لديها أدنَى فكرةٍ عمّا يجبُ قوله. ولكنّها اكتشفتْ حزمةً منْ رسائلِ الحبِّ في دُرْجِ خزانَةِ أمِّها الأعْلَى. قالتْ أنيتا باكيةً: «هي رسائلُ وصلتْ إليْها منْ «خطيبٍ قدِيمٍ»، لمْ يكنْ أبي. إنّه شخصٌ كان يدرسُ ليصبحَ قَسًّا، لهذا كانَ بإمكانِهِ كتابةُ رسائلَ جميلةٍ جدًّا، ولكنَّ أمِّي لم تتزوّجهُ في النّهايةِ. فلمْ تكنْ تفهمُ نِصْفَ ما كان يقوله. ولكنّي فكّرتُ فِي أنَّ الرّسائلَ ساحرةٌ، وسيكفيني أنْ أنقلَ بعضَ المقاطِع. عوّضتُ «سيّدتي» بـ«معلّمتي»، وأضفتُ أشياءَ منْ قريحتِي كلّمَا عنّ لِي ذلك، كما غيّرتُ بعضَ الكلِمات: عوّضتُ «مزاجك» بـ«فساتينك». في الحقيقةِ، لم أكنْ أعرفُ ماذا يعنِي «مزاجك»، ولكنّي اعتقدتُ بأنّه شيءٌ مّا يُلبس. أعتقد أنّك أدركتِ الفرقَ، ولكنِّي لا أفهمُ كيْفَ تمكّنتِ منْ اكتشافِ الفرقِ، ولا كيف عرفتِ أنّي لمْ أكتبْ كلَّ ما جاءَ فِي الرّسالَة. لا بدَّ أنّكِ ذكيّةٌ جدًّا يا آنستي».

أخبرتُ أنيتا أنّ نسخَ رسالةِ شخصٍ آخر، واعتبارَها رسالتَها يُعدُّ أمرًا سيّئًا للغَاية. ولكنِّي أخْشَى أنَّ كلَّ النّدمِ الّذي شعرتْ بهِ أنيتا ليس لأنّه وقعَ ضبطُها، فقد انفجرتْ باكِيَةً: «أنا أحبّكِ بالفعلِ، وكلُّ شيءٍ في الرّسالةِ حقيقيٌّ، حتّى وإنْ كتبَها القَسُّ قبْلِي. فأنا أحبّكِ حقًّا منْ كلِّ قلبِي».

ومنَ الصّعبِ جدًّا لومُ أحدٍ، في مثلِ هذا الوضعِ، بطريقةٍ ناجِعَة.

هذه الآن رسالة باربارا شو. يصعبُ عليّ نقلُ رسومِ الكعكاتِ منَ النّسخةِ الأصليّة.

«آنستي العزيزة،

أخْبَرْتِنَا أنّهُ بإمْكانِنا الكتابةُ حَوْلَ زيارةٍ مّا. ولمْ أذهبْ طَوَالَ حياتِي في أيِّ زيارة، ما عدا مرّةً واحِدَةً، زرتُ خِلالَها بيتَ خالتي ماري، الشّتاءَ الفارِط. الخالةُ ماري امرأةٌ دقيقةٌ جدًّا، وسيّدةُ بيتٍ مُمْتازَة. ليلةَ وصُولي، تناولنا الشّايَ. أوقعتُ فنجانًا وكسرتُه. تقولُ الخالةُ ماري إنّها تملكُ هذا الفنجانَ منذُ زواجِها، وألاّ أحد تجرّأ على كسرِه مِنْ قبْل. وعندما نهضتُ، تعثّرتُ في فستانِها، فانفلتتْ كلُّ ثنياتِ تنّورتِها. وفي الغدِ، عندما استيقَظتُ، ضَربْتُ الإبريقَ بالحَوْضِ، فتصَدَّعَ الاثنان. ثمّ قلبتُ فنجانًا منَ الشّايِ علَى غِطاءِ الطّاوِلةِ ساعةَ الغَدَاء. وبينما كنتُ أساعدُ الخالةَ ماري علَى غسلِ أوانِي العشاءِ، أسقطتُ صحنًا فخّاريًّا، فانْفَجرَ إلَى قِطَع. وفي ذلك المساءِ، سقطتُ، ولويتُ كاحِلي، واضطررتُ إلى ملازمَةِ الفراشِ أسبوعًا كامِلا. سمعتُ الخالةَ ماري تعترفُ لخالي جوزيف بأنّها محظوظةٌ، وإلاّ فإنّي كنتُ سأحطّمُ البيتَ بأكملِه. وعندما شُفيتُ، حانَ الوقتُ كيْ أعودَ إلَى البَيْت. لا أحبُّ الزّيارات. أحبّذُ المدرسةَ، خاصّةً منذُ أنْ جئتُ إلى «آفونلي».

تلميذتُكِ المحترمةُ

بربرا شو».

بدأت رسالةُ ويلي وايت كالآتي:

«آنستي العزيزة،

أريدُ أنْ أحدّثكِ عنْ عمّتِي الشّجَاعة. إنّها تعيشُ في «أونتاريو». ذهبتْ ذاتَ يومٍ إلى الإسطبلِ، فرأتْ كلبًا في السّاحَة. وبما أنّ الكلبَ لمْ يكنْ لَديه ما يفعلُه هُناك، أخذتْ عَصًا، ووجّهتْ إليهِ ضرباتٍ مبرّحةً، ثمّ اقتادتْهُ إلى داخلِ الإسطبلِ وحجزتْه. وبعدَ ذلكَ بقليلٍ، جاءَ رجلٌ. كان يبحثُ عن أسدٍ «خياليّ» هربَ منَ السّيرك[1]. عرفنا أنّ هذا الأسدَ هو الكلبُ الّذي اصطحبتْهُ عمّتي إلى الإسطبلِ، وهي توجّهُ إليهِ الضّربات. إنّها مُعْجزةٌ أنّهُ لمْ يلتهمْها. ولكنّها كانتْ شُجاعَةً جدّا. يقول إيميرسون جيليس إنّها لوْ لمْ تعْتقِدْ أنّه كلبٌ لما أظهرتْ شجاعةً تفوقُ حتّى شجاعتَها فيما لوْ كانَ الحيوانُ كلبًا حقّا. ولكنّ إيميرسون جيليس غيورٌ، لأنّه لا يملكُ عمّةً شجاعةً، كما أنّ لديه أعمامًا فقط.

احتفظتُ لكِ بأفضلِ رسالةٍ حتّى النّهاية. لا شكّ في أنّكِ تسخرين مِنّي لأنّي أعتقدُ أنّ بول عبقريّ. يعيشُ بول بصحبةِ جدّتِهِ بعيدًا عنِ القريةِ، قربَ الشّاطئِ، وليس لديه رفاقٌ يلعبُ معَهم، ولا أصدقاء. هل تذكرين أستاذنا في مادّةِ الإدارةِ المدرسيّةِ، الّذي أوصانا ألاّ نصِفَ أيَّ واحدٍ من تلاميذِنا بـ«المدلّل». لا أعتقدُ مع ذلك أنّي أجرحُ أحدًا عندما أعتبرُ بول مدلّلًا، بما أنّ الجميعَ يحبُّه. حتّى السّيّدةُ ليند تقولُ إنّها لم تعتقدْ يومًا أنّها ستصبحُ مفتونةً جدًّا بأمريكيّ.

(1) Imaginary minagerie: العبارتان متقاربتان في النطق في اللغة الإنجليزية.

وكذلك، يحبّهُ باقي التّلاميذِ أيْضا. وبالرّغمِ منْ أحلامِهِ، وخيالاتِهِ لا يوجد شيءٌ ضعيفٌ أو نسائيٌّ بداخله. إنّه رجوليٌّ جدًّا، ويتميّزُ فِي كلِّ الألعَاب. تشاجرَ مؤخّرًا مع سانت كلير دونيل لأنّ هذا الأخيرَ يعتقدُ أنَّ علمَ بريطانيا أفضلُ بكثيرٍ منْ علمِ الولاياتِ المتّحدَة. وبعد شجارٍ متكافئٍ، اتّفقا على احترامِ وطنيّتِهما المتبادلة. وقد ادّعى سانت كلير أنّهُ يضربُ بقوّة أشدّ، بينما يضرب بول بسرعةٍ أكْبَر».

هذه رسالةُ بول:

«معلّمتي العزيزة،

لقد أخبرتِنا أنّ باستطاعتِنا الكتابةُ عنْ أشخاصٍ مهمّين نعرفُهم. أعتقدُ أنَّ أكثرَ الأشخاصِ اللّذين أعرفُهم أهمّيةً هي دُماي الحجريّةُ، وأرغب أن أمتعكِ بالحديثِ عنْها. لم أعترفْ بوجودِها لأحدٍ من قبلُ، ما عدا جدّتِي وأبي، ولكنّي أريدكِ أن تعرفِيها لأنّكِ تفهمِين الحَيَاة. فهُناك العديدُ من الأشخاصِ الّذين لا يفهمُونَ شيئًا، ومن ثمّ لا يكون الحديثُ معَهم فِي هذا الموضُوعِ مُجدِيًا.

تعيشُ دمايَ الحجريّةُ علَى الشّاطِئ. وقبْلَ حلولِ الشّتاءِ، واظبتُ على زيارتِها كلَّ مساء. أمّا الآن، فلا أستطيعُ الذّهابَ قبْلَ حلولِ الرّبيعِ، وسوفَ تكونُ هُناك أيْضا. الرّائعُ فِي الأمرِ أنّ هذه الكائناتِ لا تتغيَّر. نورا هي أوّلُ منْ عرفت. لذلكَ أعتقدُ أنّي أحبُّها أكثرَ منْ باقي الدُّمى. إنّها تعيشُ في «أندروز كوف»، ولها شعرٌ أسودُ، وعينان سوداوان، وتعرفُ كلَّ شيءٍ عنْ الطّحالبِ وحوريّاتِ البَحْر. يجبُ أنْ تستمِعِي إلَى الحكاياتِ الّتِي ترْوِيها. وهناك أيضًا توأمُ البحّارة.

ليْسَ لديْهم مسكنٌ قارٌّ، لأنّهم يُبْحِرونَ مُعظمَ الوقت. لكنّهم يأتون باستمرارٍ للحديثِ إليّ علَى الشّاطئ. إنّهما بحّارانِ مرحانِ، شاهدا كلَّ شيءٍ على الأرضِ، وأكثر من ذلك قليلا. هل تعرفين ماذا حدثَ لأصغرهم؟ ذات يومٍ، وهو يبحرُ، وصلَ إلى وسَطِ ضوءِ القمَر. هل تعرفين يا آنستي، أنّ ضوءَ القمرِ هوَ طريقٌ يرسمُه القمرُ المكتملُ في الماء عندما يُطلُّ علَى البحر. وهكذا، أبحرَ أصغرُ التّوأمِ عبْرَ الضّوء. كانت هُناك بوّابةٌ ذهبيّةٌ بداخلِ القمرِ، فتَحَها، وعَبَرَ منْ خلالِها. لقد عاشَ بعضَ المغامراتِ الرّائعةِ في القمرِ، ولكنّ هذه الرّسالةَ ستكونُ طويلةً جدًّا لوْ رويتُهَا لكِ.

من دمايَ أيضًا سيّدةُ الكهفِ الذّهبيّة. ذات يومٍ، اكتشفتُ كهفًا كبيرًا علَى الشّاطِئ، فدخلته، وبعد لحظاتٍ تعرّفتُ على السّيّدة الذّهبيّة. نزلَ شعرُها الأشقرُ حتّى قدميْها، ولمعَ فستانُها، وتوهّجَ، وكأنّها قد صُنِعتْ منَ الذّهبِ الخام، أو كأنّها قيثارةٌ تُمسِكُها، وتعزفُ عليْها طَوالَ اليوْم. نستطيعُ متى أردْنا سماعَ المُوسيقى تنبعثُ علَى الشّاطئِ، لكنْ، إذا أصغينا جيّدا. أمّا بالنّسبةِ إلى معظمِ النّاسِ، فهم لا يسمعُون سِوى صوتِ الرّيحِ وهي تزفرُ في الصُّخور. لم أتحدّثْ عنِ السّيّدةِ الذّهبيّة إلى دُورا مُطْلقا. لأنّي أخافُ أنْ أجرحَها. بلْ إنّها تحزنُ حتّى عندما أتحدّثُ طويلًا مع البحّارةِ التّوأم، اللّذينِ أقابلُهما دومًا عنْد الصّخورِ المُخطَّطة. يتميّز أصغرُهما بودٍّ طبيعيٍّ، بينما يميلُ الأكبرُ أحيانًا إلى التّعبيرِ بشراسةٍ شدِيدة. تنتابُني شكوكٌ كبيرةٌ حيالَه. وأعتقدُ أنّ بإمكانِهِ أنْ يصبحَ قرصانًا لوْ تجرّأَ علَى ذلك. هناك غموضٌ كبيرٌ يحيطُ به. ذات يومٍ، تفوّه بشتيمةٍ، فحذّرته أنّه إنْ

كرّرَ فعلتَه فلنْ يتمتّعَ بعدها بمحادثتي على الشّاطئِ، لأنّي وعدتُ جدّتي بألاّ أتحدّث مطلقًا إلى شخصٍ يتفوّهُ بالشّتائِم. أؤكّد لكِ أنّه أصيبَ بخوفٍ كبيرٍ، ووعدَني أن يصطحبني لأرَى الشّمسَ الغاربَةَ إذا سامحتُه. وفي المساءِ الموالي، كنت جالسًا على الصّخورِ المخطّطةِ، عندما جاءَ الأكبرُ سنًّا في قاربٍ مسحورٍ، فركبتُه. بدا القاربُ مثلَ قوقعةِ محّارٍ، ممتلئةٍ باللّؤلؤِ والسّوسنِ، وبدا الشّراعُ شبيهًا بشعاعٍ قمَريّ. وهكذا أبحرنَا نحو الشّمسِ الغاربة. صدّقي أو لا تصدّقي يا آنستي، لقد ولجتُ بداخلها.

وكيف تتخيّلين هذِه الأُعْجُوبة؟ لقد بدتْ شبيهةً بحديقةٍ واسعةٍ ممتلئةٍ بكلِّ أصنافِ الأزهَار. أمّا السّحابُ فهو عبارةٌ عنْ أسِرَّةٍ منَ الورُود. رسوْنا في ميناءٍ كبيرٍ، يتلألأ كالذّهبِ، وقفزتُ خارجَ الزّورقِ نحو حقلٍ واسعٍ مزيّنٍ بأعشابٍ ذهبيّةٍ مثلَ الأزْهار. مكثتُ هُناك لوقتٍ طويلٍ، بدا مثلَ سنةٍ كامِلة. ولكنّ كبيرَ التّوأمِ أخبرني أنّنا لم نبقَ سِوى بضعِ دقائِق. كما ترينَ، يسيرُ الوقتُ ببطءٍ أكبرَ في بلدِ الشّمسِ الغارِبَة.

تلميذكِ العطوفُ

بول آرفنغ».

ملاحظةٌ: بالطّبعِ يا آنسِتي، هذه الحكايةُ متخيّلَة.

(12)
يومٌ حزينٌ

بدأَ الأمرُ بالفعلِ ليلةَ البارحةِ، عندما اشتدَّ بها وجعٌ في الأسنانِ وخفقانٌ منعَ عنها النومَ طَوال اللّيل. وعندما استيقظتْ في صباحِ الغدِ الشّتويِّ الكئيبِ، تولّد لديها انطباعٌ بأنَّ الحياةَ خاليةٌ منْ أيِّ نكهةٍ، وعاجزةٌ عنِ الإتيانِ بأيّ شيءٍ جميلٍ.

لمْ تشعرْ بأنَّ مزاجَها ملائكيٌّ عندما ذهبتْ إلى المدرسةِ، بخدِّها المتورّمِ، ووجهِها المُوجِع. ولمْ تشتعلِ الأضواءُ في قاعةِ الدّرسِ، فظلّتْ باردَةً ومظلِمَة. تجمّع الأطفالُ قرب الموقدِ في مجموعاتٍ صغيرةٍ ترتجف. أرسلتهم آن ليجلسوا في أماكنهم بنبرةٍ جافّةٍ أكثر منَ المألوف. سار أنطوني باي نحو مقعدِه المعتادِ، متبخترًا بخطواتِه المتعجرفةِ، ورأته يوشوشُ رفيقَهُ بشيءٍ مّا، ثمّ ينظرُ نحوَها مبتسِما. بدا لآن أنّ أقلام الرّصاصِ لمْ تُحدثْ منْ قبلُ صريرًا مثلما فعلتْ في ذلك الصّباح. وعندما قدِمتْ بربرا شو إلى مكتبِ المعلّمةِ للقيامِ بتلخيصٍ شفاهيٍّ، تعثّرتْ في دلوِ الفحمِ، وكانتِ النّتائجُ كارثيّة. إذ تناثر الفحم في كلّ زاويةٍ من زوايا الغرفةِ، وتكسّرتْ لوحةُ بربرا إلى قطع، وعندما نهضتْ بوجهٍ مغطًّى بالسّخامِ، أثارتْ ضحكَ الأولاد.

نظرتْ آن نحوَ تلاميذِ السّنةِ الثّانية. وكانت تقدّم إليهم درسًا في القراءةِ، ثمّ قالت لبربرا بنبرةٍ جامدةٍ:

- حقّا يا بربرا، إن كنتِ غيرَ قادرةٍ على الحركةِ دونَ أنْ تُسقِطِي شيئًا، فمنَ الأفضلِ أنْ تظلّي في مكانِك. إنّه أمرٌ بشعٌ أن تكون فتاةٌ في سنّكِ مضطربةٌ إلى هذِه الدّرجة.

عادت بربرا المسكِينةُ متعثّرةً إلى مقعدِها. وامتزجتْ دموعُها بغبارِ الفحمِ، فبدتْ خرقاءَ بشكلٍ كبير. لقد انكسر قلبُها، لأنّه لم يسبقْ لمعلّمتِها المحبوبةِ واللّطِيفةِ في العادةِ، أن وجّهتْ إليها الكلامَ بهذه الطّريقة. وحتّى آن شعرتْ بالنّدمِ، فرفّع هذا في توتّرِها. سيظلُّ قسم السّنةِ الثّانيةِ يتذكّر درسَ القراءةِ هذا، وكذلك درسَ الحسابِ المرهقِ المُوالي. وما أنْ أنهتْ آن الملخّصاتِ الشّفاهيةَ، حتّى وصل سانت كلير دونيل إلى القسمِ لاهثا.

ذكّرته آن بنبرةٍ جافّةٍ:

- أنت متأخّرٌ بنصفِ ساعةٍ يا سانت كلير. لماذا؟ أخبرْني أرجوك.

أجاب سانت كلير بكلِّ الاحترامِ الواجبِ:

- آسفٌ يا آنسِتي. كان يجبُ أن أساعد أمّي على إعداد المرطّباتِ، لأنّنا سنستقبل ضيوفًا، وكلاريس أليرا مريضة.

ولكنّ ذلك لم يمنعْ زملاءَه منَ الضّحِك.

أمرته آن:

- اذهبْ، واجلِس! وكعقابٍ، عليك أن تحلَّ ستَّ مسائلَ في الصّفحةِ: 84 من كتابِ الحساب.

بدا سانت كلير مندهشًا من النّبرةِ التي حدّثته بها. ومع ذلك، ذهبَ إلى مقعدِه خاضعًا لأوامرها، وأخرج لوحته. وأخرجَ معها لُفافةً من الورقِ قدّمَها خلسةً إلى جو سلون، في الممرِّ، بيْن المناضِد. وعندما ضبطتْهُ آن متلبّسا، توصّلتْ إلى نتيجةٍ فاجِعَة.

اضطلعتْ مؤخّرًا السّيّدةُ هيرام سلون العجوزُ بمهمّة صنعِ مرطّباتٍ بالجوزِ، وبيعِها، حتّى ترفّعَ في مدخولِها الضّئِيل. فمثّلتْ هذه المرطّباتُ إغراءً لمْ يستطعِ التّلاميذُ مقاومتَهُ بسُهولة. وواجهتْ آن مشاكلَ جدّيّةً متعلّقةً بهذا الموضوعِ، منذ أسابيعَ عديدة. إذ كان التلاميذُ في طريقِهم إلى المدرسةِ، يصرفُون نقودَهم عنْدَ السّيّدةِ هيرام، فيُحضِرونَ المرطّباتِ إلى القسمِ، ويتناولونها إذا أمكنَ، ويُغدِقون منْها على زملائِهم خِلالَ الدّرس. حذّرتهم آن بأنّها ستُصادر هذه الحلويّاتِ إذا واصلوا إحضارَها، وها أنّ سانت كلير يسمحُ لنفسِه أمامَ أنظارِها، وبوقاحةٍ، بتمريرِ قطعةِ مرطّباتٍ ملفوفةٍ في الورقِ المخطّطِ بالأبيضِ والأزرقِ، الّذي تستعمله السّيّدةُ هيرام.

قالت آن بهدوءٍ:

- جوزيف، أحضرْ تلكَ اللّفافَة!

استجابَ لها جو، مُتفاجِئًا ومُرْتبِكا. كان وغدًا سمينًا، يحمرُّ وجهُه كلّما شعُر بالخوف، ويبدأُ بالتّلعثم. لم يبدُ أنّ أحدًا على الإطلاقِ قد شعُرَ بالذّنبِ مثلَه في تلكَ اللّحْظة.

أمرته آن:

- حسنًا، ارمِها في النّار.

نظرَ جو نحوَها مُشوّشا. وبدأ:

- أر... أر... أرجو...أرجوكِ...آ...آ...آنسة...آنستي.

- افعلْ ما طلبتُه منكَ جوزيف، ولا تُضفْ كلمةً واحِدة !

تلعثم فاقدًا كلّ أملٍ:

- ولكن...لكن... آنسة...آنستي...إنّ...إنّها...

قاطعتهُ آن:

- جوزيف هل ستُطيعني أم لا؟

حتّى طفلٌ جريءٌ وواثقٌ من نفسِهِ مثل جو سلون، كان سيُعجبُ بنبرةِ صوتِ آن، وبالبريق الخطيرِ اللاّمعِ في عينيها. إنّها آن أخرى، لم يرها أيّ تلميذٍ من تلاميذها من قبلُ. ألقى جُو نظرةً مُؤلمةً نحو سانت كلير، ثمّ سار إلى الموقدِ، وفتحَ البابَ الأماميَّ المربّعَ والكبيرَ، ثمّ رمى باللّفافةِ البيضاءِ والزّرقاءِ، قبْل أن يتمكّنَ سانت كلير، الّذي انتصب واقفًا، من التّدخّلِ. تراجعَ سانت كلير في الحين.

وخلال لحظاتٍ، تساءل شاغِلو مدرسةِ «آفونلي» المرعوبون عمّا إذا كانوا ضحايا لزلزالٍ أو انفجارٍ بركانيّ. فاللّفافةُ الّتي تبدو للوهلة الأولى غير ضارّةٍ، والّتي تسرّعتْ آن في الاعتقادِ أنّها تحتوي على مرطّباتٍ بالجوزِ أعدّتها السّيّدةُ هيرام، كانت تحتوي في الحقيقةِ على مجموعةٍ من المفرقعاتِ والصّواريخ، أحضَرها والدُ سانت كلير دونل من المدينةِ، لوارين سلون، من أجلِ حفلةِ عيدِ ميلادٍ كانت ستُعقدُ في الأمسيةِ نفسِها. انفجرتِ المفرقعات بضوضاءَ مدوّيةٍ،

وانفتحَ بابُ الموقدِ بعنفٍ، والتفّتِ الصّواريخُ بجنونٍ داخِلَ الغُرفةِ مُصفِّرةً ومُطقْطِقَة. تهالكتْ آن على مقعدِها، مبيضّةً من الدّهشة، بينما تمسّكتِ الفتياتُ بمناضدِهنّ صارِخات. وتسمّر جو سلون في مكانِه، بينما انفجرَ سانت كلير ضاحكًا، وبدأ يذرعُ الممرَّ بين الصّفوفِ جيئةً وذهابا. في حينِ أغمِيَ على بريللي روجرسون، وراحتْ آنيتا بيل ضحيّةً لنوبةٍ من الهستيريا.

تواصلتِ الحادثةُ بضعَ دقائِق. ولكنْ، بدا أنّ وقتًا طويلًا مرّ قبل أن يتلاشى آخرُ صاروخ. استجمعت آن حواسّها، وسارعتْ لفتحِ الأبوابِ والنّوافذِ كي تسمحَ للغازِ والدّخانِ المتجمّعينِ في الغرفةِ بالخروج. ثمّ ساعدتْ بعدها الفتياتِ على حملِ بريللي فاقِدةً للوعيِ نحْوَ الرّواق. وهناك قامتْ بربرا بسكبِ ستّةِ دِلاءٍ منَ الماءِ على وجهِها وكتِفيْها، راغبةً بشدّةٍ أن تبدُوَ مُفِيدةً في شيءٍ مّا، قبْل أن يتمَّ إيقافُها.

لم يعُدِ الهدوءُ سوى بعد مرورِ ساعةٍ كاملةٍ، ولكنّه عندما عاد، كان هدوءً تامّا. فقد فهمَ الجميعُ أنّ الانفجارَ لم يساهمْ على الإطلاقِ في تحسِينِ مزاجِ آن. لم يجرؤْ أحدٌ على وشوشةِ كلِمةٍ واحدةٍ، ما عدا أنطوني باي. وعندما أصدرَ قلمُ رصاصِ نيد كلاي صريرًا عن غيرِ قصدٍ استرْعَى انتباهَ آن، تمنّى في تلك اللّحظةِ أن تنفتحَ الأرضُ وتبتلعَه. وفي درسِ الجغرافيا، عَبرَ التّلاميذُ قارّةً بأكملِها، بسُرعَةٍ أصابتْهم بالإغماء. وفي درسِ النّحوِ واجهُوا التّحاليلَ الأكثر صرامةً في حياتِهم، وشعُر شستر سلون وهو يخطئُ في تهجئةِ عبارةِ: «ذي

رائحة»[1] ناطقا الرّاءَ مرّتين، بأنّه لنْ ينجوَ مطلقًا منْ هذا العارِ، لا في هذا العالمِ ولا في أيّ عالمٍ آخر.

كانت آن تعرفُ أنّها ستصبحُ موضعَ ضحكٍ، وأنّ الجميعَ سيسخرُ من الحادثةِ وقتَ تناولِ الشّاي، ويقينها بحصولِ هذا رفّعَ في غضبِها. ولو كانت في مزاجٍ أكثر هدوءٍ، لأمكنها الخروج من الوضع بالضّحكِ، وهو ما كانَ مستحيلًا في تلك اللّحظة. لذلك، تجاهلتْ ذلك في ازدراءٍ بارِد.

وعندما عادت إلى المدرسةِ بعد الغداء، كان جميعُ التّلاميذِ في أماكنِهم، كالعادةِ، ووُجوهُهم مائلةٌ نحو مقاعدِهم، ما عدا أنطُوني بايْ. كان يحدّقُ في آن من فوقِ كتابِهِ، وعيناهُ السّوداوان تأتلِقانِ فضوليّتيْن ولئيمتيْن. سحبتْ آن بحركةٍ جافّةٍ دُرجَ مكتبِها لتأخذَ قطعةَ الطّباشيرِ، فشعرت بفأرةٍ حيّةٍ تحت يدِها. قفزتِ الفأرةُ خارجَ مخبئِها، وركضتْ فوق المكتبِ، ثمّ قفزتْ منْ جديدٍ نحو الأرضِيّة.

أطلقتْ آن صرخةً، وتراجعت فجأةً، كأنّ أفعى لسعتْها، بينما انفجرَ أنطوني باي ضاحِكا. ثمّ خيّم الصّمتُ. كان صمتًا ثقيلًا يجعلُ القشعريرةَ تسري في الأبدانِ. كانت أنيتا بيل على شفا نوبةٍ هستيريّةٍ جديدةٍ خصوصًا وأنّها تجهلُ أينَ اختبأتِ الفأرَة، ومع ذلك تمالكتْ نفسَها. فأيّ راحةٍ ستجنِيها منْ نوبةٍ هستيريّةٍ جديدةٍ، إذا كانت الأستاذةُ الواقفةُ أمامَها شاحبةً، وعيناها صارختانِ.

سألتْ آن:

---

(1) odoriferous في النص الأصلّي.

- من وضعَ هذه الفأرةَ في دُرْجي؟

تحدّث آن بصوتٍ خفيضٍ، غيرَ أنهّ بثّ قشعريرةً على امتدادِ عمودِ بول آرفنغ الفقَريّ. وشعر جو سلون مُتفاجئًا بنظرتِها أنّه مسؤولٌ منْ شَعرِهِ حتّى أخمصِ قدميْهِ، فبدأ يغمغمُ بارتباكٍ:

- لستُ... ل... ل... لستُ أ... أن...أنا ... آنستي... ل... لست أنا.

لم تُعرْ آن جوزيف المسكينَ انتباها. ونظرتْ نحو أنطوني باي، فنظر الصّبيُّ نحوها بدورهِ، غير شاعرٍ بالخوفِ ولا بالخَجل.

- هل كنتَ أنت يا أنطوني؟

أجاب بوقاحةٍ:

- نعم، أنا.

أخذتْ آن العصَا من فوقِ مكتبِها. كانت عصًا منَ الخشبِ الصّلبِ طويلةً وثقيلةً.

واجه أنطوني سابقًا عقوباتٍ أكثرَ قسوة. أمّا آن، فحتّى وإن وصلت إلى قمّةِ غضبِها، تعجزُ عنْ معاقبةِ طفلٍ بقسْوَة. ولكنَّ العصَا ضربتْ هذه المرّةَ بقوّةٍ شديدةٍ فقد بعدَها أنطوني وقاحتَه. وفي النّهايةِ، أومأَ بوجهِه، وصعدتِ الدّموعُ إلى عينيْه.

تركت آن العصا تسقطُ من يدِها، مُعذّبةً بالإحساسِ بالذّنبِ، ثمّ أرسلتْ أنطوني كي يعودَ إلى مقعدِه. ثمّ جلست إلى مكتبِها، نادمةً ومقهورةً بمرارة. وسرعان ما تلاشتْ نوبةُ غضبِها السّريعة. كان بوسعِها دفعُ أيِّ مقابلٍ، إزاءَ أن تُخفِّفَ عنْ نفسِها الرّغبةَ في البُكاء.

هكذا إذنْ ! أوصلها تبجّحها إلى هذا فِي النّهاية!، أن تضربَ تلميذًا لها !. كم ستشعرُ جين بالنّصرِ! وكم سيضحكُ السّيّدُ هاريسون! أمّا المحزِنُ أكثرَ فِي الأمْرِ، فهو خسارتُها فرصتَها الأخيرةَ، للفوزِ بقلبِ أنطوني باي. لمْ يبقَ أيّ أملٍ لكسبِ حبّهِ بعْدَ الآن.

كبتتْ آن دُموعَها إلى حين عودتِها إلى البيتِ، متكبّدةً ما يُسمّى «عناءً هِرقليًا». وهكذا حجزتْ نفسَها في غرفةِ الجناحِ الشّرقيِ، وسكبتْ كلَّ خجلِها وخيبتِها وندمِها على وسادتِها. ظلّتْ تبكي لوقتٍ طويلٍ، إلى درجةِ أنّ ماريلّا انتبهتْ إلى ذلك، وجاءت لتتفقّدَها في غرفتها، وأصرّتْ على معرفةِ سببِ حُزنِها.

نشجتْ آن:

- ضميري يؤنّبني. يا له من يومٍ حزينٍ عشته يا ماريلّا! إنّي خجلةٌ جدًّا منْ نفسِي. لقد فقدتُ السّيطرةَ وضربتُ أنطوني باي بالعصا.

أجابتْ ماريلّا بنبرةٍ حاسِمةٍ:

- إنّي سعيدةٌ لسماعِ هذا، كان عليكِ فِعلُه منذُ وقتٍ طويل.
- أوه! لا، لا، يا ماريلّا. لا أعرفُ كيف سأنظرُ إلى هؤلاءِ الأطفالِ في وجوهِهم الآن. لديَّ انطباعٌ بأنّي منحطّةٌ بشكلٍ كامل. لقد رددتُ الفِعل بغضبٍ وكرهٍ شديدَين. كان ذلك مُريعا. لن أنسى أبدًا الحيرةَ وخيبةَ الأملِ في عينيْ بول آرفنغ. أوه! ماريلّا، لطالما حاولتُ أن أبدوَ صبورةً، وأن أفوزَ بحُبِّ أنطوني. وها أنّ جهودِي قد ذهبتْ هباءً.

مرّرتْ ماريلّا يدَها الخشنةَ بلُطفٍ شديدٍ في شعْرِ الشّابّةِ اللاّمعِ والمشْعث. وعندما فقدتْ دموعُ آن كثافتَها، قالتْ لها برقّة:

- إنّكِ تأخذِين الأشياءَ بحساسيّةٍ كبيرةٍ يا آن. فنحن جميعًا نرتكب الأخطاءَ، ولكنّ النّاس ينسَوْنَها. هُناك أيّامٌ مُضرّةٌ في حياةِ الجميع. أمّا بالنّسبةِ إلى أنطوني باي، فهل يُهمُّ حقًّا إذا كان الوحيد الّذي لا يُحبّك؟

- الأمرُ أقوَى مِنّي. أريدُ أن أكون محبوبةً مِنَ الجميعِ، وأتألّمُ حقًّا عندما يستاءُ أحدٌ منّي. أوه! لقد تصرّفتُ اليومَ كحمقاءَ يا ماريلّا. سوف أروي لكِ كلَّ شيء.

استمَعتْ ماريلّا إلى قصّتِها. وبالرّغمِ منْ أنَّ بعضَ المقاطعِ جعلتْها تبتسمُ، إلّا أنّها حاولتْ ألاّ تُظهرَ شيئًا منْ ذلك.

طمأنتْها ماريلّا عندما صمتتْ:

- حسنًا، لا عليكِ يا آن. فهذا اليوم قد انتهى، وغدًا هو يومٌ آخر، لا يشوبه شيءٌ، مثلما تعوّدتِ أنْ تقولي. والآن، انزلي لتناولِ العشاء. سوف ترينَ أنَّ فطائرَ البرقوقِ الّتي أعددتُها اليومَ، مع كوبٍ طيّبٍ منَ الشّايِ، سوف ترفّعُ في معنويّاتِك.

أجابتْ آن مهمومةً:

- فطائرُ البرقوقِ لمْ تُشْفِي رُوحًا مرِيضَةً قطّ.

أمّا بالنّسبةِ إلى ماريلا، فإنّ إجابةَ آن بهذهِ العِبرةِ يُثبتُ أنّها على الطّريقِ الصّحيحِ نحْوَ الشِّفَاء. وفعلًا، رفّعتْ في معنويّاتِها طاولةُ العشاءِ الجذّابةُ، بوجهَيْ التّوأمِ المتوهّجينِ وبفطائرِ البرقوقِ

الاستثنائيّةِ منْ يديْ ماريلّا، الّتي التهمَ منها دايفي أربعَ قطَع. نامتْ جيّدًا تلكَ اللّيلة. وفي صباحِ الغدِ، وجدتْ أنّها والعالَمَ منْ حولِها قدْ تحوّلا. نزلتْ، طَوَالَ اللّيْلِ، ثلوجٌ سميكةٌ وملسَاء. فاتَلَقَ هذَا المَنْظرُ المُرتّبُ تحْتَ أشعّةِ الشّمْس. وبدا وكأنَّ معطفًا منَ الرّأفةِ يغطّي كلَّ أخطاءِ الماضِي وإهاناتِه.

ترنّمتْ آن وهي ترتدِي ملابسَها:

- كلُّ صباحٍ هو انطلاقةٌ جدِيدة. الصّباحُ يُجدِّدُ العالَمَ.

أجبرتْها الثّلوجُ على استقلالِ الطّريقِ الرّئيسيّةِ نحْوَ المدْرَسَة. ومن سخريّةِ الأقدارِ، أنّها اعترَضَتْ أنطوني باي. كان يشقُّ طريقَه بعناءٍ فِي اللّحظةِ نفسِها الّتي غادرتْ فيها دربَ «غرين غابلز». فشعُرتْ بالذّنبِ وكأنَّ وضعيّتيْهما قد انقلبَتا. ولكنّها لمْ تندهشْ من رفعِ أنطوني لقُبّعتِه، وهو ما لمْ يفعلْهُ فِي السّابقِ، ولا منْ سماعِهِ يقترحُ عليْها بلطفٍ: «هل أستطيعُ مُساعدَتَكِ على حمْلِ الكتُبِ يا آنستي. فالطّريقُ سيِّئة».

قدّمتْ إليْهِ آن الكتبَ، متسائِلةً هل كانتْ مستيقظةً فعلًا أمْ أنّها تحلُم. سارَ أنطوني بصمتٍ حتّى وصلَ إلى المدْرَسة. وعندما استعادتْ آن كُتُبَها وجّهت إليهِ ابتسامةً لطيفةً، ليست كتلك المألوفةِ التي توجّهُها إليه في العادة، وإنّما ابتسامة رِفقةٍ عفويّة. بادلها أنطوني الابتِسام. في الحقيقة، بدتْ ابتسامته شبيهةً بتقليد. تعرفُ آن أنّ تقليدَ الآخرين ليس لائِقًا في العادةِ، ولكنّ انطباعًا تولّد لدَيْها، بأنّها إذا لم تَحْظَ بعدُ بحبِّ أنطوني، فإنّها على الأقلّ قد استحقّتْ احترامَه.

أكّدتْ السّيّدة ليند هذا الانطباعَ عندما جاءتْ الأحدَ الموالي.

- حسنًا يا آن، يبدو أنّكِ تخلّصتِ منْ مشكلةِ أنطوني باي. فهو يقولُ إنّكِ حتّى وإن كنتِ فتاةً، فأنتِ في النّهايةِ أستاذةٌ جيّدةٌ، فضلًا عن أنّك قد ضربتِه مثلما يضْربُ الرّجلُ تمامًا.

أجابتْ بحزنٍ، شاعرةً بأنَّ قيَمَها قد خانتْها بطريقةٍ مّا:

- لم أتخيّلْ على الإطلاقِ أنّي سأتوصّلُ إلى محبّتِه عنْ طريقِ ضربه. يبدو لي هذا غيرَ عادلٍ بالمرّة. لكنّي أظلُّ مقتنعةً، مع ذلك، بأنَّ نظريّتِي حول الطّيبةِ لا يمكن أن تكونَ خاطئةً أبدا.

أجابتِ السّيّدةُ راشيل بحزمٍ:

- لا، ولكنّ عائلةَ باي تشكّلُ استثناءً لكلِّ القواعدِ المَعرُوفَة.

وعندمَا سمع السّيّدُ هاريسون الحكايةَ قال: «كنت أعرفُ أنّك ستصلين إلى هذا». أمّا جين فقد مازحتْها بشأنِ هذا كثِيرا.

(13)
نزهةٌ رائقةٌ

وهي متوجّهةٌ نحو «أوركارد سلوب»، التقتْ آن ديانا، الّتي كانتْ في طريقِها نحو «غرين غابلز». تقابلتا تحديدًا حيثُ يعتلي الجسرُ الخشبيُّ القديمُ المكسوُّ بالطّحالبِ، الغديرَ المنهمرَ فِي الغابةِ المسْحورة. جلستا على ضفّةِ عيْنِ السّاحراتِ، حيث تنبجسُ نباتاتٌ سرخسٍ رقيقةٌ مثلَ جَانٍ استيقظَ منْ قيلولةٍ بشعرٍ مجعّدٍ.

قالتْ آن:

- كنتُ في طريقِي كيْ أدعوَكِ لتساعدِيني على الاحتفالِ بعيدِ ميلادي، السّبتَ المُقبل.

- عيدُ ميلادك؟ ولكنّكِ ولدتِ في مارس !

أجابتْ ضاحِكةً:

- ليس هذا خطئِي. ولو استشارني والدايَ، لما كان هذا سيحدثُ على الإطْلاق. كنتُ سأختار الولادةَ في الرّبيع. فمنَ الرّائعِ أنْ تأتِي إلى العالَمِ مع شجيراتِ الزّعرورِ وأزهارِ البنفْسَج. سوف تتعاملِين معَها طَوال عمرِك كأخواتٍ منَ الرّضاعة. ولكن بما أنّ الحالَ ليستْ كذلك، فمن الأفضلِ أن أحتفلَ بعيدِ ميلادي في الرِبيع. سوفَ تأتِي بريسيلا

يوم السّبتؤ، وستكون جين في المنزل أيضًا. سوف نذهبُ أربعتنا إلى الغابةِ لنقضّيَ يومًا رائقًا في اكتشافِ الرّبيع. فلا واحدة منّا تعرفه بشكلٍ جيِّد. سنذهبُ لنلقاه هُناك، كما لا يمكن أن نلقاهُ في أيِّ مكانٍ آخر. أرغبُ في اكتشافِ كلِّ تلك الحقولِ والأمكنةِ المنعزلة. أنا مُتأكِّدةٌ مِنْ وجودِ أمكنةٍ عديدةٍ رأيناها، دونَ أن نتمكّنَ منْ تفحُّصِها فِعْلا. سوف نُصادِقُ الرّيحَ، والسّماء، والشّمس، ونعودُ إلى البيتِ بالرّبيعِ في قلوبِنا.

لاحظت ديانا مُضمِرةً شكًّا داخليًّا في سحْرِ كلماتِ صديقتِها:

- يبدو هذا رائعًا، ولكن، ألنْ تكون هُناك أمكنةٌ مبلّلةٌ جدّا؟

اعترفتْ آن:

- سوف نضعُ أحذيةً مطّاطيّةً إذن. وأرغبُ أن تأتِي فِي الصّباحِ الباكرِ يومَ السّبتِ لتساعدِيني على إعدادِ الطّعَام. أريدُ تقديمَ أكثر الأطباقِ لذّةً، وأشدّها تناغمًا معَ الرّبيع. هل فهمتني؟ فطائرُ بالكريما، وبسكويتٌ بالبندقِ، وآخر مغلّفٌ بالسّكّرِ المطحون، ومثلّجاتٌ ورديّةٌ وصفراءُ، ومرطّبات بالزّبدة. كما لا يجبُ أن ننسَى الشّطائرَ أيضًا، بالرغم من أنّها تفتقر إلى بعضِ الشّاعريّة.

كان يومُ السّبتِ مثاليًّا للتنزّهِ: نسمةٌ خفيفةٌ، سماءٌ بلا سحبٍ، جوٌّ مشمسٌ وحارٌّ، وريحٌ عابثةٌ تنفخُ عبْرَ المرجِ والبستان. كما تغطّتِ الأرضُ بعشبٍ رقيقٍ تتناثرُ عليه أزهارٌ تضيئُها الشّمْس.

وهو يحرثُ الأرضَ خلفَ المزرعةِ، شعُر السّيّدُ هاريسون بسحرِ الرّبيعِ يركضُ في شرايينِه، بالرّغمِ منْ سنِّه وطبعِهِ الجافّ. لقد رأى أربعَ شابّاتٍ يحملنَ قفافهُنّ تحتَ أذرُعِهنّ، ويعبرن طرفَ حقلِه، بمحاذاةِ شجراتِ التنّوبِ والبتولا، فتردّدَ صدَى نبرةِ أصواتِهنّ السّعيدةِ وضحكاتِهنّ بداخله.

تساءلتْ آن بفلسفتِها المعتادةِ:

- من السّهلِ جدًّا أن نكونَ سعداءَ في يومٍ مثلِ هذا، أليس كذلك؟ فلنحاول أنْ نجعلَهُ رائِعًا، حتّى نتمكّنَ منْ تذكّرِهِ بإعجابٍ طَوال حياتِنا. يجبُ أن نبحثَ عن الجمالِ، ونرفضَ رؤيةَ ما تبقّى. لننطلق، مرحى! مرحى!

- جين، أعتقدُ أنّك تفكّرين في أمرٍ مّا سيّءٍ حدث في المدرسةِ بالأمس.

غمغمتْ جين، مُتَفاجئَةً:

- وكيف عرفتِ هذا؟

- أوه، أنا أعرفُ هذهِ الملامِح. لقد ارتسمتْ على وجهِي أيضا. ولكنْ، تلطّفِي، وأبعدِي هذه الفكرةَ عن عقلِك. سوف تلقيْنَها يومَ الاثنينِ، وإذا ذهبتْ دون رجعةٍ، فهذا أفْضَل. أيتُها الفتياتُ، أيّتُها الفتياتُ، أنظرن إلى جذوعِ البنفسجِ تلك ! إنّها تستحقُّ الظّهورَ في معرضِ اللّوحاتِ الخالِدة. عندَما أدركُ الثامنةَ عشْرةَ من عمري، إذا كان مقدّرًا لي إدراكُها، فإنّ هذه البنفسجاتِ ستتجلّى لي عندَما

أغمضُ عينيّ، تمامًا كما هي الآن. إنّها الهديّةُ الأُولى المهداةُ إلينا اليوم.

قالتْ بريسيلا:

- لو استطعنا رؤيةَ قُبلةٍ، أعتقد أنّها ستشبهُ زهرةَ بنفسج.

أشرقَ وجهُ آن:

- أنا سعيدةٌ حقّا لأنّكِ عبّرت عنْ هذه الفكرةِ يا بريسيلا، عوضَ الاحتفاظِ بها لنفسِك. العالمُ مثيرٌ، هذا صحيحٌ، ولكنّه سيكون أكثر إثارةً لو تمكّن النّاسُ من التّعبيرِ عمّا يفكّرون بِه حقيقةً.

لاحظت جين بحكمة:

- أفضّلُ عدمَ سماعِ ما يفكّرُ فيه بعضُ النّاس.

- معكِ حقٌّ بلا شكّ. ولكنَّ هذا خطؤُهم. وعليهم أن يُبعِدوا أفكارَهم الشرّيرة. في كلّ الأحوالِ، نستطيعُ أن نعبّرَ عن أفكارنا اليوم بلا خوفٍ، لأنّها ستكون جميلةً جدّا. نستطيع التّعبيرَ عن كلّ ما يعبرُ أذهاننا. وهذا ما يُسمّى: مُحادَثَة. أنظرن، هذه المرّةُ الأولَى الّتي أرَى فيها هذا الدّربَ، ما رأيكنّ لو نكتشفه؟

كان الدربُ متعرّجًا جدًّا، وضيّقًا إلى درجةِ أنّ الشّاباتِ اضطررن إلى عبورهِ في صفٍّ واحدٍ، وأغصانُ البتولا تجرحُ وجوهَهنّ. أوتْ شجيراتُ التنّوبِ وسائدَ من الطّحالبِ النّاعمةِ، وأبعدُ قليلًا، حيثُ الغابةُ أقلُّ كثافةً، نمتْ مجموعةٌ متنوّعةٌ منَ النّباتات.

صرختْ ديانا:

- أنظرن إلى آذانِ الفيلة[1] تلك! سوفَ أقطِفُ باقةً كبِيرةً مِنْها. إنَّها جمِيلةٌ جدّا.

تساءلتْ بريسيلا بحيْرةٍ:

- كيفَ يمكنُ أن تُلقّبَ هذه الأشياءُ الصّغيرةُ، والرّشِيقَةُ، والخَفِيفَةُ مثلَ الرّيشاتِ، باسمٍ أخرقَ مِثْلَ هذا؟

أجابتْ آن:

- إمّا أنّ أوّلَ شخْصٍ سمّاها فاقدٌ للخيالِ، أو أنّهُ مُفرِطٌ فِيه. أوه أيّتها الفتياتُ، أنظرنَ إلى هذا !

و«هذا»: كان بركةً غيرَ عَمِيقةٍ تقعُ في منتصفِ مَسَاحَةٍ مفْتُوحةٍ، في نهايةِ الدّرب، سوف تجفُّ في نهايةِ الموسم، وتمتلئُ بنباتاتِ سرخسٍ فِي أوجِ نُمُوِّها. أمّا الآن، فهيَ فُسْحةٌ هادئةٌ، ومؤتلِقةٌ، ومدوّرةٌ مثلَ صحنٍ، وواضِحةٌ كالشّمْس، ومحاطةٌ بحلقةٍ منْ شجيْراتِ البتولا الصغيرةِ والنّحيلةِ، ومحدودةٌ على ضفافِها بسراخسَ صغيرَة.

صرختْ جين:

- يا له منْ أمرٍ رائعٍ !

قالتْ آن تارِكةً قفّتَها تسقطُ، ثمّ باسِطةً يديْها:

- لنقف في حلقةٍ حولَها، وكأنّنا حوريّاتُ غابةٍ.

---

(1) آذان الفيلة: نوع من أنواع نباتات الألوكاسيا ذات الأوراق الكبيرة.

ولكنّ الرّقصةَ لمْ تنجحْ مع ذلكَ، لأنّ التّرابَ كان مبلّلًا جدًّا، وغاصَ حذاءُ جين فِي الطِّين. فقالتْ:

- من المستحيلِ أن أكونَ حوريّةَ غابةٍ إذا كانَ عليّ ارتداءُ حذاءٍ مطّاطيّ.

اقترحتْ آن، مُخالِفَةً كلَّ منطقٍ للأحداثِ:

- علينا أن نُسمّيَ هذا المكانَ قبْلَ مغادرتِه. سوفَ تقترحُ كلُّ واحدةٍ منّا اسمًا، ثمّ نقومُ بالقرعة. ديانا؟

اقترحتْ هذه الأخيرةُ بسُرعةٍ:

- بركة البتولا.

اقترحتْ جين:

- بحيرةُ الكريستال.

رمقتْ آن بريسيلا بنظراتِها، وهي تقفُ وراءَهنّ، داعِيةً إيّاها أن تختارَ شيئًا أكثرَ طرافَة. فقفزتْ هذِه الأخيرةُ على الفرصةِ، مقترحةً: «زجاجٌ متلألئٌ». أمّا آن فاختارتْ: «مرآة السّاحرات».

سحبتْ جين الوفيّةُ دومًا لمهنتِها كمعلّمةٍ، قلمَ رصاصٍ منْ جيبها، وكتبتِ الأسماء على شرائحَ من لحاءِ البتولا. وضعوها في قبّعةِ آن. أغمضتْ بريسيلا عينيْها، وسحبتْ واحِدة. قرأتْ جين منتصرةً: «بحيرة الكريستال». هكذا سمّيتِ البركةُ إذن. ولئن اعتقدتْ آن أنّ الصّدفةَ قد أعدّت لها مكيدةً، فإنّها لم تقل شيئا.

وهنّ تكملن طريقهنّ عبْر الأشجارِ المتشابكةِ، خرجتِ الصّديقاتُ الأربعُ إلى العزلةِ الخضراءِ، وراء حقلِ السّيّدِ سيلاس

سلون. وهناك، وجدن بدايةَ دربٍ يقود إلى الغابةِ، واتّفقن على اكتشافِه. تُوّجت هذه المبادرةُ بسلسلةٍ من المفاجآت الرّائعة. كانت الأولى على حافّةِ الحقلِ متمثّلةً في مظلّةٍ من أشجارِ الكرزِ البرّيّةِ في أوجِ إزْهارِها. فوضعن قبّعاتِهنّ تحْتَ أذرعِهنّ، ورشقن تلك الزهورَ الرّقيقةَ بلون الكريمةِ في شعورِهنّ. التفّ الدّرب بعد ذلك في زاويةٍ قائمةٍ، ليدلف إلى بستانٍ من أشجارِ التنّوبِ شديدةِ الكثافةِ والظّلمةِ، إلى درجةِ أنّهنّ كنّ يتقدّمنَ مستضيئاتٍ ببريقٍ شبيهٍ بضوءِ القمَرِ، دون أن يميّزن زاويةً في السّماءِ، أو شعاعَ شمْس.

وشوشتْ آن:

- هنا عرينُ جانِ الغابةِ الأشرارِ. إنّهُم مؤذُون وعابثُون، ولكنّهم لا يستطيعُون إيذاءَنا، لأنّه غير مسموحٍ لهم بإيذاءِ الرّبيع. كان هُناك واحدٌ يراقبُنا خلسةً قرب شجرةِ صنوبرٍ قصِيرة. ألم ترينَ مجموعةً على ذلك الفطرِ الأرقطِ الكبيرِ الّذي مررنا به؟ السّاحراتُ الطيّباتُ يعشنَ دومًا في الأمكنةِ المشمسة.

قالتْ جين:

- أتمنّى لو أنّ السّاحراتِ موجوداتٌ فعلا. ألن يكون رائعًا أن نرى ثلاثَ أمنياتٍ أو حتّى واحدةً تتحقّق؟ لو كان هذا ممكنًا، ماذا ستطلبن؟ أمّا أنا، فأطلبُ الغِنى والجمالَ والذّكاء.

قالتْ ديانا:

- أنا أطلبُ أنْ أكونَ كبيرةً ورشيقة.

أضافتْ بريسيلا:

- أن أكونَ مشهورة.

فكّرتْ آن في شعرِها، ولكنّها تخلّتْ عنْ هذه الفكرةِ الّتي لم تكن تستحقُّ العناءَ في نظرها. ثمّ قالتْ:

- أرغب في أن يكونَ الفصلُ ربيعًا دوْما، في قلبِ كلِّ إنسانٍ، وفي حياتِنا برمّتها.

لاحظتْ بريسيلا:

- ولكنْ، هذا يشبهُ، تمامًا، تمنّي أن يصبحَ العالَمُ كلُّه جنّة.

- فقط كجزءٍ منَ الجنّة. في الأجزاءِ الأخرى، سوف يكونُ الصّيفُ، والخريفُ... نعم، وقليلٌ منَ الشّتاءِ أيضا. لأنّي أرغبُ في رؤيةِ حقولٍ متلألئةٍ من الثّلجِ، وأغطيةٍ بيضاءَ منَ الصّقيعِ، في مكانٍ مّا منَ الجنّة. وأنتِ يا جين؟

أجابت، منزعجةً:

- لا أعرف.

كانت جين فتاةً جيّدةً، ترتادُ الكنيسةَ بصفةٍ دوريّةٍ، وتسعى بضميرٍ إلى أن ترتقيَ إلى مستوى مهنتِها. كما أنّها تؤمنُ بكلّ ما درسته. ولكنْ، لمْ يحدثْ يومًا أنْ فكّرتْ فِي الجنّة.

تذكّرت ديانا ضاحكةً:

- سألتْني ميني ماي ذاتَ يومٍ إن كنّا سنرتدِي أجملَ فساتِيننا في الجنّةِ، كلَّ يومٍ.

سألت آن:

- وأجبتها بنعم؟

- بحقِّ الإله، طبعًا لا! أخبرتُها بأنّنا لن نفكّرَ مطلقًا في هذه الأشياءِ التّافهة.

أكّدتْ آن باقتناعٍ:

- أوه ! أعتقد أنّنا سنفكّرُ فيها... قليلا. سنتمتّع بوقتٍ طويلٍ كيْ نفعلَ هذا فِي الأبديّةِ، دون أن نتجاهلَ المواضيعَ الأكثرَ أهمّيّةً بالطّبع. أعتقد أنّنا سنرتدي جميعنا فساتينَ فاتنةً، أو ربّما كان مصطلحُ: ملابسُ فاتنةٌ مصطلحًا أكثرَ صوابا. سوف أرغبُ أوّلا في ارتداءِ اللّونِ الورديِّ خِلَالَ بعْضِ القرون. أنا واثقةٌ من هذا. لن أملَّهُ أبدًا قبْلَ انقضاءِ قرُون. فأنا أحبُّ الورديَّ كثيرًا، لذلك لا أرتدِيهِ في هذَا العالَمِ.

انحدرَ الدّربُ، بعد أشجارِ التنّوبِ، إلى فتحةٍ مشمسةٍ حيث يمتدّ جسرٌ خشبيٌّ فوقَ غدير. وأبعدَ بقليلٍ، ائتلقَ بستانٌ من أشجارِ البتولا، حيثُ يُذكّرُ الهواءُ بنبيذٍ ذهبيٍّ شفّافٍ. كانتِ الأوراقُ خضراءُ يانعةٌ، والأرضُ فسيفساءُ تختلجُ فوقَها أشعّةُ الشّمْس. وبعْدَ ذلكَ ظهرتْ شجراتُ كرزٍ برّيٍ أخرى، ثمّ وادٍ مليءٌ بشجراتِ الصّنوبرِ النّحِيلة. وفي النّهايةِ وجدنَ هضبةً شديدةَ الانحدارِ إلى درجةِ أنّهنّ فقدنَ أنفاسهنّ وهنَّ يتسلّقنها. ولكنّهنّ عندما بلغنَ القمّةَ، تبدّت لهنّ أجملُ المفاجآت.

انتشرتْ أمامَهنّ «الحقول الخلفيّة» للمزارعِ الممتدّةِ حتّى طريقِ

«كارمودي» في الأعلى. وقبلها بقليلٍ، ظهرَ، هُناك، ركنٌ مُحاطٌ بأشجارِ الزّانِ والتنّوبِ، ومفتوحٌ منَ الجنوبِ، يُخفِي حدِيقةً، أو ما كان فِي السّابِقِ حدِيقة. تراءتْ لهنّ محاطةً بخندقٍ منَ الحجارةِ المتآكلةِ، ومغطّاةً بالأعشابِ والطّحالِب. وامتدّ على طولِ الجهةِ الشّرقيّةِ سياجٌ من أشجارِ كرزٍ للحديقةِ، بيضاءَ مثلَ ندفِ الثّلج. أمكنَ لهنّ أيضًا رؤيةُ آثارِ الدّروبِ القديمةِ وصفًّا مزدوجًا من شجيراتِ الوردِ تعبُرُ الوَسَط. أمّا المساحةُ المتبقّيةُ، فكانت مغطّاةً بأزهارِ البنفسجِ الصّفراءِ والبيضاءِ المتمايلةِ بأناقةٍ شديدةٍ، وسَطَ الأعشابِ الخضراءِ المُورِقة.

صرخت ثلاثٌ من الفتياتِ، بينما ظلّتْ آن تأمّل المشهدَ بصمتٍ مفكّرٍ:

- أوه ! كم هذا لطيف!

تساءلتْ بريسيلا مندهِشةً:

- كيف يمكنُ أن تُزرعَ حديقةٌ هنا؟

أجابت ديانا:

- لا بدّ أنّها حديقةُ «هستر غراي». لقد حدّثتني عنها أمّي، ولكنّي لمْ أرَها في السّابقِ أبدا. كنت أجهلُ أنّها ماتزالُ موجودةً إلى الآن. هل تعرفِين حكايتَها يا آن؟

- لا، بالرّغم من أنّ الاسمَ يبدو مألوفًا لديّ.

- أوه، ربّما رأيتِهِ فِي المقبرَة. إنّها مدفونةٌ في ركنٍ تحتَ أشجارِ الحور. تعرفين الحجرَ البنّيَ الصّغيرَ الّذي نُقِشتْ عليه بوّاباتٌ

مفتوحةٌ، والعبارةُ: «مُباركةٌ ذكرى هستر غراي، البالغةُ من العمرِ اثنين وعشرين عاما». جوردان غراي مدفونٌ إلى يمينِها، ولكنْ، ليس في قبْرِه شاهِدة. غريبٌ أنّ ماريلّا لم تحدّثْكِ أبدًا بهذِه الحِكاية. لقد حدَثتْ منذ ثلاثينَ عامًا، ولكنْ، لا أحد نسيَها أبدا.

قالتْ آن:

- حسنًا، إن كان هُناك حكايةٌ، فلا بدَّ أنْ نسمعها.

- فلنجلسْ هُنا، وسَط أزهارِ النّرجسِ لنسمعَ ديانا تحدّثُنا بِها. أنظرن أيّتُها الفتيات. هناكَ المئاتُ منها. لقد احتلّتْ كلَّ شيءٍ. وكأنّ الحديقةَ مغطّاةٌ بسجّادٍ تتشابك فيه أشعّةُ الشّمسِ والقمر. إنّه اكتشافٌ يستحقُّ العناء. آه، يدهشني التّفكيرُ في أنّي عِشتُ ستَّ سنواتٍ، وأقلّ من ميلٍ يفصلني عن هذا المكانِ، دون أن أراه أبدًا ! تفضّلي يا ديانا.

بدأتْ هذه الأخيرةُ:

«منذ زمنٍ بعيدٍ، كانت هذه الضّيعةُ تابعةً للشّيخ دايفيد غراي. لمْ يسكنْها. بل كان يسكنُ حيثُ يعيشُ الآنَ السّيّدُ سيلاس سلون. وذاتَ شتاءٍ سافرَ ابنه جوردان إلى «بوسطن» للعمل. وخلالَ إقامتِه هُناك، وقع في حبِّ فتاةٍ اسمها هستر موراي. كانت تعملُ في متجرٍ، وتكرهُ عملَها. إذ نشأتْ في الرّيفِ، وطالَما رغِبتْ في العودةِ للعيشْ هُناك. وعندما طلب منها جوردان الزّواجَ، أجابتْ بأنّها ستوافقُ شرْطَ

أنْ يصطحبَها بعيدًا، إلى مكانٍ هادئٍ، حيث لن ترَى سوى الحقولِ والأشْجار. وهكذا قدِما إلى «آفونلي». وحسْب السّيّدةِ لِيند، فقد قام بمخاطرةٍ كبيرةٍ بزواجِه منْ أمريكيّة. صحيحٌ أنّ هستر كانت رقيقةً جدًّا، ولا تُحسنُ إدارةَ شؤونِ البيتِ، ولكنّ أمّي تقولُ إنّها كانتْ فاتنةً ولطيفةً، وجوردان يعبُدها إلى درجةِ تقبيلِ التّرابِ الّذي تسيرُ عليْه. وهكذا قدّمَ السّيّدُ غراي ضيعَتَهُ إلى ابنِه، فبنَى منزلًا صغيرًا عاشَ فيه برفقةِ هستر أربعَ سنوات.

لم تكنْ تخرج بالمرّةِ، ولا أحد تقريبًا يأتي لزيارتِها، ما عدا أمّي والسّيّدةَ لِيند. هيّأ لها جوردان هذِه الحدِيقة. أحبّتْها كثيرًا، وظلّتْ تقضِي فيها معظمَ وقتِها. ربّما لم تكن تعرفُ كيف تهتمُّ ببيتِها، ولكنّها كانت موهوبةً في الاعتناءِ بالورود. ثمّ أصيبتْ بمرَض. تعتقدُ أمّي أنّها مُصابةٌ بالسّلِّ حتّى قبْلَ مجيئِها إلى «آفونلي». فلمْ تكنْ تنهضُ قطُّ، فضلا عن أنّ حالتَها ظلّتْ تضعفُ يومًا بعْدَ آخر. لمْ يتركْ جوردان أيَّ شخصٍ يعتنِي بها. كان يقومُ بكلِّ شيءٍ بِمُفرده، وتتذكّر أمّي أنّه كان يتصرّف بلطفٍ ورقّةٍ تمامًا كامرأة. فكلَّ يومٍ، يلفّها في شالٍ، ويحملُها إلى الحديقةِ، حيثُ تتمدَّدُ على مقعدٍ، سعيدةً بعضَ الشّيء. يُقالُ إنّها تطلبُ من جوردان أن ينحنيَ قربَها ليلَ نهارَ ليُصلّيَ كيْ تموتَ في الحديقةِ عندَما تحينُ اللّحْظة. واستُجيبتْ صلواتُه. فذاتَ يومٍ، حملها جوردان نحو المقعدِ، ثمّ قطف

كلَّ الورودِ المزهرةِ ليُغطّيَ بها جسمَها. ابتسمتْ له... ثمّ أغمضتْ عينيْها...».

وختمت ديانا بهدوءٍ:

- وكانت تلك النهاية.

تنهّدتْ آن وهي تمسحُ دموعَها:

- أوه، يا لها من حكايةٍ مؤثّرة!

سألتْ بريسيلا:

- وماذا حدثَ لجوردان؟

- باع الضّيعةَ بعد موتِ هستر، وعادَ إلى بوسطن. فاشتراها السّيّد جابيز سلون، ووسّع في المنزِلِ الصّغيرِ إلى حدودِ الطّريق. توفّيَ جوردان بعْد عشْرِ سنوات. فأُحضِرتْ جُثّتُه إلى هنا، ودُفِن قُربَ هستر.

لاحظتْ جين:

- لا أستطيعُ فهمَ كيف رغبتْ في العيشِ في هذا الرّكنِ المنعزلِ القصيّ.

أجابتْ آن بنبرةٍ متأمِّلةٍ:

- أوه! أستطيعُ فهمَ هذا بِسُهولة. أمّا بالنّسبة لي، فإنّي لا أرغبُ في هذا بِصورةٍ دائمةٍ، لأنّي إلى جانِبِ حبِّ الحقولِ والغاباتِ، أحبُّ كذلك رِفقةَ النّاس. ولكنّي أستطيعُ فهمَهُ في حالةِ هستر. لقد سئمتْ حدَّ الاختناقِ من أصواتِ مدينةٍ

كبيرةٍ، ومن مجموعِ النّاسِ الرّائِحين والوافِدين دونَ إعارةِ أيِّ انتباهٍ لها. لقد رغبت بكلّ بساطةٍ في الهروبِ منْ كلِّ هذا حتّى تعثرَ على ركنٍ هادئٍ، ورائقٍ، ومليءٍ بالخُضرةِ، حيث بإمكانِها الاستِراحة. وقد تحقّقَ حلمُها. وفِي رأيي أنَّ هذا لا يحدثُ لكلِّ البشر. كما أنّها عاشتْ أربعَ سنواتٍ جميلةً قبْل أن تموتَ، أربعَ سنواتٍ منَ السّعادةِ الكاملة. أعتقدُ أنّها محلُّ حسدٍ لا محلّ شكْوى. يا لها من صورةٍ هانئةٍ، أن نغلقَ أعينَنا، وننامَ بيْنَ الأزهارِ، تصحبُنا بسمةُ أكثرِ شخصٍ نُحبُّهُ على الأرض!

تابعتْ ديانا:

- كانت هي من زرعَ أشجارَ الكرز. لقد أسرّتْ إلى أمِّي أنّها لنْ تعيشَ ما يكفِي كيْ تتذوَّقَ ثِمارَها. ولكنّها ترغبُ في الاعتقادِ أنّ شيئًا مّا زرعتْهُ سيواصلُ العيْشَ وتزيينَ العالَمِ منْ بعدِها.

صرختْ آن، بعينيْن لامعتيْن:

- أنا حقًّا سعيدةٌ لأنّي جئتُ إلى هنا. تعرفنَ أنّي اخترتُ هذا اليومَ لعيدِ ميلادِي، وتلقّيتُ هذه الحديقَةَ وحكايتَها كهديّة. هل وصفتْ لكِ أمُّكِ هستر يا ديانا؟

- لا... أعرفُ فقطْ أنّها كانتْ جميلة.

- يُعجبني هذا في الواقعِ، لأنّه يتسَنّى لي تخيّلُها دون أن تقيّدَنِي الحقِيقة. أعتقدُ أنّها نحيلةٌ، ورقيقةٌ، بشعرٍ داكنٍ مُجعّدٍ،

وعينيْن بنّيّتيْن كبيرتيْن، مشبعتيْن باللّطفِ والخجلِ، ووجهٍ صغيرٍ شاحبٍ وكئيب.

تركتِ الشّابّاتُ قفافهنّ في حديقةِ هستر، وقضين بقيّةَ الظّهيرةِ في التنزّهِ في الغابةِ، والحقولِ المجاورةِ، وفي اكتشافِ أركانٍ ودروبٍ، واحدها أشدُّ سِحرًا من الآخر. وعندما شعرنَ بالجوع، توجّهنَ نحو المكانِ الأكثرِ سِحْرا. كان ذلك عنْدَ ضفّةِ غديرٍ هادرٍ بالمياهِ، حيثُ نمتْ أشجارُ البتولا البيضاءُ بيْن الأعشابِ الطّويلةِ والنّاعمة. جلسن قربَ الجذورِ للاحتفاءِ بالأشياءِ اللّذيذةِ الّتي أحضرتْها آن، وحتّى الشّطائرُ العاديّةُ لقتْ إعجابًا كبيرًا من تلك الشّهيّاتِ المنفتحةِ والصحّيةِ المشحوذةِ منَ الهواءِ الطّلقِ والجهدِ الجسديّ. أحضرتْ آن كؤوسًا وليموناضةً لضيفاتِها، ولكنّها حبّذتْ منْ ناحيتِها شُربَ مياهٍ مُنعشةٍ من الغديرِ في كوبٍ مصنوعٍ منْ لحاءِ البتولا. امتلأَ الكوبُ بماءٍ له طعْمُ الأرضِ، كما يجبُ أن يكونَ طعمُ الماءِ في الرّبيع. وبالنّسبةِ إلى آن، كان هذا ملائمًا لهذهِ المناسبَةِ أكثر من اللّيموناضَة.

صرختْ فجأةً مُشيرةً بإصبعِها:

أنظرن، هل رأيتنّ تلك القصيدة؟

- أين؟

بحثتْ جين وديانا بعينيْهما، كأنّهما تنتظرانِ رؤيةَ قوافٍ رونيّةٍ[1] محفورةٍ على أغصانِ أشجارِ البتولا.

(1) قوافي رونيّة: الأحرف الهجائيّة الروتينيّة أي مجموعة من الحروف الأبجديّة كانت تستخدم في كتابة مختلف اللّغات الجرمانيّة قبل اعتماد الأبجديّة اللاتينيّة.

- هناك في الغديرِ، تلك الكتلةُ الخضراءُ منَ الطّحالبِ، والماءُ المتدفّقُ عليها في تجاعيدَ ناعمةٍ شبيهةٍ بالشَّعرِ الممشّط، وشعاعُ الشّمسِ ذاك الّذي يعبُرها بعيدًا هُناك فِي المَاء. أوه، لم أرَ قطُّ قصيدةً أجمل من هذه!

لاحظتْ جين:

- أقولُ إنّها صورةٌ بالأحرى. فالقصيدةُ مكوّنةٌ منْ أبياتٍ وقوافٍ.

قالتْ آن وهي تُلاعبُ تجاعيدَ شعرِها الأشعثِ، بلونِ الكرزِ البرّيِ:

- بحقِّ الإله! لا! القوافي والأبياتُ ليستْ سوى الزّخارفِ الخارجيّةِ للقصيدَة. الأكمامُ والدّانتيلُ ليستْ أنت يا جين. القصيدةُ الحقيقيّةُ تكمنُ في الرّوحِ الّتي تسكنُها، والأجملُ هي روحُ قصيدةٍ لم تُكتبْ بعد. ليس متاحًا لنا كلَّ يومٍ أنْ نرى روحًا، حتّى روح قصيدة.

قالت بريسيلا بنبرةٍ حالمةٍ:

- أتساءل ماذا تشبهُ الرّوحُ، أقصدُ روحَ إنسان.

أجابتْ آن وهي تشيرُ بإصبعِها إلى شعاعِ شمسٍ خافتٍ يعبُرُ عبْرَ غصنٍ منْ أغصانِ البتولا:

تشبه هذا على ما أعتقد، ولكنْ، بأشكالٍ وخطوطٍ دون شكّ. أرغبُ في تخيّلِ أنّ الأرواحَ مصنوعةٌ منَ الضّوء. بعضُها مرقّطٌ ببقعٍ واختلاجاتٍ ورديّةٍ، والأخرى لها بريقٌ لطيفٌ مثْلَ ضوءِ

قمرٍ منعكسٍ على الماءِ.. وأخرى شاحبةٌ وشفّافةٌ مثل ضبابِ الفجر.

قالتْ بريسيلا:

- قرأتُ في مكانٍ مّا أنَّ الأرواحَ مثلُ الورُود.

قالتْ آن:

- إذن روحكِ هي نرجسةٌ ورديّة. وروح ديانا وردةٌ حمراءُ قانية. أمّا جين فروحُها وردةُ شجرةِ تفّاحٍ، ورديّةٌ ولطيفةٌ وحُلوة.

أضافتْ بريسيلا:

- أمّا أنتِ، فبنفسجةٌ بيضاءُ، قلبُها مخطّطٌ بشرايينَ بنفسجيّة.

وشوشتْ جين ديانا بأنّها فِي الواقعِ لا تفهمُ معنى كلامُهما. فماذا عنها؟

عادتِ الشّابّاتُ إلى البيتِ مع الضّوءِ الذّهبي لغروبِ شمسٍ هادئ. كانت قفافُهنّ ممتلئةً بأزهارِ النّرجسِ من حديقةِ هستر. قصدتْ آن المقبرةَ في الغدِ، ووضعتْ أزهارًا على قبرِ هستر. غنّتْ طيورُ أبي الحنِّ فوقَ أشجارِ الصّنوبرِ، ونعقتِ الضّفادعُ فِي المستنقَعَات. وفاضتْ كلُّ التّجاويفِ بيْنَ التّلالِ بنورِ الزمرّدِ والتوباز.

لاحظتْ ديانا الّتي كانتْ تقريبًا مذهولةً:

- لقد استمتعنا بشكلٍ جيّدٍ في النّهاية.

أضافت بريسيلا:

- كان يومًا رائعًا فعلا.

استخلصت جين:

- أحبُّ الغابةَ كثيرا.

ظلّتْ آن صامِتة. ونظرتْ بصمتٍ نحْوَ الغرْبِ، مُفكِّرةً في الصّغيرةِ هستر غراي.

(14)
خطرٌ وقع تجنّبُه

بعد عودتِها من مكتبِ البريدِ مساءَ الجُمُعةِ، انضمّتْ إلى آن السّيّدةُ ليند الّتي كانت تحملُ على كاهلِها كالعادةِ أعباءَ الكنيسةِ والبلدَة. وقالت:

- لقد ذهبتُ إلى «تيموثي كوتون» كي أطلبَ من آليس لويز أنْ تأتيَ وتساعدَني بضعةَ أيّام. لقد جاءتِ الأسبوعَ الفارطَ أيضًا، وحتّى وإن كانتْ تعملُ ببطءٍ، فذلك أفضلُ منْ ألاّ أجِدَ أحدًا على الإطلاق. ولكنّها مريضةٌ ولا تستطيعُ الحرَكة. حتّى تيموثي جالسٌ هُناك أيضًا، يسعلُ ويتذمّر. إنّه يحتضرُ منذُ عشرِ سنواتٍ، وأعتقدُ أنّه مازال سيحتضرُ عشرَ سنواتٍ أخْرى. فأُناسٌ مثلُه لا يستطيعون حتّى إنهاءَ موتِهم. ليست لديهم الطّاقةُ الكافيةُ ليتشبّثوا بشيءٍ مّا وينهُوه، حتّى وإنْ كان المَرَض. هذه العائلةُ كلُّها لامباليةٌ بشكلٍ رهيبٍ، والرّبُّ وحدَه يعلمُ ماذا ينتظِرها.

تنهّدتِ السّيّدةُ ليند، وكأنّها تشكُّ في أنّ المقدرةَ الإلهيّةَ نفسَها تجهلُ ذلك تماما. ثمّ تابعت:

- لقد ذهبتْ ماريلّا إلى طبيبِ العيونِ الثّلاثاءَ الفارطَ، أليْسَ

كذلك؟ كيف كان التّشْخِيص؟

أجابتْ آن بطموحٍ:

- كان الطّبيبُ سعِيدًا جدّا. فبالنّسبةِ إليهِ هُناك تقدّمٌ كبيرٌ، وليس هُناك أيُّ خطرٍ في أنْ تفقدَ بصرَها نهائِيّا. ولكنّهُ يقول إنّها لنْ تكونَ قادرةً على القراءةِ كثيرًا أو القيامَ بتطريزٍ دقِيق. وأينَ وصلتِ في تحضيراتِ البازارِ الخيريّ؟

كانتْ جمعيّةُ مساعدةِ السّيّداتِ تُعِدُّ لمعرضٍ وعشاءٍ، والسّيّدةُ ليند تترأّسُ المنظّمَة.

- إنّها تتقدّمُ، وهذا يذكّرني بشيءٍ مّا. ترغبُ السّيّدةُ آلان في أنْ نُعدَّ كشكًا شبيهًا بمطبخٍ تقليديٍّ، حيث نقدّمُ عشاءً من الفاصوليا بلحمِ الخنزيرِ المقدّدِ، والكعكَ، والفطائرَ، وما إلى ذلك. لقد بدأنا بجمعِ الأنتيكاتِ من كلِّ مكان. وافقتِ السّيّدةُ سيمون فلتشر على أن تُعيرنَا بُسُطَ والدتِها المضفورةَ، والسيّدةُ العجوزُ ماري شو على خزانةٍ بأبوابٍ زجاجِيّة. هل ستتركنا ماريلّا نستعمل شمعداناتِها البرونزيّةَ؟ نحتاجُ كذلك إلى كلِّ الأواني القديمةِ المُمكنَة. السّيّدةُ ألان مهتمّةٌ بِصفةٍ خاصّةٍ بصينيّةٍ زرقاءَ منقوشةٍ، إذا كان بإمكاننا الحصولُ عليها. ولكن لا يبدو أنّ لا أحد يملكها. هل تعرفينَ أينَ بإمكانِنا الحصولُ على واحدة؟

أجابتْ آن:

- تمتلك السّيّدةُ جوزيفين باري واحدَة. سوف أكتبُ إليها

أطلبُ منْها أنْ تعيرَنا إيّاها للمناسبة.

- الأفضل أن يكون هذا في أقربِ وقت. يجب أن يتمّ هذا العشاءُ خلالَ أسبُوعَيْن. يتنبّأُ العجوزُ آبي أندروز بهبوبِ عاصفةٍ رعديّةٍ، ونزولِ أمطارٍ في تلك الفترة، وهذا دليلٌ كافٍ على أنّ الطّقسَ سيكون جميلًا حينذاك.

هل منَ المجدي القولُ بألاّ نبيَّ في بلدِه. فقدْ كان المدعوّ «العجوز آبي» موضوعًا للنّكاتِ المتواصلةِ، خصوصًا وأنّ تنبّؤاتِه نادرًا ما تتحقّق. اعتادَ السّيّد إليشا رايت، الّذي يُعِدّ نفسَه العقلَ الرّاجِحَ للبلدةِ، ألاّ أحدَ منْ سكّانِ «آفونلي» فكّرَ يومًا في الاطّلاعِ على التوقّعاتِ الجوّيةِ في صحفِ «شارلوت تاون». فقد كان يكفِي سؤالُ العجوزِ آبي عمّا سيكونُ عليه الطّقسُ في الغدِ، وانتظارُ عكسِ ما يتوقّعُه تمامًا. ومع ذلكَ لا شيء أثْبَطَ همّتَهُ، وواصلَ هذا الأخيرُ في تنبّؤاتِه.

تابعتِ السّيّدةُ ليند:

- نرغب في أن ينتهيَ المعرضُ قبل فترةِ الانتخابات. فهكذا سيأتِي المترشّحونَ لإنفاقِ أموالٍ طائِلة. يقدّمُ المحافظونَ الرّشاوى يمينًا وشِمالا. سنقدّمُ إليهم الفرصةَ إذنْ لإنفاقِ أموالِهم بشرفٍ، ولو مرّةً واحدة.

صمتتْ آن. كانت مُحافِظةً طموحةً، وفاءً لرُوح ماثيو. ولكنْ، كان لها أشياءُ أخرى تقومُ بها أفضلَ منَ الدُّخُولِ في نقاشٍ سياسِيٍّ معَ السّيّدةِ ليند.

أحضرتْ إلى ماريلّا رسالةً تحتوِي الطّابعَ البريديَّ لمدينةٍ منْ «كولومبيا البريطانيّة». وقالتْ بعجلٍ عندما وصلتْ إلى البيتِ:

- لا بدّ أنّها منْ عمِّ الطّفليْن. أوه ماريلا! أتساءلُ ماذا يقولُ بخصوصِهم.

أجابتْ ماريلّا بنبرةٍ فظّةٍ:

- لمعرفةِ ذلك، من الأفضلِ أن تفتَحِي الرّسَالةَ وتقرئِيها.

كان يُمكنُ لأيِّ مُشاهدٍ نبيهٍ أن يُلاحظ أنّها متوتّرةٌ هيَ أيضًا، ولكنّها تُفضّلُ الموتَ علَى إظْهارِ ذلك. مزّقتْ آن الظّرفَ، وتفحّصتْ مضمونَ الرّسالةِ بطريقةٍ لامباليةٍ بعضَ الشّيءِ، وطائشة.

- يقول إنّه لنْ يستطيعَ الاهتمامَ بالطّفليْنِ هذا الرّبيع: كان مريضًا طَوالَ الشّتاءِ، فتأجّلَ زواجُه. إنّه يسألُ إن كانَ بإمكانِنا الاحتفاظُ بهُما حتَّى الخريفِ، ويقولُ إنّهُ سيحاولُ أنْ يأخذَهما عندَه في تلك الفترة. نستطيعُ، أليْس كذلك يا ماريلا؟

لاحظتْ ماريلّا بنبرةٍ مستاءةٍ، بالرّغمِ منْ أنّها شعرتْ خِفيةً بالارتياحِ:

- ليس لدينا حلٌّ آخر. في كلِّ الأحوالِ، إنّهما أقلُّ هرجًا، إلاّ إذا كنّا قدِ اعتدْنا علَى ذلك. لكنّ دايفي تحسّن كثيرا.

قالتْ آن بحذرٍ، كأنّها لم تكنْ مستعدّةً لتأكيدِ الحكمِ نفسِهِ على أخلاقِهِ:

- أصبح لديه حتمًا سلوكٌ أفضل.

فعندما عادتْ آن منَ المدرسةِ المَساءَ الفارِطَ، كان الطّفلان وحيديْن في البيتِ، لأنّ ماريلّا ذهبتْ لحضورِ اجتماعِ جمعيّةِ المُساعَدات. وجدتْ دورا نائمةً على أريكةِ المطبخِ، ودايفي قابعًا في خزانةِ الصّالونِ يبتلعُ في هناءٍ تامٍّ محتوى علبةِ مربّى خوخِ ماريلّا الأصفرِ، «مربّى الزيّاراتِ» كما كان دايفي يسمّيه، والّذي كان ممنوعًا عليهِ لمسُه منعًا باتّا. اكتسَتْ ملامحُهُ بشعورٍ بالذّنبِ كبيرٍ لمّا سارعتْ آن نحوَهُ، وانتشلتْهُ بسرعةٍ منَ الخِزانة.

- دايفي كيت، أنت لا تعرفُ إذنْ كمْ هو سيّءٌ منْ قِبلِكَ أنْ تأكلَ هذا المُربّى، بينما تمَّ منعُكَ من لمسِ أيِّ شيءٍ في هذِهِ الخِزَانَة؟

اعترفَ بانزعاجٍ:

- نعم، أعرفُ أنّ هذا سيِّءٌ، ولكنّه لذيذٌ جدّا، إنّها ثِمارُ خوخٍ معجُونة. ألقيتُ نظرةً فقطْ، وبدا لي طيّبًا جدّا، فأردتُ تذوّقَهُ بعضَ الشّيء. وضعتُ إصبَعِي في العلبةِ.

دمدمتْ آن في الأثناءِ.

- ثمّ مصصتُه بشكلٍ جيّد. وكان ألذَّ ممّا تخيّلتُه، إلى درجةِ أنّي التقطتُ مِلعقةً، وانغمستُ فيه.

وجّهتْ له آن خطابًا فصيحًا جدًّا عنْ خطِيئَةِ أكلِ مُربّى الخوخِ، إلى درجةِ أنّ الشّعورَ بالذّنبَ تمكّنَ من دايفي، ووعدها بنبرةٍ نادمةٍ وهو يقبّلُها بألاّ يعيدَ الكَرَّةَ مرّةً أخرى.

قال بثقةٍ فِي النّفسِ:

- في كلِّ الأحوالِ، سوف يكون هُناك ما يكفِي منَ المُربَّى فِي الجنّة.

كتمتْ آن ابتِسامَة.

- هذا ممكنٌ... إذا أردْناه. ولكنْ، ما الّذِي يجعلُكَ تؤمِنُ بهذا؟

- أليس هذا مكتوبًا فِي التّعاليم؟

- أوه لا! لا يوجدُ شيءٌ مثل هذا فِي التّعاليمِ يا دايفي.

أصرّ دايفي:

- أقول لكِ بلى، وجدتُ ذلك في مسألةٍ درّستْها لي ماريلّا الأحدَ الفارِط هي: لماذا علينا أنْ نحبَّ الرّبّ؟ والإجابةُ كانتْ: لأنّه يحفظُنا ويُخلّصُنا. الحِفظُ هو تمامًا كصناعَةِ المُربَّى، أليْس كذلك؟ إنّها فقطْ طريقةٌ أكثر لَبَاقَةً لقولِ هذا.

أجابتْ آن بِسُرعةٍ:

- أحتاجُ إلى كوبٍ منَ الماء.

عنْدَ عودتِها، لم يكنْ منَ السّهلِ عليْها إفهامُ دايفي أنَّ الحِفظَ المقْصُودَ فِي التّعاليمِ ليْسَ هو نفسُه الحِفظُ فِي الأغْذِيَة.

اعْتَرَفَ أخيرًا بتنْهيدَةٍ نفثَ معَها خيْبَةَ أملِه:

- فعلا، يبدُو أنّ الأمرَ أجملُ منْ أنْ يكونَ صحيحًا، كما أنّي أتساءَلُ متى يجدُ الرّبُّ الوقتَ لصناعةِ المُربَّى، والأبديّةُ كلُّها عبارةٌ عنْ يومِ أحدٍ واحدٍ، كما ذُكِرَ فِي النَّشِيد. أعتقدُ أنّي لا أرغبُ في الذّهابِ إلى الجنَّة. هل ستكونُ هُناك أيّامُ سبتٍ في

السّماءِ أيضًا يا آن؟

أكّدتْ له آن سعيدةً بأنَّ ماريلّا لمْ تكنْ هُناك لتسمَعَه، لأنّها سوف تُصدَمُ لامحالة:

- بالطّبعِ، نعمْ، وكلُّ الأيّامِ الأخُرى أيضا. وفي الجنّةِ، يكونُ كلُّ يومٍ أجملَ منْ سابقِهِ يا دايفي.

لا داعيَ للقولِ إنّ ماريلّا تغرسُ في التّوأمِ التّعاليمَ الدّينيّةَ التّقليديّةَ، وإنّها لا تشجّعُ أيَّ تكهّناتٍ متخيّلةٍ فِي هذا الموضُوع. إذ يتعلّمُ دايفي ودورا نشيدًا، ومسألةً منَ التّعاليمِ، وآيتيْنِ منَ الإنجيلِ كلَّ يومِ أحد. وبينَما تدْرُسُ دورا بتواضُعٍ، وتلقِي مثلَ آلةٍ صغيرةٍ، وربّما بفهمِ آلةٍ واهتمامِها أيضًا، يظهرُ دايفي، على العكسِ، فضولًا لا يكِلُّ، ويطرحُ باستمرارٍ أسئلةً تجعلُ ماريلّا خائفةً علَى إيمانِه.

- يقول شستر سلون إنّنا لنْ نفعلَ شيئًا آخرَ في الجنّةِ سوى المشيِ في الأنحاءِ بفساتينَ بيضاءَ والعزفِ علَى القِيثارات. ويقولُ إنّه يتمنَّى ألاّ يذهبَ إلى هُناك إلاّ بعْدَ انقضاءِ وقتٍ طويلٍ، لأنّهُ يعتقدُ أنّهُ سيحبُّ هذا أكثرَ، لمّا يكونُ شيخًا عجُوزا. يقولُ أيضًا إنّه منَ المُريعِ ارتداءُ الفساتينِ، وأنا أوافِقُه. لماذا لا يستطيعُ الملائكةُ الذّكورُ ارتداءَ السّراويلِ يا آن؟ شستر سلون مهتمٌّ بهذا لأنَّ عليهِ أنْ يصبحَ قَسّا. إنّه مضطرٌّ إلى ذلك، لأنّ جدّتَه تركتْ أموالًا لدراستِهِ، ولا يستطيعُ لمسَ المالِ، إلاّ إذا درَسَ اللّاهوت. أمّا أنا فأرغُب في محلِّ بِقالةٍ مثلَ السّيّدِ بلير، محلّ زاخرٍ بالحلْوى والموْز.

ولكنّي أفضّلُ الذّهابَ إلى جنّةٍ مثْلَ الّتي وصفتِها، شرطَ السّماحِ لِي بعزفِ الهارمونيكا بدَلَ القِيثَارة. هل تعتقدِين أنّي سأتمكّنُ منْ ذلك؟

- نعم، أعتقدُ أنّ هذا ممكنٌ إذا رغبتَ فيه.

كان هذا كلُّ ما تجرّأتْ آن على الإجابةِ به.

اجتمعتْ جمعيّةُ تحسِينِ المَدِينةِ فِي بيتِ السّيّدِ هارمون أندروز، فِي ذلكَ المَساء. وطُلِبَ منَ الجمِيعِ الحضورُ، لأنّهُ سيتمُّ التطرّقُ إلى نقاطٍ مُهِمَّة. فقد ازدهرَ وضعُ الجمعيّةِ، وتوصّلتْ إلَى القيامِ بمُعجِزات: في بدايةِ الرّبيعِ، لبّى السّيّدُ ماجور سبنسر وَعْدَهُ، واقتلَعَ الجُذورَ، وهيّأَ الطّريقَ أمامَ ضيْعتِهِ، وزرعَ العُشْبَ القَصِير. فاحْتَذَى مثالَهُ العدِيدُ منَ الجيرانِ، بعضُهُم مدْفوعٌ بألاّ يتْرُكَ أيَّ «سبنسرٍ» يتفوّقُ عليه، والآخرونَ بدفْعٍ مِنْ أعْضَاءِ الجمْعِيّةِ أنفسِهم. وحاليًّا، صارَ بالإمْكانِ مُشَاهَدةُ شرائِطَ طويلةٍ مِنَ العُشْبِ النّاعمِ، حيثُ لمْ تنبُتْ فِي السّابقِ سِوى أجماتٍ قبيحَة. في المقابلِ، كانتِ الباحاتُ الأماميّةُ للضيّعاتِ غيرِ المُهيّأةِ مُثِيرةً للشّفَقَة. فشعُرَ أصحابُها سرًّا بالخجلِ منْ أنفسِهم وفكّروا فِي تهيئَتِها الرّبيعَ المقْبِل. تمَّ أيضًا تنظيفُ مثلّثِ الأرضِ في مُفترَقِ الطّرقِ وزراعتُه. كما تمكّنتْ نباتاتُ إبرةِ الرّاعِي التّابعةِ لآن منْ أنْ تُزهِرَ بشكلٍ رائعٍ، بعْدَ أنْ تمّتْ حمايتُها منَ الأبقارِ الصّفِيقَة.

فِي النّهايةِ، بدا أنّ المحسِّنين يتقدّمونَ بخطًى عِملاقَةٍ، بالرّغمِ منْ أنّ السّيّدَ ليفي بولتر صرّحَ بأنّهُ لنْ يلْمَسَ مَنْزِلَ ضيْعتِهِ القديمَ، بعْدَ أنْ طلبتْ منْهُ ذلك بلباقةٍ، لجنةٌ منتقاةٌ بِعنايَة.

وخِلالَ ذلكَ الاجتِماعِ، كانوا ينوُون تقدِيمَ مَطْلبٍ إلى أمَنَاءِ المدْرسةِ، يلتمِسُونَ فيهِ مِنْهُم بلُطْفٍ تشْييدَ سِيَاجٍ حوْلَ سَاحَةِ المَدْرَسَة. تداوَلُوا أيضًا موضوعَ غرسِ أشجارِ زينَةٍ قُرْبَ الكنيسةِ، إذا كانَ رأسُ مالِ الجمعيّةِ يسمحُ بذلك. وكما قالتْ آن، فلن يكونَ هُناكَ داعٍ للقيامِ بحملةِ تبرّعٍ أخْرَى، طالمَا أنَّ الصّالةَ تظلُّ زرْقَاء. تجمّعَ أعضاءُ الجمعيّةِ في صالونِ عائلةِ أندروز، وكانتْ جين بصدَدِ اقتراحِ تعيينِ اللّجنةِ المكلّفةِ بالاستفْسارِ عنْ أسْعارِ الأشْجارِ، عندَما ظَهَرَتْ جيرتي باي في الغُرفةِ، مغطّاةً بالبودرةِ، ومساحيقِ التّجمِيلِ، مِنْ رأسِها حتّى أخمصِ قدميْها. تعوّدتْ جيرتي على المجيءِ متأخّرةً، «حتّى تَجْلِبَ الانْتِبَاهَ أكثرَ»، كما يقولُ الأشخاصُ الحاقِدُون. أمّا هذهِ المرّة، فقد كانَ دخولُها فِعلًا مُذهلًا، لأنّها وقفتْ فجأةً وَسَطَ الأرضِيّةِ، ورفعتْ يديْها، وأدارتْ عينيْها وهيَ تصرُخُ:

- لقد سمعتُ لتوِّي شيئًا مّا مُروِّعًا تمَاما. صدِّقُوا أو لا تصَدِّقُوا، سوفَ يؤجِّرُ جيدسون باركر كامِلَ السُّورِ الفاصِلِ بيْنَ ضيعتِهِ والطّريقِ إلَى شرِكةٍ أدويةٍ حتّى تُلصِقَ إعلاناتٍ إشْهَارِيّة.

ولأوّلِ مرّةٍ في حياتِها، قامتْ جيرتي باي بالتّأثيرِ المطلُوب. كان سيصعبُ عليْها القيامُ بذلِكَ في السّابقِ، حتّى وإنْ ألقتْ قُنبلةً وسَطَ هذا الجمْعِ الواثِقِ منْ نفسِه.

وشوشتْ آن بنبرةٍ محبطةٍ:

- هذا مستحيل.

تابعتْ جيرتي المُستَمْتِعةُ بالوَضْعِ بشَكْلٍ كبيرٍ:

- كانتْ هذِه الكلِمةُ الّتي نطقتُ بها عندَما سمِعْتُ الخَبَر. قلْتُ إنّ هذَا مُستَحِيلٌ... وإنّ جادسون باركر لا يجرؤُ أبدًا على القيامِ بهذَا، أليْس كذلك؟ ولكنّ أبِي أكّدَ لِي ذلكَ بعْدَ أنْ قابلَ جادسون هذِهِ الظَّهِيرةَ وسألَه. تُقابلُ ضيعتُه طريقَ «نيوبريدج». تخيّلُوا كمْ ستكونُ فظيعةً رؤيةُ إعلاناتِ الأقْرَاصِ والضِّمَاداتِ، أليْسَ كذلك؟

كانَ يمكنُ للمحسِّنينَ تخيُّلُ هذَا بِشَكْلٍ جيِّد. وحتّى أكثرُهم افتقارًا للخيالِ، كان يستطيعُ تخيّلَ التّأثيرِ الفظيعِ لنصفِ ميلٍ منْ سورٍ خشبيٍّ مُزيّنٍ هَكذا. فقدتِ الاقتراحاتُ الخاصّةُ بساحاتِ الكنيسةِ والمدرسةِ كلَّ أهمّيتَهَا أمامَ هذا الخَطَرِ الجَدِيد. تمَّ نسيانُ كلِّ الإجراءاتِ، وفقدتْ آن أملَ كِتَابةِ محضرِ الجَلْسَة. فتحدّثَ الجميعُ في وقتٍ واحدٍ، وصارَتِ الضّوضاءُ مُرعِبَة.

ناشدتِ الجميعَ، بالرّغم منْ أنّهَا الأكثرُ اضطرابًا بينَهم:

- أرجُوكم، لنحافظْ على هدوئِنا، ولنحاولْ إيجادَ طريقةٍ لمنعِ هذا.

صرختْ جين بنبرةٍ لاذعةٍ:

- لا أعرفُ ماذا بإمكانكِ فعلُه، نحنُ نعرف جميعًا جيدسون باركر. إنّهُ جاهزٌ كيْ يفعلَ أيَّ شيءٍ منْ أجلِ المَال. ليْسَ لدَيْهِ أُونْصَةٌ منَ التحضّرِ، ولا أيُّ حسٍّ جَمَاليّ.

بدَا المستقبلُ غيْرَ واعِد. ولمْ يَكُنْ هُناكَ أيُّ تأثيرٍ بالإمكانِ

القيامُ بهِ عنْ طريقِ العلاقاتِ العائليّةِ، خصوصًا وأنّ جادسون باركر وأختَهُ هما الوحيدانِ اللّذانِ يمثّلانِ عائلةَ باركر في «آفونلي». فالسّيدةُ مارثا باركر في سنٍّ لا توافِقُ فِيهِ الشّبابَ عمُومًا، ومجموعَةَ المُحسِّنِينَ بالأخَصّ. أمّا جادسون فرجلٌ مرحٌ بآدابٍ راقيةٍ، وطبيعةٍ طيّبةٍ وودودةٍ جدًّا، إلى درجةِ أنّكَ تستغربُ لماذا عددُ أصدقائِهِ قَلِيل. وربّما كانَ الأفْضَلَ فِي مُعامَلاتِ المَالِ والأعْمَال. ولكنْ ليْسَ مِنْ عادَةِ هذَا أنْ يجْعلَ منْ أيٍّ كانَ مَشْهُورا. إنّهُ معروفٌ بالمكر، ووفقًا للرّأيِ العامِّ، لم تكنْ لديه مبادئُ كثِيرَة.

قال فريد رايت:

- إذا كان لجادسون باركر إمكانيّةُ جنيِ عيشِهِ بشَرفٍ، مثلما يقولُ هو، فلن يتركَ الفُرْصَةَ تُفْلِتُ مطلقا.

سألتْ آن فاقِدَةً كلَّ أمَلٍ:

- لن يستطيعَ أحدٌ التّأثيرَ عليْهِ إذن؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

اقترحتْ كاري سلون:

- إنّه يزورُ لويزا سبنسر منْ «وايت ساندز»، وربّما استطاعتْ إقناعَهُ بعدَمِ تأجيرِ سورِه.

أجابَ جيلبرت بحزمٍ:

- بالتّأكيدِ، ليْسَ هِي. أعرفُها جيّدًا، إنّها لا تؤمنُ سِوى بالمالِ وجمعيّاتِ تحسينِ المدنِ لا تعنِي لَها شيْئا. إنّها بالأحرى منَ النّوعِ الّذِي يُقنعُ جادسون بالقبولِ، لا بثنيِه عنْ قرارِه.

استنتجتْ جوليا بيل:

- ليسَ أمامَنا سِوى تعيينِ لجنةٍ تذهبُ، وتضغطُ عليه. ومنَ الأفضلِ إرسالُ فتيَات. إذْ يصعبُ أنْ يكون لطيفًا معَ الأوْلَاد. ولكنْ، منْ غيرِ المُجدي تعييني، لأنّي لنْ أذْهب.

اقترحَ أوليفر سلون:

- من الأفضلِ تفويضُ آن وحدَها. إذا كان هُناك شخصٌ يستطيعُ الحديثَ إلى جادسون، فهو حتمًا هي.

احتجّتْ آن. سوف تقبلُ الذّهابَ والحديثَ إليهِ، ولكنّها بحاجةٍ إلى «دعمٍ معنويٍّ». وهَكذا، تمّتْ تسميةُ ديانا وجين للقيامِ بذلك، وانتهَى الاجتماعُ عنْدَ هذِهِ النُّقْطَة. فتناثرَ أعضاءُ الجمعيّةِ، وهمْ يطنُّونَ بالسّخطِ، مثل النّحلِ الغاضِب. وشعرتْ آن بكَربٍ شديدٍ إلى درجةِ أنّها لمْ تتمكّن منَ النَّومِ قبْلَ الفَجْر. وحلمتْ أنَّ أُمَنَاءَ المدرسةِ قد أحاطُوها بسورٍ عُلّقَ عليهِ الإعلانُ التّالي: «جرِّبُوا الأقْراصَ البنفسجيَّة».

في الظّهيرةِ الموالية، وصلتِ اللّجنةُ إلى عنْدِ جادسون باركر. فترافعتْ آن بفصاحةٍ ضدَّ مشروعِهِ المُريعِ، ووفّرتْ لَهَا جين وديانا بحيويّةِ السّندَ المعنَويَّ اللاّزِم. أبدَى جادسون لينًا ورقّةً، وقدّمَ لهنّ العديدَ منَ المُجاملاتِ اللّطِيفةِ، مُعبِّرًا عن أنّه آسفٌ جدًّا لرفضِ طلبِ شابّاتٍ ساحراتٍ مثلِهنّ... ولكنَّ الأعمالَ هيَ الأعمالُ، ولا يستطيعُ تركَ العواطفِ تتغلّبُ عليْها فِي هذِهِ الأوقاتِ الصَّعْبَة. ثمّ قال بلمعةٍ في عينيْه الكبيرتيْن الشّاحبتيْن:

- ولكنْ، إليكُنَّ ما سأفعلُه، سأفرضُ على الوكيلِ التِّجاريِّ

استعمالَ ألوانٍ جميلةٍ وجذّابةٍ، مثل الأحْمَرِ والأصْفَر، وأطلبُ منهُ ألاّ يطلِيَ الإعلاناتِ بالأزرقِ، لأيِّ سببٍ كان.

انسحبتِ اللّجنةُ مَهزُومَة. ووقعتِ الفتياتُ ضحايَا لأفكارٍ ليْسَ هَذَا مَجَالُ ذِكْرِها.

تنهّدتْ جين، مقلّدةً دونَ أنْ تشعُرَ نبْرةَ السّيّدةِ ليند وحركاتِها:

- لقد قمنا بكلِّ ما في وِسْعِنا. وليس أمامَنا سِوى تركِ أمرِنا للقدرَةِ الإلهِيّة.

اقترحتْ ديانا:

- أتساءلُ عمّا إذا كان باستِطَاعَةِ السّيّدِ ألان القيامَ بشيءٍ مّا.

هزّتْ آن برأسِها:

- لا، منْ غيرِ المُجدي إزعاجُ السّيّدِ ألان، خاصّةً الآنَ، ورضيعُهُ مريضٌ جِدّا. سوف يُفلتُ جادسون منهُ بسلاسةٍ، تمامًا مِثلَما أفلتَ مِنَّا، حتّى وإنْ تعوّدَ الذّهابَ إلَى الكنِيسَةِ باطِّرادٍ، المُدَّةَ الأخِيرة. ببساطةٍ، لأنَّ والدَ لويزا سبنسر رجلٌ مسنٌّ، ولا يمزحُ مع أشياءَ كهذه.

قالتْ جين بسخطٍ:

- جادسون باركر هو ساكنُ «آفونلي» الوحيدُ الّذِي فكّرَ يومًا فِي تأجيرِ سورِه. فحتّى ليفي بولتر أو لورنزو وايت لنْ ينحطّا إلى هذَا المستوى، مهما كانا بخيلَيْن. إنّهما يحترِمانِ كثيرًا الرّأيَ العَامّ.

واصْطَفَّ الرّأيُ العامُّ ضدَّ جادسون باركر بَعْدَ سماعِ الحقائقِ،

ولكنَّ هذا لم يغيّرْ شيئًا كبيرًا، بما أنَّ السّيّدَ جادسون سخِرَ مِنْ ذَلِكَ وتَحدّاهُم. فبدأ أعضاءُ الجمعيّةِ يتصالحونَ معَ فكرةِ أنَّ أجملَ جزءٍ منْ طريقِ «نيو بريدرج» سوف يُشوّهُ بالإعْلاناتِ الإشْهَاريَّة. ولكنَّ آن، فِي الاجْتِمَاعِ المُوالِي، وعِنْدَمَا طَلَبَ رئيسُ الجمعيّةِ تقاريرَ اللّجانِ، نهضتْ، وأعلنتْ بهدوءٍ أنَّ السّيّدَ جادسون باركر طلبَ منْها إخبارَ الجمعيّةِ أنّهُ لنْ يؤجِّرَ سورَهُ إلى شركةِ الأدْوِية.

تبادلتْ جين وديانا نظرةً، ولم تصدِّقَا آذانَهما. كانتْ آدابُ الاجتماعِ المفروضةُ بشدّةٍ منْ جمعيّةِ تحسينِ مدينةِ «آفونلي»، تمنعُهما منْ إرضاءِ فضوليْهما فِي الحِين. ولكنْ، بعد انتهاءِ الاجتماعِ، تلقّتْ آن وابِلًا منَ الأسئلة. ولم يكنْ لديْها أيُّ تفسيرٍ تقدِّمُه.

لقد التقتْ جادسون باركر علَى الطّريقِ، ليلةَ البارحةِ، وأخبَرها عنْ قرارِهِ الاستجابةَ لرغْبةِ جمْعِيّةِ تحْسِينِ مدينةِ «آفونلي»، الّتي كانَ لها حكمٌ خاصٌّ مسبقٌ ضدَّ الإعلاناتِ الإشهاريّةِ لشركةِ الأدويةِ الحاصلةِ على براءةِ الاخْتِراع. لمْ يكنْ لديْها ما تُضِيفُهُ، لا فِي تلك اللّحظةِ، ولا بعْدَها. وكانتْ تقولُ الحقيقةَ الخالِصَة. ولكنَّ جين آندروز قالتْها أيضًا عنْدَما عبّرَتْ لأوليفر سلون فِي طريقِ العودةِ عنْ قناعتِها بأنَّ الطّبيعةَ المتقلّبةَ لجادسون باركر تُخفِي شيئًا مّا، وأنَّ آنْ لمْ تكشِفْ عنْ كلِّ شيْء.

فِي اللّيلةِ السّابقةِ، ذهبتْ آن لزيارةِ السّيّدةِ آرفنغ. وفِي طريقِ عودتِها، استقلّتْ طرِيقًا مختصرًا أخذَها إلى أراضِي الشّاطئِ المنخفضةِ، عبَرتْ بعْدَهُ بُستانًا منْ أشجارِ البتولا أسفلَ ضيعةِ روبرت ديكنسون،

مرورًا بدربٍ يصلُ حتّى الطّريقِ الرّئيسيّةِ، تمامًا قبْلَ بُحيْرةِ المرايا، الّتي كان الأشخاصُ المفتقرون إلى الخيالِ يُسمّونَها: بِرْكَةُ باري.

وهناك جلسَ رجلان على عربتيْهما المتوقّفتيْن على الطّريقِ، في مدخلِ الدَّرب. كان جادسون اركر واحدًا منْهما، والآخرُ جيري كوركوران، أحدُ مُتساكِني «نيوبريدج» الّذِينَ لمْ يسبقْ «أنْ عُرفَ عنْهُ أيُّ شيءٍ سيِّء» مثلَما كانتْ ستقولُ السّيّدةُ ليند بفصاحتِها المُعْتادَة. يشتغل جيري كوركوران وكيلًا زراعيًّا، ويُعدُّ ناشطًا سياسيًّا منَ الدّرجةِ الأُولى، من أولئك الّذين يغمسون إصبعًا، والبعضُ يقولُ «اليد برمّتها»، في كلِّ الأطباقِ السّياسيّةِ الّتي تُطبَخ. وبما أنّها الانتخاباتُ العامّةُ في «كندا»، فإنّهُ ظلَّ مشغولاً منذُ أسابيعَ بقطْعِ البلدةِ كلِّها طُولًا وعَرْضًا لدعمِ مصالحِ مُرشّحِ حزبِه. وفي اللّحظةِ الّتي انبثقتْ فيها آن منْ بستانِ أشجارِ البتولا متقدّمةً في الفراغِ، سمعتْ صوتَ كوركوران هذا:

- ماذا لو صوتَّ لأمسبوري يا باركر، حسنًا لديَّ ورقةٌ هُنا تخصُّ المحراثيْنِ اللّذينِ كانا عندكَ في الرّبيع. لن تمانعَ إذا أعدناهُما إليْكَ الآن، أليْسَ كذلك؟

قال جادسون بصوتٍ مترنّحٍ راسمًا ابتسامةً على وجهِهِ:

- ح...حسنا. إذا كان هذا مَا تراه. أعتقدُ أنّ بإمكانِي ذلك أنا الآخَر. يجبُ أنْ يهتمَّ المرءُ بمصالحِه فِي هذهِ الأوقاتِ الصّعبة.

لاحظا آن فِي تلك اللّحظةِ، وانقطعتِ المحاورةُ فجْأة. انحنتْ

آن ببرودٍ، وواصلتْ طريقَها، بذقنٍ أكثرَ ميْلًا منَ المُعتاد. لم يتردّدْ جادسون باركر في الانضِمام إليها.

- هل ترغَبين في الصُّعُودِ يا آن؟

أجابت آن بتهذيبٍ بالرّغمِ منْ أنَّ صوتَها يعبّرُ عنْ مسحةٍ منَ الازدراءِ المنزعجِ لمْ تَخْفَ عن جادسون باركر، مهما كان مجرّدًا منَ الحِسّ:

- لا، شكرا.

احمرّ وجهُهُ، وسحبَ رسنيْ حصانِهِ بحركةٍ مفاجِئَة. ولكنْ، بعد لحظاتٍ، جعلتْهُ اعتباراتٌ احترازيّةٌ مّا يتوقّف. بأريحيّةٍ تامّةٍ، ألقى نظرةً نحو آن، الّتي كانت تسيرُ بخطًى حازمةٍ دون أن تنظرُ يمينًا أو يسارًا. هل سمعتْ كوركوران يقترحُ عليْهِ هذِهِ الصّفقةَ، وهو يقبلُها بكلِّ هذهِ السُّهولة؟ ليذهبْ كوركوران إلى الشّيطانِ ! إذا لمْ يستطعْ استعمالَ عباراتٍ أقلَّ خطورةٍ للتّعبيرِ عنْ مُبْتَغاه، فسينتهِي إلى مواجهةِ مشاكلَ طويلةِ الأمَد. وليأخذِ الشّيطانُ معلّماتِ المدرسةِ الصّهباواتِ اللّواتِي يظْهَرْنَ دُونَ إنذارٍ من وراءِ بساتينِ أشجارِ البتولا، حيثُ لا شيءَ يفعلْنَه فعْلا. إذا سمعتْ آن جادسون باركر فعلًا، فهي لَن تتردّدَ في نشْرِ الخبرِ إلى أبعدِ ما يكونُ، تمامًا مثلما لم يكنْ هو سيتردّدُ في فعلِ ذلكَ، في وضعٍ مُماثِل. نعرفُ أنّه لا يولي اهتمامًا كبيرًا للرّأيِ العام، ولكنْ، سيكونُ منْ غيرِ المقبُولِ معرفةُ أنّهُ قبلَ رشْوةً. وإذا وصلَتِ الإشاعةُ إلى إيزاك سبنسر، فسيقولُ وداعًا، وإلى الأبدِ، لآمالهِ في الفوزِ بقلبِ لويزا

جين، الوارثةِ المستقبليّةِ لمُزارعٍ ثريّ. كان جادسون باركر يعرفُ أنَّ السّيّدَ سبنسر يحتقرهُ بعضَ الشّيءِ، لذلك لمْ يكنْ يسمحُ لنفسِه بالقيامِ بأيّةِ مُجازفَة.

- أحم... آن، أردتُ في الواقعِ رؤيتَكِ بخصوصِ ذلك الأمرِ الّذِي تحدَّثْنا فِيه. لقدْ قرّرتُ فِي النِّهايةِ ألاّ أؤجِّرَ سُورِي لشركةِ الأدْوِيةِ تلك. يجبُ تشجيعُ جمعيّةٍ تؤمنُ بالقيمِ مثلَ جمعيّتِكم.

بالكادِ ابتهجتْ آن. وأجابتْ:

- شكرا.

- و ... و...، أعتقدُ أنّه منْ غيْرِ الضّروريِّ ذِكر المحادثةِ الّتي جرتْ بيني وبيْنَ جيري.

قاطعتهُ بنبرةٍ جامدةٍ، لأنّها تفضّلُ رؤيةَ كلِّ أسوارِ «آفونلي» مغطّاةً بالإعْلانَاتِ الإشْهارِيّةِ، علَى أن تنحدرَ، وتتفاوضَ مع رجلٍ يبيعُ ذمّتَهُ:

- لم يكن في نيّتي ذكرُها فِي كلِّ الأحوال.

قال جادسون، معبّرًا عن أنّهما فهمَا بعضهما بعضًا جيّدًا:

- جيّدٌ، جيّدٌ. لمْ أكنْ أعتقدُ أنّكِ ستذكُرِين الأمرَ بالطّبْع. كلُّ ما هُناك أنّي أمازحُ جيري. إنّه يعتقدُ أنّه ذكيٌّ وطيّبٌ جدّا. ليْست لي نيّةٌ للتّصويتِ لآمسبوري. سوف أنتخبُ غرانت، كعادتِي دومًا... سوف ترينَ هذا بعْدَ الانتِخابات. لقد أعطيتُ جيري أوهامًا زائفةً فقطْ لأعرفَ إن كان سيتنَازل.

وليستْ هُناك مشكلةٌ فيما يتعلّقُ بالسّور. بإمكانكِ نقلُ الخبرِ لأعضاءِ الجمعيّة.

اعترفتْ آن لانعكاسِها في المرآةِ، في غرفتِها الشّرقيّةِ، ذلك المساء:

- يُقال دوما إنّ صِناعةَ عالَمٍ، تتطلّبُ عددًا كبيرًا منَ الأشخاصِ، ولكنْ، أعتقدُ أنّ بعضَ الأشخاصِ يُمكن إعفاؤُهم منْ ذلك. في كلِّ الأحوالِ، لم أكنْ أبدًا سأكشفُ عنْ هذا العارِ لأيٍّ كان. إذًا، فضميري مُرتاحٌ بخُصُوصِه. أتساءلُ منْ، أو ماذا، أشكُر. فأنا لمْ أفعلْ شيئًا لأسبّبَ هذَا الوضْع. يصعبُ عليّ تصديقُ أنّ الوسائلَ المستعملةَ منَ العنايةِ الإلهيّةِ تُشبِهُ التّعاملاتِ المشبوهةَ لأشخاصٍ كجادسون باركر وجيري كوركوران.

(15)
بدايةُ العطلةِ

كانَ مساءً هادئًا وذهبيّا، داعبتْ ريحهُ أشجارَ التنّوبِ حولَ ساحةِ المدرسةِ، حيث تمتدُّ الظّلالُ طويلةً وكسولةً على حافّةِ الغابَة. أوصدتْ آن بابَ المدْرَسَة. ووضعتِ المفتاحَ فِي جيبِها مُطلِقةً تنهيدةَ رضا. لقد انتهتِ السّنةُ الدِّراسيّة. سوفَ يُعادُ إشراكُها فِي التّدْرِيسِ فِي السّنةِ الدّراسيّةِ المُقبلةِ، كما تمّ التّعبيرُ عنْ رضًا كبيرٍ عن عملِها من الجميع، ما عدا السّيّدَ هارمون آندروز، الّذي نصحَها بمزيدِ ضربِ الأطْفال. وها أنّ أمامَها شهريْ عُطلةٍ مُستحقّيْن. شعرتْ بسلامٍ مع نفسِها والعالَمِ، وهي تنزلُ الهضبةَ بقفّةٍ منَ الأزهارِ في يدِها. فمنذُ أن أزهرتْ أولى شجيراتِ الزّعرورِ، لم تفلتْ آن مطلقًا حَجَّها الأسبوعيَّ إلى قبرِ ماثيو. إذ نسيَ الجميعُ في «آفونلي» ماثيو كثبرت الهادئَ والمهذّبَ والخجولَ، ما عدا آن وماريلّا. لقد نسُوا، ولكنّ ذكراهُ ظلّتْ حيّةً في قلبِ آن، وسوف تظلّ إلى الأبد. سوف تظلُّ تذكرُ الشّيخَ العجوزَ شديدَ الطّيبةِ الّذي كان أوّلَ من وهبَها الحبَّ واللّطافَةَ اللّذيْنِ طالما افتقرتْ إليهما في طفولتِها.

في أسفلِ الهضبةِ جلسَ طفلٌ عند الجسر، في ظلِّ أشجارِ التنّوب،

طفلٌ بعينيْن كبيرتيْن حالمتيْن، وبوجهٍ جميلٍ سِمَتُهُ الحساسِيّة. قفزَ، وانضمَّ إلى آن مبتسمًا، ولكنّ آثارَ الدّموعِ ماتزال على خدّيْه.

قال داسًّا يدَهُ في يدِها:

فكّرتُ أن أنتظركِ يا آنسةُ آن، لأنّي أعرفُ أنّك ستذْهَبينَ إلى المَقْبَرة. أذهبُ هُناك أنا أيْضا. أُحضِرُ معِي باقةَ الجيرانيوم، عندما تطلُبُ منّي جدّتِي أنْ أضَعها على قبرِ جدِّي آرفنغ. انظُري، سوف أضعُ هذه الباقةَ منَ الأزهارِ البيضاءِ حذوَ قبْرِ جدِّي، كذكرى لأمّي... لأنّي لا أستطيعُ الذّهابَ لوضعِها هُناك على قبْرِها. ولكنْ، ألا تعتقدِين أنّها ستعلمُ ذلك، وكأنّي وضعتُها على قبرِها هي؟ أليس كذلك؟

- أنا متأكّدةٌ منْ ذلك يا بول.

تغيّرَ صوتُ بول، وارتعشتْ شفَتاه.

- أتعرفينَ يا آنسةُ آن، مضتْ ثلاثُ سنواتٍ حتّى اليوم منذُ أنْ توفّيتْ أمّي. إنّهُ وقتٌ طويلٌ، ومع ذلك فإنّي أعانِي وأشعرُ بالضّجرِ دوْما. يبدُو لي أحيانًا أنّي لمْ أعدْ أستطِيعُ التّحمّلُ، من شدّةِ مَا يؤلِمُني الأمر.

أطرقَ ناظرًا نحو باقتِه، متمنّيًا أنّ معلّمتهُ لمْ تلاحظْ الدّموعَ في عينيْه.

وشوشتْهُ آن بلطفٍ:

- ومع ذلك، أنتَ لا تريدُ أن تتوقّفَ عنِ المُعاناةِ... لا تُريدُ نسْيانَ أمِّكَ، حتّى وإنْ تمكّنتَ منْ ذلك، أليْسَ كذلك؟

- لا، لا أريدُ، في الحقِيقَة. هذا تمامًا ما أشعرُ به. أنتِ تفهمِين جيّدًا يا آنسة آن. لا أحدَ يفهمُ الأشياءَ مثلَكِ، حتّى جدّتِي الّتي تُعامِلنِي مع ذلكَ بطيبةٍ بالغَة. أبي يفهمُ جيّدًا، ولكنّي لا أستطيعُ الحديثَ إليْهِ عنْ أمّي، لأنّ هذا يعذِّبُه كثيرا. عندما يضعُ يديْهِ على وجهِهِ، أعرفُ أنّ عليَّ التوقّفُ عنِ الحدِيث. مسكينٌ بابا، لا بدَّ أنّه يضجرُ كثيرًا دُوني. أتعرفينَ، لديهِ خادِمةٌ واحدةٌ، ويعتقدُ أنَّ خادماتِ البيوتِ لا يصلُحنَ لتربيةِ الأولادِ الصّغارِ، بالأخصِّ وأنّهُ يغيبُ دومًا عنِ البيتِ بسببِ عمله. الجدّاتُ أفضلُ دوما. إنّهن تأتينَ مباشرةً بعْد الأمّهات. ذاتَ يومٍ، عندما أكبُر، سوف أعودُ إلى بيتِ أبي ولن نفترقَ أبدا.

تحدّثَ بول إلى آن كثيرًا عن أمّهِ وأبيهِ، إلى درجةِ أنّها بدتْ تعرفُهما. في رأيِها، لا بدَّ أنّهُ يشبهُ أمّهُ كثيرًا، بطبعِهِ وأحكامِه. وكان لديْها حدسٌ بأنّ ستيفنَ آرفنغ رجلٌ محافظٌ، بطبعٍ عميقٍ، ولطيفٍ، يحرصُ بدقّةٍ على عدمِ إظهارهِ لأيِّ أحَد.

اعترفَ لها بول في يومٍ منَ الأيّام:

- ليسَ منَ السّهلِ التّواصلُ مَع أبي. لم أتوصّلْ إلى معرفتِهِ حقًّا، إلاّ بعدَ موتِ أمّي. ولكنْ، إذا عرفتِهِ ستكتشفين شخصًا رائِعا. إنّه أكثر شخصٍ أحبّه في العالَم، وبعده تأتي جدّتِي، ثمّ أنتِ آنسة آن. كنتِ ستكونين الثّانيةَ، لو لم يكنْ من واجبِي تفضيلُ جدّتي الّتي تُضحّي منْ أجلي. تعرِفِينَ يا آن، أحبُّ

أن أتركَ المصباحَ مشتعلًا في غُرفتِي حتّى أنام. تأتِي جدّتي لتأخذهُ مباشرةً بعد صعودِي لغرفتي، قائلةً إنّه يجبُ عليَّ ألاّ أخاف. ولكنْ، ليسَ السّببُ أنّي أخافُ، بل أفضّلُ المِصْباح. تعوّدتْ أمّي أن تجلسَ بجانِبي، وتمسكَ بيدِي حتّى أنام. ربّما دلّلتْني، لكنْ، الأمّهاتُ هكذا، أحيانًا، تعرفين.

لا، لم تكنْ آن تعرفُ ذلك، حتّى وإن استطاعتْ تخيّلَه. لطالما جعلها التّفكيرُ في أمّها حزينة. هذه الأمُّ الّتي تخيّلتْها «جميلةً بصورةٍ مثاليّةٍ»، وقد توفّيت منذ زمنٍ طويلٍ جدًّا، ودُفنتْ إلى جانبِ زوجها الشّابِّ، بعيدًا جدًّا إلى درجةِ ألاّ أحدَ يتذكّرُ قبرَهما. لم تكن آن تستطيعُ تذكّرَ أمّها، وهي تحسد بول على هذا.

قال بول وهما يصعدان الهضبةَ الحمراءَ، وينعمان بشمسِ جوان:

- يوافقُ الخميسُ المقبلُ يومَ عيدِ ميلادي. أخبرني أبِي أنّهُ سيرسل إليّ هديّةً سوف تعجبُني أكثر من أيّ هديّةٍ أخرى حسْب رأيْه. أعتقد أنّها وصلتْ، لأنّ جدّتي أغلقتْ دُرْجَ الخزانةِ بالمفتاحِ، وهو أمرٌ غيرُ مُعتاد. وعندما سألتُها لماذا، أجابتنِي بغموضٍ قائلةً إنّ الفضولَ سيِّئةٌ مُحتالَة. عيدُ الميلادِ أمرٌ مثيرٌ، أليْسَ كذلك؟ سوف أدركُ الحاديةَ عشْرة. لا أحدَ يصدّقُ ذلك عندما يرانِي، أليْسَ كذلك؟ تقولُ جدّتي إنّي أصغرُ منْ سِنّي بكثيرٍ، لأنّي لا آكلُ ما يكفِي منَ الشّوفان. أبذلُ ما في وسِعي، ولكنّ جدّتي تقدّمُ إليّ قطعًا كبيرةً جدّا. لا يوجدُ أيُّ شرٍّ في طبعِ جدّتي، أؤكّد لكِ ذلك. منْذُ أنْ تحدّثنا،

أنا وأنتِ، عن الصّلاةِ يا آنستي، عائديْن منْ دروسِ الأحدِ، وعندما قلتِ إنّ علينا الصّلاةَ كلّما واجهنا الصّعوباتِ، تعوّدتُ أن أصلّيَ كلَّ مساءٍ، ليمنَحَني الرّبُّ الطّاقةَ الكافيةَ لآكلَ كلَّ لقماتِ الشّوفانِ في الصّباح. ولكنّي لمْ أتوصّلْ إلى ذلك بعد. ولا أعرفُ هل يعودُ سببُ ذلك إلى أنّي لا أملكُ الطّاقةَ الكافيةَ أم أنّ الشّوفانَ كثيرٌ عليّ. تؤكّدُ جدّتي أنّ أبِي كبُرَ بأكلِ الشّوفانِ، ولو ترينَ كتفيْهِ ستفهمين أنّ الأمْرَ نجحَ معَه. ولكنْ أحيانًا...

تنهّدَ بول وفي عينيْه نظرةٌ متأمّلةٌ.

- أشعرُ أنَّ في الشّوفانِ يكمُنُ موْتِي.

سمحتْ آن لنفسِها بالابتسام، وبول ينظرُ بعيدا. الجميعُ في «آفونلي» يعرفُ أنّ السّيّدةَ العجوزَ آرفنغ تُربّي حفيدَها وفقَ العاداتِ الغذائيّةِ والأخلاقيّةِ التّقليديّة.

أجابتْ بسعادةٍ:

- لنأملْ ألاّ يحدثَ هذا يا عزيزي. وكيف هي شخصيّاتُكَ الحجريّة؟ هل مازالَ كبيرُ التّوأمِ يتصرّفُ بطريقةٍ جيّدة؟

أجابَ بول بحسمٍ:

- إنّه مضطرٌّ إلى ذلكَ، لأنّهُ يعرفُ أنّه إذا لم يفعلْ ذلك، فإنّنا لن نتصادقَ أبدا. لأنّي أعتقدُ أنّه محتالٌ جدّا.

- وهل عرفتْ نورا بوجودِ السّيّدةِ الذّهبيّة؟

- ليْس بعدُ، ولكنْ، أعتقدُ أنّها تشكُّ في ذلك. أنا تقريبًا متأكّدٌ

من أنّها تجسّستْ عليَّ آخرَ مرّةٍ ذهبتُ فيها إلى الكهْف. لا فرقَ عندي إذا علمتْ بالأمر. أنا لا أريدُ ذلك منْ أجلِ مصلحتِها، كيْ لا أجرحَها. ولكنْ، إذا أصرّتْ على ذلك، فليْس في وسعِي فعلُ شيء.

- إذا ذهبتُ معكَ إلى الشّاطئِ ذاتَ مساءٍ، هل تعتقدُ أنّي سأشاهدُ شخصيّاتِكِ الحَجريّة؟

أشار بول رافضًا، هازّا رأسَه بقوّةٍ:

- لا، لا أعتقد أنّ بإمكانكِ ذلك. أنا الوحيدُ الّذي بإمكانهِ ذلك. ولكنّكِ تستطيعينَ رؤيةَ شخصيّاتِكِ أنتِ. لأنّكِ من الأشخاصِ المُمتلِكين لهذهِ القدرة.

أضافَ وهو يشدُّ على يدِها بحميميّةٍ:

- أتعرفين يا آنسة آن، منَ المذهلِ التّمتّعُ بهذه القُدرة.

وافقته آن وهي تُغرقُ عينيْها الرّماديّتيْن في عينيْ الطّفلِ الزّرقاويْن:

- مذهل.

كانا يعرفان معًا أنّ «المملكةَ الأكثرَ رقّةً، هي المملكةُ الّتي يملكُ الخيالُ مفاتيحَها»، ويعرفان معًا أيضًا الطّريقَ المؤدّيةَ إلى هذه الأرضِ المَوْعُودَة. فهُناك تُزهرُ وردةُ الفرحِ، خالدةً، في الأنْهارِ والغُدْران. ولا سحابةٌ واحدةٌ تُخيّمُ بظُلمتِها في السّماءِ المشعّة. هناك، تُقرعُ الأجراسُ بِهُدوءٍ دونَ أنْ تنفجرَ، والأنفسُ الخيّرةُ موجودةٌ بكثافة. معرفةُ جغرافيّةِ هذا البلدِ، شرقُ الشّمسِ، وغربُ القمرِ، تنتقلُ تقليديّا، ولا يمكنُ شراؤُها من أيِّ محلٍّ تجاريّ. تُهدِيها

السّاحراتُ الطيّباتُ عند الولادةِ، ولا يمكنُ للسّنواتِ أن تمحُوها أو تفتكّها. ومن الأفضلِ العيشُ في عليّةٍ وهي بحوزتكَ، على أنْ تعيشَ في قصرٍ دونها.

طالما وفّرتْ مقبرةُ «آفونلي» العزلةَ الخضراءَ ذاتَها. لذلكَ وضع أعضاءُ جمعيّةِ تحسينِ المدينةِ عينًا عليْها. وفي آخرِ اجتماعٍ، قرأتْ بريسيلا غرانت وثيقةً عنِ المقابرِ. إنّهم يعتزمُون، في القريبِ العاجلِ، تغييرَ السّياجِ الخشبيِّ القديمِ المغطّى بالحزازِ، بشبكةٍ معدنيّةٍ أنيقة، وكذلك جزَّ العشبِ، وترميمَ ما هوُ متهالك.

وضعتْ آن الأزهارَ الّتي أحضرتْها على قبرِ ماثيو، وتوجّهتْ نحو الرّكنِ الصّغيرِ في ظلِّ شجراتِ الحورِ، حيثُ ترقد بسلامٍ هستر غراي. منذ يوم النّزهةِ، ظلّتْ تضعُ الأزهارَ على قبرِ هستر، كلّما زارتْ قبرَ ماثيو. في اللّيلةِ السّابقةِ، حجّتْ إلى الحديقةِ المهجورةِ في الغابةِ، وأحضرتْ معها باقةً من الأزهارِ البيضاءِ الخاصّةِ بهستر.

همستْ:

- فكّرتُ في أنّكِ تُفضّلينَها عنْ بقيّةِ الأزهارِ يا عزيزتي.

كانت آن ماتزال جالسةً هُناك، عندما تنقّلَ ظلٌّ على العُشبِ. وعندما رفعت عينيْها، رأتِ السّيّدةَ آلان. عادتا معًا إلَى البَيْت.

لم يكنْ وجهُ السّيّدةِ آلان نفسُ وجهِ الزّوجةِ الشّابّةِ الّتي جاءتْ منذ خمسِ سنواتٍ مع القَسّ. لقد فقدَ نضارتَه واستداراتِه الفتيّة. وأحاطتِ، الآن، بعينيْها وفمِها تجاعيدُ نحِيلة، بعضُها كان بسببِ قبرٍ صغيرٍ في هذِهِ المقبرةِ نفسِها، وأخرى جديدةٌ ارتسمتْ

خلالَ مرضِ ابنِها الصّغيرِ، الّذي تجاوزهُ الآن لحُسن الحظّ. لكنّ غمّازتيْها كانتا ماتزالان جميلتيْن وعفويّتيْن، ونظرتَها واضِحةٌ ولامِعةٌ وصَريحة. فما فقدَهُ وجهُها منْ جمَالِ شبابِها قدْ عوّضَتْهُ قُوّةٌ ورِقّةٌ جديدَتان. سألتْ لحظةَ خرجتا من المقبرة:

- لابدّ أنّك سعيدةٌ لأنّكِ في عُطلةٍ يا آن.

هزّتْ آن برأسِها:

- نعم... أستطيعُ أن ألوكَ هذه الكلمةَ في فمِي مثل حلوى. أنا متأكّدةٌ منْ أنّي سأعيشُ صيفًا رائِعا. في البدايةِ، سوف تأتِي السّيّدةُ مورغان إلى الجزيرةِ في شهرِ جويلية. وتنوِي بريسيلا تعريفَنَا عليْها. أشعرُ بإثارةٍ طفوليّةٍ لمجرّدِ التّفكيرِ في الأمر.
- أتمنّى أن تستمتعِي جيّدًا يا آن. لقد اشتغلتِ كثيرًا هذه السّنةَ، وقد نجحتِ.
- أوه! لا أعرف. لم يكن مجهودِي كافيًا في العديدِ منَ المجَالات. لم أحقّقْ ما خطّطتُ له عندما بدأتُ التّدريسَ، الخريفَ الفارط. لم أكنْ في مستوى تطلّعاتِي المثاليّة.

تنهّدتِ السّيدةُ ألان:

- ومن ذا الّذي فِي مستوى تطلّعاتِه يا آن؟ ولكنْ تعرفين ماذا يقولُ لويل يا آن. ليستِ الجريمةُ في الفشلِ، ولكنْ، في انحطاطِ الهدَف. يجبُ أن تكون لنا مثلٌ، وعليْنا أن نُثبتَ أنّنا في مستواها، حتّى وإنْ لم ننجحْ فعليّا أبدًا. وإلاّ فإنّ الحياةَ

تُصبح مجرّدَ مغامرةٍ حزينة. المُثُلُ وحدَها هي ما يهبُ الحياةَ أهمّيتَها وعظمتَها. تمسّكي بأهدافكِ يا آن.

تابعتْ بابتسامةٍ صغيرةٍ:

- سأحاول، ولكنّي تخلّصتُ من معظم نظريّاتي. كان لديّ سلسلةٌ من أجملِ النّظرياتِ الّتي يمكن تخيُّلُها عندما بدأتُ عملِي كمدرّسةٍ، ولكنّها خانتنِي جميعُها في لحظةٍ، أو في أخرى.

مازحتها السّيّدةُ آلان:

- حتّى النظريّاتِ المتعلّقةِ بالعقابِ الجسديّ.

احمرّ وجهُ آن.

- لن أسامحَ نفْسِي أبدًا لأنّي ضربتُ أنطوني.

- أبدًا يا عزيزتي. إنّه يستحقُّ ذلك. حتّى هو نفسُه كان موافقًا على هذِه النّقْطَة. ولم يسبّبْ لكِ أيَّ متاعبَ لاحِقا. بل إنّه أصبحَ يعتقد أنّكِ لا تُقارَنين بأحَد. لقد كسبتِ قلبَهُ بطيبتِكِ، بعد أن غادرتْ عقلَهُ العنيدَ فكرةُ أنّ فتاةً لا تصلحُ لشيء.

- ربّما استحقّ ذلك، ولكن ليستْ هذهِ هيَ الفكرة. لو أنّي قرّرتُ بهدوءٍ وتأنٍّ أن أضربه لأنّي فكّرتُ أنّ هذا هو العقابُ الملائمُ له، لما شعرتُ بكلّ هذا الذّنبِ الآن. ولكنْ، الحقيقة يا سيّدةُ ألان أنّي انفجرتُ غاضبةً، فضربتهُ بسببِ ذلك. لم أفكّرْ إن كان ذلك صوابًا أو خطأً. فحتّى وإنْ لمْ يستحقَّ ذلك، كنت سأتصرّفُ بالطّريقةِ نفسِها، وهذا ما يُشعِرني بالذّنب.

- حسنًا، لنا أخطاؤُنا جميعًا يا عزيزتي. اترُكيها خلفَك. يجبُ أنْ نندمَ عليْها ونتعلّمَ منْها، لا أنْ نحملَها معنا نحو المستقبل. أنظري، ها هو جيلبرت بليث يتنقّلُ بعربتِه. أعتقدُ أنّه عائدٌ إلى بيتِهِ للعطلةِ أيضا. ماذا فعلتُما في دراستيْكما؟

- جيّدةٌ، ننْوي إنهاءَ فيرجيل هذا المساء. لم يتبقَّ لنا سوى عشرين سطْرا. بعد ذلك، لن ندرسَ شيئًا قبل سبتمبر.

- هل تفكّرين في متابعةِ دراستِكِ في الجامعة؟

أجابتْ متأمّلةً الأفُقَ المُكتَسِي بلونِ العقيقِ:

- أوه، لا أعرف. نظرُ ماريلا لا يتحسّنُ كما يجبُ الآن، مع أنّنا نشكرُ الرّبَّ على أنَّ حالتَها لا تسُوء. ثمّ هُناكَ التّوأمُ، وعلى نحوٍ مّا، أعتقدُ أنّ خالَهما لنْ يتكفّلَ بهما أبدا. ربّما تنتظرُنِي الجامعةُ عند منعطفِ الطّريقِ، ولكنّي لم أصلْ إلى هذا المنعطفِ بعدُ، ولا أفكّرُ في ذلك بصفةٍ دوريّةٍ، خوفًا من الإحساسِ بالحزن.

- أمّا أنا، فأرغب كثيرًا في أن أراكِ تذهبين إلى الجامعةِ يا آن. ولكنْ، إذا كان هذا مستحيلًا، فلا تشعُري بالحزن. ففي كلِّ الأحوالِ، نحن نتوصّلُ إلى العيشِ في أيِّ مكانٍ، والجامعةُ تستطيعُ فقط مساعدَتنا على العيشِ بسهولةٍ أكبر. هناك طرقٌ ضيّقةٌ، وأخرى واسعةٌ، وِفقًا لما نضعُه فيها، لا ما نستخرجُه منْها. الحياةُ غنيّةٌ وممتلئةٌ هنا، وفي كلِّ مكان. يكفي أن نتعلّمَ كيف نفتحُ قلوبَنا لغِناها وامتلائِها.

أجابتْ آن بنبرةٍ طافحةٍ بالإحساسِ:

- أفهمُ ما تريدينَ قولَه، وأعتقدُ أنّي مدينةٌ بالكثيرِ، الكثيرِ، لعملِي، لبول آرفنغ، وللتّوأمِ ولكلِّ أصدقائي. أتعرفينَ يا سيّدةُ ألان، الصّداقةُ تمنحُنِي الكثيرَ، وبالأخصِّ إحساسًا يزيّنُ الحياةَ كثيرا.

وافقتِ السّيّدةُ ألان:

- صحيحٌ، الصّداقةُ الحقيقيّةُ تساعدُنا كثيرا. ويجبُ أن نرفَعَها إلى دَرَجٍ مثاليٍّ عالٍ، وألاّ نسمحَ لأيّ خيانةٍ بأن تهدِمَها. أخشى أنّ كلمةَ صداقةٍ تُختَزلُ أحيانًا إلى مجرّدِ حميميّةٍ لا غيْر. وليسَ لهذا أيّةُ علاقةٍ بالصّداقةِ العمِيقة.

- نعم، مثل صداقةِ جيرتي باي وجوليا بيل. إنّها حميمةٌ جدًّا، فلا واحدةٌ منهُما تخرج دُون الأخرى، ولكنَّ جيرتي لا تتوقّفُ عنْ ذكرِ جوليا بسوءٍ وراءَ ظهرِها، ويعتقدُ الجميعُ أنّها غيورةٌ، لأنّها تبدو سعيدةً جدًّا عندما ينتقد أحدٌ مّا جوليا. بالنّسبةِ إليّ، من الكُفرِ تسميةُ هذا: صداقة. ألا تعتقدين أنّنا يجب أن نتمنّى لأصدقائِنا الأفضلَ دومًا، وأن نعطيَهم أفضلَ ما لدينا؟ هكذا فقطْ، تستطيعُ الصّداقةُ أن تصبحَ أجملَ شيءٍ علَى الأرض.

وافقتِ السّيّدةُ ألان مبتسمةً:

- في الواقعِ، الصّداقةُ جميلةٌ جدّا، ولكنْ، في يومٍ منَ الأيّام... توقّفتْ فجأة. ففي العينيْنِ البريئتيْنِ اللّتين يعتليهما حاجبانِ

شاحبانِ، وفي الملامحِ المتحرّكةِ للوجهِ الدّقيقِ المرفُوعِ نحوها، كانَ هُناك منَ الطّفلةِ أكثر مِنْه منَ المرأة. لم يعرفْ قلبُ آنَ سوى أحلامِ الصّداقةِ والطّموحِ، ولم ترغبِ السّيّدةُ ألان في تشويهِ هذا اللّاوعيِ اللّطيف. تركتْ إذَن للمستقبلِ مهمّةَ إكمالِ جُملتِها.

(16)
منْبَعُ كلِّ ما نأمَلُهُ

«آن»، ناداها دايفي مترجيًّا، وهو يتسلّقُ في «غرين غابلز» أريكةَ المطبخِ المكسوّةِ بالجلدِ اللاّمِع، حيثُ جلستْ هُناك تقرأ رِسالة.

- آن، إنّي جائعٌ جدّا. ليس لديكِ فكرةٌ.

أجابتْ غائبةً تماما:

- سوف أعْطِيكَ شطِيرةً بالزّبدةِ خِلالَ دقِيقة.

منَ البديهيِّ أنّ الرّسالةَ حملتْ أنباءً مثيرةً، لأنّ خدّيْها تورّدا مثلَ الأزهارِ في شجرةِ الوردِ الكبيرةِ في الخارج. كما التمعتْ عيناها بذاكَ البريقِ الخاصِّ بعينيْها وحدَها.

قال بسَحنةٍ متقزّزةٍ:

ولكنّي لستُ جائعًا رغبةً في شطيرةِ الزّبدة. أنا جائعٌ رغبةً في مرطّباتٍ بالخوخ.

قالت آن مبتسمةً وهي تضعُ رسالتَها، وتحيطُ كتفيْهِ بذراعِها:

- أوه ! ولكنْ، هذا جوعٌ يسهلُ تحمّلُه يا صغيري دايفي. تعرفُ أنّ ماريلّا لا تسمحُ لك بغيرِ أكلِ الشّطائرِ بيْنَ وجباتِ اليوم.

- حسنًا، أعطِني واحدةً... أرجوك.

تعلّمَ دايفي أخيرًا أن يكون مؤدَّبا. ولم يتوصّلْ إلى قولِ ذلك إلاّ بعدَ تفكيرِ لحظَات. تأمّلَ بعينٍ موافقةٍ قطعةَ الخبْزِ السخيّةِ الّتي أحضرتْها له آن.

- لحسنِ الحظّ يا آن أنّك تضعين الكثيرَ منَ الزّبدة. فماريلّا لا تضعُ سِوى طبقةٍ نحيلةٍ جدّا. تنزلقُ اللّقماتُ أسهلَ بكثيرٍ عندما تكونُ الزّبدةُ كثيفةً.

وانزلقتِ الشّطيرةُ بما يكفِي من السّهولةِ، مُختفِيةً بسرعة. قفز دايفي من فوقِ الأريكةِ مُسبِقًا رأسَه الأوّلَ، وقام بشقلبةٍ مزدوجةٍ على السّجّادِ، ثمّ جلس مُعلِنًا بنبرةٍ حاسمةٍ:

- آن لقد اتّخذتُ قراري بخصوصِ الجنّة. لا أستطيع الذّهاب.

سألت آن بحدّة:

- لماذا؟

- لأنّ الجنّةَ موجودةٌ فِي علّيّةِ سيمون فليتشر. وأنا لا أحِبُّه.

صرختْ آن، مندهشةً جدًّا على أن تضحكَ:

- الجَنّةُ في علّيّةِ سيمون فلتشر! دايفي كيت، هلاّ شرحتَ لي ما الّذي جعلكَ تضعُ هذه الفكرةَ السّخِيفةَ في رأسِك!

- ميلتي بولتر من قال هذا الأسبوعَ الفارطَ، خلالَ دُروسِ الأحد. كان الدّرسُ حولَ إيليا وإليشع[1]. نهضتُ، وسألتُ

(1) إيليا: هو من أنبياء بني إسرائيل، ذكر في سفر الملوك الثاني في عهد الملك آخاب، وذكر في العهد الجديد عند تجليه مع يسوع ويعتقد أنه سيأتي قبل المجيء الثاني للمسيح. اسمه في اليونانية «إلياس» ويعتقد أنه هو نفسه إلياس المذكور في القرآن.

الآنسة روجرسون أين كانتِ الجنّة. فشعُرَتْ بالإساءةِ بشكلٍ كبير. كانت ستغضبُ في كلِّ الأحوالِ، لأنّها عندما سألتْنا ماذا تركَ النبيُّ إيليا إلى إليشع عندما ذهبَ إلى السّماءِ، أجاب ميلتي بولتر: «ملابسَه القديمةَ»، وانفجرنا جميعًا ضاحِكين قَبْلَ أنْ نتمكّنَ منَ التّفكير. منَ الحكيمِ طبعًا التّفكيرُ أوّلًا، ثمّ القيامُ بالأشياءِ لاحِقًا، وإلاّ فلنْ نتمكّنَ منَ القيامِ بها بشكلٍ جيّد. ولكنْ، لم يكنْ في نيّة ميلتي التّقليلُ منَ الاحترام. هو لم يستطعْ فقطْ تذكّرَ الكلمةِ الصّحيحَة. قالتِ الآنسةُ روجرسون إنّ الجنّة موجودةٌ هُناك حيثُ الرّبُّ موجودٌ، وإنّه يجبُ ألاّ أطرحَ أسئلةً مُماثِلة. وهكذا همزني ميلتي بمرفقهِ ووشوشني قائلًا إنّ الجنّة موجودةٌ في علّيّة خالِه سيمون، وإنّه وسوفَ يشرحُ لي الأمْرَ لاحقًا في الطّريق. وكان ماهرًا في شرْحِ الأشياء. فحتّى وإنْ لمْ يكنْ يعرفُ شيئًا عنْ أمرٍ مّا، فإنّه يجيدُ الحديثَ عنْهُ إلى درجةٍ تُفهمُكِ كلَّ شيء. كانت أمّهُ أختُ سيمون، فرافقَها في جنازةِ قريبتِهِ جين إيلين. وهناك، سمِعَ القَسَّ يقولُ إنّها صعِدتْ إلى السّماءِ، بالرّغمَ منْ أنّ ميلتي كانَ يراها ممدّدةً أمامَهم في القبْر. واعتقدَ أنّهم حمَلُوا التّابوتَ إلى العليّةِ بعْدَ ذلِكَ، لأنّه عندما رافقَ أمّه إلى أعلى بحثًا عنْ قبّعتِه، وسألها أينَ هيَ السّماءُ الّتي صعِدتْ إليْها جين إيلين، أشارتْ إلى

= إليشع: نبي من أنبياء الله، لم تذكر الكتب المدة التي عاشها. لكنه كان في منطقة بانياس في سوريا من (أرض الشام).

السّقفِ قائلةً «هناك، في الأعلى». كان يعرفُ أنّه لم يكنْ هناك في السّقفِ سِوى العلّيّةِ، وهكذا اكتشفَ الأمر. ومنذُ ذلك الوقتِ، أصبح يخافُ منَ الذّهابِ إلى بيتِ خاله سيمون.

وضعتْ آن الطّفلَ على ركبتيْها، وقامتْ بما في وِسْعِها لتوضيحِ هذا الارتباكِ المُستَجِدّ. وفي الحقيقةِ، تُلائِمُ هذه المهمّةُ آن أكثرَ بكثيرٍ من ماريلّا، لأنّها تتذكّرُ طفولتَها، وتفهمُ حدسيًّا أفكارَ أطفالِ السّابعةِ الغريبةَ، والّتي يثيرونَ حولها مشاكلَ تبدُو عاديّةً بالنّسبة إلى الكِبار. توصّلتْ لتوِّها إلى إقناع دايفي بأنّ الجنّةَ ليستْ في علّيّةِ سايمون فلتشر، في نفسِ اللّحظةِ الّتي وصلتْ فيها ماريلا إلى البيتِ، عائدةً منَ الحديقةِ حيث كانت هي ودورا تجمعانِ البازلّاء. كانتْ دورا فتاةً خدومةً، ولا شيءَ يجعلُها سعيدةً أكثرَ منْ تقديمِ يد المساعدةِ، والقيامِ بمهامَّ صغيرةٍ مختلفةٍ تلائمُ أصابِعها المكتنِزة. إنّها تطعمُ الدّجاجَ، وتجمعُ البطاطا، وتغسلُ الأواني، وغيرها منِ المهمّاتِ الكثيرة. فضلًا عن كونها نظيفةٌ، وموثوقٌ بها، وتتمتّعُ بدقّةِ مُلاحَظة. لم يحتجْ أحدٌ إلى أن يُريها كيفيّةَ القيامِ بشيءٍ مّا مرّتيْن، إذ لا تنسى أبدًا ما تعلّمتْه. أمّا دايفي، فعلَى العكس، طائشٌ ومُهمِل. ومع ذلك، يستطيعُ جعلَ الآخرين يحبّونَهُ، حتّى بمساوئِه. فهو في النّهايةِ، من تُفضّلُ آن وماريلّا.

وفيما جلستْ دورا تنتزعُ بفخرٍ بذورَ البازلاء، وانهمك دايفي في صنعِ زوارقَ بالقشورِ مستعملًا أعوادَ الثّقابِ كصوارٍ، والورقَ كأشرعةٍ، أخبرتْ آن ماريلا عنِ الأخبارِ السَّعِيدة.

- ماريلّا! لو تعلمين! لقد وصلتني للتوّ رسالةٌ من بريسيلا، تعلمُني فيها أنَّ السّيّدةَ مورغان وصلت إلى الجزيرةِ، وأنّها ستأتيانِ إلى «آفونلي» الثلاثاءَ المقبلَ، إذا كان الطّقسُ جميلا. سوف تأتيان مع منتصفِ النّهارِ، وتقضيان معنا ما بعد الظّهيرةِ، وتعودان في اللّيل. ستذهبان إلى فندقِ «وايت ساندز» لرؤيةِ بعضِ أصدقاءِ السّيّدةِ مورغان النّازلين هناك. أوه ! ماريلّا ! إنّه أمرٌ رائع! أشعرُ بأنّي أحلم!

لاحظتْ ماريلا بجفافٍ مع أنّها تشعرُ هي الأخرى بفرحٍ صغِير. فالسّيّدةُ مورغان امرأةٌ شهيرةٌ، واستقبالُها يعدُّ بلا شكٍّ حدثًا خارجًا عنِ المألوف:

- أعتقد أنّ السّيّدةَ مورغان شخصٌ كالآخرين، سوف تتناولان العشاء معنا إذن؟

- نعم، أوه ماريلا ! هل أستطيعُ إعدادَ العشاءِ بنفسِي؟ أريدُ أن أشعر أنّ بإمكاني القيامُ بشيءٍ مّا لمؤلّفةِ كتابِ «حديقة الورود»، حتّى وإن كان ذلك طبخَ العشاء. لن تمانِعي، أليس كذلك؟

- بحقِّ الإله، هل تعتقدين أنّك ستزعِجينني عندما تقترحينَ تعْويضي قرْبَ الفرنِ، في وسَطِ شهرِ جويلية؟ أهبُكِ مكانِي بكلِّ سرور.

شكرتْ آن ماريلّا وكأنّها قدّمتْ إليها خدمةً استثنائِيّة.

- سوف أعِدُّ قائِمةَ الأطباقِ هذا المساء.

نصحتْها ماريلّا، مُنبَّهَةً بالنّبرةِ بالغةِ البهجةِ لعبارةِ: «قائمة الأطباق»:

- قومي بكلِّ شيءٍ ببساطةٍ، وإلاّ ستندمين.

طمأنتْها آن:

- أوه، لن أعقِّدَ شيئًا، إذا كنتِ تقصدين بذلك طبخَ أطباقٍ جديدةٍ لم نتعوّدْ طهيَها في الحفلات. سيكونُ هذا نِفاقًا، ولست غبيّةً، حتّى وإنْ لمْ أكنْ متوازنةً وعقلانيّةً بما يُناسِبُ فتاةً في السّابعةِ عشْرةَ، ومعلّمةً فوق ذلك. ولكنّي أريدُ عشاءً جميلًا وشهيًّا ما أمكن. دايفي، لا تتركْ قشورَ البازلّاءِ تلك علَى الدَّرَجِ، لأنّكَ ستنزلقُ فيها. يمكنُ أنْ نبدأَ بحساءٍ خفيفٍ... تَعْرِفِينَ أنّي أُجِيدُ تحْضِيرَ صلْصةِ البَصَلِ بشَكلٍ رائِعٍ... ثمّ يمكِنُنا إضافةُ طائريْنِ مَشْوِيّيْن. سنأكلُ الدِّيكيْنِ الأبيضَيْن. أعترِفُ بأنّي أكنُّ حُبًّا خَاصًّا لهُما مُنْذُ أنْ رأيتُهما قَرِيبيْن مِنْ محضَنَةِ الدّجاجِ الرّماديّةِ... إنّهما كُرتانِ منَ الزّغبِ الأصْفَر. ولكنْ، بما أنّي طَالَمَا عرفتُ أنّ يومًا مّا سيأتي، وسنضحّي بِهِما، فلا يمكِنُني اختيارُ مناسبةٍ أفضل منْ هذِه. أوه ! ماريلّا، ومع ذلكَ أنا عاجِزةٌ عنْ قَتْلِهما، حتَّى مِنْ أجلِ السّيّدةِ مورغان. عليّ طلبُ ذلك منْ جو هنري كارتر.

اقترحَ دايفي:

- سوف أقوم بذلك، ولكنْ، على ماريلّا إمساكُهما مِنْ

قوائِمِها، لأنّي سأحتاجُ إلى يديَّ الاثنتيْنِ كيْ أمْسِكَ الفَأْس. سيكونُ منَ المُمتعِ رؤيتها يقفزان بَعْدَ أنْ أقطعَ رأسيْهما.

لخّصتْ آن:

- ومعَ الطّيورِ، سوف أقدّمُ البازلّاءَ والفاصوليا، والبطاطا المهروسةَ، وسلطةَ خس. أمّا للتّحليةِ فسأُعِدُّ مرطّباتٍ باللّيمونِ، مغطّاةً بالكريما المخفوقةِ والقهوةِ والجبنِ والبسْكويت. سوفَ أُعِدُّ الفطائِرَ والبسكويتَ غَدا. وسأَكْوِي فُسْتاني الموسلين الأبيَض. وهذا المساء، سأطلبُ منْ ديانا أن تُجهّزَ فُستانَها. فقد اتّفقتُ مع ديانا أنْ نلبسَ هكذا، إذا ما حَظينا بفرصةٍ للقائِها يومًا، لأنّ معظمَ بطلاتِ السّيّدةِ مورغان ترتدينَ الموسلين الأبيضَ دومًا. ستكون بمثابةِ مجاملةٍ لطيفةٍ لها، أليس كذلك؟ يا عزيزي دايفي، لا يجب أن تُدخِلَ قشورَ البازلّاءِ في شُقوقِ الأرضِيّة. سوف أدْعو أيضًا للعشاءِ السّيّدَ آلان، وزوجتَهُ، والآنسة ستيسي. إنّهم يرغبون كثيرا في التّعرّفِ على السّيّدةِ مورغان. حظٌّ كبيرٌ أنْ تأتيَ، بينما الآنسةُ ستيسي هنا. دايفي حبيبي، لا تجعلْ قشورَ البازلّاءِ تطفُو في سطلِ المَاء... اذهبْ إلى الحوضِ الصّغيرِ في الخارِج. أوه! أتمنّى أن يكونَ الطّقسُ جميلًا يومَ الثّلاثاء. وأعتقدُ أنّه سيكونُ كذلك، بما أنّ العجوز آبي زار السّيّدَ هاريسون مساءَ أمسِ، وقال إنّها ستُمطِرُ طَوَالَ الأسبوعِ تقريبا.

وافقتْ ماريلّا:

- هذه علامةٌ جيّدة.

ذهبتْ آن إلى «أورشارد سلوب» في ذلك المساءِ، لتنقلَ الخَبر إلى ديانا، الّتي سَعِدَتْ جدًّا بدورِها. تحدّثتا عن الأمرِ وهما تتأرجحان على الأرجوحةِ، تحت شجرةِ الصّفصافِ الكبيرةِ، في حديقةِ عائلةِ باري.

التمست ديانا:

- أوه ! آن. أرغبُ كثيرًا في مساعدتِكِ على إعدادِ الطّعام! تعرفين كم هي لذيذةٌ سلطاتي.

اعترفتْ آن بكرمٍ:

- هذا صحيح. وأرغب أيضًا في أن تهتمّي بتزيينِ البيتِ معي. أرغبُ في أنْ يكون الصّالونُ شبيهًا بـحديقة. سوف نزيّن طاولةَ قاعةِ الطّعامِ بالورودِ البرّيّة. أتمنّى أن يمرَّ كلُّ شيءٍ على أحسنِ ما يرام. بطلاتُ السّيّدةِ مورغان لا تقعنَ في المشاكلِ مطلقًا، ولا ترتكِبْنَ الأخطاءَ أبدا. إنّهنّ لا تفقِدْنَ السّيطرةَ على أيِّ وضعٍ، كما أنّهنّ ربّاتُ بيتٍ مثاليّات. هل تتذكّرين غرترود في روايةِ «حياة إدغاروود»، الّتي كانت تهتمّ ببيتِ والدِها بينما لمْ يبلغْ سنُّها الثّمانِي سنواتٍ بعدُ. في تلك السّن، لم أكنْ أعرفُ شيئًا غيرَ تربيةِ الأطفال. السّيّدةُ مورغان تمثّلُ سُلطةً على الفتياتِ الشّابّاتِ، بما أنّها كتبتْ كثيرًا عنهنّ، وأرغب في أنْ تُكوّنَ فِكرةً جيّدةً عنّا. لقد تخيّلتُ هذا

اللّقاءَ بعشراتِ الطّرقِ المختلفةِ: هيأتُها، ما ستقولهُ لي، وما سأقولهُ لها. لكنّ أنفي يقلقُني كثيرا. ألا ترينَ نقاطَ النّمشِ السّبع؟ لقد ظهرتْ بعد نزهةِ جمعيّةِ تحسينِ المدينةِ، عندما تنزّهتُ في الشّمسِ دونَ قُبّعَة. أعتقدُ أنّي جاحِدَةٌ بتذمُّري منْها، لأنّه كان بإمكانها أنْ تنتشرَ على كاملِ وجهِي، هَكذا، مثلما فعلتْ مرّةً في السّابِق. ولكنّي أفضّلُ ألاّ تكونَ لي بقعٌ علَى الإطلاق. فكلُّ بطلاتِ السّيّدةِ مورغان تتمتّعنَ ببَشَر مورّدةٍ مثاليّة. لا أتذكّر ولا واحدةً فقطْ مُنمَّشة.

واستْها ديانا:

- نقاطُكِ لا تظهَر. حكّيها هذا المساء ببعضِ عصيرِ اللّيمون.

في الغد، أعدّتْ آن الفطائرَ والبسكويتَ، وغسلتْ فستانَ الموسلين الأبيضَ، ونفضتِ الغبارَ عنْ كلِّ غرفةٍ في المنْزل. أمّا بالنّسبة إلى ماريلّا، فلم يكنْ هُناك أيُّ داعٍ لهذِهِ الاحتياطاتِ، بما أنّ «غرين غابلز» تلمعُ كالعادةِ مثل قطعةٍ نقديّةٍ جدِيدَة. ولكنْ، بدا لآن أنَّ نُدفةَ غبارٍ واحدةً تُشكِّلُ تدنيسًا لبيتٍ سيستقبلُ شارلوت إ.مورغان. فنظّفتْ حتّى خزانةِ الجواربِ تحْتَ الدَّرَجِ، بالرّغمِ منْ أنّه لا توجَدُ إمكانيّةٌ ضئيلةٌ واحدةٌ منْ أن ترى السّيّدةُ مورغان ما بداخله.

شرحتْ آن لماريلّا:

- أريدُ أنْ أشعُرَ بأنّ كلَّ شيءٍ مثاليٌّ، حتّى وإنْ لمْ تنظرْ إلى داخلِ خزانةِ الجوارب. تعرفين؟ في روايتِها «مفاتيح الذّهب»

جعلتْ من بطلتيْها أليس ولويزا تتّخذان هذه الرّباعيّةَ للشّاعِرِ لونغفيلو[1] شِعارًا لهما:

فِي الأيّامِ القديمةِ
كان الحرفيّون يولون أقصى قدْرٍ من العِنايةِ
لكلِّ مُهمَّةٍ
لأنَّ عيونَ الآلهةِ
ترَى كلَّ شيءٍ

ولهذا كانتا تفركانِ دومًا دَرَجَ القبوِ، ولا تنسَيانِ أبدًا نفضَ الغبارِ عنْ أسفلِ الأسرَّة. لن يكونَ ضميرِي مرتاحًا عندما أفكّرُ أنّ هذا الرّفَّ في فوضَى، بينما السّيّدةُ مورغان في بيتِنا. ومنذ أن قرأتُ أنا وديانا «مفاتيحَ الذّهبِ»، أفريلَ الفارطَ، اعتنقنا هذا الشِّعارَ أيْضا.

في المساءِ، استعدَّ جون هنري كارتر ودايفي لإعدامِ الدِّيكيْنِ الأبيضيْن. ثمّ انتزعتْ آن ريشَهما. ومعَ أنَّ هذا الشّغلَ مقزِّزٌ بالنّسبةِ إليْها، فمصيرُ هذين الطّائرينِ الممتلئينِ سوف يُمجِّدُه.

اعترفتْ لماريلا:

- يصيبني الرّعبُ منِ انتزاع ريشِ الطّيور. ولكنْ، ألسنا محظوظِينَ بأنّنا لسنا مضطّرين إلى توريطِ أرواحِنا فيما تفعله

(1) هنري لونغفيلو: شاعر أمريكي صاحب العديد من القصائد المشهورة في الولايات المتّحدة أهمّها «نشيد هياواثا».

أيدينا؟ أليس كذلك؟ فيدايَ سلختا الدّيكيْن، ولكنَّ روحِي تسبحُ فِي دربِ التّبّانة.

لاحظتْ ماريلّا:

- لهذا السّببِ أسقطتِ الرّيشَ على الأرضيّةِ أكثرَ منَ المعتاد.

في نهاية اليوم، اصطحبتْ آن دايفي إلى السّريرِ، ووعدها بأن يتصرّفَ تصرُّفًا جيّدًا فِي الغد.

- إذا تصرّفتُ بشكلٍ جيّدٍ طَوَالَ يومِ غدٍ، هل ستسمحينَ لي أنْ أكونَ شريرًا ما أمكنني بعْدَ غد؟

أجابتْ آن هامسةً:

- لن يكون هذا ممكنًا، ولكنّنا سنقومُ بجولةٍ بالقاربِ في الجانبِ الآخرِ من البحيرةِ، وسنرسُوا على الكثبانِ الرّمليّةِ، ونذهبُ فِي نُزْهة.

قال دايفي:

- اتّفقنا، سأكون لطيفًا، تأكّدِي من هذا. كنت أرغبُ في الذّهابِ إلى بيتِ السّيّدِ هاريسون، ورميِ البازلّاء على جينجر بمِقلاعِي، ولكنّي أستطيعُ القيامَ بهذا يومًا آخر. سوفَ يكونُ ما اقترحتهِ شبيهًا بما نفعلُهُ يومَ الأحدِ، ولكن نزهةً شاطئيّةً جديرةٌ بالتّضحيَة.

(17)
حوادثُ متتاليةٌ

استيقظتْ آن ثلاثَ مرّاتٍ في تلك اللّيلةِ، وحجّتْ إلى النّافذةِ كيْ تتأكّدَ من أنّ توقّعاتِ العجوزِ آبي لمْ تتحقّق. طلع الفجرُ أخيرًا، لؤلئيًّا، ولامِعًا في سماءٍ مُشعّةٍ مليئةٍ بالضّوءِ الفضّي. فأعلن يومٌ جميلٌ عنْ نفسِه.

وصلتْ ديانا بعد الفطورِ مباشرةً، حامِلةً قفّةً منَ الأزهارِ في يدٍ، وفستانَها الموسلين في اليدِ الأخرى، لأنّها لو ارتدتهُ بينما تُعِدُّ الأطباقَ ستُفسِدُه. وفي الأثناء، ارتدتْ فستانَها الورديَّ اليوميَّ، ومِريلةً من الكتّانِ المزيّنِ بكمّيةٍ لا تصدّقُ منَ الزّخارِف. فتورّد خدّاها منَ البهْجة، وائتلقتْ.

قالت آن بإعجابٍ:

- أنتِ ببساطةٍ، رائعةٌ.

تنهّدتْ ديانا:

ولكنْ، كان عليّ إخراجُ جميعِ فساتيني منَ الخزانةِ مرّةً أخْرى. زادَ وزْني أربعةَ باوناتٍ على وزنِي في جويلية الفارطِ، يا آن. متى سينتهِي هذا؟ أوه، كلُّ بطلاتِ السّيّدةِ مورغان طويلاتٌ ونحيفات.

أجابتْ آن ببهجةٍ:

- فلننسَ مشاكلنا، ولنفكّرْ في الأشياءِ الرّائعةِ الّتي تحدثُ لنا. تقول السّيّدةُ ألان إنّه يجبُ علينا دومًا أن ننظرَ إلى الجانبِ الإيجابيِّ منْ كلِّ شيء. فإذا كنتِ مكتنزةً بعضَ الشّيءِ، فإنّ لكِ أجملَ غمّازتيْن في العالَم. أمّا أنا فلِي أنفٌ مليءٌ ببقعِ النّمَش. ومع ذلك، ليس لي شيءٌ أقولُهُ بخصوصِ شكلِه. هل تعتقدين أنّ عصيرَ اللّيمونِ قد حسّنهُ بعضَ الشّيء؟

أجابتْ ديانا بنبرةٍ انتقاديّةٍ:

- نعم، هذا واضِح.

اصطحبتْها آن، متألّقةً، إلى الحديقةِ حيثُ تلعبُ ظلالٌ خفيفةٌ معَ موجاتٍ منَ الضّوءِ الذّهَبِي.

- سنبدأ بتزيينِ الصّالونِ الصّغير. لدينا متّسعٌ منَ الوقتِ أمامَنا، بما أنّ بريسيلا أخبرتني أنّها ستأتي مع منتصفِ النّهارِ، أو منتصفِ النّهارِ ونصف كأقصَى تقْدِير. سوف نأكلُ إذنْ على السّاعةِ الواحِدَة.

أشكُّ فِي تلكَ اللّحظةِ أنَّ هُناك فتاتيْن فِي كاملِ «كندا» و«الولاياتِ المتّحدةِ»، تشعُران بعاطفةٍ وسعادةٍ مماثلتيْن. فمعَ كلِّ حركةٍ منَ المقصِّ، أو أثناءَ سقوطِ الوردةِ، يبدو وكأنّ زهرتيْ الفاوانيا والجريس تردّدان: «اليومَ تأتِي السّيّدةُ مورغان». وطالما تساءلتْ آن كيفَ يستطيعُ السّيّدُ هاريسون متابعةَ جزِّ التّبنِ بهدوءٍ فِي الحقلِ المُحاذِي للضّفّةِ الأخرى منَ الطّريقِ، وكأنْ لا شيء استثنائيّ يحصل.

كان الصّالونُ الصّغيرُ في «غرين غابلز» غرفةً مظلمةً ومخيفةً،

مزّينةً بأثاثٍ صلبٍ مبطّنٍ بشعرِ الخيل، وبستائرَ من الدّانتيلِ اليابسِ تتدلّى منَ النّوافذِ، وبمسانِدِ رأسٍ بيضاءَ موضوعةٍ في الزّاويةِ الصّحيحةِ دومًا، إلاّ عندَما تَعْلَقُ في أزرارِ الضّيوفِ سيّئِي الحَظّ. وبما أنّ ماريلّا ترفضُ تغييرَ أيِّ شيءٍ، فلم تتمكّنْ آن منْ بثِّ بعضِ الجَمالِ في المَكان. ولكنْ، من الرّائعِ رؤيةُ ما تستطيعُ الأزهارُ فِعلَه عندما نمنَحُها الفرصة. وعندما انتهتْ آن وديانا منْ إعدادِ الغرفةِ، كان منَ الصعبِ التّعرّفُ إليها.

زيّنتْ حفنةٌ منِ الكُراتِ الزّرقاءِ الطّاولَةَ اللاّمِعةَ، وتغطّتْ قمّةُ المدفأةِ السّوداءِ بالورودِ والسّراخِسِ، وتجمّلَ كلُّ رفٍّ منْ رفوف الخزانةِ بباقةٍ منْ أزهارِ الجريس. كما أضاءتِ المزهريّاتُ المليئةُ بالفاوانيا الحمراءِ الزّوايَا المظلمةَ على جانبيْ موقدِ المدفأةِ، بينما اشتعلَ الموقدُ نفسُه بأزهارِ الخشخاشِ الصّفراء. كلُّ هذه الفِتنةِ، وكلُّ هذه الألوانِ الّتي أضيفتْ إليْهَا أشّعّةُ الشّمسِ المتسلّلةِ منَ النّافذةِ، مارّةً بالكرومِ المتعرّشةِ، في مزيجٍ مُورِقٍ منَ الظّلالِ الرّاقصةِ على الجدرانِ والأرضيّةِ، كلُّها حوّلتْ هذه الغرفةَ المظلمةَ في العادةِ، إلى حديقةٍ تخيّلتْها آن. حتّى ماريلّا نفسها، لم تستطعْ إخفاءَ إعجابِها. وعندما جاءتْ لتنقدَهما، وجدتْ نفسَها تهنّئُهما.

نطقتْ آن بنبرةِ راهبةٍ بصدَدِ القيامِ بطقسٍ مقدّسٍ علَى شَرَفِ الرّبِّ:

- الآن، يجبُ أن نزيّنَ الطّاولة. سوف نضعُ أصيصًا منَ الأزهارِ البرّيّةِ وسَطَ الطّاولةِ، ووردةً أمَامَ كلِّ صحنٍ، وباقةً

خاصّةً منْ براعمِ الأزهارِ فِي مكانِ السّيّدةِ مورغان، كي نُحيلَ على كتابِها «حديقة براعم الأزهار».

نصبتِ الطّاولةُ فِي الصّالونِ، وغُطِّيتْ بأجملِ غطاءٍ تستعملُهُ ماريلّا، ورُتِّبَتْ فوقَهَا الأوانِي الفخّاريّةُ والزُّجاجيّةُ والفضّيّةُ المُعدّةُ للمناسباتِ الكُبْرى. ولمْ تتركِ الفتاتان شيئًا من هذِه الأشياءِ الموضوعةِ على الطّاولةِ إلّا وصَقَلتَاه لّمعتاهُ كيْ يصلَ إلى قمّةِ تألّقِه. إثرَ ذلكَ دخلتِ الشّابّتان إلى المطبخِ الفائحِ بالرّوائحِ الفاتحةِ للشّهيّةِ، القادِمةِ مِنِ الفُرْنِ، حيثُ يطقطقُ الدّيكانِ بشكلٍ رائع. أعدّتْ آن البطاطا، واهتمّتْ ديانا بالبازلّاء والفاصوليا. وبينما كانت هذِه الأخيرةُ تعدُّ السّلطةَ الخضراءَ، أعدّتْ آن الصّلصةَ الّتي تصاحبُ طبقَ الطّيورِ، بخدّيْنِ محمرّينِ منِ الإثارةِ، ومنْ نارِ الفُرن. ثمّ قصّتِ البصلَ للحساءِ وخفقتْ الكريما المزيّنةَ لفطائرِ اللّيْمُون.

ماذا كان دايفي يفعلُ خلال ذلك الوقت؟ هل وفى بوعدِه وتصرّفَ بشكلٍ لائِق؟ نعم لقدِ التزمَ بذلك ! ألحَّ عليْهِ فضولُهُ أنْ يظلَّ فِي المطبَخ. وبما أنّهُ جلسُ بهدوءٍ في الزّاويةِ، مشغولًا بفكِّ عُقدِ شبكةِ رنجةٍ أحضَرها من رحلتِهِ الشّاطئيّةِ الأخيرةِ، فإنّ أحدًا لمْ يعترضْ علَى ذلك.

على السّاعةِ الحاديةَ عشْرةَ ونصف، جهزتِ السّلطةُ، وتُوِّجَتِ الفطائرُ بالكريمِ شانتييه، بينما ظلّ كلُّ ما يجب أنْ يغليَ أو يُطهَى على نارٍ هادئةٍ، يفعلُ ذلك.

اقترحتْ آن:

- من الأفضلِ أنْ نذهبَ، ونرتديَ ثيابنَا الآن، فربّما جاؤُوا منتصفَ النّهار. سيجهزُ الحساءُ بعْدَ قَلِيل، ونجلسُ إلى الطّاولةِ في تمامِ السّاعةِ الواحدة.

بلغتْ طقوسُ التّجمّلِ في الجانبِ الشّرقيِّ من البيتِ أعلى درجاتِ جِدِّيّتها. وداخلَ الرّضا آن وهي تفحصُ أنفَها، إذ لاحظتْ أنَّ بُقعَ النّمشِ ليست واضحةً كثيرا، سواء كان ذلك بفضلِ نعمةٍ إلهيّةٍ، أو بفضلِ عصيرِ اللّيمونِ، أو بسببِ الاحمرارِ غيرِ المُعتادِ لخدَّيْها. وعندما جهزَتا، كانتا جذّابتيْنِ، ورشيقتيْن، وأنثويّتين، أكثرَ من أيِّ بطلةٍ منْ بطلاتِ السّيّدةِ مورغان.

قالتْ ديانا بحيرةٍ:

- أتمنّى فقطْ أنْ أستطيعَ قولَ كلِمةٍ بالمُناسَبةِ، وألّا أبقى صامتةً كعظم.

- تتميّزُ كلُّ بطلاتِ السّيّدةِ مورغان بقُدْرةٍ رائِعةٍ علَى الحَدِيث. أخاف منْ أنْ يجعلَنِي الخجلُ غبيَّة. سوف أحرصُ على استعمالِ عبارةِ «لو أمكنني» بدلَ عبارةِ «كان بإمكانِي». لمْ يحدثْ معِي هذا منذُ كانتِ السّيّدةُ ستيسي أستاذتَنا. آن، لو نطقتُ عبارةَ «لو أمكنني» أمامَ السّيّدةِ مورغان، سأموتُ خجلا. سيكون ذلك مماثِلًا لعدمِ قولِ شيء.

قالتْ آن:

- هُناكَ العديدُ منَ الأشياءِ الّتي تجعلُنِي مُتوَتِّرة. ولكنْ، لا أعتقدُ أنّ شيئًا يستطيعُ منْعِي من الحديث.

كان ذلك حقيقيّا.

غطّتْ آن فستانَها الموسلين بمِريلَةٍ كبيرةٍ، ونزَلتْ لِطَبْخِ الشّوربة. بينما ارتدتْ ماريلّا ثيابَها، وألبستِ التّوأم. لمْ تشعرْ منْ قبْلُ أبدًا بِهذا الحَماس. مُنتَصَفِ النّهارِ ونصف، وصلَ السّيّدَ ألان، وزوجتُه، والآنسة سيتيسي. سار كلُّ شيءٍ بخيرٍ، ولكنَّ آن بدأتْ تشعُرُ بِتَوَتُّر، إذ تأخّرتْ بريسيلا والسّيّدةُ مورغان، فظلّتْ تقومُ برحلاتٍ متكرّرةٍ نحوَ البوّابةِ، وتنظرُ بقلقٍ نحْوَ الأرضيّةِ، تمامًا كما نظرتْ شبيهتُها في قصّةِ «بلوبيرد» منَ البرجِ إلى أسفل.

وشوشتْ آن بنبرةٍ مثيرةٍ للشّفقةِ:

- وماذا لوْ لمْ تأتيا؟

عارضتها ديانا:

- لا تضعي فرضيّاتٍ كهذه. سيكون هذا مؤسفًا جدّا.

نادتْها ماريلّا مِنَ الصّالون:

- آن، ترغبُ الآنسةُ ستيسي في رؤيةِ الطّبقِ ذي الزّخارفِ الصّينيّةِ، الخاصِّ بالآنسةِ باري.

ذهبتْ آن لتجلِبَهُ منْ خزانةِ الصَّالُون.

فمثلما وعدتِ السّيّدةَ ليند، كتبتْ آن إلى الآنسةِ باري من «شارلوت تاون» تطلبُ منها أن تعيرها إيّاهُ. وبما أنّ هذهِ الأخيرةَ صديقةٌ قديمةٌ لآن، فقد أرسلتْهُ في الحينِ، مصحُوبًا برسالةٍ تنبِّهُها فيها إلى أنْ تحرصَ عليْهِ، فقد دفعتْ عشرين دولارًا ثمنَ شرائِه. ومنْ ثَمَّ، أُعِيدَ الطّبقُ إلى الرّفِّ في «غرين غابلز» بعد استعمالِهِ في

بازار جمعيّةِ تحسينِ المدينةِ، لأنّ آن لم تجرؤْ أنْ تعهدَ بهِ لأيٍّ كانَ كيْ يُعِيدَه إليْها فِي المَدينة.

حملتْ آن الطّبقَ بحذرٍ إلى المَدْخلِ، حيثُ كانَ الضّيوفُ ينعمُونَ بنسْمةٍ منْعشةٍ متأتّيةٍ مِن الغدِير. تمّ تفحّصُهُ، وإبداءُ الإعجابِ به، وفي اللّحظةِ الّتي أعادته فيها آن إلى الصّالونِ، تناهَى صوتٌ مُرعِبٌ منَ المَطْبَخ. فسارعتْ ماريلّا، وديانا، وآن الّتي لمْ تتوقّفْ إلاّ لتضعَ الطّبقَ الثّمينَ على الدَّرَجِ الثّاني منَ السُّلَّم.

انتظرهنّ مشهدٌ مؤسفٌ جدًّا في المطبخ: صبيٌّ بملامحَ مذنبةٍ يحاولُ ما في وسعِه للنّزولِ منَ الطّاولةِ، وبلوزتهُ الجميلةُ المكويّةُ متسّخةٌ بالصلصةِ الصّفراء. وعلى الطّاولةِ بقايا منْ قطعِ الفطائرِ باللّيمونِ المزيّنةِ بالكريما.

فبعد أن أنهى فكَّ عُقدِ شبكةِ صيدِ الرّنجةِ، شكّلها دايفي على هيأةِ كُرة. دخل بعدها إلى غرفةِ المؤونةِ ليضعها على الرفِّ أمام الطّاولةِ، حيثُ كُراتٌ أخرى مماثلةٌ لا تهبُهُ متعةً، غيرَ متعةِ امتلاكِها. وكيْ يصلَ إلى الرّفِّ، كان على دايفي تسلّقُ الطّاولةِ منْ زاويةٍ خطِرةٍ، وهو ما منعتْهُ ماريلّا منَ القيامِ بهِ، بعد حادثٍ تعرّضَ لهُ مرّة. وفي الوضعِ الحاليّ، بدتِ النّتيجةُ كارثيّة. فقد انزلقَ، وسقطَ ممدّدًا على فطائرِ اللّيمُون. اتّسختْ بلوزتُهُ النّظيفةُ، وأُتلِفتِ الفطائرُ إلَى الأبَد. بدا الأمرُ وكأنّ ريحًا ضاريةً هبّتْ، أو كأنّ خنزيرًا مّا استغلّ خطأ دايفي ليربحَ منْ خلالِه الكثير.

صرختْ ماريلّا وهي تمسكهُ من كتفِه:

- ديفي كيت، ألم أمنعك من تسلّق تلك الطّاولة؟ أجب !

تباكى:

- لقد نسيتُ، هناك العديدُ من الأشياءِ الّتي منعتنِي منْها، ولا أستطيعُ تذكّرها كلّها.

- حسنًا الآن، ستصعدُ إلى أعلى، وستبقى هناك إلى ما بعدَ العَشاء. ربّما ستتذكّر حينها. آن، لا داعيَ لتدافعِي عنه. لست أعاقبهُ لإفسادِ الفطائر. كان ذلك حادِثا. بل أعاقبُه لعدمِ طاعتِه. أمرتكَ أن تصعد يا دايفي.

اشتكى الصّبيُّ:

- لا أستطيع الأكل؟

- سوف تنزلُ بعد العشاءِ، وتأكلُ في المطبخ.

أجاب مُطمئنًّا بعضَ الشّيءِ:

- أوه ! هذا رائعٌ ! أنا متأكّدٌ منْ أنّ آن ستتركُ لي قطعًا جيّدة. أليس كذلك يا آن؟ تعرفين أنّي لم أقصدِ السّقوطَ فوقَ الفطائِر. أخبريني يا آن، بما أنّها فسدت، هل أستطيعُ أخْذَ بعضِ القطعِ معي إلى أعلى؟

أجابتْ ماريلّا وهي تدفعُه فِي الرِّواق.

- انس الأمر، سيّد دايفي.

سألتْ آن وهي تتأمّلُ الضّررَ بسَحنَةٍ مذهُولة:

- ماذا سأقدّمُ الآن كتحلية؟

واستْها ماريلا:

- اذهبِي، وابحثِي عن جرّةٍ من الفراولة المعلّبة. هناك ما يكفِي منَ الكريما المخفوقَةِ المتبقّيةِ فِي الوِعاء.

حانتِ السّاعةُ الواحدةُ، ومع ذلك لم تأتِ بريسيلا، ولا السّيّدة مورغان. كانت آن على حافّة الغضب. فكلُّ شيءٍ جاهزٌ، والحساءُ على أحسنِ ما يكونُ، ولكنْ، مع مرورِ الوقتِ، قد لا يبْقَى كذلك.

قالتْ ماريلّا فجأةً:

- أعتقد أنّهما لن تأتيا.

وبحثتْ آن وديانا عن بعضِ العزاءِ في عيونِ بعضِهما بعضا. وعلى السّاعةِ الواحدةِ ونصف، خرجتْ ماريلّا من الصّالون:

- علينا أنْ نأكلَ أيّتُها الفتيات. لن تأتيَ بريسيلا ولا السّيّدةُ مورغان، وهذا واضح. لن ينفعَ انتظارُنا في شيءٍ الآن.

بدأتْ آن وديانا تضعانِ الطّعامَ الّذِي أُتلِفتْ تحليتُهُ بالكامِل.

قالت ديانا بصوتٍ حزينٍ:

- لا أعتقد أنّ بإمكاني ابتلاعُ لُقمةٍ واحدة

أجابتْ آن ببرود:

- ولا أنا، لكنّي أتمنّى أن يكونَ الطّعامُ على الأقلِّ لذيذًا من أجل الآنسةِ ستيسي والسيّدِ ألان وزوجتِه.

وهي تضعُ البازلّاءَ في الصّحنِ، تذوّقتْها ديانا، واكتسَى وجهُها بسَحْنةٍ غريبَة.

- آن، هل وضعتِ السّكّرَ في البازلاء؟

قالت ديانا الّتي كانت تُقشّرُ البطاطا بسَحنةٍ منْ يرغبُ في إنهاءِ ما يقومُ به لا أكثر:

- نعم، لقد وضعتُ مِلعَقةً منَ السُّكّر. هذا ما نقومُ بِه دوما. ألم يُعجبك هذا؟

- ولكنّي أضفتُ ملعقةً أخْرى أنا أيضًا، عندما وضعتُ الوعاءَ على النّار.

تركتْ آن البطاطا المهروسةَ، وتذوقتِ البازلّاء. كشّرتْ بوجهها وقالتْ:

- هذا فظيع. لم أكن أتخيّلُ أبدًا أنّكِ ستضيفِين لها السّكّر. فأنا أعرف أنّ أمّكِ لا تقومُ بهَذا مُطلقا. -فكّرتّ في ذلك لوهلةٍ، وأضفتُ ملعقة.

قالتْ ماريلّا الّتي استمعتْ إلى هذَا الحدِيثِ، بسَحْنةٍ آسفةٍ بعْضَ الشّيءِ:

- هذا ما يحدثُ عندما تكون هناك أكثرُ من طبّاخةٍ واحدة. كنتُ متأكّدةً من أنّكِ ستنسَيْن السّكّرَ يا آن كالعادةِ، لذلك أضفتُ ملعقة.

سمِعَ الضّيوفُ في الصالونِ، ضحكاتٍ متأتّيةً من المطبخِ، ولكنّهم لم يفهموا مُطلقًا الطّرفة. وفي كلّ الأحوالِ، لم تحضرِ البازلّاء على الطّاولةِ في ذلك اليوْم.

قالتْ آن هادئةً:

- حسنًا، على الأقلِّ تبقّتْ لنا السّلَطة. وأعتقد ألّا شيءَ حدثَ للفاصوليا. فلنضعْها على الطّاولةِ، ونبدأ.

لا يمكنُ بالطّبعِ وصفُ هذا العشاءِ بالعشاءِ الناجِح. وبذل السّيّدُ آلان وزوجتُهُ والآنسةُ ستيسي ما في وسعهم لإنقاذِ الموقف. بدا ألاّ شيءَ أفسدَ الهدوءَ المعتادَ لماريلّا. ولكنّ آن وديانا لم تتمكّنا منَ الأكلِ ولا منْ قولِ كلمةٍ، وظلّنا ممزّقتيْن بين خيبةِ أملِهما في تلك اللّحظةِ، وحماسِهما الكبيرِ في بدايةِ الصّباح. حاولت آن أنْ تقوم بدورٍ بطوليٍّ للمساهمةِ في المحاورةِ، كي تُثيرَ إعجابَ ضيوفِها، ولكنّ حماسَها خبا، ولم تستطعْ كبحَ نفسِها عنِ التّفكيرِ في رغبتِها الكبيرةِ في مغادرةِ الجميعِ الآن، حتّى تتمكّنَ منَ الذّهابِ إلى غرفتِها في الجناحِ الشّرقيِّ، ودفْنِ تعبِها وخيبةِ أملِها في وسادةِ فراشِها.

يقولُ المثلُ: إنّ المصائبَ لا تأتي فرادى مطلقًا. فكمّيةُ الاضْطِراباتِ فِي ذلكَ اليَوْمِ لمْ تبلُغْ نِصَابَها بعْد. شكرَ السّيّدُ آلان وزوجتهُ مضيّفيهم، عندما سُمعَ صوتٌ غريبٌ ومشؤومٌ، يتردّدُ منَ الدَّرَج. بدا وأنّ شيئًا مّا صلبًا وثقيلًا يقفِزُ منْ دَرَجةٍ إلى أخْرى علَى السّلّم. وانتهى ذلكَ بضوضاءَ كبِيرَة. هرع الجميعُ نحوَ الرّدهة. وأطلقتْ آن صَرْخةَ رُعْب.

عند أسفل السُّلّم، كان هناك صدفةٌ وردِيّةٌ كبيرةٌ تتوسّط شُظايَا مَا كانَ طبقَ الآنسةِ باري. وفِي الأعْلَى، قرْفَصَ دايفي متأمّلًا الكارثةَ بعينيْن متّسعتيْن.

قالتْ ماريلّا بنبرةٍ مهدّدةٍ:

- دايفي، هل رميتَ بالصّدفةِ عنوة؟

أجاب متباكيًا:

- لا، لقد كنتُ مقرفصًا هُنا، هادئًا ما أمكنني، أراقبُكم عبْرَ الدرابزين، فعلقتْ قدَمي فِي الصّدفةِ... كنتُ جائعًا للغايةِ... وأفضّلُ ألفَ مرّةٍ تلقّي ضرباتٍ علَى مؤخّرتي وينتهِي الأمرُ، على أنْ أُرسلَ دومًا إلى الأعلى، وأضيّعَ كلَّ المُتْعة.

قالتْ آن وهي تجمع الطّبقَ بأصابعَ مرتعشةٍ:

«لا تلومي دايفي، أنا المسؤولةُ عنْ ذلك. لقد نسيتُ أنّي وضعتُهُ علَى السّلّمِ، وها أنّي أُعَاقَبَ على حماقتِي. ولكنْ، ماذا ستقولُ الآنسةُ باري؟

واستْها ديانا:

- حسنًا، تعرفِين أنّها اشْتَرَتْه. سيكون الأمرُ مختلفًا لو أنّها مثلًا ورثته.

خرج الضّيوفُ بعد ذلكَ بقليلٍ، معتقدينَ أنّ ذلك أفضلُ ما يمكنُ القيامُ بهِ فِي ظروفٍ مُماثلة. غسلتْ آن وديانا الأوانِي، دون أن تتبادَلا تقريبًا كلمةً واحِدة. عادتْ ديانا بعدَها إلى بيتِها بصداعٍ رهيبٍ، ودخلتْ آن إلى غرفتِها بصداعٍ أيضًا، وبقيتْ هُناك حتّى عادتْ ماريلّا منْ مكتبِ البريدِ عنْدَ المَغِيب. وأحضرتْ رسالةً مبعوثةً منْ بريسيلا ليلةَ البارِحة. لقد آذتِ السّيّدةُ مورغان كاحلَها إلى درجةِ عجزِها التّامِ عنْ مغادرةِ غرفتِها.

قالتْ بريسيلا:

- «عزيزتي آن، أنا آسفةٌ حقًّا، لن نستطيعَ القدومَ إلى «غرين غابلز». لأنّ خالتِي ستعُود إلى «تورونتو» بعْدَ شفائِها. فلا بدّ أنْ تكونَ هُناك فِي موعدٍ مُحدّد».

تنهّدتْ آن واضعةً الرّسالةَ على عتبةِ البابِ الخلفيِّ، بينما نزلتْ شمْسُ المَغِيبِ في سماءٍ مرقّطةٍ:

- حسنا، لطالما فكّرتُ في أنّ زيارةَ السّيّدةِ مورغان أجملُ منْ أنْ تتمّ. ولكنْ... أوه، يبدُو خطابِي متشائمًا مثلَ خطابِ الآنسةِ إليزا أندروز، وأشْعُرُ بالخجلِ منْ قولِ هَذا. وفي النّهايةِ، لم تكن هذه الزّيارةُ أجملَ منْ أنْ تحدث، فهناك أشياءُ أجملُ بكثيرٍ تتحقّقُ لِي باطّرادٍ، ودونَ توقّف. وأعتقدُ أنّ لأحداثِ اليوم جانبًا مرِحا. عندما أصبح أنا وديانا عجوزتيْن مكلّلتيْن بالشّيبِ، سوف نضحكُ على هذا. ولكنّي لا أظنّ أنّ هذا ممكنٌ قبْلَ ذلك. فخيبةُ الأملِ كانتْ مريرةً جِدّا.

تنبّأتْ ماريلّا، مُعتقدةً بصدقٍ أنّها بخطابِها هذَا تسْعَى إلى مواساةِ آن:

- ستعرفين بالتّأكيدِ خيباتِ أملٍ كثيرةً أخرى، وأسوأ أيضا. يبدُو لِي يا آن أنّك لن تتوصّلي أبدًا إلى التخلّصِ من عادة بذلِ كلِّ طاقتِك ومجهودِك في إنجازِ شيءٍ مّا، ثمّ تنهارِين في اليأسِ لأنّك لا تتحصّلين عليه.

قالتْ آن بنبرةٍ مثيرةٍ للشّفقة:

- أعرفُ جيّدًا أنّ لي هذا الميل. فعندما أعتقد أنّ أمرًا مّا جميلًا سيحدث، أبدو كأنّي أطير على أجنحة الأمل. وبعد ذلك، أوّل شيء أدركه، هو أنّي أسقط على الأرض بثقلٍ كبير. ومع ذلك يا ماريلّا، عندما أحلّق، فإنّي أعيش لحظاتٍ مجيدةً، وكأنّي أنطلقُ نحو الشّمسِ الغاربة. بل أكادُ أقول إنّ هذه اللّحظاتِ تستحقُّ صدمةَ السّقوط.

وافقتْ ماريلا:

- ربّما معكِ حقّ. أمّا أنا، فأحبّذُ أن أقطعَ الطّريقَ بهدوءٍ، متفاديةً الطّيران والسّقوط. ولكنْ، لكلّ واحدٍ طريقتُهُ فِي العيْش. تعوّدتُ الاعتقاد أنّ طريقةً واحدةً كافيةً، ولكنّي لمْ أعُدْ متأكّدةً من ذلك، منذ كان عليّ تربيتُكِ أنت والتّوأم. ماذا ستفعلين بخصوصِ طبقِ الآنسةِ باري؟

- أعتقد أنّي سأعيدُ لها عشرينَ دولارا. حمدا للرّبِّ أنّه لم يكن تذكارًا عائليًّا، ففي هذه الحالةِ، لا مبلغَ من المالِ يستطيعُ تعويضَه.

- ربّما تستطيعين إيجادَ واحدٍ آخرَ في متجرٍ مّا، تشترينَه لها.

- ذلك غير ممكنٍ للأسف. فالأطباقُ القديمةُ مثلُ هذا نادرةٌ جدّا. لم تستطع السّيّدةُ ليند إيجادَ واحدٍ منْ أجلِ العَشاء. لو أنّ ذلك كان فقطْ ممكنا ! منَ البديهيِّ أنّ الآنسةَ باري لنْ تستطيعَ اكتشافَ الفَرْقِ، أي ما إذا كانَ قديمًا وأصيلًا مثلَ الأوّل، أم لا. ماريلّا، أنظرِي إلى تلكَ النّجمةِ الكبيرةِ المتألّقةِ

فوْقَ بستانِ قيقبِ السّيّدِ هاريسون. إنّها تذكّرني بصلاةٍ، وفي النِّهاية، عندما نستطيع رؤيةَ نجوم، وسماواتٍ رحبةٍ مثل هذه، فإنّ خيباتِ الأملِ لا تعنِي شيئًا كثِيرا، أليْس كذلك؟

(18)
مغامرةٌ على طريقِ المحافظِين

«آن».

سألَ دايفي جالسًا في فراشِه، واضعًا ذقنَهُ بين يديْه:

- أين يذهبُ النّومُ؟ ننام كلّ ليلةٍ، وأعرفُ أنّ النّومَ هو المكانُ الّذي أقومُ فيه بالأشياءِ الّتي أحلُمُ بها، ولكنّي أريدُ معرفةَ مكانهِ تحدِيدا. وكيف يحدثُ أن أمضيَ نحوهُ وأعودَ منهُ دون أن أعرفَ أينَ يقعُ ذاك المكانُ... خصوصًا وأنّي أمضِي بثيابِ النّومِ. فأين يذهبُ النّوم؟

جلستْ آن تتأمّلُ مغيبَ الشّمسِ مقرفصةً أمام نافذةِ الجناحِ الغربيّ. بدتِ السّماءُ مثلَ وردةٍ كبيرةٍ ببتلاتٍ بلونِ الزّعفرانِ وقلبٍ أصفرَ مُتوَقّد. التفتتْ برأسِها، وأجابتْ بنبرةٍ حالِمةٍ:

- يذهبُ وراءَ جبالِ القَمَر، في نهرِ الظّلال.

لو أنّ بول آرفنغ سمِعَ هذه الكلماتِ كان سيفهم معناها، أو على الأقلِّ كان سيؤوِّلُها بطريقتِه. ولكنّ دايفي الّذي كان طفلًا عمليًّا جدًّا، مجرّدًا منْ أبسطِ ذرّةِ خيالٍ، اضطربَ وانزعج. ولطالما لاحظتْ آن ذلكَ بيأسٍ تامّ.

- آن، أعتقد أنّ ما تقولينه محضُ جنُون.

- هو كذلك بالطّبعِ يا عزيزي. ولكنْ أتعرف؟ وحدهم الأغبياءُ يتفوّهون بخطاباتٍ معقولةٍ فقط.

قال دايفي بنبرةٍ مجروحةٍ:

- حسنا، أعتقد أنّ بإمكانكِ إجابتي إجابةً مُقنعةً فقط عندما أسألكِ سؤالًا مقنِعا.

قالت آن:

- أوه، أنت صغيرٌ جدًّا على أن تفهم.

ولكنّها ندمتْ على عباراتِها في الحين. وكيف لها ألّا تندمَ، وهي الّتي تعرّضتْ للصّدِّ مرّاتٍ عديدةً في طفولتِها؟ تذكّرتْ ذلكَ بِمرارَة. لقد تعهّدتْ بيْنَها وبيْنَ نفسِها بألاّ تقولَ أبدًا لطفلٍ إنّه صغيرٌ على أنْ يفْهَم. وها أنّها هي نفسُها تقومُ بذلكَ أحيانا. فجوةٌ كبيرةٌ تفصلُ النّظرِيّةَ عنِ التّطبيق.

أجاب دايفي:

- لقد بذلت ما في وسعي كي أكبر، ولكنْ، ليْسَ بإمكانِي الإسراعُ أكثر. لو أنّ ماريلّا لم تكنْ بخيلةً معِي بخصوصِ المُربّى، فأنا متأكّدٌ منْ أنّي كنتُ سأنمُو بسرعةٍ أكبر.

قاطعتْهُ آن بصرامةٍ:

- ماريلّا ليستْ بخيلةً، من الجحودِ أن تقول هذا.

قال دايفي مقطّبًا حاجبيْهِ بسَحْنةٍ مُركّزة:

- هناك كلمةٌ أخرى تؤدّي المعنى نفسَه بطريقةٍ أفضل، ولكن

لا أستطيعُ تذكّرَها الآن، لقد سمعتُ ماريلّا نفسَها تقولُها ذاتَ يوم.

- إذا كانَ ما تبحثُ عنهُ هو كلمةُ «مقتصدة»، فهي مُختلِفةٌ كثيرًا عنْ «بخيلة.» وهي تعبّرُ عنْ خصْلةٍ مميَّزة. لوْ كانتْ ماريلّا بَخِيلةً، لَمَا قَبِلَتْكَ أبدًا عِنْدَهَا أنتَ ودُورا، بعدَمَا تُوفّيتْ والدَتُكما. أكُنتَ تفضّلُ العَيْشَ عِنْدَ السّيّدةِ ويغينز؟

كان دايفي صارمًا بخصوصِ هذه النّقطةِ:

- على الإطلاقِ! لا أريدُ أيضًا الذّهابَ عِنْدَ خالي ريتشارد. أحبّذُ العيْشَ هُنا ألفَ مرّةٍ، حتّى وإن كانت ماريلّا... تلك الكلمةُ الكبيرةُ... عندما يتعلّق الأمرُ بعُلَبِ مُربّاها. ثمّ لأنّكِ هُنا يا آن، أحِبُّ العَيْشَ فِي هَذا المَكان. أخبِريني. هل ستروِين لي حكايةً قبْلَ النّوم؟ لا أريدُ حكايةً سِحْرِيّة. إنّها تصلحُ للفتياتِ فقَط. أريدُ حكايةً مثيرةً، بكثيرٍ منَ الأشخاصِ المتقاتلينَ، وبيتٍ محترقٍ، وكلِّ الأشياءِ المهمّةِ مثل هذه.

لحُسنِ حظِّ آن، وصلتْ ماريلا إلى الغرفةِ في تلكَ اللّحْظة.

- آن، ديانا ترسلُ إليكِ إشاراتٍ دونَ توقُّف. منَ الأفضلِ أنْ تذهبِي لتريْ ما تريدُ.

ركضتْ آن نحْوَ غرفتِها، وشاهدتْ ومضاتٍ منَ الضّوءِ تخرُجُ منْ نافِذةِ ديانا، وتعبُرُ الغروبَ، في مجموعاتٍ منْ خمْسٍ، وهو ما يعنِي وفقَ الإشارةِ الّتي اتّفقا عليْها منذُ طفولتِهما: «تعالَيْ حالًا،

لديَّ شيءٌ مهمٌّ جدًّا أخبركِ به». وضعتْ آن شالًا أبيَض على رأسِها، وسارعتْ بالذّهابِ نحو «أوركارد سلوب»، مُجتازةً الغابةَ المسْحُورةَ، ومرعَى السّيّدِ بيل.

قالتْ ديانا:

- لديّ أخبارٌ جيّدةٌ لكِ يا آن. لقد وصلتُ للتّوِ أنا وأمّي من «كارمودي». وهُناك قابلتُ ماري سنتنر منْ «سبنسرفي» فِي محلِّ السَّيّدِ بلير، فأخبرتْني أنَّ العجوزاتِ كوب القاطناتِ عند طريقِ المُحافظينِ، يملكُون طبقًا بزخرفٍ صينيٍّ، وتعتقدُ أنّه نسخةٌ مطابقةٌ للأصلِ منْ ذلك الّذِي طلبنَاه للعَشاء. تستطيعِين شراءَه دونَ شكٍّ، فمارثا كوب، معروفةٌ بأنّها لا تحتفظُ بشيءٍ تستطيعُ بيعَه. وزيادةً على ذلك، أخبرتنِي أنّ ويسلي كيزون منْ «سبنسرفي» يملكُ طبقًا مماثلًا أيضًا، وسيقبلُ ببيعِه، ولكنّها ليستْ متأكّدةً منْ أنّه متطابقٌ مع طبقِ الخالةِ جوزيفين.

أكّدتْ آن:

- سأذهب منذُ الغدِ لأحصلَ عليْهِ من «سبنسرفي». ويجبُ أنْ ترافقِينِي. لو تعرفين فقطْ أيَّ حملٍ ثقيلٍ سينزاحُ عنْ كاهِلي. سأذهبُ إلى المدينةِ بعْدَ غَد. كيف أستطيعُ مقابلةَ الخالةِ جوزيفين دونَ طبقٍ صينيٍّ؟ سيكون الأمرُ أسوأَ منَ المرّةِ الّتي اعترفتُ فيها بأنّي قفزتُ علَى فراشِ غرفةِ الضُّيُوف.

انفجرتِ الفتاتان ضَحِكًا، على هذِه الذّكرى البعِيدة.

وإذا كان بعضٌ منْ قرّائِي يجهلونَ الحادثةَ، وينتابُهم الفضولُ حول ذلك، فالحكايةُ موجودةٌ فِي الجزءِ السّابِق.

في ظهيرةِ اليوم المُوالي، خرجتِ الفتاتان فِي رحلةٍ بحثًا عنِ الطّبقِ الصّينيّ. تبعُدُ «سوبرفي» عشرةَ أميالٍ، ولم يكنِ اليومُ ملائمًا للتنقُّلاتِ، فالطّقسُ حارٌّ جدًّا، ولم تكنْ هُناك نفخةُ ريحٍ واحدةٍ، كما جعلتْ ستّةُ أسابيعَ منَ الجفافِ الطّريقَ مغبرةً بالكامِل.

تنهّدت آن:

- أوه ! أتمنّى حقًّا أن ينزل المطر قريبًا، فقد جفّت الطّبيعةُ تماما. تبدو الحقولُ المسكينةُ مثيرةً للشّفقة. وتبدو الأشجارُ وكأنّها تمدّ يدها لتتسوّلَ بعضَ المَطَر. أمّا بالنّسبة إلى حديقتِي، فإنّ حالتَها تفطرُ قلبي. أعتقد أنّ عليّ ألاّ أنتحبَ على حديقةٍ، بينما محاصيلُ الفلاّحين تُعانِي مُعانَاةً رهِيبَة. يقول السّيّد هاريسون إنّ المراعي مُحترِقةٌ إلى درجةِ أنّ بقراتِه المسكيناتِ بالكادِ تتوصّل لالتقاطِ حفنةٍ من العشبِ، وإنّهُ يشعرُ بذنبٍ قاسٍ تُجاهَ حيواناتِه كلّما تُقاطِعُ نظارتُه نظراتِها.

بعد مسيرةٍ مرهقةٍ، وصلتا إلى «سبنسرفي»، وتوغّلتا في طريقِ المُحافِظين. وجدتَاها خضراءَ ووحِيدَة. فقد نبتتْ أجماتُ عشبٍ صغيرةٌ في آثارِ عجَلاتِ العرَباتِ، وهو ما يدلُّ على ألاّ أحدَ يسْتقلُّ الطَّريقَ دوما. وزُيّنَ الجُزءُ الأكبرُ منْ هذا الطّريقِ على جانبيهِ بشجيراتِ تنّوبٍ ذاتِ أجماتٍ كثيفةٍ تتقاطعُ هُنا وهُناك، لتفْسحَ المَجالَ لحقلٍ خلفيٍّ تابعٍ لمزرعةٍ في «سبنسرفي»، يمتدُّ إلى

حدودِ السّياجِ حيثُ تمتدُّ جذوعٌ منَ الأشجارِ المتشابكةِ والمُشتعلةِ بالأعشابِ الحمراءِ والزّهورِ الذّهبيّة.

قالت آن:

- أتساءل لماذا سمّيتْ هذه الطّريقُ، طريقَ المحافظين.

أجابت ديانا:

- حسْبَ السّيّدِ آلان، فإنّ الأمرَ شبيهٌ بتسميةِ مكانٍ مقفرٍ بغابةٍ مِن أشجارِ الأيك. فلا أحدَ يعيشُ هنا بخلافِ الآنساتِ العجوزاتِ كوب، والشّيخِ العجوزِ اللّيبراليِّ مارتن بوفير فِي الجزءِ الآخَر.. بنَى المحافظونَ هذا الطّريقَ ليُثبِتوا أنَّ بإمكانِهم القيامَ بشيءٍ نافع.

كان والد ديانا ليبراليًّا، ولهذا السّببِ لم تكنِ الصّديقتان تتحدّثانِ مُطلقًا فِي السّياسَة. فالنّاسُ في «غرين غابلز» محافظونَ بالوراثة.

وصلتا أخيرًا إلى حقلِ كوب: إنّهُ مكانٌ نظيفٌ جدّا إلى درجةِ لأنّ مقارنتَه بغرين غابلز ستسيءُ إليه. شيّد البيت بطرازِهِ العتيقِ على منحدرٍ، ممّا استوجبَ ضرورةً بناءَ قاعدةٍ حجريّةٍ فِي الطّرَف، وطليتْ جدرانُه وما تابَعها بالجيرِ ممّا جعلَ بياضَه باهرا. ولم تنبتْ عشبةٌ تلقائيّةٌ واحِدةٌ في الحديقةِ المحاطةِ بسياجٍ أبيض.

لاحظت ديانا بأسفٍ:

- السّتائرُ مسدلةٌ، أعتقد ألاّ أحدَ في البيت.

كان الأمرُ كذلك بالفِعل. تبادلتِ الشّابتان النّظراتِ باضْطِراب.

قالت آن:

- لا أعرفُ ماذا سأفعل. لو كنتُ متأكّدةً منْ أنَّ الطّبقَ هو المناسبُ، فلن يضيرني انتظارُ عودتِهم. ولكنّي أخافُ منَ الانتظارِ منْ أجلِ لا شيء، وبعدها سيتأخّرُ الوقتُ على الذّهابِ إلى بيتِ السّيّدِ ويسلي كيسون.

نظرتْ ديانا نحو نافذةٍ صغيرةٍ مربّعةٍ فوق القبْو. وأكّدت:

- هذه نافذةُ غرفةِ المؤونةِ، أنا متأكّدة. هذا البيتُ هو تمامًا كبيتِ العمّ شارلز في «نيوبريدج»، وهي نافذةُ غرفةِ مؤونتِهم. ليستِ السّتارةُ مسدَلة. لو استطعْنا تسلّقَ سقفِ هذا الكوخِ، والنّظرَ إلى الدّاخلِ، فسنتمكّنُ ربّما من رؤيةِ الطّبق. هل تعتقدِين أنَّ الأمرَ سيكون سيّئا؟

أجابتْ آن بعدَ تفكيرٍ طويلٍ:

- لا، لا أعتقد. بما أنّ ما يدفعُنا هو الفضولُ المحض.

بعد أنْ تمّ الاتّفاقُ على هذهِ النّقطةِ الأخلاقيّةِ، استعدّتْ آن للصّعودِ فوقَ الكوخِ المقصود. الّذي كان بناءً منَ الألواحِ الخشبيّةِ، يعلُوه سقفٌ حادٌّ، شكّل في السّابقِ مسكنًا للبطّ. ولكنّ الآنساتِ العجوزاتِ كوب انقطعن عنْ تربيةِ هذه الطّيورِ «الوسخة». وهَكذا، لم يتمَّ استعمالُ الكوخِ منذُ سنواتٍ، إلاّ كبيتٍ للدّجاجِ في بعضِ الأحيان. وبالرّغمِ منْ دهنِه بالجيرِ، فقد بدَا متداعيًا، وشعُرتْ آن بالخوفِ وهي تتسلّقُ ماسورةً في تجْويف. قالتْ وهي تضعُ بحذرٍ قدَمها على السَّقْفِ:

- أنا خائفةٌ من أنّه لن يحتمل وزني.

نصحتْها ديانا:

- تمسّكي بشفيرِ النّافذةِ.

أطاعتْها آن. ولحُسْنِ حظِّها، رأتْ وهي تنظرُ منْ خِلالِ النّافِذةِ الطّبقَ الصِّينيَّ المُماثِلَ للطّبقِ الّذي تبحثُ عنه، فوقَ الرّفِ المُواجهِ للنّافذة. عاشتْ لحظاتٍ منَ السّعادةِ لرؤيتِه، قبْلَ حُدوثِ الكارثة. فمنْ فرط فرحِها، نسِيتِ الطّبيعةَ الهشّةَ لِمسندِها، وتوقّفتْ دون حذرٍ، عن الاستنادِ إلى شفيرِ النّافِذة، وقامت بحركةٍ صغيرةٍ مندفعةٍ. وخلالَ لحظاتٍ، انكسرَ السّقفُ، وتدحرجتْ آن في الحفرةِ حتّى كتفيْها. بقيتْ معلّقةً، عاجزةً عنِ الحركة. فسارعتْ ديانا إلى بيتِ البطِّ، ومسكتْ صديقتَها المسكينةَ من خصرِها، وحاولتْ جذبَها إلى أسفل.

صرخت آن:

- آي... توقّفي... هناك شظايا طويلةٌ تخدشُ جلدِي. ابحثِي عنْ شيءٍ مّا أضعُهُ تحْتَ قدميَّ وربّما سأستطيعُ عِنْدَها الصّعُود.

سارعتِ ديانا بوضعِ الماسورةِ المذكورةِ في الأعلى، فوجدتْها آن عاليةً علوًّا يسمحُ لها فقطْ بإسنادِ قدميْها. ولم تُساعِدْها على التّحرّر.

اقترحت ديانا:

- ربّما أستطيع إخراجكِ من هنا لو دفعتكِ إلى أعلى.

- لا... الشّظايا تؤلمني للغاية. ولكنْ، لو بحثتِ على فأسٍ سوف تساعدينني على توفيرِ مكان. أوه يا إلهي! بدأت أصدّقُ فعلا أنّي ولدتُ بطالعٍ سيّء.

بحثت ديانا في كلّ مكانٍ، ولكنّها لم تجد أيَّ فأس.

قالتْ عندما عادتْ إلى السّجينةِ:

- يجب أن أطلبَ المساعدة.

اعترضتْ آن بعنفٍ:

لا، إذا قمتِ بهذا، فالجميعُ سيعرفُ الحكايةَ، وسأموتُ خجلا. لا، يجبُ انتظارُ السّيّداتِ كوب، وإقناعُهنّ بحفظِ السّرّ. سيعْرفنَ أينَ يوجدُ الفأسَ، وسيخرجنني منْ هنا. لستُ مُتضَايقةً طالمَا بقيتُ ثابتَة، لا أقصدُ متضايقةً بالمعنَى الجسَديّ. أتساءلُ بكم سيقيِّمُون هذا الكوخ. يجب أن أدفعَ مقابلَ الأضرارِ الّتي تسبّبتُ فيها. ولن يشكّلَ ذلك أيَّ فرقٍ بالنّسبةِ إليّ لو تفهّمن ما دفعنِي إلى التّجسّسِ من نافذةِ غرفةِ المؤونة. ما يواسيني حقًّا، هو أنّي وجدتُ الطّبق. وإذا وافقتِ الآنسة كوب على بيعِه، فلن أكترثَ للباقي.

قالت ديانا:

- وإذا لم يعدن قبل هبوطِ اللّيلِ... أو في الغد؟

قالت آن ضدَّ إرادتِها:

- إذا لم يعدن عند المغيبِ، فسيكون عليكِ الذّهابُ والبحثُ عنِ المساعدة. ولكن طالما أنّ الأمرَ ليس ضروريًّا، فلن يكونَ عليكِ الذّهاب. يا إلهي، ها أنّي في مأزقٍ مروّعٍ ! كنت سأتحمّلُ آلامي أكثر لو كانت رومانسيّةً، مثل آلامِ بطلاتِ السّيّدةِ مورغان. أمّا آلامي فهي رديئةٌ جدّا. تخيّلِي ماذا ستقولُ العجوزاتُ كوب عندما يدخلن إلى السّاحةِ، ويرينَ

كتِفِيْ ورأسَ فتاةٍ تخرجُ من سقفِ بيتِهم. اسمعِي... يبدُو أنّه صوتُ قطار. لا ديانا، أعتقدُ أنّه صوتُ الرّعد.

كان الصّوتُ بالفعل صوتَ الرّعد. دارتِ ديانا بسرعةٍ حول البيتِ، وعادتْ لتخبرها أنَّ سحابةً سوداءَ كبِيرةً تُغَطِّي السّمَاءَ الغرْبيّة.

قالتْ فزعةً:

- سوفَ تكونُ عاصِفَةً كبِيرةً دُون شكّ. أوه ! آن، ماذا عسانا نفعل؟

أجابتْ بهدوء:

- يجب أن نستعدّ.

تبدو العاصفةُ أمرًا تافهًا حقًّا بالمقارنةِ مع مأزقِها.

- سيكونُ من الأفضلِ لك أن تحضُري الحصانَ والعربةَ إلى هذه الحظيرةِ المفتُوحَة. لحسنِ الحظِّ فإنّ مطريّتِي فِي العَربَة. خذِي قبّعتِي. وصفتْنِي ماريلّا بالإوزّةِ عندما رأتنِي أضعُ قبّعتِي المفضّلةَ كي أذهبَ إلى طريقِ المُحافظين، وكانتْ محقّةً كالعادة.

فكّتِ ديانا المُهرَ، واصْطَحَبتْه إلى الحظِيرةِ، عندما بدأتْ قطراتُ المطرِ الكبرى الأولَى بالنّزول. ثمّ جلستْ، وبقيتْ تشاهد تساقطَ المطرِ الّذي كان مثلَ ستارةٍ كثيفةٍ، صعُب عليْها حتّى رؤيةِ آن من خلالها. وضعتْ هذه الأخيرةُ مطريّتَها فوقَ رأسِها. لم يكنْ هناك الكثيرُ من الرّعدِ، ولكنّ المطرَ واصلَ هطولَه قرابةَ ساعة. ومن

وقتٍ لآخر، كانت آن تبعُد مطريّتَها، وتشير بيدِها إلى صديقتِها للتّرفيعِ في معنويّاتها. ومع ذلك، كان من المستحيلِ عليهما تبادلُ الأحاديثِ منْ هذِه المسافةِ، وفي هذهِ الظّروف. توقّفَ المطرُ في النّهايةِ، وظهرتِ الشّمسُ منْ جديدٍ، فسارتِ ديانا وسَطَ الساحةِ عبْر بركِ المَاء.

سألتها بحيرةٍ:

- ألست مبلّلة؟

أوه لا، أكّدت آن. رأسي وكتفايَ جافّانِ تقريبًا، وتنّورتي مبتلّةٌ قليلًا فقط، لأنّ الماءُ يمرّ بين الأخشابِ السّفليّة. لا تشفقِي عليّ يا ديانا. لقد تحمّلتُ الأمرَ جيّدا. إنّي أفكّرُ في كلِّ الخيرِ الّذي سيأتي به المطر، في كلِّ السّعادةِ الّتي تشعُر بها حديقتِي، في كلّ ما تفكّر فيه نباتاتِي وبراعمِي عندما لامستْها أولَى القطرات. تخيّلتُ محاورةً جذّابةً جدًّا بين زهورِ النّجمةِ، وحبّاتِ البسلةِ، وعصافيرِ الكناري البرّيةِ في بستانِ اللّيلكِ، وملاكِ الحديقةِ الحارس. أنوي كتابتهُ ما إنْ أعود. سوف أكتبُه الآن، لو أنّ لديّ فقط ورقٌ وقلم. أنا متأكّدةٌ من أنّي سأنسَى أفضلَ المقاطعِ قبل أن أعودَ إلى بيتي.

كانت ديانا الوفيّةُ تملكُ قلمًا وقطعةً من ورق التّغليف في العربة. طوتْ آن مطريّتها المبلّلةَ، ووضعتْ قبّعتَها، ثمّ مدّدتِ الورقَ على لوحٍ خشبيٍّ مرّرتْه لها ديانا، ودوّنتْ هذه الحديقةَ المثاليّةَ في ظروفٍ يمكن القولُ إنّها لا تلائمُ الأدبَ كثيرا. كانت النّتيجةُ جميلةً، وسحرتْ قراءةُ النّصِّ ديانا:

- إنّه ساحرٌ جدًّا يا آن... ساحرٌ للغاية. عليكِ أن ترسليه إلى مجلّةِ المرأةِ الكنديّة.

- لا، لن يكون هذا ملائمًا أبدا. ليستْ هناك حبكةٌ، هل فهمتني؟ إنّها سلسلةٌ من الخواطر. أحبّ كثيرًا الكتابةَ بهذه الطّريقةِ، ولكنْ، بالطّبع لن يُنْشَرَ أيُّ شيءٍ من هذا. وحتّى بالنسبةِ إلى بريسيلا، فإنّ النّاشرين يصرّون على أن تحتوي النّصوصُ على حبكة. أوه!، ها هي السيّدةُ ساره كوب تقبل. أرجوكِ يا ديانا! اشرحِي لها!

كانتِ السّيّدةُ ساره امرأةً نحيلةً ترتدِي ملابسَ سوداءَ عجيبةً مستعملةً، وتضعُ على رأسِها قبّعةً اختارتها لطابعِها الزّخرفيِّ أكثرَ من طابعِها الوقائيّ. أثار المشهدُ الّذي رأتْهُ في ساحتِها ذهولَها في الحينِ، كما هو متوقّع. ولكنّها أبدتْ كلّ التّعاطفِ بعد سماعِها لتفسيرِ ديانا. سارعتْ بفتح البابِ الخلفيِّ، وبحثتْ عن الفأسِ، وبعد ضرباتٍ قويّةٍ تحرّرتْ آن مرهقةً بعضَ الشّيءِ ومتألّمةً. سقطتْ وسَطَ سجنِها وخرجتْ منه من جديدٍ، بسعادةٍ، نحو حرّيتها.

قالت بصدقٍ:

- سيّدة كوب، أؤكّد لك أنّي نظرتُ داخل غرفةِ المؤونةِ فقطْ كي أرى إنْ كان لديكنّ طبقٌ صينيّ. لم أر أيَّ شيءٍ آخر.

أجابتِ السّيّدةُ ساره بلطفٍ:

- حسنًا، أنا لا ألومُك. لا تقلقي، فليس هناك أيُّ سوء. شكرًا للرّبّ، فنحن آل كوب نعْتَنِي بغرفةِ مؤونتِنا كلَّ

الوقتِ، ولا نخشَى نظرةَ أحد. أمّا فيما يتعلّقُ ببيتِ البطِّ هذا، فإنّي سعِيدةٌ لأنّه انكسرَ، فربّما وافقتْ مارتا الآن على هدْمه. لم تردْ قبلَ ذلك قطُّ، بما أنّه يمكننا استعمالهُ، وكان عليّ طلاؤُه بالجيرِ كلَّ ربيع. الحديثُ إلى مارتا هو تمامًا كالحديثِ مع عمود. لقد ذهبتْ إلى المدينةِ اليوم. اصطحبتُها إلى المحطّة. حسنًا، هل تريدِين شراءَ طبقي؟ كم ستعطينني مُقابلَه؟

قالتْ آن الّتي لم يسبقْ لها أن قامتْ بأيِّ عمليّةِ شراءٍ مع آل كوب، وإلاّ ما كانتْ أبدًا ستُعْطِي مقترحَها منَ البداية:

- عشرون دولارا.

قالتِ السّيّدةُ سارة بحذرٍ:

- للنّقاش. لحسنِ الحظِّ أنَّ هذا الطبقَ مِلْكِي، وإلاّ ما كنتُ سأجرؤُ على بيعِه فِي غيابِ مارتا. أعرفُ مسبقا أنّها ستسبّبُ مشكِلا. إنّها هي المتحكّمةُ في كلِّ شيءٍ هنا، صدّقاني. بدأتُ أتعبُ فعلًا من العيشِ تَحْتَ إمرةِ امرأةٍ أخْرى. تفضّلا بالدُّخُول. لا بدّ أنّكما جائعتان وتحتاجانِ إلى بعضِ الرّاحة. سأعدُّ لكما الشّايَ، ولكنّي أحذّرُكما، لا تنتظرا شيئًا آخر غيرَ الخبزِ والزّبدةِ وبعضِ الخيار. فقبْلَ أن تغادرَ، أغلقتْ مارتا بالمفتاحِ على المرطّباتِ والجبنِ والمعلّبات. وهو ما تقومُ بهِ دومًا، لأنّها تعتقدُ أنّي كريمةٌ أكثر من اللاّزمِ عندما نستقبلُ الضّيوف.

كانتِ الصّديقتانِ جائعتينِ كفايةً لتستجيبا لأيِّ دعوةٍ إلى الطّعَام. أكلتَا بشراهةٍ شطائرَ السّيّدةِ سارة وخيارَها.

قالتِ السّيّدةُ سارة بعْدَ تناولِ الوجبةِ:

- لا أعرف إن كنتُ أرغبُ حقًّا في بيعِ الطّبق. إنّه يساوِي على الأقلِّ خمسةً وعشرين دولارا. تعرفان أنّهُ قطعةٌ منَ الأنتيكة.

وجّهت ديانا لآن ضربةً خفيفةً بقدمِها تحتَ الطّاولةِ، وهو ما يعنِي: «لا ترضخِي لطلبِها، ستتركهُ لكِ مقابلَ عشرينَ إذا أصررتِ حتّى النّهاية». ولكنّ آن لم تكنْ ستجازفُ أبدًا بخسارةِ هذا الطّبقِ القيِّم. وافقتْ في الحينِ، وبدا أنّ السّيّدةَ سارة قد ندمتْ لأنّها لم تطلبْ ثلاثين.

- حسنا، يمكنكِ الحصول عليه. الحقيقةُ أنّي أحاولُ جمْعَ ما أمكنَنِي منَ المال.

وهنا، رفعتِ السّيّدةُ سارة رأسَها بفخرٍ، واحمرَ خدّاها وهي تقولُ:

- بما أنّي سأتزوّجُ لوثر والاس. لقد طلبَ يدِي منذُ عشرينَ عاما. أنا أحبُّه، لكنّهُ كان فقيرًا، فصدّه أبي عند الباب. كان عليَّ أنْ أقاومَ، وألّا أتركه يذهُب هكذا. لكنّي كنتُ خجولةً، وأبِي كان يُرعِبني. وفي كلّ الأحوالِ، لم أكنْ أعلمُ أنّ الرّجالَ جبناءُ إلى هذهِ الدّرجة.

ابتعدتِ الفتاتان في الطّريق، ديانا تقودُ، وآن تمسكُ بالطّبقِ

السّاحرِ بعنايةٍ فوقَ ركبتَيْها. وفجأةً، أحيتْ نوباتُ ضحِكِ الفتاتينِ عُزلةَ طريقِ المحافِظينَ، الّذي اخضرَّ وانتعشَ بالمطر.

- عندما أذهبُ إلى المدينة في الغدْ، سوف أُمتعُ عمّتكِ جوزيفين بالحديثِ عن حكايةِ هذا المساء المليئةِ بالمغامرات. لم يكنْ هذا سهلًا، ولكنّه انتهى. لديَّ الطّبقُ بين يديَّ، وأزاحتِ الأمطارُ الغبارَ بشكلٍ رائِع. كلُّ شيءٍ جيّدٌ، طالما انتهَى بشكلٍ جيّد.

لاحظتْ ديانا بنبرةٍ متشائمةٍ:

- نحن لم نصلْ إلى البيتِ بعدُ. ومن يدري ماذا ينتظِرنا. أنتِ من الفتياتِ اللّواتِي يعشنَ مغامراتٍ عديدةً يا آن.

أجابتْ آن بصفاءٍ:

- من الطّبيعيِّ أن يعيشَ بعضُ الأشخاصِ مغامراتٍ عديدةً، فالأمرُ مسألةُ موهبة.

telegram @soramnqraa

(19)
يومُ سعادةٍ بسيطٌ

قالتْ آن لماريلّا ذاتَ يومٍ:

- في نهاية الأمر، أعتقد أنّ الأحداثَ الرائعةَ أو الاستثنائيّةَ ليستْ ما يحدّدُ أجملَ أيّامِنا، بل هيَ الأفراحُ الصّغيرةُ والبسيطةُ الّتي تتوالَى في أيّامِنا مثل اللّآلِئِ المنزلقةِ منْ عقْد.

وقد تداولتْ مثلُ هذِهِ الأيّامِ في «غرين غابلز». فآن مثلَ أيِّ شخصٍ آخر، لم تعِشْ مغامراتِها، جيّدَها وسيّئَها، دُفعةً واحدة. بل انتشرتْ علَى امتدادِ السّنةِ، تتخلّلُها لحظاتٌ طويلةٌ هادئةٌ ومليئةٌ بالعملِ والأحلامِ والدِّراسة. وصادف مرورُ مثلِ هذه الأيّامِ أواخرَ شهرِ أوت. فذات صباحٍ، اصطحبتْ آن وديانا التّوأمَ إلى جولةٍ بالقاربِ في البحيرةِ حتّى الشاطئِ، لقطفِ الأعشابِ الطريّةِ، ومداعبةِ الأمواجِ باليديْنِ والقدميْنِ، بينما كانت الريح تردّد أغنيّةً، والأرضُ ماتزالُ شابّة.

خلالَ الظّهيرةِ، ذهبتْ آن إلى بيتِ عائلةِ آرفنغ لرؤيةِ بول. وجدتهُ ممدّدًا على العشبِ، قرْبَ بستانِ البتولا الّذي يحيطُ بالبيتِ شِمالا، منغمسًا في قراءةِ كتابٍ عن قصصٍ سحريّة. نهضَ مبتهجًا، عندما رآها قادمةً، وصرخ بفرحٍ:

- أوه كم أنا سعيدٌ برؤيتكِ يا آن. لقد خرجتْ جدّتِي. ستبقيْنَ منْ أجلِ الشّايِ، أليْس كذلك؟ منَ المُضْجرِ شربُ الشّايِ بمفردي. أتعرفِين يا آن، كنت سأطلبُ من ماري جو أن تؤنسنِي، ولكنّي خفتُ ألاّ توافقَ جدّتِي. تقولُ دوما إنّ على الفرنسيِّين أن يبقُوا بعِيدا. كما أنَّ الحديثَ مع ماري جو صعْب. إنّها لا تجيدُ غيرَ الضّحكِ، وتكرارِ قولِها إنّي أتفوّقُ على كلِّ الأولادِ الآخرين الّذين تعرفهُم، بلكنتِها المُريعةِ. وليس هذا ما أسمِّيه حديثا.

أجابتْ آن بفرحٍ:

- طبعًا، سأبقَى من أجلِ الشّاي. أرغب بشدّةٍ في أنْ أُدْعى. فلُعابِي يسيلُ بمجرّدِ تذكّرِ بسكويتِ جدّتكَ اللّذيذِ الّذِي تناولتُه هُنا ذات يوم.

رمقها بول بنظرةٍ جادّةٍ، واقفًا أمامَها، ويداه في جيوبِه، ووجهُهُ الجميلُ غارقٌ في الحيرةِ، وقال فجأةً:

- إذا كان الأمر متعلّقا بي يا آن، سيكون بإمكانكِ أكلُ كلِّ البسكويتِ الّذي تشتهينه. ولكنّ ماري جو هي من يقرِّر. سمعتُ جدّتي تأمرُها قبْلَ أن تذهب، بألاّ تعطِيَني. لأنّه يبدُو أنّه لا يناسبُ معدةَ طفل. ولكنَّ ماري جو قد تقبلُ ربّما قطْعَ بعضٍ منهُ لكِ إذا وعدتِها ألاّ آكلُ منْه. لنأملِ الأفضل.

وافقتْ آن المُؤْمِنةُ بشكلٍ كامِلٍ بهذه الفلسفةِ الإيجابيّةِ:

- حسنا، إذا كان لماري جو قلبٌ قاسٍ، ورفضتْ إعطائِي، لنْ يزعِجنِي هذا إطلاقًا، فلا تقلق.

قال بحيرةٍ:

- أنتِ متأكّدةٌ من أنَّ هذا لنْ يزعجَكِ أبدا؟

قالتْ:

- بالطّبعِ، لا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

تابع بول:

- ونحن نتحدّثُ عنِ الزّواجِ، فإنّ هذا ذكّرني بشيءٍ مّا أزعجنِي بشكلٍ كبيرٍ مؤخّرا. فقد جاءتِ السّيّدةُ ليند لتناولِ الشّايِ مع جدّتِي، الأسبوعَ الفارِط. وطلبتْ منّي جدّتِي أنْ أريَها بورتريه أمّي، ذلك الّذي أرسله إليّ أبي في عيدِ ميلادِي. لم أكنْ أرغبُ فعلًا في أنْ أريَهُ للسّيّدةِ ليند. إنّها امرأةٌ طيّبةٌ ولطيفةٌ، ولكنّها ليستْ شخصًا قد أرغبُ في أنْ أريَهُ بورتريه أمّي. أنت تفهمينني يا آن، أليْس كذلك؟ ولكنّي مع ذلك أطعتُ جدّتِي. قالتِ السّيّدةُ ليند إنّها جميلةٌ جدًّا، وإنّ لديْها قوامَ ممثّلةٍ، ولا بدَّ أنّها أكثرُ شبابًا منْ أبي. ثمّ قالتْ: «ذات يومٍ، سوف يتزوّجُ والدُكَ من جديدٍ بلَا شكّ. هل سترغب أن تكون لديك أمٌّ ثانيةً سيّد بول؟». هذه الفكرةُ الوحيدةُ الّتي قطعتْ أنفاسي يا آن، ولكنّي لم أظهرْ ذلك أبدًا إلى السّيّدةِ ليند. اكتفيتُ فقط بالنّظرِ في عينيْها مباشرةً، هَكذا، وقلتُ: «سيّدة ليند، والدِي لم يخطئْ عندما اختارَ أمّي

الأولى، ولديَّ ثقةٌ كاملةٌ في أنّهُ سيُحسِنُ اختيارَ الثّانية». صحيحٌ أنّ بإمكانِي أن أثقَ بهِ يا آن، ولكنّي أتمنّى مع ذلك أن يستشيرَني عندما يختارُ أمًّا ثانيةً لي، قبْلَ فواتِ الأوان. ها هيَ ماري جو تنادِيك من أجلِ الشّاي. سوف أستشيرُها بخصوصِ البسكويت.

وبعْدَ هذه الاستشارةِ، أحضرتْ آن بعضَ البسكويتِ، وأضافتْ طبقًا منَ المُربّى، ثمّ سكبتِ الشّايَ، وأكلتِ الضّيفتانِ بسعادةٍ شديدةٍ في الصّالونِ الجميلِ الّذي كانتْ نوافذُهُ مفتوحةً على النّسائمِ الهابّةِ منَ الخليج. ومع ذلك فقد كان حوارهُما متناقضًا، وبدتْ ماري جو مصدومةً. وفي مساءِ الغدِ، اعترفتْ لفيرونيكا بأنّ «معلّمةَ المدرسةِ» تبدُو غريبةَ الأطوارِ تمامًا مثْلَ بول. وبعدَ الشّايِ، دعا بول إلى الصّعودِ إلى غرفتِهِ حتّى يريَها بورتريه أمّه. كان البورتريه هديّةَ عيد ميلادِهِ الغامضةَ، الّتي خبّأتها السّيّدةُ آرفنغ فِي الخزانَة. في غرفةِ بول بسقفِها المنخفضِ، تلولبتْ أضواءُ الشّمسِ الغاربةِ المتوهّجةِ والرّقيقةِ وراقصتْ ظلالَ أشجارِ الصّنوبرِ الطّالعةِ قربَ النّافذةِ المربّعة. وفي هذا التوهّج، كان وجه شابّةٍ بنظرةٍ أموميّةٍ لطيفةٍ وساحرةٍ، يتألّقُ في بورتريه معلّقٍ على ذراعِ السّرير.

قال بول ممتلئًا بالحبِّ والفخرِ:

– إنّها أمّي. طلبتُ من جدّتِي أن تعلّقَ البورتريه هنا، كي أتمكّنَ من رؤيتِه عندما أفتحُ عينيَّ في الصّباح. لا فرقَ عنْدي الآن، إذا لمْ يكنْ هناك ضوءٌ عندَما أذهبُ إلى النّوم. فكأنّ أمّي

هنا، قرْبِي. ودونَ أن يسألنِي، كان أبِي يعرفُ تمامًا أيَّ هديّةِ عيدِ ميلادٍ أريدُ، كيْ يُسعِدُني. حدْسُ الأبِ أمرٌ عظيمٌ حقًّا، أليْس كذلك؟

- كانت والدتكَ جميلةً جدّا يا بول، وأنتَ تشبِهها قليلا. ولكنَّ عينيْها وشَعرَها أكثرُ سوادًا من عينيكَ وشَعْرك.

أجاب بول وهو يجمعُ كلَّ وسائدِ الغرفةِ كيْ يضَعَها علَى أريكةٍ قُرْبَ النّافذةِ:

- لونُ عينيّ هو تمامًا كلونِ عينيْ أبي، ولكنّ شعرَهُ رماديٌّ الآن. شعرهُ كثيفٌ ولكنّهُ رماديّ. عمره خمسون عامًا تقريبا. تعرفين، إنّه عمرٌ متقدّمٌ أليْس كذلك؟ ولكنّهُ ليْس مسنًّا سِوى في هيأتِهِ الخارجِيّةِ، أمّا في الدّاخلِ، فقد بقيَ شابّا مثلَ أيّ شخصٍ آخر. الآن يا آن، أرغبُ في أنْ تجلِسي هنا، وسأجلسُ أنا عنْدَ قدميْك. ألا تمانعِين لو وضعتُ رأسِي على ركبتيك؟ اعتدتُ الجلوسَ هكذا أنا وأمّي. كم كنّا نشعرُ بالطّمأنينة!

اقترحتْ آن وهيَ تداعبُ شعرَ الطّفلِ المجعّدَ:

- الآن، أريدُ أن أعرفَ الأفكارَ الّتي بدتْ سخيفةً لماري جو.

لم تكُن هناكَ أيُّ صعوبةٍ لدفعِ بول كيْ يعبّرَ عن آرائهِ... على الأقلِّ بالنّسبةِ إلى المقرّبين.

قال بسَحْنةٍ حالمةٍ:

- إنّها أفكارٌ زارت عقلي ذات مساءٍ، في بستانِ الصّنوبر. بطبيعةِ الحالِ لم أؤمنْ بها، لكني فكّرتُ فيها. تعرفينَ الفرقَ

يا آن. بعدها، انتابتني رغبةٌ في الحديثِ عنها إلى شخصٍ مّا. ولم يكن هناك سوى ماري جو. كانت تُعدُّ الخبزَ في المطْبَخ. فجلستُ على المقعدِ بقربِها، وقلتُ: «هل تعرفين ما أفكّر فيه يا ماري جو؟ أعتقدُ أنّ نجمةَ المساءِ هي منارةٌ تعيشُ فيها السّاحرات». أجابتْ بأنّي مجنونٌ وأنّه لا وجودَ للسّاحرات. غمّنِي هذا. بالطّبعِ، أعرفُ هذا، ولكنْ، لا شيءَ يمنعُ منْ أنْ أحلُم به. هل تفهمينني يا آن؟ بدأتُ الحديثَ من جديدٍ، بصبرٍ بالغ. وقلت: «حسنًا، أتعرفين فيمَ أفكّر يا ماري جو؟ أعتقدُ أنّ هناك ملاكًا يأتي إلى الأرضِ بعدَ غروبِ الشّمسِ، ملاكًا أبيضَ، كبيرًا جدًّا، بجناحيْن فضّيّيْن مطويّيْن، يغنّي أغنيّةَ مهدٍ حتّى يساعدَ العصافيرَ والأزهارَ على النّوم. كان بإمكان الأطفالِ سماعُه يغنّي، لو أجادوا السّمَاع». رفعتْ ماري جو يديْها المغطّاتيْن بالدّقيقِ، وصرختْ قائلةً إنّي غريبُ الأطوارِ فعلًا وإنّي أخيفُها. بدتْ مرعوبةً جدّا فعلًا. فخرجتُ، وهمستُ بقيّةَ الحكايةِ إلى حديقتِي. كانت هناكَ شجرةُ بتولا ميّتةٌ في الحديقةِ، تعتقد جدّتي أنّ الأبخرةَ المالحةَ هي سببُ موتِها، ولكن حسْب رأيِي، كانتِ الشّجرةُ ملكًا لحوريّةٍ طائشةٍ، خرجتْ ذاتَ يومٍ في رحلةٍ حول العالمِ، وضاعت. فكُسرَ قلبُ الشّجرةِ الصّغيرةِ، وماتت حزنا.

قالتْ آن:

- وعندما ملّتِ الحوريّةُ الطّائشةُ المسكينةُ، وعادتْ إلى شجرتِها، كُسِر قلبُها هيَ الأخرى.

أجاب بول بجدّيةٍ:

- صحيحٌ، ولكنْ، على الحوريّاتِ الطّائشاتِ أن يتحمّلن النّتائجَ، تمامًا مثلَ الأشخاصِ الآخرين.

- أتعرفين يا آن فيم أفكّرُ بخصوصِ القمرِ المكتَمل؟ إنّه مركبٌ صغيرٌ ذهبيٌّ ممتلئٌ بالأحلام. وعندما يصطدمُ بسحابةٍ، يُسْكبُ بعضُها فيسقطُ في نومِنا. هذا هو يا آن. أوه !، تعرفينَ الأمر. وأعتقدُ أنّ أزهارَ البنفسجِ هي شعلاتٌ صغيرةٌ سقطتْ منَ السّماءِ عندما فتحتِ الملائكةُ ثُقوبًا كيْ نتمكّنَ من رؤيةِ النّجومِ المتلألئَة. والبراعم الذّهبيّةُ مصنوعةٌ من أشعّةِ شمسٍ قديمةٍ، وحبوبُ البازلّاء الصّغيرةُ تصبح فراشاتٍ عندما تذهبُ إلى الجنّة. والآن يا آن، حسْب رأيكِ، هل أنَّ هذه الأفكارُ مجنونة؟

- لا يا صغيري، ليستْ مجنونةً بالمَرّة. إنّها أفكارٌ غريبةٌ وجميلةٌ لطفلٍ في مثلِ سنّك، والأشخاص الّذين يعتبرونُها غيرَ منطقيّةٍ، لا يمكنُهم أبدًا تخيّلُ شيءٍ مماثلٍ حتّى وإن حاولوا مائةَ سنة. واصلْ هكذا يا بول، وذاتَ يومٍ، وأنا متأكّدةٌ، ستصبحُ شاعرا.

عندما عادتْ آن إلى البيتِ، وجدتْ صبيًّا آخرَ مختلفًا تمامًا، ينتظرُها كيْ يذهبَ إلى لنّوم. كان ساخطًا. وبعدما نزعَ ملابسَهُ، دخلَ فراشَهُ، ودسَّ رأسَهُ فِي الوسادة.

وبّختهُ آن:

- نسِيتَ أن تتلوَ صلواتِك يا دايفي.

أجابَ بنبرةٍ متحدّيةٍ:

- لم أنس، ولكنّي لنْ أتلوَ صلواتِي بعْدَ الآن. ولنْ أحاولَ أن أكون طفلًا جيّدًا، لأنّكِ في النّهاية، تفضّلين بول آرفنغ. لهذا أفضّل أن أكون شرّيرًا وأستمتع.

أجابتْ بجدّيةٍ:

- هذا ليس صحيحًا. لا أفضّل بول، بلْ أحبّكما بنفسِ القدْر، ولكنْ، بطريقةٍ مختلفة.

أصرّ دايفي عابسًا:

- أريدكِ أن تحبّيني بالطّريقةِ نفسِها.

- لا يمكننا أن نحبَّ شخصيْن مختلفيْن بالطّريقةِ نفسِها. أنتَ لا تحبُّ دورا بالطّريقةِ نفسِها الّتي تحبّني بها. أليْس كذلك؟

جلس دايفي مفكّرًا في الأمْر. ثمّ اعترفَ فِي النّهايةِ:

- لا، أحبّ دورا لأنّها أختِي، وأحبّكِ أنتِ، لأنّكِ أنتِ.

استنتجتْ:

- وأنا أحبُّ بول لأنّهُ بول، ودايفي لأنّهُ دايفي.

أذعنَ دايفي الّذي أقنعَهُ منطقُ آن:

- إذن، أنا آسفٌ لأنّي لم أتلُ صلواتِي. ولكنْ منَ المُضجِرِ أنْ أنهضَ وأتلُوها الآن. سوف أتلُوها مرّتيْنِ صباحَ الغد. سيكونُ لذلك النّتيجةُ الجيّدةُ نفسُها، أليْس كذلك؟

أصرّتْ آن:

- لا، لنْ يكون لذلكَ النّتيجةُ الجيّدةُ نفسُها.

قفز دايفي منَ السّريرِ، وقرفصَ أمامَها. وبعد أنْ أنهَى أداءَ واجباتِه، جلسَ على كاحليْهِ البنّيّينِ، ورفعَ عينيْه نحوَها.

- آن، أشعرُ بأنّي أفضلُ منَ السّابق.

وافقتْ آن، الّتي لا تتردّدُ أبدًا في التّنازلِ عندما يتوجّبُ ذلكَ:

- هذا صحيحٌ يا ديفي.

- أعرف ذلك.

اعترفَ:

- وسأخبركِ كيف عرفت. فاليومَ، قدّمتْ إليّ ماريلّا شطيرتيْن منَ المُربّى، واحدةً لي، والأخْرى لدورا. كانت إحداها أكبرُ منَ الأخرى، ولم تخبرني ماريلّا أيُّ الشّطيرتيْن لي. فأعطيتُ أكبرَها لدورا. أليْس هذا جيّدا؟

- جيّدٌ جدًّا يا دايفي، ولبقٌ للغاية.

اعترفَ دايفي:

- وبما أنّ دورا لمْ تكنْ جائعةً كثيرًا، لم تأكلْ سِوى نصفِ شطيرتِها، وأعطتِ لِي الباقِي. ولكنّي لمْ أكنِ أعرفُ هذا عندما قدّمتُها إليْها. ولهذا كنتُ جيّدًا يا آن.

عندما ذهبتْ آن للتنزّهِ في عينِ السّاحراتِ، التقتْ جيلبرت بليث عائدًا منْ ظلامِ الغابةِ المسحُورة. فاكتشفتْ فجأةً أنّ جيلبرت

لم يعدْ تلميذًا فِي المدْرَسة. كم بدَا رجوليًّا، وضخمًا، وذا وجهٍ منشرح، ونظرةٍ واضحةٍ ومباشرةٍ، وكتفيْنِ عريضَيْن. وجدتْ آن أنّه وسيمٌ جدًّا، حتّى وإن لم يتناسقْ أبدًا مع مُثُلِها. فهي وديانا قد قرّرتَا منذ زمنٍ بعيدٍ أيَّ نوعٍ منَ الرّجالِ تفضّلانِ، وبدتا تتشاركانِ فِي الذّوْق. فلا بدّ أن يكونَ ضخمًا بملامحَ مميّزةٍ وحزينةٍ، ونظرةٍ حادّةٍ، وصوتٍ لطيفٍ ورقيق. ولم يكنْ هُناك أيُّ ميزةٍ حزينةٍ، أو حادّةٍ، في هيأةِ جيلبرت، ولكنْ، لا يهمُّ ذلك مادامَ مجرّدَ صديق.

تمدّد جيلبرت على أعشابِ السّرخسِ، قربَ العينِ، وتأمّلَ آن بسَحْنَةٍ مُعجبَة. فلو طُلبُ منهُ وصفُ المرأةِ المثاليّةِ، لانطبقتْ أوصافُه نقطةً بنقطةٍ على آن، دون حذفِ نقاطِ النّمشِ السّبعِ الّتي ماتزالُ تُقلقُها. صحيحٌ أنّ جيلبرت مايزال شابًّا، ولكنّ الشّبانَ يحلمون أيضًا، وفي أحلامهِ المستقبليّةِ كان هنالك دومًا فتاةٌ بعينيْن رماديّتيْن كبيرتيْن وشفّافتيْن، ووجهٍ رقيقٍ ودقيقٍ مثلَ ورْدَة. فقد قرّرَ أن تكونَ فتاةُ مستقبلِهِ مطابقةً لفتاةِ أحلامِه، بالرّغم منْ أنّ هناك إغراءاتٍ يجب مواجهتُها في مدينةِ «آفونلي» الهادِئة. فالشّبّانُ في «وايت ساندز» ساحرون، وجيلبرت مشهورٌ حيثُما حلّ. ومع ذلك، يرغبُ بشدّة في استحقاقِ صداقةِ آن، وربّما في يومٍ مّا بعيدٍ، في استحقاقِ حبّها. راقبَ بغيرةٍ كلَّ حركةٍ من حركاتِها، وأقوالَها، وأفكارَها، وكأنّ عينيْها السّاحرتيْن تحاكِمانِه. فهي تؤّثرُ فيهِ دون وعيٍ منْها، التّأثيرَ نفسَه الّذي تمارسهُ على أصدقائِها كلُّ شابّةٍ تتمتّعُ بمُثُلٍ عُليَا نقيّة. تأثيرٌ يتواصلُ طالمَا كانت وفيّةً لهذه المُثُلِ، وينتهِي مباشرةً إذا أخلّتْ بوفائِها. كان سحرُ آن الأكبرَ في عينيْ جيلبرت،

ويكمن في أنّها، خلافًا لكلِّ شابّةٍ من شابّاتِ «آفونلي»، لا تنزلُ أبدًا إلى مشاعرَ سخيفةٍ: الغيراتُ الصّغيرةُ، والخياناتُ، والعداواتُ، وكلُّ ما يجبُ القيامُ به للحصولِ على خدْمة. عاشتْ آن علَى هامشِ كلِّ هذه الأشياءِ، لا فقطْ عن وعيٍ أو إرادةٍ، بل لأنَّ هذه الأشياءَ كانت أبعد ما يكونُ عن طبعِها الشّفّافِ والمندفعِ بالطموحاتِ والأهدافِ الواضحةِ مثْلَ الكريستال.

لم يحاولْ جيلبرت، على الإطلاقِ، أن يعبّرَ عنْ مشاعِره، لأنّ لديهِ معرفةً مسبقةً وشاملةً أنّ آن ستقتلُ في المهدِ، وببرودٍ تامٍّ أيَّ محاولةٍ لأخذِ الأشياءِ نحو العاطِفة. وأنّها، على الأرجحِ، ستضيعُ منْه، وهو ما كان أشدَّ سُوءا.

قال مغازِلًا:

- إنّك تشبهين حوريّةَ غابةٍ حقيقيّةً، تحت شجرةِ البتولا هذه.

أجابت، واضعةً خدّها على جذعٍ صّقيلٍ ونحيلٍ بلونِ الكريما، بواحدةٍ من أجملِ حركاتِها المداعبةِ الّتي تقومُ بها بصفةٍ طبيعيّة:

- أحبّ أشجار البتولا

تابع جيلبرت:

- ستسعدين بمعرفة أنّ السّيّدَ ماجور سبنسر قد قرّر غراسةَ سلسلةٍ من أشجار البتولا البيضاءِ على امتداد الطّريقِ أمام ضيعته. إنّها طريقتهُ في تشجيعِ جمعيّةِ تحسينِ المدِينة. لقد لمّح لي بذلك اليوم. إنّه الشّخص الأكثر تقدّميّةً واهتمامًا بالشّأن العامّ في «آفونلي». وسيغرس السّيّد وليام بيل سلسلةً من

أشجار التّنوب على امتدادِ الطّريقِ أمامَ ضيعتِه أيضا. جمعيّتُنا تتطوّرُ بشكلٍ رائعٍ يا آن. لقد تجاوزتِ المرحلةَ التجريبيّةَ، وأصبحتْ واقعًا ملمُوسا. فالنّاسُ الأكبرُ سنًّا بدؤوا يهتمّون بها، وسكّانُ «وايت ساندز» يتحدّثون عن تقديمِ المساعدةِ إليْها هم كذلك. حتّى السّيّدُ إليشا رايت قد تلطّف منذ اليومِ الّذي تنزّه فيه الأمريكيّون المقيمُون في الفندقِ على الشّاطِئ. لقد مدحوا حوافّ طرقاتِنا، وأكّدُوا أنّهُ لا يوجدُ أفضل منها في أيِّ مكانٍ آخرٍ في الجزيرة. وعندما سيتّبع المزارعونَ الآخرونَ المثالَ الجيّدَ للسّيّدِ سبنسر، ويزرعون أشجارًا للزّينةِ على الطّرقاتِ أمامَ مزارِعِهم، ستصبحُ «آفونلي» أجملَ مكانٍ في المقاطعة.

قالتْ آن:

- تتحدّث جمعيّةُ المساعداتِ على الاهتمامِ بالمقبرة. وأتمنّى أن تقومَ بذلك، لأنّهُ علينا القيامُ بحملةِ تبرّعٍ، ومن الأفضلِ ألاّ نكون نحنُ من يقومُ بها، بعد ما حدثَ للقاعة. ولم تكنِ الجمعيّةُ ستفكّر في هذا، ما لم نقترحْه. الأشجارُ الّتي وضعناها في ساحةِ الكنيسةِ قد أزهرتْ، ووعدَنِي محافظُو المدرسةِ أن يسيّجُوا ساحاتِها العامَ المُقبِل. إذا تحقّقَ هذا المشروعُ، سوف أنظّمُ يومًا كاملًا للتّشجيرِ، وكلُّ تلميذٍ سيغرسُ شجرة. سوف تكونُ لنا حديقةٌ كاملةٌ في الزّاويةِ، قُرْبَ الطّرِيق.

تابع جيلبرت:

- إلى حدّ الآن، توّجتْ كلُّ مشاريعِنا بالنّجاحِ، ما عدا السّيّدَ بولتر، فقد رفضَ هدمَ بيتِه القديم. توقّفتُ عن إقناعِه، يائسًا منْ ذلك. ليفي لنْ يزيلَه، فقطْ حتّى يعارِضَنا. فكلّ عائلةِ بولتر لها روحُ المعارضةِ، وفي حالتِه، فهي متطوّرةٌ جدّا.

لاحظت آن بحكمةٍ:

- تريد جوليا بيل أن نرسلَ إليهِ بعثةً أخْرى، ولكن بالنّسبة إليّ، فمن الأفضلِ ألاّ نهتمّ به.

أضاف جيلبرت مبتسِمًا:

- وأن نترك أمرنا للأقدارِ، مثلما تقولُ السّيّدةُ ليند.

- معك حقٌّ، لا مزيدَ منَ البعثات. إنّها تزيدُ منْ غضبِه. أمّا جوليا بيل فتقولُ إنّه لا يمكننا إنجازُ شيءٍ دونَ بعثات. الربيعَ المقبلَ، يجبُ أن نُطلِقَ حملةً منْ أجلِ تزيينِ مروجِ العشبِ والسّاحاتِ الخضراء. يجب أن نبذرَ العُشْبَ باكرا. لديَّ هنا تقريرٌ عن المساحاتِ الخضراءِ، وأودُّ أنْ أكتبَ وثيقةً عنِ الموضوع. حسنًا، قريبًا تنتهِي عطلتكُ أليْس كذلك؟ تفتحُ المدارسُ أبوابَها يومَ الاثنين. هل حازتْ روبي جيليز على المنصبِ في مدرسة «كارمودي»؟

- نعم، لقد كتبت إليّ بريسيلا قائلةً إنّها ستعملُ في مدرسةِ قريتِها، بينما اختارَ محافظُو «كارمودي» روبي.

- من المؤسفِ ألاّ تعودَ بريسيلا، ولكنْ، بما أنَّ ذلك مستحيلٌ

بالنّسبةِ إليْها، فإنّي سعِيدةٌ بأنَّ روبي ستحلُّ مكانَها. سوف تكونُ في البيتِ يومَ السّبتِ، وسنلتقي مثلَ الأيّامِ الخوالي، هي وأنا وجين وديانا.

عند عودةِ آن، كانت ماريلّا تجلسُ على دَرَجِ الرّواقِ، بعد عودتِها منْ عِنْدِ السّيّدةِ ليند. قالت:

- لقد قرّرتُ أن أذهبَ إلى المدينةِ برفقةِ راشيل في الغدِ، تشعر السّيّدة ليند أنّها بحالٍ أفضل هذا الأسبوع، وتريد راشيل أن تزورها قبل أن تكون هناك نوبة أخرى.

قالت آن بنبرةٍ ورعةٍ:

- بما أنّ لديّ العديدُ من الأشياءِ أقومُ بها، فإنّي سأستيقظ مبكّرًا غدًا صباحا. سوف أنقل أوّلًا ريش حشيّتي القديمةِ إلى الجديدة. كان عليّ أن أفعل هذا منذ مدّةٍ طويلةٍ، ولكنّي لطالما أجّلت ذلك. إنّه عملٌ مملّ. غير أنّ تأجيلَ الأعمالِ المُمِلّةِ والمُضْنِيَةِ عادةٌ سيّئةٌ للغايةِ، ولنْ أقومَ بذلك بعد الآن، وإلاّ فلنْ أشعرَ بالرّاحةِ أبدًا وأنا أنصحُ تلاميذي بخصوصِ هذا الموضُوع. لن يكون أمرا منطقيّا. بعدها، سوف أعدُّ مرطّباتٍ للسّيّد هاريسون، وأكمل كتابةَ بحثِي عنِ الحدائقِ من أجل الجمعيّة، ثمّ أكتبُ رسالةً إلى ستيلا، وأغسلُ فستاني الموسلين، وأنشّيه، وأخيط ميدعةً جديدة لدورا.

تنبّأتْ ماريلّا بيأسٍ:

- لن تقومي بنصفِ هذا. عندما تُخطّطين لمجموعةٍ كثيرةٍ منَ

الأنشطةِ في وقتٍ واحدٍ، فغالبًا ما يطرأُ عارضٌ مّا، يحولُ دونَ إنجازِها فِي المَوْعِد.

(20)
هكذا تسيرُ الأشياءُ دومًا

استيقظتْ آن في مزاجٍ جيّدٍ، مبكّرًا، ذلك الصّباح، عندما لوّحتِ الشّمسُ الطّالعةُ بأعلامِها منتصِرةً في سماءٍ متلألئة. سبحتْ «غرين غابلز» في هالةٍ من الضّوءِ، حيثُ ترقصُ ظلالُ أشجارِ الحورِ والصّفصاف. وهُناك، أبعدُ من الطّريقِ، امتدّ حقلُ قمْحِ السّيّدِ هاريسون الشّاسعِ، حيث تتماوجُ مع الرّيحِ السّنابلُ الذّهبيّةُ الشّاحِبة. بدا لها العالمُ جميلًا جدًّا، إلى درجةِ أنّها بقيتْ عشرَ دقائقَ مستندةً إلى عارضِ الحديقةِ بيدينِ مكتوفتينِ، تاركةً هذا الجمالَ يتخلّلُها.

وبعد الفطورِ، استعدّتْ ماريلّا للرّحلة. ستصطحبُ دورا الّتي وعدتْها منذ زمنٍ طويلٍ بهذه الرحلة.

أمرت دايفي مباشرةً:

- والآن يا دايفي، سوف تحاول أن تكونَ طفلًا مهذّبًا، ولا تزعج آن. إذا تصرّفتَ بشكلٍ لائِق فسوف أحضِرُكَ سكّرَ الشّعيرِ منَ المدِينة.

كان لماريلّا للأسفِ عادةُ شراءِ التّصرّفاتِ الجيّدةِ للأشخاص.

استفسر دايفي:

- أنا لا أقصد أن أكون شرّيرًا، ولكنّ الحوادثَ هي الّتي تجعلنِي أبدُو كذلك، أليْس كذلك؟

حذّرته ماريلّا:

- حسنا، يجب أن تتجنّبَ الحوادث يا دايفي. آن، إذا جاء السّيّد شيرر اليومَ، اشتري بعضَ المشويّاتِ وبعضًا من شرائحِ السّتيك، وإلاّ سيكون عليك ذبح دجاجةٍ للغد.

هزّت آن برأسها.

قالت:

- لا أنوي تكليفَ نفسي عناءَ الطّبخِ اليومَ من أجلِي أنا ودايفي فقطْ. فما تبقّى من الجمبون الباردِ سيكفي للغداءِ، وسوف أصْلِي بعضَ شرائحِ السّتيك عندما تعودان ليلا.

قال دايفي:

- سوف أساعد السّيّدَ هاريسون في البحثِ عن الطّحالبِ اليوم. لقد طلب منّي ذلك، وأنا متأكّدٌ من أنّه سيبقيني للعشاء. السّيّدُ هاريسون رجلٌ طيّبٌ واجتماعيٌّ جدّا. أرغب في أن أشبهه عندما أكبر. يعني أنْ أتصرّفَ مثلَه، لا أن أشبهه جسديّا. ولكنْ، لا أعتقدُ أنّ هذا سيحدثُ، لأنّ السّيّدةَ ليند تقول إنّي صبيٌّ وسيمٌ جدّا. هل تعتقدين أنّ هذا سيتواصلُ يا آن؟ أريد أن أعرف.

أجابت بصرامة:

- دونَ شكّ. صحيحٌ أنّك وسيمٌ يا دايفي.

ولكنّ ماريلّا قامت بإشارةٍ بوجهها تنمُّ عن نقدٍ، وقالتْ:

- ولكن لا تنسَ أنّ على سلوكِكَ أن يلائمَ مظهركَ، وأنّ عليكَ أنْ تكونَ طيّبًا ومهذّبًا تمامًا كما تبدو.

تذكّر دايفي:

- في ذلك اليوم، عندما وجدتُ ميني ماي باري تبكي، لأنّ أحدَهم وصفها بالقبح، شرحتُ لها أنّ المظهرَ ليس مهمًّا طالما كانَ السّلوكُ طيّبًا ومهذّبًا ومحبوبا. يبدو لي أنّ علينا أن نكونَ طيّبين دومًا لسببٍ أو لآخر. لا نستطيعُ تفادي ذلك.

تساءلتْ ماريلّا الّتي مهْمَا تعلّمتْ، لم تدركْ بعدُ عبثيّةَ أسئلةٍ كهذه:

- ألا تريدُ إذن أنْ تكونَ طيّبا؟

قال دايفي بحذرٍ:

- بلى، أريدُ أن أكونَ طيّبا، لكنْ ليْس كثيرا. إذْ لا تحتاجُ أن تكونَ طيّبًا جدًّا كيْ تكونَ مديرًا لمدرسةِ الأحد. فالسّيّدُ بيل يشغلُ هذا المنصب، رغم أنّه شخصٌ شرّيرٌ للغاية.

قالتْ ماريلّا بغيظٍ:

- عمّ تتحدّث؟

أكّد دايفي:

- هو بنفسِه يقولُ هذا. ذكر هذا في صلواتِه في مدرسةِ الأحدِ الأسبوعَ الفارط. قال إنّه دودةٌ شرّيرةٌ ومذنبٌ بائسٌ ارتكبَ

أبشعَ السّلوكاتِ اللاّأخلاقيّة. قولي لِي، ماذا فعلَ كيْ يكونَ شرّيرًا هكذا يا ماريلّا؟ هل قتل أحدًا مّا؟ أو سرقَ قطعًا نقديّةً ثمِينة؟ أريدُ أنْ أعرف.

لحسنِ حظِّ ماريلّا أنّ السّيّدةَ لِيند جاءتْ فِي تلكَ اللّحظةِ، وهو ما جنّبها الإجَابة. فرحلتْ متأكّدةً من أنّها نجتْ من فخِّ صيّادِ العَصافِيرِ، متمنّيةً بإخلاصٍ أنْ تكونَ صلواتِ السّيّدِ بيل أقلَّ إثارةٍ للذّكرياتِ، بالأخصِّ عنْدَما يسمعُها أطفالٌ فضوليُّون.

بعد أن بقيتْ بمفردها، اشتغلتْ آن بانْهِماكٍ كبِير. مسحتِ الأرضيّة، ووظّبتِ الفرش، وأطعمتِ الدّجاجَ، وغسلتْ فستانها الموسلين، وعلّقته على حبلِ الغسيل. أعدّت نفسْها بعد ذلك لنقلِ ريشِ الحمام. فصعدتْ إلى العلّيّةِ، وارتدتْ أوّلَ قطعةِ قماشٍ وقعتْ بيْنَ يديْها، فستانٍ منَ الكشمِيرِ أزرقَ غامِقًا كانت ترتديه في الرابعة عشرة. ومع أنّه قصيرٌ وضيّقٌ مثل الفستانِ الشّهيرِ الّذي ارتدتهُ أوّلَ ما جاءتْ إلى «غرين غابلز»، فإنّ الزّئبرَ والرّيشَ لا يمكنهما إفسادُه أكثرَ منْ ذلك. بعدها، أنهتْ تنظيفَ المرحاضِ وهي تعقدُ على رأسِها شريطًا أحمرَ وأبيضَ كبيرًا كان تابعًا لماثيو.

مُرتدِيةً هذِهِ الملابِسَ الخَرْقاءَ، نزلَتْ إلَى غُرْفَةِ ماريلّا البَاردَةِ، وقد ساعَدَتْها هذِهِ الأخيرةُ قبلَ أنْ تغادِرَ على نقلِ الحشِيّة. ولسوءِ حظِّها، رأتْ آن، هناكَ، انعِكاسَهَا في المرآةِ المتصدّعةِ المعلّقةِ قُرْبَ النّافذةِ. فبدَتْ نقاطُ النّمَشِ السّبعُ على أنفِها، أكثرَ وضوحًا منَ السّابِق. أوْ علَى الأقلِّ، كان هذا ما بدَا أنّها رأتهُ في ضوءِ النّافذةِ الكثِيف.

قالت:

- أوه، لقد نسيتُ أنْ أدعَكها بمرهمِي ليْلةَ البارِحة. يجب أنْ أذهبَ إلَى المطبخِ الآنَ، وأقومَ بذلك حالا.

يا لها من معاناةٍ خاضتْها آن كيْ تزيلَ وصْمَاتِ العارِ تلك. ذاتَ مَرّةٍ تقَشّرَ أنفُها بالكامِلِ، ولكنّ نقاطَ النّمشِ بقيتْ مع ذلك. وبعد ذلك بأيّامٍ، وجدَتْ وصْفةَ إعدادِ مَرْهمٍ بلا ملوّناتٍ فِي مجلّة. وما إنْ حصلتْ على المكوّناتِ، حتّى صنعتْ مرهمًا خاصًّا فِي الحِين. لمْ يَرُقْ ذلك لماريلّا، المقتنعةِ بأنّهُ إذا منَحَتْنا العنايةُ الإلهيّةُ نمشًا على أنوفِنا، فمنْ واجبِنا الملحِّ أنْ نتركَه.

سارعتْ آن بالنّزولِ إلى المطْبَخ. ظلّ الضّوءُ يدخلُ ضئيلًا بسببِ شجرةِ السّرخسِ الكبيرةِ الّتي نبتتْ قربَ النّافذة. وبما أنّ السّتائرَ كانتْ مسدلةً لمنع دخولِ الذّبابِ، فإنّ الجوَّ كان مظلمًا تقريبا. تناولتْ آن علبةَ المرهمِ منْ فوقِ الطّاولةِ الصّغيرةِ، ودعكتْ أنفَها بكثافةٍ مستعينةً بإسفنجةٍ صغيرةٍ مخصّصةٍ لهذا الاستعمال. وبعد أن أنهتْ هذه المهمّةَ، عادتْ إلى عملِها. لا أحد غير الأشخاصِ الّذين تعوّدُوا نقلَ الرّيشِ منْ حشيّةٍ إلى أخرَى، يفهمُونَ دونَ تفْسِيرٍ كيفَ بَدَتْ آن بعْدَ انتهائِها. إنّها بمظهرٍ مريعٍ جدّا. ابيضّ فستانُها من الزّغبِ، وتزيّنتْ خصلتُها المطلّةُ منْ غطاءِ رأسِها، بهالةٍ منَ الرّيش. وفي تلك اللّحظةِ الحَرِجةِ طُرِقَ بابُ المطبخِ. فكّرت آن:

- لابدّ أنّه السّيّد شيرر. إنّ رؤيتِي مريعةٌ، ولكنّ السّيّدَ شيرر مستعجلٌ دومًا، لذلك يجبُ أنْ أفتحَ البابَ بهيئتِي هذه.

ركضتْ نحوَ البَاب. لوْ حدثَ وتكرّمتْ أرضٌ خيّرةٌ، وابتلعتْ آنسةً مسكينةً مغطّاةً بالرّيشِ، فستكون أرضيّة «غرين غابلز» هي التّي جعلتْ آن تختفِي فِي الحِين. وجدتْ هُناك ثلاثَ نساءٍ واقفاتٍ أمامَ البابِ: بريسيلا غرانت، شقراءُ في ثوبٍ من الحريرِ، ترافقُها امرأةٌ قصيرةٌ وسمينةٌ بشعرٍ رماديٍّ، مرتديةٌ ثوبًا ذَا قطعتيْن منَ الصّوفِ الخشنِ، وامرأةٌ أخْرى طويلةٌ وأنيقةٌ ومهيبةٌ، بوجهٍ جميلٍ وعريضٍ مميّزٍ وعينيْنِ بنفسجيّتيْنِ يحيطُهما حاجبانِ أسودانِ. تعرّفتْ عليْها آن «على نحوٍ غريزيٍّ»، كما كانتْ تقولُ وهي أصغرُ سنًّا، «السّيّدة شارلوت إ. مورغان».

وفي ذهولِ اللّحظةِ، انتشلتْها فكرةٌ منَ الاضْطِرابِ المخيّمِ على روحِها، وتسمّرتْ مثل مرساة. فكلُّ بطلاتِ السّيّدةِ مورغان معروفاتٌ بقدرتِهنَّ على التّأقلمِ معَ الظُّروف. ومهْما كانتِ المشاكلُ، كنّ يُبْدِين ثباتًا وحكمةً على مُسْتوى الظّرفِ، ويُبدِين تفوّقَهنّ على كلِّ عوائقِ الزّمن والمَكان. شعرتْ آن أنّ مِن واجبِها إظهارَ التّأقلمِ ذاتِه، وقد أتقنتْ فعلَ ذلكَ، إلى درجةِ أنّ بريسيلا اعترفتْ بأنّها لمْ تُعجَبْ من قبلُ بآن شيرلي مثلما أُعجبتْ بها فِي تلكَ اللّحظَة. فمَهما بَلَغَ بِهَا المأزقُ في تلك اللّحظةِ، لمْ تظهرْ شيئا. رحّبتْ ببريسيلا، وقدّمتْ نفسَها إلى رفيقاتِها بالهدوءِ والرّصانةِ نفسِها، كما لوْ أنّها كانتْ ترتَدِي أجملَ ثيابِها. في الواقعِ، أصيبتْ آن بصدمةٍ وهي تلاحظُ أنّ منْ ظنّتْها «على نحوٍ فطريٍّ» السّيّدةَ مورغان، كانت بالأحرى امرأةً لا تعرفُها منْ قَبْلُ تُدعَى السّيّدةُ بندكستر. أمّا المَرأةُ القصِيرةُ ذاتُ الشَّعْرِ الرّماديِّ فهي الكاتبةُ. لكنّ وطأةَ تأثيرِ هذهِ

الصّدمةِ تخفّف بتأثيرِ الصّدْمَةِ الأُولى. دعتْ ضيفاتِها إلى الدّخولِ والجلوسِ في غرفةِ الأصدقاءِ، حتّى يرْتَحنَ قليلًا، ثمّ أجلستهنّ في الصّالونِ حيث تركتهنّ وسارعتْ بالذّهابِ لمساعدةِ بريسيلا علَى ربْطِ وثاقِ حصانِها.

اعتذرت بريسيلا:

- أعرفُ أنّ منْ غيرِ اللّائقِ المجيءُ هكذا دون إعلام. ولكنّي لم أعرفْ سوى مساءِ أمسِ أنّنا قادِمات. ستذهب الخالةُ شارلوت الاثنينَ، والتزمتْ بقضاءِ اليومِ في المدينةِ برفقةِ صدِيقة. ولكنّ هذه الأخيرةَ ألغتْ اللّقاءَ البارحةَ بالهاتفِ، لأنّ لديهم حالةَ حمَّى قرمزيّةٍ منتشرةٍ فِي البيْت. وبما أنّي أعرفُ أنّك ترغبينَ في التعرّفِ إليها منذُ مدّةٍ طويلةٍ، اقترحتُ عليها المجيءَ إلى هنا. اتّصلنا بفندقِ «وايت ساندز»، وأحضرنا السّيّدةَ بندكستر. إنّها صديقةُ خالتي، تعيشُ في «نيويورك»، وهي متزوّجة من مليونير. لا نستطيعُ البقاءَ لوقتٍ طويلٍ، لأنّ على السّيّدةِ بندكستر العودةَ إلى البيتِ عِنْدَ السّاعةِ الخامِسة.

وهما تصطحبانِ الحصانَ، قاطعتْ نظراتُ آن نظراتِ صديقتِها المضطربةَ الّتي كانتْ ترمقُها بها خِفية.

قالتْ في نفسِها ببعضِ الاستياءِ:

- عليها ألاّ ترمقني هكذا. إذا لمْ تكنْ تعرفُ معنَى تغييرِ ريشِ السّريرِ منْ حشيّةٍ إلى أخْرى، فعلى الأقلِّ يمكنُها تخيّلُ ذلك.

ذهبت بريسيلا للّحاقِ بالأخريات في الصّالة. وقبل أن يتسنّى لآن الصّعودُ ركضًا إلى أعلى، دخلت ديانا إلى المطبخ. فمسكتْ آن ذراعَ صديقتِها المذْهُولة.

- ديانا باري، خمِّني منْ فِي الصّالونِ الآن. السّيّدةُ شارلوت إ. مورغان... وزوجةُ مليونيرٍ من نيويورك... وانظرِي هيأتِي... وليس هُناك في المطبخِ سوى الجمبونِ البارد.

لاحظتْ آن أنّ ديانا ترمقُها بالاندهاشِ نفسِه الّذي رمقتْهُ بها بريسيلا قبْلَ دقائق. وكان ذلكَ كثِيرًا عليها.

قالت:

- أوه ديانا، لا ترمُقيني هكذا. أنتِ على الأقلِّ، يجبُ أن تعرِفي أنّه حتّى أنظف شخصٍ في العالمِ لا يستطيعُ إفراغَ ريشٍ منَ الحشيّةِ دون أنْ يوسّخَ نفسَه.

تردّدتْ ديانا:

- ليس الأمرُ متعلّقًا بالرّيشِ يا آن، بل... بل إنّه أنفك.

- أنفي؟ ولكنْ، يا ديانا، إنّي متأكّدةٌ منْ ألاّ شيءَ به.

سارعتْ نحو المرآةِ الصّغيرةِ فوقَ الرافِعة. ومع أوّل نظرةٍ، قفزتْ في وجهِها الحقيقةُ المُرّة. كان أنفُها أحمرَ قرمزيًّا لامِعا.

انهارتْ على الأريكةِ، وقد كُبِحتْ جسارتُها الآن.

سألتْها ديانا الّتي تجاوزَ فضولُها رقّتَها.

- ماذا حدث؟

أجابتْ بيأسٍ:

- اعتقدتُ أنّي دعكتُه بالمرهمِ المضادِّ للنّمشِ، ولكنْ، يبدو أنّي أخطأتُ العلبةَ، واستعملتُ الطّلاءَ الأحمرَ الّذي تستعملُه ماريلّا لتؤشّرَ على أنواعِ سجّاداتِها. ماذا سأفعلُ الآن؟

اقترحت ديانا بحكمةٍ:

- اغسليه.

- لن يختفيَ، على الأرجح، بمجرّدِ الغسْل. فقد سبقَ وطليتُ شعْري بالأحمرِ، والآنَ أنفي. وعندما طليتُ شعْري، قصّتْه لي ماريلّا، ولكنْ، منَ المستحيلِ اللّجوءُ إلى هذا الحلِّ في مثلِ هذِه الحالَة. ها أنّي أعاقَبُ مرّةً أخرى على طيشِي، وأعتقدُ أنّي أستحقُّ ذلك، ولو أنَّ هذا لا يواسِيني بشكلٍ كبير. يكفِينِي هذا لأؤمنَ بالعينِ، بالرّغمِ منْ أنَّ السّيّدةَ ليند تقول إنّها غيرُ موجودةٍ، لأنّ كلَّ شيءٍ مقدّرٌ مُسْبَقا.

ولحُسنِ الحظِّ، فإنَّ الطّلاءَ انزاحَ بعْدَ الغسلِ، فسارَعتْ آن نحوَ الجناحِ الشّرقيِّ، بينما ركضتْ ديانا إلى بيتِهم. نزلتْ آن من جديدٍ مرتديةً ملابسَها بشكلٍ لائقٍ، ومتخفّفةً منْ انفعالاتِها. وبما أنّ فستانَها الموسلين الّذي تمنّتْ بسذاجةٍ ارتداءهُ في مثْلِ هذا اليوم، مايزالُ يقطرُ على حبلِ الغسيلِ، اكتفتْ بارتداءِ فستانِها القطنيِّ الأسْوَد. أشعلتْ نارَ الموقدِ، وبدأ الشّايُ بالغليانِ عندما عادتْ ديانا حاملةً طبقًا مُغَطّى. أمّا هي على الأقلِّ، فقد ارتدتْ ثوبَها الموسلين.

قالتْ وهي تعرّي الغطاءَ، لترى صديقتُها الممتنّةُ طبقًا منَ الدّجاجِ المصليِّ المقطّعِ:

- أرسلتْ إليكِ أمّي هذا.

أضافتا له خبزًا طازجًا، وزبدةً، وجبنًا، ومرطّباتٍ بالغلالِ أعدّتْهَا ماريلّا، وطبقًا من الخوخِ المصبّرِ السّابحِ في عصيرِهِ المركّزِ الذّهبيِّ كأنّه شمسٌ صيفيّةٌ مثلّجة. زيّنتِ الطاولةُ بآنيةٍ منْ أزهارِ النّجمةِ الورديّةِ والبيضاءِ، وبدتْ الوليمةُ صغيرةً بعضَ الشّيءِ أمام الوليمةِ الّتي أُعِدّتْ للسّيّدةِ مورغان في ذلك اليوم. ومع ذلكَ لم يبدُ أنّ هناك شيئًا ناقصًا للضّيفاتِ الجائعاتِ، وبَدَوْن مستمتعاتٍ بهذه الوجبةِ البسيطة. وبعد لحظاتٍ، توقّفت آن عن التّفكيرِ في الموجودِ على الطّاولةِ، وفيما غابَ عنها. لقد امتلكتِ السّيّدةُ مورغان جسدًا مخيّبًا، وهو ما تبادلتْه معجباتُها دائمًا، ولكنَّ محدِّثتَها كانت من بين ألمعَ المحدّثاتِ وأكثرهنّ ذكاء. لقد سافرتْ كثيرًا، وتعرفُ كيف تجذبُ مستمعِيها بطريقتِها فِي الحَكْي. وبعد أن قابلتِ العديدَ من النّساءِ والرّجالِ، فقد وثّقتْ تجاربَها في بعضِ التّعابير والقصائدِ الروحيّةِ، معطيةً لمستمعاتِها الانطباعَ بأنّهنّ يسمعنَ شخصيّةً مُتخيّلَة. ولكن تحتَ هذا الغليانِ، كان لطفُها الأنثويُّ محسوسًا، فضلًا عن الطّيبةِ الأصيلةِ الّتي تحرّكُها وتجعلُها تفوزُ بعاطفةِ الآخرين بالطّريقةِ نفسِها الّتي يجعلُها بها ذكاؤُها تفوزُ بالإعْجاب. ومع ذلك، لا يجبُ الاعتقادُ مطلقًا أنّها تتحكّمُ في سيرِ المحادَثة. فلم تكنْ متسلّطةً أبدًا، بل كان باستطاعتِها سماعُ الآخرين بالطّريقةِ نفسِها الّتي تستطيعُ الحديثَ بها. لذلك تمكّنتْ

آن وديانا منَ الحديثِ معها بكلِّ حرِّيّة. أمّا السّيّدةُ بندكستر، فبقيت صامِتة، واكتفتْ بالابتسامِ بعينيْها الرّائعتيْن وفمِها الجميلِ، وأكلِ الدّجاجِ والمرطّباتِ والخوخِ بالنّعمةِ نفسِها الّتي كانت ستأكل بها طعامَ الآلهةِ أو العَسل.

ومثلما لاحظتْ آن لاحقًا لديانا، فإنّ امرأةً جميلةً بشكلٍ إلهيٍّ مثل السّيّدةِ بندكستر، لم تكنْ في حاجةٍ إلى الحديث. كان يكفيها أن تتوهّج.

بعد الوجبةِ، ذهبن إلى التنزّهِ في طريقِ العشّاقِ، ثمّ وادي البنفسجِ، فدربِ البتولا، وعدنَ عابراتٍ الغابةَ المسحورةَ إلى حدودِ عينِ السّاحراتِ، حيث جلسنَ قُرْبَها وتابعنَ الحديثَ نصفَ ساعةٍ رائقةً أخرى. رغبتِ السّيّدةُ مورغان في معرفةِ كيف سمّيتِ الغابةُ المسحورةُ بهذا الاسمِ، وضحكتْ وهي تذرفُ الدّموع مستمِعةً إلى آن تروي بطريقةٍ دراميّةٍ، جولةً لا تُنسى في هذِه الغابةِ، ذاتَ ليلةٍ مقمرةٍ غامضة.

اعترفتْ لديانا وهما بمفردهما بعد مغادرةِ الضّيفاتِ:

- كم كانت حفلةً للعقل والقلب. لا أعرف بعدُ ما الّذي فضّلتُه أكثر: سماعُ حديثِ السّيّدةِ مورغان، أو تأمّلُ السّيّدةِ بندكستر. أعتقدُ أنّ الأمرَ سار هكذا، بمحضِ الصّدفةِ، أفضلَ ممّا لو عرفنا بقدومهنّ. ابقيْ لاحتساء الشّايِ يا ديانا، سأصحبكِ لاحقًا إلى بيتك.

قالت بريسيلا بأنّ أخت زوج السيّدة بندكستر متزوّجة بكونت

إنجليزيّ، ومع ذلك فقد تناولت قطعة أخرى من الخوخ. تساءلت ديانا، وكأنّ هذا لا يتماشى مع ذاك.

أجابتْ آن بفخرٍ:

- أعتقدُ أنَّ الكونت نفسَه، لمْ يكنْ سيرفعُ أنفَهُ منْ خوخِ ماريلّا المصبّر.

حذفتْ آن حادثةَ أنفِها عندما روتْ لماريلّا أحداثَ اليومِ، فِي ذلكَ المَساء. ولكنّها أفرغتْ في المرحاضِ مُحْتَوى علبةِ المَرْهم.

قالت عاقِدةً عزْمها:

- لقد انتهتْ بالنسبة إليّ محاولاتُ التّزيين. إنّ ذلك يلائمُ أكثر الأشخاصَ الحذرِين والحكماءَ، ولكنْ بالنّسبةِ إلى فتاةٍ مثلي لا تتوقّفُ عنِ القيامِ بالأخطاءِ الطّائشةِ، فإن ذلك شبيهٌ باستفزازِ القدر.

(21)
الآنسة لافندر الطيّبة

فتحتِ المدرسةُ أبوابها، وعادت آن إلى عملِها محمّلةً بنظريّاتٍ أقلَّ وبتجربةٍ أكبر. كان في قسمِها عددٌ كبيرٌ من التلاميذِ الجددِ، أطفالٌ في السّادسةِ والسّابعةِ منَ العمرِ يغامرون للمرّةِ الأولى في عالمٍ مجهولٍ، بعينيْن مستديرتيْن مندهشتيْن. كان منْ بينهم دايفي ودورا. تشاركَ دايفي مقعدَه مع ميلتي بولتر، الّذي بدَا كأنّه «عالِمٌ» بعد أن ارتادَ المدرسةَ منذُ سنةٍ حتّى الآن. وفي مدرسةِ الأحدِ، اتّفقتْ دورا وليلي سلون على تشاركِ مقعدٍ واحدٍ، ولكنْ، بما أنّ ليلي لم تأتِ في اليومِ الأوّل، تشاركتْ دورا المقعدَ مؤقّتًا مع ميرابل كوتون. كانت هذه الأخيرةُ في العاشرةِ من عمُرها، وبدتْ بالنسبةِ إلى دورا منتميةً إلى قسمِ «الكبار».

اعترف دايفي لماريلا عندما عاد إلى البيتِ في ذلك المساءِ:

- أعتقد أنّنا نستمتعُ جيّدًا في المدرسة. قلتِ إنّه يصعبُ عليَّ الجلوسُ بهدوءٍ، وهذا صحِيح. فقد لاحظتُ أنّكِ تقولينَ الحقيقةَ دوما. ولكنّنا على الأقلِّ، نستطيعُ تحريكَ أرجُلنا تحتَ المقعدِ، وهذا يساعدُ بشكلٍ جيّد. إنّ القدرةَ على اللّعبِ مع عددٍ كبيرٍ منَ الأطفالِ رائِعة. أنا أجالسُ ميلتي

بولتر وهو طيّب. إنّه أطولُ منّي، ولكنّي أعرَضُ منه. أفضّلُ الجلوسَ في الخلفِ، ولكنْ، لا نستطيعُ هُناكَ لمسَ الأرضيّةِ لأنّ أرجُلنا ليستْ طويلةً بما يكْفي. رسمَ ميلتي بورتريه آن على لوحتِه، فبدتْ قبيحةً بشكلٍ مريعٍ، لذلكَ هدّدتهُ بأنّه إذا رسمَ آن هكذا مرّةً أخرى فسأركُلُه وقتَ الراحة. فكّرت في البدايةِ أن أرسمهُ بقرنينِ وذيلٍ، ولكنّي خفتُ من إثارةِ استيائِه. فآن تقولُ إنّ علينا ألاّ نثيرَ استياءَ أحد. يبدو أنّه لا شيءَ أسوأُ من إثارةِ استياءِ النّاس، وإذا كان علينا أن نردَّ الفعلَ، فمن الأفضلِ أنْ نتشاجَر. يقول ميلتي إنّه ليس خائفًا منّي، ومع ذلك فقد غيّرَ الاسمَ في الحينِ أخذًا بخاطِري. شطبَ اسمَ آن ووضعَ مكانه اسمَ باربرا شو. لم يكنْ يحبّها لأنّها تنعتُه بالطّفلِ الطّيّبِ الصّغيرِ، وداعبتْ شعرهُ ذاتَ مرّة.

أمّا دورا فهي تعترفُ على مضضٍ بأنّها تحبُّ المدرسة. كانتْ أكثرَ هدوءًا من العادة. وفي المساءِ، عندما طلبتْ منها ماريلّا أن تصعدَ وتنامَ، تردّدتْ، ثمّ انهارتْ باكية.

قالتْ باكيةً:

- إنّي، إنّي خائفة. لا أريدُ أن أصعدَ إلى أعلى وحيدةً في الظّلام.

قالتْ ماريلّا:

- وما هذه البدعةُ الجديدة؟ أنا متأكّدةٌ من أنّكِ صعدتِ إلى هُناك الصيّفَ بأكملِه.

تابعتْ دورا البكاءَ، فحملتها آن بين ذراعيْها، احتضنتْها ووشوشتْها:

- أخبري آن بذلك يا عزيزتي.

قالت باكية:

- إنّي خائفةٌ من... من عمِّ ميرابل كوتون. لقد أخبرتني ميرابل كلّ شيءٍ عن عائلتِها اليومَ، في المدرسة. مات كلُّ فردٍ من أفرادِ عائلتِها، تقريبًا. كلُّ أجدادِها وجدّاتِها، وحتّى أخوالٍ وخلاتٍ، وأعمامٍ وعمّات. قالت لي إنّ لديهم عادةُ الموتِ، وإنّها فخورةٌ بشكلٍ مريعٍ أنّ لديها العديدَ من الأقاربِ المتوفّين. كما أخبرتني ممّا ماتوا، وماذا قالوا، وكيف بدوا في توابيتهم. وتقولُ إنّ أحدَ أعمامها قد شوهد يسيرُ حول البيتِ بعدما دفن. رأتهُ أمّها. لا يهمّني الباقي كثيرًا، لكنّي لا أستطيعُ التوقّفَ عن التّفكيرِ في عمّها.

صعدتْ آن معها إلى أعلى، وجلستْ حذوها إلى أنْ أخذَها النّعاس. وفي اليوم الموالي، تمّ حجزُ ميرابل كوتون في القسمِ فترةَ الرّاحةِ، وتمّ توبيخُها «بلطفٍ وحزمٍ» كيْ تفهم أنّها إن كانتْ غير محظوظةٍ كفايةً كي يكون لها عمٌّ أصرّ على السّيرِ حولَ البيوتِ حتّى بعْد دفنِه كما يليقُ، فليس من اللّباقةِ الحديثُ عن ذلك الجنتلمانِ الغريبِ إلى زميلكِ في المقعدِ، والأصغرِ سنّا منْك. اعتقدتْ ميرابل أنّ هذا كان قاسيًا جدًّا عليْها. فلمْ يكنْ لعائلة كوتون شيءٌ كثيرٌ

يفخرون به. فكيف لها الآن أن تحافظَ على هيبتِها بين زملائِها بعْدَ أن حُرِمتْ من استغلالِ شبح العائلة؟

انزلقَ شهرُ سبتمبر نحو النّعمةِ الذّهبيّةِ والقرمزيّةِ لشهرِ أكتوبر. وجاءت ديانا ذاتَ مساءَ جمعة.

- تسلّمتُ رسالةً من إيلا كيمبل اليومَ يا آن، وهي تدعُونا إلى احتساءِ الشّايِ غدًا بعْدَ الظّهرِ للقاءِ قريبتِها إيرين ترنت القادمةِ من المدينة. ولكنْ، لا نستطيع استعمالَ أيَّ حصانٍ من أحصنتِنا في الغدِ لأنّها ستكون جميعُها قيد الاستعمالِ، ومهرُكِ كسِيح... لذلك أعتقد أنّنا لا نستطيع الذّهاب.

اقترحتْ آن:

- لم لا نذهبُ سيرًا على الأقدام؟ إذا ذهبنا عبْرَ الغابةِ، سنأخذُ طريقَ «وست غرافتون»، غيرَ البعيدِ عن بيتِ عائلةِ كيمبل. لقد عبرته الشّتاءَ الماضي، وأعرفُه جيّدا. لا يمتدُّ أكثرَ منْ أربعةِ أميالَ، ولن يكون علينا العودةُ سيرًا إلى البيتِ، بما أنّ أوليفر كيمبل سيصحبنا بالتّأكيد. سيكون سعيدًا بالعذرِ لأنّه يرغبُ في زيارةِ كاري سلون، ووالدُه لا يسمحُ له بالركوبِ علَى الحِصان.

وهكذا اتّفقتا على الذّهابِ سيرًا على الأقدام، وانطلقتا في المساءِ الموالي آخذتينِ طريقَ العشّاقِ، ثمّ مارّتيْن وراءَ ضيعةِ عائلةِ كثبرت، حيث وجدتا طريقًا يؤدّي نحو قلبِ فدّانٍ من خشبِ الزّانِ

اللّامعِ في وهجٍ ذهبيٍّ عجيبٍ، وغاباتِ شجرِ القيقبِ الرّاقدةِ في هدوءٍ وسلامٍ أرجوانيٍّ عظيم.

قالت آن بسَحْنةٍ حالمةٍ:

- كأنّ العامَ قد انحنى ليصلّي في كاتدرائيّةٍ شاسعةٍ مليئةٍ بالضّوءِ اليانعِ والملوّنِ، أليس كذلك؟ من الخطأ الإسراعُ في هذا الطّريقِ، أليس كذلك؟ لفا يبدُو ذلك لائقًا، تمامًا كالرّكضِ داخلَ كنيسة.

قالتْ ديانا ناظِرةً إلى ساعتِها:

- ومع ذلك علينا أن نسرع. فلم نتركْ لأنفسنا سِوى وقتٍ قليل.

قالتْ آن، مسرّعةً في إيقاعِ خطْوِها:

- حسنا، سوف أسيرُ بسرعةٍ، لكنْ، لا تطلُبِي منّي الحديث. أرغبُ في أنْ أتشرّبَ جمالَ اليوم... أشعرُ وكأنّ الطّبيعةَ تحمله إلى شفتيَّ مثل كوبٍ من النبيذِ العتيقِ، وأنا أترشّف جرعةً مع كلِّ خطوة.

ولأنّها كانت مستغرقةً في تشرّبِ جرعةٍ، سارتْ آن في الانعطافةِ الثّانيةِ عندما وصلتَا إلى مفترق. كان عليها الذّهاب في الانعطافةِ الثّانيةِ، ولكنّها ظلّتْ تعدّهُ فيما بَعْدَ الخطأَ الأكثرَ حظًّا في حياتِها. خرجتا أخيرًا إلى طريقٍ معشوشبٍ ومنعزلٍ، لا شيءَ في أفقِه سِوى صفوفٍ منْ شجيْراتِ التنوب.

تساءلتْ ديانا باندهاشٍ:

- أين نحن؟ ليس هذا طريقُ «وست غرافتون».

قالتْ آن، خجولةً بعضَ الشّيءِ:

- لا، إنّه الطّريقُ الرّئيسيُّ في «ميدل غرافتون». لا بدَّ أنّي أخذتُ المنعطفَ الخاطئَ عند مفترقِ الطّرق. لا أعرف أين نحنُ بالضّبطِ، لكنْ، أظنّ أنّنا على بُعْدِ ثلاثةِ أميالَ من بيتِ عائلةِ كيمبل.

قالت ديانا موجّهةً نظرةً يائسةً نحو ساعتِها:

- إذن لن نتمكّنَ من الوصولِ إلى هُناك قبل الخامسة. فالسّاعة الآن الرّابعةُ والنّصف. سنصلُ بعد تناولِهم الشّاي، وسوف يتكبّدون عناءَ إعدادِ الشّايِ لنا مرّة أخرى.

قالت آن:

- من الأفضل لنا أن نعود إذن.

ولكنّ ديانا، بعد تفكيرٍ في الأمرِ، رفضتْ هذا الاقتراح.

- لا، من الأفضلِ أنْ نذهبَ، ونقضّيَ اللّيلةَ هُناك، بعد أن قطعْنا كلَّ هذهِ المسافة.

وصلتِ الطّريقُ إلى مفترقٍ جديدٍ، بعد قطْعِ بضعةِ أقدام.

سألت ديانا بسَحنةٍ متسائلةٍ:

- أيّ اتجاه نسلك؟

هزّت آن برأسها.

- أجهلُ الأمر، وليس من حقّنا ارتكابُ أخطاءٍ أخرى. أنظري

هناكَ حاجزٌ، ودربٌ يؤدّي إلى الغابة. لابدّ أنّ هناك بيتًا في الجهةِ الأخرى. فلنذهب ونسألْ عن الطّريق.

لاحظتْ ديانا بينما كانتا سائرتيْن في منعطفاته:

- يا له من دربٍ قديمٍ رومانسيّ.

مرّتا من تحتِ أشجارِ صنوبرٍ تجاوزتْ أعمارُها مائة سنةٍ، تتشابكُ أغصانُها في الأعلى، خالقةً شفقًا دائمًا لا شيءَ ينمُو فيه سِوى الطّحالب. ومنَ الجهتينِ، تغطّتِ الأرضُ بالأغصانِ الميّتةِ الّتي تساقطتْ عليها أشعّةُ الشّمسِ من هُنا وهُناك. وفي هذا السّكونِ التّامِّ، يشعرُ المرءُ أنّه بعيدٌ عنِ العالمِ وقلقِه.

قالتْ آن بصوتٍ مخنوقٍ:

- يهيّأُ إليّ أنّنا نسيرُ في غابةٍ مسحورة.

هل تعتقدين أنّنا سنتمكّنُ يومًا من العودةِ إلى الحقيقةِ يا ديانا؟ أجزمُ أنّنا على وشكِ الوصولِ إلى قصرٍ تعيش فيه أميرةٌ مسحُورة.

في المنعطفِ الموالي، لمْ تشاهِدنَ قصرًا، ولكنْ بيتًا مدهشًا على نحوٍ مماثلٍ في تلك المقاطعةِ الّتي تتجمّعُ فيها الضّيعاتُ التّقليديّةُ وكأنّها خرجتْ من قوقعةٍ واحدة. توقّفتْ آن فجأةً، وصرختْ ديانا:

- أوه، أعرفُ الآن أينَ نحن. إنّه البيتُ الحجريُّ الصّغيرُ، حيث تعيشُ الآنسةُ لافندر لويس، جناحُ الصّدى، كما تسمّيها على ما أعتقد. سمعتُ الكثيرَ من الحديثِ عنه، ولكنْ هذه هي المرّةُ الأولَى الّتي أراهَ. أليْس مكانًا خياليًا؟

قالتْ آن بإعجابٍ:

- إنّه المكانُ الأجملُ والأشدُّ سحرًا من بين كلِّ الأمكنةِ الّتي رأيتُها أو تخيّلتُها. يبدو أنّه يخرجُ مباشرةً منْ كتابٍ أو منْ حلُم.

تراءى البيتُ عبارةً عن بنايةٍ من كتلٍ حمراءَ من حجرِ الجزيرةِ الرّمليِّ، مع سقْفٍ واطئٍ تطلُّ من خارجِه نافذتان ناتئتانِ، فوقهما غطاءانِ خشبيّانِ غريبانِ، ومدخنتانِ كبيرتان. غُطِّيَ البيتُ بأكملِه بنباتاتِ اللّبلابِ الّتي تجدُ موطئَ قدمٍ سهلٍ على البساطِ الحجريِّ الخشنِ، وقد حوّله صقيعُ الخريفِ إلى واحدةٍ من أجملِ الصّبغاتِ البرونزيّةِ ذاتِ اللّونِ النّبيذيِّ الأحمَر.

يُؤدِّي الطّريقُ الّذي سلكتْهُ الفتاتانِ إلى حديقةٍ مُستطيلةٍ مُغلقةٍ ببوّابةٍ، يحدُّها البيتُ من إحدى جهاتِها، ومن الجهاتِ الثّلاثِ الأخرى يُحيطُها جدارٌ حجريٌّ قديمٌ مغطًّى بالطّحالبِ والأعشابِ وشجيراتِ السّرخسِ، حتّى بدا مثلَ ثلمٍ أخضرَ كبير. وعلى امتدادِ الجهتينِ اليُمْنَى واليُسْرى امتدّتْ شجراتٌ بتولا كبيرةٌ مظلمةٌ رمتْ أغصانَها علَى الجدَار. وفي الأسفلِ، حقلٌ صغيرٌ من أزهارِ البرسيمِ المتدلّيةِ في حلقةِ نهرِ «غرافتون» الزّرقاء. لا شيء على امتدادِ البصرِ، لا بيوتَ ولا حقولَ، ما عدا بعضَ الهضابِ والوديانِ الصغيرةِ الّتي تحفُّ بها أشجارُ صنوبرٍ صغِيرة.

قالتْ ديانا وهي تفتحُ الحاجزَ لتدخلا إلى الحديقةِ:

- أتساءل أيَّ شخصٍ هي الآنسةُ لويس. يقولون إنّها غريبةُ الأطوارِ جدّا.

قالتْ آن بحزم:

- إذن لا بدّ أنّها مثيرةٌ جدًّا للاهتمام، فغرباءُ الأطوارِ هَكذا دومًا، مهما كانوا. أخبرتكِ بأنّنا سنكتشفُ قصّرًا مسْحُورا. فطالما عرفتُ أنّ الجنّياتِ لمْ تنسجنَ سحرًا على الطّريقِ من أجلِ لا شيء.

أجابتْ ديانا ضاحكةً:

- ومع ذلك، فإنّه يصعبُ اعتبارُ الآنسةِ لافندر لويس أميرةً مسحورة. إنّها امرأةٌ كهلةٌ، لها خمسٌ وأربعون سنةً تقريبًا، وسمعتُ أنّ لها شعرًا رماديًّا كلّه.

أكّدت آن:

- أوه، إنّ ذلك تابعٌ للوصفةِ السّحرية، فهي تبقَى في قلبِها شابّةً وجميلةً، ولو عرفنا كيفَ نفكُّ السّحرَ السّيّءَ، فسوف تظهرُ لنا شقراءَ في كامِلِ إشْعَاعِها مِثْلَ ذِي قَبْل. ولكنّنا لا نعرفُ ذلك. الأميرُ وحدهُ يعرفُ، وأميرُ الآنسةِ لافندر لمْ يأتِ بَعْد. ربّما منعتْهُ أقدارٌ مّا، مهمَا بدَا ذلك معاكسًا لأقدارِ قصَصِ السّحر.

أجابتْ ديانا:

- أخاف أن أقولَ إنّه جاءَ منذ زمنٍ بعيدٍ في السّابقِ، ثمّ رحلَ منْ جديد. يُقالُ إنّها كانتْ مخطوبةً لستيفن آرفنغ، والدِ بول، عندما كانتْ شابّة، لكنّهما انفصلَا بعْدَ شِجار.

قالتْ آن:

- شششت.... البابُ مفتوح.

توقّفتِ الفتاتان تحتَ النّباتاتِ المعرّشةِ في الشّرفةِ، وطرقتا الباب. سمعتا وقع خطواتٍ في الدّاخلِ قبل أن تتجلّى لهما فتاةٌ غريبةٌ صغيرة. كانت مراهقةً في الخامسة عشرة تقريبًا، بوجهٍ منمّشٍ، وأنفٍ أفطسَ، وفمٍ واسعٍ بدا فعلًا ممطّطًا منْ أذنٍ إلى أخرى. أحِيطَ وجهُها بضفائرَ شقراءَ طويلةٍ مربوطةٍ بعقدتيْن ضخمتيْن مِنْ شرائطَ زرقاء.

سألتْ ديانا:

- هل الآنسة لويس موجودة؟

- نعم سيّدتيَّ، تفضّلا. منْ هنا سيّدتيّ... اجلسا سيّدَتيّ. سوف أخبرُ الآنسةَ لويس أنّكما جئتَما سيّدتيّ. إنّها في الأعلى سيّدتيّ.

عندما انصرفتِ الخادمةُ الصّغيرةُ، نظرتِ الصّديقتانِ حولهُما بعينينِ مندهشتينِ، بعد أن ظلّتَا بمفردِهما. كان المُحتوى الدّاخِليُّ للبيتِ على الدّرجةِ نفسِها منْ سِحْرِ خارجِه.

وجدتا نفسيهما في غرفةٍ ذاتِ سقفٍ واطئ. تدلّتْ ستائرُ منَ الموسلين فوقَ نوافذَ بمربّعاتٍ صغِيرة. بدَا كلُّ الأثاثِ عَتِيقًا، ولكنَّ تأثيرَه كان ساحرًا بفضلِ العنايةِ الفائقةِ به. ولكنْ، يجبُ الاعترافُ مع ذلك بأنّ التّأثيرَ الأقوى، بالنّسبة إلى شابّتين قدْ سارتَا أربعةَ أميالٍ فِي نسمةِ الخريفِ، كان سحرُ الطّاولةِ، الزّاخرةِ بأطباق جميلة. كان لها «نفسٌ احتفاليٌّ» بالفعلِ، على رأيِ آن، بفخّارِها الأزرقِ السّماويِّ، ونباتاتِ السّرخسِ الذّهبيّةِ المنتشرةِ علَى الغِطاء.

وشوشتْ آن:

- لابدُّ أنَّ الآنسةَ لافندر تنتَظِرُ ضُيُوفًا منْ أجْلِ الشَّاي. لقد وضَعتْ سِتَّ ملاعِقَ علَى الطّاوِلَة. إنّ خادِمتَها الصَّغِيرةَ مرِحةٌ جدًّا، كأنَّها رَسُولةٌ منْ بلادِ الجِنّ. كانت ستدلّنا على الطّريق، ولكنَّ الفضولَ حمَلنِي على رُؤيَةِ الآنسةِ لافندر. ها هِيَ قادِمَة.

وبعد ثوانٍ، وقفتِ الآنِسةُ لافندر فِي فتْحةِ البَاب. تفاجأتْ آن وديانا إلى دَرَجةِ أنّهما نسِيَتَا آدابَ السّلُوكِ، وظلّتا تُحدِّقانِ فِي وجْهِها. كانتا تنتَظِرانِ، بطَرِيقَةٍ لا واعِيةٍ، رؤْيَةَ امْرأةٍ كهْلةٍ مُعتادةٍ، تلك الّتي تعْرفانِها عنْ تجربة، لا أيَّ شخْصٍ ذِي ملامِحَ حادّةٍ بشعرٍ رماديٍّ لامعٍ ونظّارتيْن. ولكنّهُما لمْ تتخيّلَا علَى الإطْلاقِ رؤيةَ شخْصٍ يشبه الآنسةِ لافندر إلى هذا الحدّ. إنّها امرأةٌ قصِيرةٌ، بشَعرٍ ثلجِيٍّ خشِنٍ ومموّجٍ، مَرْبوطٍ بِعصاباتٍ مُنْتفِخَة. كان وجهُها تقريبًا وجهَ فَتاةٍ صَغِيرةٍ بخدّيْن مُورّدَيْن، وفمٍ جميلٍ وعينيْنِ بنّيّتيْنِ وغمّازتيْنِ. نعم، إنّ لها غمّازتيْن. ارتدتْ فستانًا جميلًا منَ الموسلين بلونِ الكريما، مزيّنٍ بالزّهورِ الزّرْقَاء. كان سيْبدُو طُفوليًّا علَى نَحْوٍ أخْرَقَ لوْ ارتدتْهُ أيُّ امرأةٍ أخْرى فِي مِثْلِ سنِّها. ولكنّه كان مناسبًا جدًّا للآنسةِ لافندر، ومنَ الصّعبِ جدًّا ملاحظةُ ذلك.

قالتْ بصوتٍ يلائمُ بقيّةَ شخصيّتِها:

- أخبرَتْنِي شارلوت الرّابِعةُ أنّكما توَدّانِ مُقَابلتِي.

أجابتْ ديانا:

- أردْنا أن نسألكِ عنْ طريقِ «وست غرافتون». تلقّينا دَعْوةً

لتناوُلِ الشَّايِ عنْدَ عائلةِ كيمبل، ولكنّنا أخطأْنا الطّريقَ في الغابةِ، ووصلْنَا إلى الطّريقِ الرّئيسيّةِ بدَلَ طريقِ «وست غرافتون». هل يجبُ علينا الانعطافُ يمينَ بيتكِ أم شِماله؟

قالتِ الآنسةُ لافندر وهي تلقِي نظرةً متردّدةً نحو طاولةِ الشّايِ:

- شِمالا.

ثمّ صرختْ وكأنّها قد اتخذتْ قرارَها في الحين:

- لماذا لا تبقَيانِ لتناولِ الشّاي؟ أرجوكما. لابدّ أنَّ آل كيمبل قد أنهُوا تناولَ شايِهم قبْلَ أن تصِلا إليهم. ستشعِرنا رفقتُكما بالسّعادةِ، أنا وشارلوت.

سألت ديانا آن بنظراتِها.

أجابتْ هذه الأخيرةُ في الحينِ، عاقدةً عزمَها على مزيدِ التعرّفِ على الآنسةِ لافندر المحيّرةِ:

- نرغب في البقاء. إذا كان هذا لا يزعجكِ. ولكنّكِ تنتظرين ضيوفًا أليس كذلك؟

ألقتِ الآنسةُ لافندر نظرةً أخرى نحوَ الطّاولةِ، واحمرَّ وجهُها. قالت:

- أعرف أنّكما تجداننِي مجنونةً تمامًا. صحيحٌ أنّي كذلك... وأخجلُ فقط عندما يُكتشفُ ذلك. وإلاّ فلا أخجلُ إطلاقا. لا أنتظرُ أحدًا... إنّي أدّعِي ذلك فقط. إنّي أضجرُ. أحبُّ الرّفقة. أقصدُ الرّفقةَ الجيّدة. ولكنّ البيتَ بعيدٌ جدًّا إلى درجةِ ألاّ أحدَ يأتِي ليزورَني. حتّى شارلوت الرّابعة تضجرُ أيضا.

وهكذا ادّعيتُ أنّي دعوتُ ضيوفًا لتناولِ الشّاي. أعددتُ الطّعامَ، وهيّأتُ الطّاولةَ بأواني عُرسِ أمّي، وارتديتُ ثيابِي بعدها.

فكّرتِ ديانا في نفسِها في أنّ الآنسةَ لافندر كانت فعلًا على درجةِ الغرابةِ نفسِها الّتي تُروّجُ عنْها. امرأةٌ في الخامسة والأربعين، تلعبُ لعبةَ استقبالِ ضيوفٍ على الشّاي، تمامًا مثلَ طِفلة ! ولكنّ آن صرختْ بعينيْن لامعتيْن:

- أوه، هل تتخيّلينَ أنتِ أيضًا أشياءَ مماثلة؟

كانت «أيضا» هذه تنمُّ عن حالةٍ ذهنيّةٍ لها صلةٌ بالآنسةِ لافندر.

اعترفتْ بجرأةٍ:

- نعم. أعرفُ أنّ هذا الأمرَ يعدُّ غبيًّا بالنّسبة إلى امرأةٍ في مثلِ سنّي، ولكنْ، ماذا ينفعُ أن تكوني امرأةً مستقلّةً في سنِّ الكهولةِ إذا لم تسْمحِي لنفسكِ بأنْ تكوني حمقاءَ عندما ترغَبين فِي ذلك، طالما أنّ هذا لا يؤذِي أحَدا؟ لابدّ أن نهدِي أنفسَنا بعضَ التّعويضاتِ في هذِه الحيَاة. أعتقدُ أنّي مررتُ بمراحلَ في حياتِي كان من المستحيلِ عليّ أن أستمرَّ في تحمّلها لو لم أسمحْ لنفسِي ببعضِ الحلم. ومع ذلك لم يُمسكنِي أحدٌ مُتلبّسةً، وشارلوت تكتُم كلَّ أسراري. ولكنّي اليومَ سعيدةٌ حقًّا بأنّكما اكتشفتماني، لأنّي أعددتُ الشّايَ لكما، والآن أنتما هنا. هلاّ خلعتما قبّعتيْكما؟ افتحا البابَ الأبيضَ أعلَى السُلّم، يجبُ أن أسارعَ بالذّهابِ إلى المطبخِ كيْ أحرصَ على

ألاّ تُفيضَ شارلوت الشّاي. إنّها فتاةٌ رائعةٌ جدًّا، ولكنّها لا تستطيعُ مراقبةَ الشّايِ كيْ لا يفيض.

سارتِ الآنسةُ لافندر نحوَ المطبخِ كيْ تحرصَ على أداءِ واجباتِها كمُضيِّفةٍ، بينما ذهبتْ آن وديانا لنزعِ قبّعتيْهما في غرفةِ الضّيوفِ الّتي كانتْ بيضاءَ كبابِها، مُضاءةً بكوّةِ نورٍ في السّقفِ، تتسلّقُ حذوها النّباتاتُ المتعرِّشة. بالنّسبة إلى آن، كانتِ الغرفةُ شبيهةً بمكانٍ تنمُو فيه الأحلامُ الجميلة.

قالتْ ديانا:

- يا لها من مغامرةٍ! والآنسةُ لافندر طيّبةٌ جدًّا، رغْمَ غرابةِ أطْوارِها. لا تبْدُو مُطْلقًا أنّها آنِسَةٌ كهْلَة.

أجابتْ آن:

- أعتقدُ أنّها مِثْلَ الموسيقى.

عندما نزلتا من جديدٍ، وجدتا الآنسةَ لافندر تحملُ إبريقَ الشّايِ في يدِها، تتبعُها شارلوت حاملةً طبقَ البسكويتِ الحارِّ، بسَحْنةٍ مبتهِجَة.

سألتِ الآنسةُ لافندر:

- الآن، عليكُما إخبارِي باسميكما. يسرّني جدًّا أنْ تكونا شابّتيْن. هكذا، يسهلُ عليَّ الادّعاءُ بأنّي شابّةٌ أنا أيْضا. أكرهُ...

تابعتْ بتكشيرةٍ على وجهِها:

- أكره التّفكيرَ في أنّي امرأةٌ مسِنّة. الآن أخبراني من أنتُما،

سيكونُ هذا عمليًّا أكثر. ديانا باري؟ وآن شيرلي؟ هل بإمكانِي مناداتُكما باسميْكما وكأنّي أعرفُكما منْذُ مائةِ سنَة؟

وافقتا في الحين:

- طبعا.

دعتْهما بعد ذلك الآنسةُ لافندر بنبرةٍ مبتهجةٍ، كي تجلسَا إلى طاولةِ الطّعَام.

- شارلوتا، اجلسِي في آخرِ الطّاولةِ، وقدّمِي الدّجاج. يا لها من فكرةٍ جيّدةٍ راودتني بإعْدادِ هذه الكعْكةِ المنفُوخةِ والفَطائرِ المُحلاّة. كان يبدُو منَ الحمْقِ فعلًا إعدادُ الطّعامِ لضيوفٍ وهميّين، مثلما تظنّ شارلوت الرّابعةُ، أليْس كذلك يا شارلوت؟ ولكنْ، انظرِي كيف سارتِ الأمورُ بشكلٍ جيّد. لم يُهدرِ الطّعَام. كنّا سنأكلهُ في مدّةٍ طويلةٍ، أنا وشارلوت. ولكنّ الكعكةَ المنفوخةَ ليست طعامًا يصبحُ ألذّ مع الوقت.

كانت الوجبةُ مُبهجةً لا تنْسى. وبعدَ الانتهاءِ منَ الطّعامِ، خرجنَ للتّشمّسِ في الحديقةِ، تحت أشعّةِ الشّمسِ الغارِبة.

قالتْ ديانا وهي تنظرُ حولَها بعينينِ مُعجبتينِ:

- أعتقد أنّكما تعيشانِ في مكانٍ بدِيع.

سألت آن:

- لماذا تسمِّينَهُ جناحَ الصّدَى؟

قالتِ الآنسةُ لافندر:

- شارلوتا، اذهبي! وأحضِري القرنَ الذّهبيَّ المعلّقَ فوقَ رفِّ السّاعة!

نفّذتْ شارلوتا الأمرَ، وأحضرتِ القرن.

أمرتِ الآنسةُ لافندر:

- والآن، انفُخِي داخلَهُ.

نفختِ الصّغيرةُ، فخرجَ صوتٌ أجشُّ وحادّ. خيّمَ صَمْتٌ لوهلةٍ، ثمّ تناهتْ فِي الغابةِ أصْدَاءٌ خفِيفَةٌ ولطِيفةٌ فضّيّةُ الرّنّةِ، آتيةٌ من وراءِ النّهرِ، وكأنّ كلَّ قرونِ بلادِ الجنّيّاتِ بدأتْ تنفخُ عنْدَ الغرُوب.

أطلقتْ آن وديانا صرخاتِ إعْجاب.

- والآن يا شارلوتا اضحَكي... اضحَكي بقوّة.

صعِدتْ شارلوتا الّتي كانتْ حتمًا ستُطيعُ سيّدتَها حتّى إذا ما أمرتْها بأنْ تقِفَ علَى رأسِها، على المقعدِ الحجريِّ، وبدأتْ تضحكُ منْ قلبِها بصَوتٍ عَال. فأجابَها الصَّدَى، وبدَا كأنَّ مَجمُوعَةً من الجنّياتِ تقلِّدُ ضحكتَها في الغابةِ البنفسجيّةِ، وعلى امتدادِ الطّرقِ المحاطةِ بأشجارِ الصّنَوبَر.

أكّدتِ الآنسةُ لافندر، وكأنّ الأصْدَاءَ ملكيّتُها الخاصّةُ:

- يحبُّ النّاسُ أصدائِي كثِيرا. أنا أَيضًا أُحِبُّها. إنّها تؤنِسُنِي... عِنْدَما أدَّعِي ذلك. في المساءاتِ الهادئةِ، آتي إلى هنا أنا وشارلوت الرّابعةُ كيْ نلْعبَ مَعَها. شارلوتا أعِيدِي القرنَ إلَى البيتِ، وعلِّقِيه جيّدًا فِي مكانه.

سألتْها ديانا المُتحرِّقةُ لمعرفةِ الأمرِ:

- لماذا تُنادِينَها شارلوت الرّابعة؟

أجابتِ الآنسةُ لافندر بجِدِّيّةٍ:

- ببساطةٍ، حتَّى أتفادَى خلْطَها فِي عقلِي معَ الأخْرياتِ اللّواتِي اسمهنّ شارلوتا. إنّهنّ يتشابهْنَ إلى درَجَةٍ يَسْتَحيلُ معَها تمييزُ إحداهنّ عنِ الأخرى. فِي الحَقِيقةِ، ليسَ اسمُها شارلوت على الإطلاق. اسمُها... آه حسنًا... ما اسمُها الآن؟ أعتقدُ ليونورا... نعَمْ... هذا هُو. هل رأيتُما؟ الأمرُ هَكَذا دَوْما. عندما ماتتْ أمّي منذُ عشرِ سنواتٍ، لمْ أستطعِ البقاءَ هُنا بمفردِي. وبما أنّي لمْ أكنْ أملكُ الإمكانيّاتِ لإعالةِ خادمةٍ كبيرةٍ، ودفعِ ضمانِها، جاءتْ شارلوتا باومان لتعيشَ هُنا مُقابلَ الإعاشةِ والملابِس. كان اسمُها فعلًا شارلوتا... شارلوتا الأُولى. لمْ يكنْ عُمُرُها سِوى ثلاث عشْرَةَ سنَة. بقيتْ معِي إلَى حدودِ السّادسة عشْرةَ، ثمّ ذهبتْ لتعيشَ في «بوسطن»، لأنَّ الحياةَ أسهل هُناك. فعوّضتْهَا شقيقتُها. كان اسمُها جوليتا. أعتقدُ أنَّ السّيّدةَ باومان مولَعَةٌ بالأسْمَاءِ المُعقَّدَة. وهي تشبهُ كثيرًا شارلوتا إلى درجةِ أنّي أنادِيها هكذا دائمًا، وهذا لا يهينُها إطْلَاقا. حاولتُ دومًا ألاّ أناديَها باسمِها الحقِيقيّ. فأصبحتْ شارلوتا الثّانية، وبَعْدَ رَحِيلِها، جاءتْ «إيفونلي» لتصبحَ شارلوت الثّالثة. والآن، عندي شارلوت الرّابِعَة. ولكنْ، عندما ستدركُ السّادسةَ عشْرةَ، وهي الآن

في الرّابعة عشْرةَ، فستذهبُ إلى «بوسطن» هيَ الأُخرى، وأتساءلُ ماذا سأفعلُ حينَها. شارلوتا الرّابعةُ هي الفتاةُ الأخيرةُ منْ عائلةِ باومان، وهي أفضلُهنّ. لطالَما جعلْنَني أخواتُها أرى نفسِي حمقاءَ لأنّي أتخيّلُ أشياءَ، ولكنّ شارلوت الرّابعة لا تقومُ بهذا إطلاقًا، مهما كان رأيُها فيّ. النّاسُ أحرارٌ فِي آرائِهم فيّ، طالما لا يطلعُونني عليْها.

قالتْ ديانا، وهيَ تراقِبُ هُبُوطَ الشّمسِ:

- حسنًا، يجبُ علينا أنْ نرْحَلَ، إذا أرَدْنا الوُصُولَ إلى بيتِ كيمبل قبْلَ أن يخيّمَ الظّلامَ. كانَ لقاءً رائعًا آنسة لويس.

توسّلتْ إليهما الآنسةُ لافندر:

- هل ستأتيانِ لزيارتِي؟

أحاطتْ آن، الّتِي بدَتْ ضَخْمةً، كتِفَيْ المرأةِ القصيرةِ بذراعيْها، وقالتْ مطمئنةً إيّاها:

- أعدُكِ. الآن بَعْدَ أنْ اكتشفناكِ، انتظرِي أنْ تريْنَنا كثِيرا. ولكنْ، علينا أن نغادرَ، يجبُ أنْ «نطلقَ أنفُسَنا للرّيحِ»، كما يقولُ بول آرفنغ دومًا عندَما يزورُنَا فِي «غرين غابلز».

طرأ تغيّرٌ لبِقٌ في صوتِ الآنسةِ لافندر:

- بول آرفنغ؟ منْ هو؟ لم أعرفْ شخصًا بهذا الاسمِ فِي «آفونلي».

شعرت آن بأسفٍ شديدٍ لطيشِها. فقد نسيتْ قصّةَ الحبِّ القديمةَ للآنسةِ لافندر، عندما انزلقَ منْ فمِها اسمُ بول.

شرحتْ ببطءٍ:

- إنّه واحدٌ منْ تلامِذتي. انتقلَ منْ «بوسطن» السّنةَ الفارِطةَ كيْ يعيشَ هُنا مع جدّتِه، السيّدةِ آرفنغ، الّتي تعيشُ علَى طريقِ البحْر.

سألتِ الآنسةُ لافندر، مُنحنِيةً فوْقَ مشتلٍ منْ أزهارِ الخزامَى، مُداريةً وجهَها:

- هل هو ابن ستيفن آرفنغ؟

- نعم.

قالتْ بنبرةٍ حيِّية، وكأنّها لم تسمعْ قطّ الإجابةَ عنْ سؤالِها:

- سوف أقدّمُ لكُما باقَةً منَ الخُزامى. إنّها جميلةٌ جِدًّا، أليْس كذلك؟ أمّي كانتْ مولعةً بالخُزامَى. وقد غَرسَتْ هذِه المشاتلَ منذُ زمنٍ طَوِيل. سمّانِي أبي لافندار لأنّه يحبُّ هذِهِ النّبتةَ كثِيرا. أوّلَ مرّةٍ رأَى فِيها أمِّي، كانت بمناسبةِ زيارةٍ قامَ بهَا إلى بيتِهم برفقةِ أخِيها. كان إعْجابًا منَ النّظرةِ الأُولى. إذْ نام فِي غُرفةِ الضُّيوفِ، وكانتِ الأغطِيةُ تعْبَقُ برائِحةِ الخُزامَى، ولمْ يستطعْ إغماضَ عينيْه ليلا. ولهذا سمّاني بهذا الاسْم. لا تنسيَا زيارتي قريبًا عزيزتيّ. سوف أنتظركُما أنا وشارلوتا.

فتحتِ الحاجزَ تحتَ أشْجارِ الصّنوبرِ، حتّى تستطِيعَا العُبور. وفجأةً، بدَتْ عَجُوزًا مُتْعَبَة دُفْعَةً واحِدة. اختفَى الإشراقُ والبريقُ منْ وجْهِها. كانتْ بسمةُ وداعِها لطِيفةً ونضرةً كالسّابقِ، ولكنْ،

عندما التفتتِ الصّديقتانِ لرؤيتِها عنْدَ أوّلِ انعطافةٍ، رأتاها جالِسَةً علَى المقعدِ الحَجريِّ القدِيمِ تحتَ شجرةِ حورٍ وسَطَ الحديقةِ، ورأسُها مُسندٌ بحزنٍ في كفّيْها.

- كم تبدُو وحِيدَة.

قالتْ آن بصوتٍ مُنخفِضٍ:

- يجبُ أنْ نزورَها دَوْما.

ثمّ لاحَظتْ:

- أعتقدُ أنَّ والديْها قدْ سمَّيَاها بالاسْمِ الوَحِيدِ الّذِي ينَاسِبُها. إذ كانُوا عميانَ كفايةً على تسميتِها إليزابيث أو نيلّي أو موريال، فكانت ستُسمَّى لافندر في جميعِ الأحْوال. إنّهُ اسمٌ ينمُّ عَنِ الطّيبةِ والنِّعْمةِ العتِيقَةِ وأثْوابِ الحَرِير. أمّا اسمِي فيحيلُ على خبزٍ بالزبدةِ، والألحفةِ، والشّؤونِ اليومِيّة.

اعترضتْ ديانا:

- أوه، ليْسَ هذَا رأْيِي. فبالنّسْبةِ إليَّ، اسمُ آن اسمٌ مهيبٌ، يُحِيلُ علَى أمِيرة. لكنْ، أتعرفين؟ سأحبُّ حتّى اسم فريديغوند لوْ كانَ اسْمَك. أعتقدُ أنَّ شخصيّةَ الإنسانِ هي ما يجعلُ اسْمَهُ جمِيلًا أو قبِيحا. لا أسْتطِيعُ تَحمُّلَ اسْمَيْ جوزي أو جيرتي الآنَ، ومع ذلك كنتُ أعدّهما جميلَيْن جدًّا قبل أن أتعرّفَ على آلِ باي.

وافقتْ آن بحماسٍ:

- يا لها منْ فكرةٍ رائعةٍ يا ديانا، العيشُ على نحوٍ يزيّنُ أسماءَنا،

حتّى وإن كانَتْ قبيحَةً فِي البدايةِ... أي أن نجعلَ النّاسَ يفكّرون في شيءٍ لطيفٍ وجميلٍ إلى درجةِ نسيانِ حتّى نبرةِ الاسم. شكرا، ديانا.

(22)
أشياءُ صغيرةٌ

قالتْ ماريلّا على مائِدةِ الفطُورِ صَبَاحَ اليومِ التّالِي:

- تناولتَ الشّايَ فِي المنزلِ الحَجَريّ مع لافندر لويس إذن؟ ما هي حالتُها الآن؟ مرّتْ خمس عشرة سنةً منذُ رأيتُها آخرَ مرّة. كان يومَ أحدٍ، فِي كنيسةِ جرافتون. لابدّ أنّها قد تغيّرتْ كثِيرا. دايفي كيث، عِندَمَا تريدُ شيئًا مّا لا يُمكِنُكَ أنْ تصلَ إليْهِ، اطلبْ تمريرَهُ، بدلَ أنْ تتمدّدَ هكَذا علَى الطّاولة. هلْ رأيتَ بول آرفنغ يفعلُ ذلك عندما كان هنا لتناولِ الطَّعَام؟

قال دايفي:

- لكنّ ذراعيْ بول أطولُ منْ ذراعيّ. كان لديْها أحد عشر عامًا للنّموِّ، ولمْ يكنْ لذراعيّ سوى سبعةٍ. وفوق ذلك لقد طلبتُ منكُما، لكنّكِ كنتِ أنتِ وآن مشغولتينِ جدًّا بالحدِيثِ، ولمْ تعِيراني أيَّ اهْتِمَام. ثمّ إنّ بول لمْ يأتِ إلى هُنا منْ قبلُ لتناولِ أيِّ طعامٍ، جاءَ فقطْ لشُرْبِ الشّايِ، ومنَ الأسهلِ أن تكون مؤدّبًا عندَ تناولِ الشّايِ أكثر من تناولِ الأطْعِمة. فعِنْدَها لا نكونُ جائِعِين بدَرَجةٍ كبيرةٍ. إنّ الفترةَ ما بين العشاءِ والفطورِ طوِيلةٌ ومروّعَة. آن، تلك الملعقةُ

ليستْ أكبرَ مما كانتْ عليهِ العامَ الماضِي بالرّغمِ منْ أنّي كبرت الآن.

أجابتْ آن بعْدَ أنْ ساعدتْ دايفي على شُربِ ملعقتيْنِ منْ حساءِ القيقبِ لتهدئتهِ:

- في الحقيقةِ، لا أعرفُ كيفَ بدتْ الآنسةُ لافندر في السَّابِق. ولكنّي لا أتخيلُ أنّها قد تغيّرت كثيرًا.

ثمّ أضافتْ:

- شعرُها ناصعُ البياضِ، ووجهُها منعشٌ كوجهِ شابّة. لديها أجملُ عينيْن بنّيّتيْن، يتخلّلُهما بريقٌ ذهبيٌّ صغير. أمّا صوتُها فيذكّركَ بحفيفِ السّاتان الأبيضِ، وامتزاجِ رنينِ المياهِ بصدَى أجراسِ الجنّيات.

قالتْ ماريلا:

- تمتّعَتْ بجَمالٍ عظيمٍ عِنْدَما كانتْ شَابّة. لمْ أكنْ أعرِفُها جيّدًا، ومع ذلك أحببتُها. وحتّى في ذلك الحين، اعتقدَ بعضُ النّاسِ أنّها غَريبةُ الأطْوار. دايفي، إذا رأيتكَ تفعلُ هذا مجدّدًا، سوف تضطرُّ إلى انتظارِ انتهاءِ الجميعِ منْ طعامِهم لتتناولَ طعامكَ، تمامًا مثْلَ الفرنْسيّين.

تتخلّلُ هذِهِ التّوبيخاتُ لدايفي مُعْظَمَ المُحادَثاتِ بيْنَ آن وماريلا، بحُضُورِ التّوأم. فمن المحزنِ أنّ هذا الأخيرَ، في حالتِه تلك، لم يكنْ قادرًا على أخذِ آخرِ قطراتٍ منَ الحساءِ بملعقتِهِ، لذلكَ رفَعَ صَحنَهُ بكلتيْ يديْهِ، وأطبقَ لسانَهُ الورديَّ الصّغيرَ عليْه.

نظرتْ إليهِ آن نَظَراتٍ مُرعِبةً، إلى درجةِ أنَّ وجْهَ المخطئِ الصّغيرِ احمرَّ، وقال نصفَ خَجِلٍ، نصفَ مُتحَدٍّ:

- بهذه الطّريقةِ، لا يضيعُ منَ الصّحنِ شيْء.

تابعتْ آن حديثَها:

- دومًا ما يُنعَتُ الأشْخاصُ المُختلِفونَ عنِ الآخرينَ بأنّهم غرباءُ الأطْوَار. والآنِسَةُ لافندر مُختلِفةٌ بالتّأكيد. وبالرّغمِ منْ أنّ تحديدَ مكمنِ اختلافِها صعبٌ، فإنّي أخمِّنُ ربّما أنّها واحِدةٌ منَ الأشخاصِ الّذين لا يكبرون أبدًا.

قالتْ ماريلّا غير متكبّدةٍ عناءَ المجاملةِ:

- منَ الأفضلِ أنْ يكبُرَ المَرْءُ معَ أبناءِ جيلِه، وإلاّ فلنْ يجدَ مكانَه بينَهم. فما أفهمُه أنّ لافندر لويس قد انفصلتْ عنْ كلِّ شيء. لقد عاشتْ في ذلك المكانِ المعزولِ حتّى نُسِيَتْ منَ الجميع. إنّ بيتَ الحَجرِ ذلك، منْ أقدمِ البيوتِ في الجزيرَة. لقدْ شيّدهُ الشّيخُ لويس العجوزُ منذ هاجرَ منْ إنجلترا، منذُ ثمانينَ عَاما. دايفي، توقّفْ عن رجِّ مرفقِ دورا! أوه، منْ غيْرِ المُجْدِي أنْ تَنْظُرَ إليَّ بتلكَ البراءَةِ، لقد رأيتكَ. هلاّ أخبرتَني لماذا تسِيءُ التصرّفَ هذَا الصّباح؟

أجاب دايفي:

- ربّما لأنّي خرجتُ منَ السّريرِ منَ الجانبِ الخاطِئ. يقولُ ميلتي بولتر إنّكَ إذا فعلتَ ذلك فلا بدّ أنْ يمرَّ يومُكَ كامِلًا بشكلٍ سيِّء. جدّتُه أخبرتْه الأمْر. ولكنْ، ما هوُ الجانبُ

الصّحِيح؟ وماذا تفعلُ إذا كان سريركَ مواجِها للحائطِ؟ أريدُ أن أعرف.

تابعتْ ماريلّا متجاهلةً دايفي:

- لطالما تساءلتُ عمّا حدثَ بيْنَ ستيفن آرفنغ ولافندر لويس. منذ خمسةٍ وعشرينِ عامًا كانا مخطوبين، ثم انفصلا مرةً واحِدة. لا أعرفُ ماذا كانتِ المشكلةُ، ولكنْ، لا بدَّ أنّ شيئًا فظِيعًا حدَث. هاجرَ ستيفن آرفنغ بعْدَها إلى الولاياتِ المتّحدةِ، ولم يعدْ إلى الوطنِ منْذُ ذلك الحين.

لاحظتْ آن بإحْدَى ومضاتِ بصِيرَتِها تلكَ، الّتي لم تتغيّرْ مع مرورِ الزّمن:

- ربّما لم يكن أمرًا فظيعًا على الإطلاق. أعتقدُ أنّ الأشياءَ الصّغِيرةَ فِي الحيَاةِ تُسبّبُ مشاكلَ أكثرَ منَ الأشياءِ الكبِيرة. ماريلّا، من فضلكِ لا تخبري السّيّدةَ لينـد شيئًا عنْ زيارتي للآنسةِ لافندر. من المؤكّدِ أنّها ستطرحُ مائةَ سؤالٍ، ولن يرُوقَ لِي ذلك ... ولا للآنسةِ لافندر. أنا متيقّنةٌ منْ ذلك.

اعترفتْ ماريلّا :

- مُؤَكّدٌ أنَّ راشيل ستشعُرُ بالفُضولِ، بالرّغمِ منْ أنّها ليستْ متفرّغةً الآن للاهتِمَامِ بشُؤُونِ الآخرين، كما فِي السّابِق. إنّها مُرابِطةٌ بالمَنْزِلِ لرِعَايَةِ توماس، ونفسيّتُها فِي الحضِيضِ لأنّها بدأتْ تفقِدُ الأملَ في تحسُّنِ حالتِه. سوف تجدُ نفسَها وحِيدةً تمامًا إذا ما حدثَ لهُ أيُّ شيْء. كلُّ أبنائِها مستقرّونَ في

الغَرْبِ، باستثناءِ إليزا فِي المدينةِ، وهي لا تستلطفُ زوجَها. تقولُ راشيل إنّ توماس كان سيشْفَى لوْ أنّه استعادَ شجاعتَه وإرادتَه، وبذلَ مجهودًا أكبر. ولكنْ، ما فائدةُ مطالبةِ قنديلِ البحرِ بالجلوسِ مُستقِيماً؟ غيرَ أنَّ توماس ليند لمْ يُمارِسْ أبدًا أيَّ إرادَةٍ حقيقيّةٍ. لقد سيطرتْ عليْهِ أمُّهُ حتّى تزوّجَ، ثم حلّتْ مكانَها راشيل. عجيبٌ أنّه تجرّأَ علَى المرضِ دونَ طلبِ إذْنِها. لكنْ، لا ينبغِي أنْ أتحدّثَ هَكذا. ففِي كلِّ الأحوالِ، راشيل زوجةٌ صالِحَة. وما كان سيحقّق أيَّ شيءٍ دونها. ولكنّه وُلِد ليكونَ تحْتَ السّيْطَرَة. ومنَ الجيّدِ أنّه وقعَ بيْنَ يديْ امرأةٍ ذَكِيّةٍ ومُقتدِرةٍ مِثْلِها. فشخصيّتُها لا تزعِجُه إطْلَاقا. وهذا يجنّبُهُ عناءَ اتّخاذِ القَراراتِ بنفسِه. دايفي، توقّفْ عنِ الالتواءِ مثْلَ ثعبانِ البحرِ!

احتجَّ دايفي قائلاً:

- ليس لديَّ شيءٌ آخر أفعلُه. لمْ يعُدْ بإمكانِي تناولُ المزيدِ منَ الطّعَام. وليسَ منَ المُمْتِعِ مشاهدَتُكما تأكُلان .

قالتْ ماريلّا:

- حسنًا، اخرجْ أنتَ ودُورا، وأطْعِمَا الدّجاجاتِ قمْحا. ولا تنزعْ المزيدَ منَ الرّيشِ منْ ذيلِ الدّيكِ الأبيض.

قال دايفي:

- أريدُ بعْضَ الرّيشِ لصناعةِ غطاءِ رأسٍ هِنْدِيّ. لدى ميلتي بولتر غطاءٌ رائعٌ، مصنوعٌ منْ ريشٍ قدّمتْهُ إليْهِ والدتُه بعد

أنْ ذبحتْ ديكَهم الأبيَض الكبير. قد تسْمَحِينَ لِي ببعْضٍ مِنْ ريشِ هذَا الدِّيك. فِفِي كلِّ الأحْوالِ، لقدْ نالَ الكثيرَ ممّا يُرِيد.

قالت آن:

- تستطيعُ الحصُولَ علَى مكنسةِ الرّيشِ القديمةِ فِي الحُجْرة. وسأصبغُ لكَ الريشاتِ باللّونِ الأخْضرِ والأحْمرِ والأصْفر.

قالتْ ماريلا:

- إنّك تدلّلينَ هذا الصّبيّ كثيرا.

تبع دايفي دورا بوجهٍ مُشِعّ. لقد تطوّرتْ أساليبُ تعليمِ ماريلّا كثيرًا في السّنواتِ السّتِّ الماضِية. لكنّها لمْ تستطعْ التّخَلُّصَ منْ فِكْرةِ أنّه منَ السّيّء جدًا تحقيقُ الكثيرِ مِنْ رغباتِ طِفل.

قالتْ آن:

- لدَى جَمِيعِ الأوْلَادِ فِي فصْلِه أغطيةُ رأسٍ هنديّةٌ، ودايفي يريدُ واحِدا. أعرفُ شعورَه ... لن أنسَى أبدًا كيْفَ رغِبْتُ فِي السّابقِ في الحصولِ على فساتينَ بأكمام منتفخةٍ، مثلَ جميعِ الفتياتِ الأخْرَيَات. ودايفي ليس مدلّلا. إنه يتحسّنُ يومًا بعْدَ آخر. تذكّري كيفَ جاءَ إلى هُنا قبْلَ عامٍ وستعرفين الفرق.

اعترفتْ ماريلّا:

- مِنَ المؤكّدِ أنّه لمْ يعُدْ يتورّطُ في الكثيرِ منَ المتاعِبِ منذُ أنْ دخلَ المدْرَسة. أعتقدُ أنّه سيتخلّصُ منْ هذِه العادَةِ نِهائيًّا بمُخالطةِ

الأوْلَادِ الآخرِين، وكثرةِ اللّعبِ معهم. منَ الغريبِ أنّنا لمْ نَعُدْ نسمعُ أخبارَ ريتشارد كيث. ولا كلمة واحدة منذُ ماي الماضي.

قالت آن متنهّدةً وهي تجمعُ الصّحونَ:

- أخشى حقا سماع أخباره. إذا بعث برسالة، سأتردّد في فتحها خوفا من أن يطلب منا إرسال التّوأم إليه.

بعد شهرٍ، وصلت رسالة. لكنّها لم تكنْ منْ ريتشارد كيث، بل منْ أحدِ أصدقائِه يقولُ إنّ هذا الأخير قد مات بالسّلّ منذُ أسبوعين. كان كاتبُ الرّسالةُ هو منفّذُ الوصيّةِ، وأخبر ماريلّا أنّ مبلغَ ألفيْ دولارٍ قد تُركَ في أمانتِها، ليستلمَهُ ديفيد ودورا عند بلوغِهما سنّ الرّشدِ، أو عنْدَ زواجِ أحدِهما. وفي غضونِ ذلك، فإنّ المبلغَ المتبقّي يستخدَمُ لرعايتِهما.

قالتْ آن بعقلانيةٍ:

- من المُحزنِ أنْ يسعدَ المرءُ بأيِ شيءٍ يتعلق بالموت. أنا آسفةٌ بشأنِ السّيّد كيث المسكينِ، ولكنّي سعيدةٌ لأنّ بإمكاننا الإبقاء على التّوأم.

قالتْ ماريلّا بنزعتِها العمليّةِ:

- المالُ أيضًا جاءَ في وقتِه. طالما رغبْتُ بشدّةٍ في الاحتفاظِ بهما، لكنّني لمْ أكنْ أعْرِفُ حقًا كيْفَ يمكِنُني تحمّلُ تَكاليفِ ذلك، لا سيّما عندَما يكبُران. لم يعدْ إيجارُ المزرعةِ يكفِي لشيءٍ غيْرَ تسييرِ شؤونِ البيْت. كما أنّي حرصتُ على ألا يُنفق سنتٌ من

أموالك عليها. إنّكِ تقُومِين بالكثيرِ من أجلِها. فليستْ دورا في حاجةٍ إلى تلك القبّعةِ الجديدةِ الّتي اشتريتِها لها، تمامًا مثلما لا تحتاجُ القطّةُ إلى ذيلين. أمّا الآن، فقد تمّتْ تسويةُ الوضعيّةِ، ولن ينقصَها أيُّ شيء.

سُرّ دايفي ودورا كثيرًا عندما سمعَا أنها سيعيشانِ في «غرين غابلز» «لمدّةٍ طويلةٍ». أمّا وفاةُ خالٍ لمْ يرياه من قبلُ، فلم يكنْ يزنُ شيئًا أمامَ ذلك. كان لدورا استفهامًا، فهمست لآن

هل دُفن الخالُ ريتشارد؟

- نعم يا عزيزتي بالطّبع.

همستْ بتوتّرٍ أكبر:

- هو ... ليس مثل عم ميرابل كوتون، أليس كذلك؟ لن يتجوّلَ حول البيوتِ بعد دفنِه، أليْس كذلك يا آن؟

(23)
قصة حب الآنسة لافندر

قالت آن، بعد ظهر يوم جمعةٍ من شهر ديسمبر:

- أعتقد أنّي سأذهب في نزهةٍ إلى جناح الصّدى هذا المساء.

أجابت ماريلّا بريبةٍ:

- يبدو أنّها ستُثلج

- سأصل قبل هطول الثلج. وأنوي قضاء الليلة هناك. ديانا لا تستطيع الذهاب لأنّ لديها ضيوفًا. وأنا متأكّدةٌ من أنّ الآنسة لافندر تنتظر زيارتي هذا المساء. لقد مرّ أسبوعان كاملان مُذ زُرتها.

أدّت آن زياراتٍ عديدةً إلى جناح الصّدى منذ ذلك اليوم في أكتوبر. كانت هي وديانا تذهبان إلى هناك بالعربة على الطّريق، وأحيانًا تسيران عبر الغابة. وعندما يتعذّر على ديانا الذهاب تذهب آن وحدها. نشأت بينها وبين الآنسة لافندر واحدةٌ من أكثر الصداقات حرارةً. وهو ما كان محتّمًا بين امرأةٍ حافظت على نضارة الشباب في قلبها وروحها، وفتاةٍ ذات خيالٍ وحدسٍ يعوّضان الخبرة.

اكتشفت فيها آن أخيرًا «توأم روحٍ» حقيقيٍّ. بينما أدخلت هي وديانا في حياة الآنسة، الوحيدة والمنعزلة، فرحةَ الحياة في الخارج وبهجتها، وهي حياةٌ توقّفت الآنسة لافندر، «الهاربة من العالم، والمنسيّة من قبله» عن خوض غمارها. لقد جلبتا جوًّا شبابيًّا وحسًّا واقعيًّا إلى المنزل الحجريّ الصغير. لطالما استقبلتهما شارلوتا الرابعة بابتسامتها العريضة... وكانت ابتساماتها الواسعة ترتسم على وجهها بشكلٍ مخيفٍ. كانت تحبّهما من أجل سيّدتها المحبوبة، وكذا من أجل الخير الذي تَهَبَانه. لم تحلّ المتعة في المنزل الحجريّ الصغير مثلما حلّت في ذلك الخريف الجميل الذي طال انتظارُه، حين لا يزال في شهر نوفمبر طعمٌ من شهر أكتوبر، وما تزال أشعّة شمس ديسمبر وضبابه يشبان شمس الصيف وضبابه.

ولكن في ذلك اليوم بالذّات، بدا كما لو أنّ شهر ديسمبر قد تذكّر أنّ الوقت حان لدخول الشتاء. فجأةً أصبح كلّ شيءٍ مملًّا وثقيلًا. وكان صمت الرّياح في الجوّ ينبئ بالثلوج القادمة. ومع ذلك، استمتعت آن كثيرًا بالسير عبر المتاهة الرماديّة الرحبة لأراضي شجر الزان. وعلى الرغم من أنّها كانت بمفردها، فإنّها لم تشعر بالضّجر مطلقًا. كان خيالها يملأ طريقها برفقاء مرحين، ظلّت تُجري معهم محادثةً متخيّلةً، بدت أشدّ ذكاءً وإبهارًا من المحادثات التي يمكن أن نجريها مع أشخاصٍ في الحياة الواقعيّة، وهي حياةٌ من المؤسف أنّها لا ترتقي أحيانًا إلى تطلّعاتنا. أمّا في هذا التجمّع «المتخيّل» لهذه الأرواح المختارة بعنايةٍ، فالجميع يقولون ما يريدون سماعه، ويمنحونك الفرصة لقول ما تريد قوله. بحضور هؤلاء

المتحدّثين اللاّمرئيّين، اجتازت آن الغابة ووصلت إلى ممرّ الصّنوبر، لحظةَ بدأت رقائق الريش الخفيفة تنزل بهدوءٍ.

مع المنعطف الأوّل صادفت الآنسة لافندر واقفةً تحت شجرة تنّوب كبيرةٍ متفرّعةٍ. كانت ترتدي ثوبًا أحمر قانيًا، وقد لُفّ رأسها وكتفاها بشالٍ حريريٍّ رماديٍّ فضّيٍّ.

قالت لها آن بمرحٍ:

- إنّك تشبهين ملكة ساحرات غابة الصنوبر.

قالت الآنسة لافندر وهي تتقدّم إلى الأمام:

- توقّعت قدومك الليلة يا آن. وأنا سعيدةٌ أكثر لأنّي كنتُ سأجدُني في منتهى الوحدة لو أنّك لم تأتِ. حتّى الأحلام والأصداء لن تكون كافيةً للرفقة. فشارلوتا الرابعة بعيدةٌ لأنّ والدتها مريضةٌ، واضطرّت إلى قضاء الليلة عندها. وأضافت فجأةً وهي تنظر إلى الفتاة الطويلة النحيفة ذات الورد الناعم المنتشر على وجهها: «أوه، آن، كم أنت جميلةٌ!

ثمّ أردفت بصراحةٍ:

- كم أنت جميلةٌ وصغيرةٌ! من الرائع أن تكون في السابعة عشرة من عمرك، أليس كذلك؟ أنا أحسدك.

ابتسمت آن:

- لكنّ عمر قلبك سبعة عشر عامًا فقط.

- لا، أنا عجوزٌ، أو بالأحرى في منتصف العمر، وهو أشدّ

سوءًا بكثيرٍ»، تنهّدت الآنسة لافندر. «يمكنني أحيانًا التظاهر بعكس ذلك، لكنّي أدرك ذلك تمام الإدراك بقيّة الوقت. وأنا عاجزة عن التصالح مع هذه الفكرة، كما يفعل معظم النساء. إنّي ثائرةٌ على ذلك، تمامًا كثورتي عندما اكتشفت أوّل شيبةٍ نبتت في شعري. الآن، يا آن، لا تتظاهري بالفهم. ففي السابعة عشرة لا نفهم هذه الأشياء. سأتظاهر بأنّني في السابعة عشرة أيضًا، ويمكنني فعلُ ذلك بسهولةٍ بما أنّكِ هنا. لطالما جلبتِ الشباب في يدك هديّةً. سنقضّي أمسيةً ممتعةً. الشاي أوّلًا... ثمّ أخبريني ماذا تريدين على العشاء؟ سنأكل ما يحلو لكِ. فكّري في شيءٍ لذيذٍ ومُشبعٍ».

في تلك اللّيلة تردّدت في المنزل الحجريّ الصّغير أصوات صرخاتٍ ومرحٍ، أثناء الطهي والولائم وصنع الحلوى والضحك و«التظاهر». كانت للآنسة لافندر وآن تصرّفاتٌ لا تناسب على الإطلاق كرامةَ عانس في الخامسة والأربعين من العمر ومعلّمة مدرسةٍ هادئة. بعد ذلك، عندما تعبتا، جلستا على السجّادة أمام المدفأة في الصالون. كانت غرفة الصالون مضاءةً فقط بلمعان ألسنة النار الناعمة، ومعطّرةً بلذّةٍ من جرّة الورد التي وضعتها الآنسة لافندر على الرّفّ. هبّت الريح وانبرت تتنهّد وتنتحب حول الأفاريز، والثلج يندفع بهدوءٍ على النوافذ وكأنّه مجموعةٌ من العفاريت تطلب الإذن بالدخول.

قالت الآنسة لافندر وهي تقضم حلوتها:

- أنا في غاية السعادة لأنّك هنا يا آن. لو لم تزوريني لكنت حزينةً... حزينةً جدًّا ... غارقةً في الظّلام تقريبًا. من الجيّد أن يحلم المرء في النهار عندما تكون الشمس طالعةً، ولكنّ هذا لا يكفي عندما يأتي الظلام والعاصفة. آنذاك، يريد المرء أن تتحوّل تلك الأحلام إلى حقيقةٍ. لكنّك لا تفهمين... شابّةٌ في السابعة عشرة لا تفهم ذلك بتاتًا. في السابعة عشرة من العمر يظنّ المرء أنّ الأحلام كافيةٌ، إذ يعتقد أنّ الحقائق تنتظر عند انعطاف الطّريق. عندما كنت في السابعة عشرة من عمري يا آن، لم أتخيّل مطلقًا أنّي في الخامسة والأربعين سأكون عانسًا عجوزًا بشعرٍ أبيض لا تجد سوى الأحلام تؤنّث بها حياتها.

قالت آن مبتسمةً في عينَيْ الآنسةِ لافندر الحزينتيْن:

- لكنك لستِ عانسًا عجوزًا. العوانسُ العجائزُ يولدن هكذا ولا يصبحن.

سخرتِ الآنسةُ لافندر بلؤمٍ:

- يولد البعض عوانس عجائز، والأخريات يصبحن كذلك، بينما تتشبّث العزوبيّة ببعضهنّ مثل شؤمٍ لا ينتهي.

ضحكت آن قائلةً:

- إذن أنتِ من اللّواتي أصبحن كذلك. لكنّكِ فعلتِ هذا على نحوٍ جميلٍ جدًّا. لو أنّ كلّ عانسٍ مثلُك، فتلك ستصبح موضةً على ما أعتقد.

قالتِ الآنسة لافندر بسَحنةِ تأمّلٍ:

- أحبّ دومًا أن أنجزَ الأشياءَ على أفضلِ نحوٍ ممكن. ولأنّ عليّ أن أظلّ عانسًا، فقد عقدتُ عزمي على أن أكون ساحِرةً جدًّا. يصفُني النّاس بأنّني غريبةُ الأطوار. لكنّ هذا يعود فقط إلى أنّني أتّبع طريقتي الخاصّة في أن أكون عانسًا، وأرفضُ النّمطَ التقليديّ. آن، هل سبقَ أن أخبرك أحدٌ بأيّ شيءٍ عنّي وعن ستيفن آرفنغ؟

قالت آن ببراءةٍ:

- نعم، سمعتُ أنكما كنتما مخطوبَيْن في السّابق.

- كنّا كذلك، قبل خمسةٍ وعشرين عامًا... عمر بأكمله. وكنّا سنتزوّجُ في الرّبيع. لقد خِطتُ فستانَ زفافي، ولا أحد يعرفُ ذلك سوى ستيفن ووالدته. بإمكانك القول إنّنا كنّا مخطوبَين كامل حياتنا تقريبًا. فعندما كان ستيفن طفلًا صغيرًا، كانت والدته تُحضِره معها حينَ تأتي لزيارةِ والدتي. وفي المرّةِ الثّانيةِ التي جاء فيها، وكان في التّاسعة وأنا في السّادسة، أخبرني في الحديقة أنّه قرّر أن يتزوّجني عندما يكبر. أتذكّر أنّني قلت «شكرًا لك» وعندما غادر أخبرتُ أمّي في منتهى الجدّيّةِ أنّ هناك عبئًا كبيرًا قد انزاحَ عنْ ذهني، لأنّني لم أعدْ الآن خائفةً من أن أظلّ عانسًا. يا إلهي كم ضحكتْ أمّي المسكينة!

سألت آن بلهفةٍ:

- وما الذي حدث؟

- تشاجرنا مجرّد شجارٍ غبيٍّ وسخيفٍ ومألوفٍ. صدّقيني لقد كان مبتذلًا جدًّا، إلى درجة أنّي لا أتذكّر حتّى كيف بدأ. لكنّي أعرف المسؤول عن ذلك. لقد بدأ ستيفن الشّجار، وأعترف أنّي استفززته ببعض حماقاتي. كان لديه منافسٌ أو اثنان. كما ترى. كنت مغرورةً ومغناجًا وأحبّ أن أضايقه قليلًا في بعض الأحيان. لقد كان رجلًا انفعاليًّا وشديد الحساسيّة. وهكذا افترقنا غاضبَين. لكنّني اعتقدت أنّ الأشياء ستسير على ما يرام. وهذا ما كان سيحدث لو أنّ ستيفن لم يعد مبكّرًا جدًّا. عزيزتي آن، يؤسفني أن أخبرك بهذا. ثمّ خفضت من صوتها وكأنّها ستعترف بأنّها قاتلةٌ.

أنا إنسانةٌ نكديّةٌ بشكلٍ مخيفٍ. أوه، لا تبتسمي، هذا صحيحٌ جدًّا. كنت عابسةً، وعاد ستيفن قبل أن أنتهي من عبوسي. رفضت الاستماع إليه ومسامحتَه. وهكذا رحل إلى الأبد. كان متكبّرًا جدًّا على أن يعود مرّةً أخرى. وهكذا واصلت عبوسي لأنّه لم يأتِ. ربّما كنت سأرسل أحدًا ليدعوه، لكنّي لم أتواضع لفعل ذلك. كنت متكبّرةً مثله تمامًا. الكبرياء والحماقة مزيجٌ سيّئٌ جدًّا يا آن. لكنّي لم أستطع البتّة الاهتمامَ بأيّ رجلٍ آخر، ولم أرغب في ذلك. كنت أفضّل أن أكون عانِسًا لألف عامٍ على الزواج من أيّ رجلٍ آخر ليس ستيفن آرفنغ. طبعًا، يبدو الأمر كلّه وكأنّه حلم الآن. كم تبدين متعاطفةً يا آن، متعاطفةً بقدر ما يمكن لفتاةٍ في السابعة عشرة أن تكون كذلك. لكن لا تتعاطفي أكثر.

فأنا حقًّا امرأةٌ صغيرةٌ راضيةٌ وسعيدةٌ جدًّا على الرغم من قلبي المنكسر. لقد انكسر قلبي حقًّا، إذا كان للقلبِ أن ينكسر، عندما أدركت أنّ ستيفن آرفنغ لن يعود. لكن يا آن، قلب المكسور في الواقع لا يشبه في شيءٍ قلبًا مكسورًا في الكتب. يمكن أن نشبّه ذلك بآلام الأسنان، على الرغم من أنّ تشبيهي يفتقر إلى الرّومانسيّة. تعيشين نوباتٍ من الألم وتقضّين ليلةً من الأرق بين حينٍ وآخر، ولكن في الأثناء يُتاح لك الاستمتاع بالحياة والأحلام وأصوات الصدى وحلوى الفول السودانيّ كما لو أنّه لم يكن هناك أيّ سوءٍ. والآن تبدين محبطةً يا آن. لم أعد مثيرةً للاهتمام بالنسبة إليكِ كما كنت تعتقدين قبل خمس دقائق، عندما تصوّرتِ أنّني فريسةٌ لذاكرة مأسويّة خبّأتها بشجاعةٍ وراء ابتساماتٍ ظاهرةٍ. وهذا هو أسوأ ما في الحياة الواقعيّة أو لعلّه أفضل ما فيها يا آن. إنّها لا تسمح لك بأن تظلّي تعيسةً. هي تحاول أن تجعلك مرتاحةً وناجحةً حتّى وإن عزمتِ على ألاّ تكوني سعيدةً. أليست هذه الحلوى شهيّةً؟ لقد أكلت أكثر بكثيرٍ ممّا يُسمح لي به، لكنّني سأستمرّ بلا توقّفٍ.

بعد صمتٍ قصيرٍ قالت الآنسة لافندر فجأةً:

- لقد صُدمتُ عندما سمعت عن ابن ستيفن في أوّل زيارةٍ لكِ هنا يا آن. لم أتمكن قطُّ من ذكر الأمر لكِ حينها، لكنّي أردت أن أعرف كلّ شيءٍ عنه. أيّ صبيٍّ هو؟

- إنّه أعزّ وأحلى طفلٍ عرفته على الإطلاق آنسة لافندر. وهو يحبّ ممارسة لعبة «التظاهر بالأشياء» أيضًا، تمامًا كما نفعل أنا وأنت.

قالت الآنسة لافندر بهدوءٍ، كما لو أنّها تتحدّث إلى نفسها:

- أودّ رؤيته.

- أتساءل عمّا إذا كان يشبه صبيّ الأحلام الصغير الذي يعيش معي هنا، فتى أحلامي الصغير.

قالت آن:

- إذا كنت ترغبين في رؤية بول فسوف أصحبه معي هنا ذات مرّةٍ.

- أودّ ذلك، ولكن ليس في وقتٍ قريبٍ جدًّا. أريد التعوّد على الفكرة. فعلّ ما في الأمر من ألَمٍ أكثر ممّا فيه من متعةٍ. إذا كان يشبه ستيفن كثيرًا، أو إذا لم يكن يشبهه بما يكفي، فيمكنك إحضاره خلال شهرٍ.

وكما هو متّفقٌ، بعد شهرٍ من ذلك، سارت آن برفقة بول عبر الغابة إلى المنزل الحجريّ، وقابلا الآنسة لافندر في الممرّ. لم تكن تتوقّع مجيئهما في ذلك الوقت، وشحب وجهها لرؤيتهما.

قالت بنبرةٍ خافتةٍ:

- «هذا هو ولد ستيفن إذَن»، وأخذت يد بول ونظرت نحوه وهو يقف، وسيمًا وطفوليًّا، مرتديًا معطفه الصغير الأنيق من الفرو وقبّعتَه. «إنّه... إنّه يشبه والده كثيرًا».

علّق بول بأريحيّةٍ:

الجميع يقولون إنّني نسخةٌ مطابقةٌ منه.

تنفّست آن الصّعداء وهي تتابع المشهد. إذ بدا واضحًا أنّ الآنسة لافندر وبول قد تآلفًا، وأنّه لن يكون هناك في تواصلهما أيّ قيودٍ أو جمودٍ. كانت الآنسة لافندر امرأةً متعقّلةً، على الرّغم من أحلامها ورومانسيّتها. وبعد خيانة مشاعرها في البداية، ها هي تخفيها الآن بعيدًا وتستمتع بصحبة بول في إشراقٍ وعفويّةٍ، كما لو أنّه ابن أيّ شخصٍ آخر أتى لزيارتها. قضّوا جميعًا فترةً مرحةً بعد الزّوال، واحتفلوا بمأكولاتٍ دسمةٍ من شأنها أن تجعل السيدة آرفنغ العجوز ترفع يديها برعبٍ عند العشاء، معتقدةً أنّ هضم بول قد فسد إلى الأبد.

قالت الآنسة لافندر وهي تصافحه أثناء المغادرة:

- تعالَ مرّةً أخرى يا عزيزي.

قال بول:

- يمكنك تقبيلي إن أردت.

انحنت الآنسة لافندر وقبّلته. ثمّ همست:

- كيف عرفت أنّني أريد ذلك؟

- لأنك نظرت إليّ تمامًا مثلما اعتادت والدتي النّظرَ إليّ عندما تريد تقبيلي. عمومًا، أنا لا أحبّ أن يقبّلني أحدٌ، مثل كثيرٍ من الأولاد يا آنسة لويس. لكنّي أفضّل أن تقبّليني أنتِ. وبطبيعة الحال سوف أزورك مرّةً أخرى. أودّ أن تكوني

صديقةً مميّزةً لي، طبعًا إذا كنت لا تعترضين.

قالت الآنسة لافندر:

- «لا أعتقد أنّني سأعارض». استدارت ودخلت بسرعةٍ كبيرةٍ. وبعد لحظاتٍ كانت تلوّح لهما من النافذة بابتسامةٍ مرحةٍ.

قال بول، وهما يسيران في غابة شجر الزان:

- أحبّ الآنسة لافندر، تعجبني طريقة نظرها إليّ. ويعجبني منزلها الحجريّ، وشارلوتا الرابعة كذلك. أتمنّى لو أنّ للجدّة آرفنغ شارلوتا الرابعة بدلًا من ماري جو. أنا متيقّن من كونها لن تعتقد أنّي غريب الأطوار عندما أروي لها حكاياتي وأفكاري. ألم تكن جلسة الشاي رائعةً يا آن؟ تقول جدّتي إنّه لا ينبغي للصبيّ أن يفكّر في الطعام الذي يقدَّم له، لكنّه لا يستطيع كبح نفسه أحيانًا عندما يكون جائعًا جدًّا. أنت تفهمينني يا آن، أَليس كذلك؟ لا أعتقد أنّ الآنسة لافندر ستجبر صبيًّا مثلي على أكل العصيدة في الفطور إذا كانت لا تعجبه. طبعًا، سوف تقدّم له المأكولات التي يحبّها.

كان لبول حسٌّ حادٌّ بالعدالة، فتابع: «ولكن قد لا يكون ذلك جيّدًا لصحّته. التّغيير ضروريّ. هل تفهمينني يا آن؟».

(24)
نبيّ في بلاده

مكتبة
t.me/soramnqraa

في يومٍ من أيّام شهر ماي، صُدِم سكّان أفونليا بنشر مقالٍ عنوانُه «ملاحظات عن أفونليا»، بجريدة شارلوت تاون ديلي إنتربرايز، حاملةً توقيع «المُلاحظ». نسبت الشّائعات تأليفَ المقال إلى تشارلي سلون، ويعود ذلك جزئيًّا إلى أنّ تشارلي خاض مغامراتٍ أدبيّةً مماثلةً في الماضي، ولأنّ إحدى الملاحظات الواردة في النّصّ بدت ساخرةً من جيلبرت بليث. فقد كان المجتمع في أفونليا يعدّ جيلبرت بليث وتشارلي سلون متنافسَين لنيلِ ودّ فتاةٍ ذات عينين رماديّتين وخيالٍ جامحٍ.

كانت الشائعات كالعادة مخطئةً. فقد كتب جيلبرت بليث الملاحظات بمساعدةٍ وتحريضٍ من آن، ووضع واحدةً عن نفسه كتضليلٍ. كان لملاحظتين فقط تأثيرٌ كبيرٌ في القرية:

«تقول الشائعات إنّ حفل زفافٍ سيُعقد في القرية قبل أن يُزهر الأقحوان. واحدٌ من متساكني أفونليا الأكثر احترامًا، سيصحب إحدى أشهر سيّداتنا إلى عش الزّوجيّة».

«العمّ آبي، نبيّ الطقس المعروف، يتوقّع أنّ عاصفةً عنيفةً من الرعد والبرق ستهبّ مساء الثالث والعشرين من ماي في تمام

الساعة السابعة مساءً. سوف يتأثّر جزءٌ كبيرٌ من هذه المقاطعة بتلك العاصفة. من المستحسن أن يصطحب المسافرون، في ذلك المساء، مطريّاتهم ومعاطفهم الواقية معهم».

قال جيلبرت:

- صحيحٌ أنّ العمّ آبي توقّع هبوب عاصفةٍ في الربيع، لكن هل تعتقدين أنّ السيّد هاريسون يخرج فعلًا مع إيزابيلا أندروز؟

أجابت آن ضاحكةً:

- لا، أنا متأكدةٌ فقط من أنّه يذهب للعب الشطرنج مع السيّد هارمون أندروز، لكن السيّدة لينـد تقول إنّ إيزابيلا في مزاجٍ جيّدٍ هذا الربيع، حتّى إنّه يمكننا القول إنّها على أهبة الاستعداد للزواج.

شعر العمّ آبي المسكين بالسخط تجاه الملاحظات. واشتبه في أنّ كاتبها يسخر منه. ونفى بغضبٍ أنّه حدّد موعدًا معيّنًا للعاصفة، لكن لا أحد صدّقه.

استمرّت الحياة في أفونليا على نحوٍ سلسٍ وهادئٍ. غُرِست الأشجار والنباتات، واحتفل أفراد جمعيّة التحسينات بيوم الشجرة. غرس كلّ فردٍ من أفرادها خمس أشجار زينةٍ. وبما أنّهم أربعون عضوًا، فإنّ المجموع كان مائتي شجرةٍ صغيرةٍ. كان الشوفان المبكّر مخضرًّا في الحقول الحمراء. وكانت البساتين في أوج إزهارها حول بيوت المزارع، بينما تزيّنت ملكة الثلج مثل عروسٍ لزوجها. لطالما أحبّت آن النوم والنافذة مفتوحةٌ لتسمح بأن يلفح عطر الكرز

وجهَها طوال الليل. كانت تعدّ ذلك شاعريًّا جدًّا. أمّا ماريلّا فكانت تعتقد أنّها تخاطر بحياتها.

قالت آن لماريلّا وهما تجلسان مساءً على درجات الباب الأماميّ وتستمعان إلى جوقة الضّفادع:

- يجب الاحتفال بعيد الشّكر في الرّبيع. فهو أفضل بكثيرٍ من نوفمبر الذي يكون فيه كلّ شيءٍ نائمًا أو ميّتًا. في نوفمبر، يجب عليك تذكّر التعبير عن شكرك. أمّا في ماي، فلا يسهل على المرء أن يكبح نفسه عن الامتنان. إذ تولد الحياة من جديدٍ. إذا لم يكن لذلك فلشيءٍ آخر. لديّ فكرةٌ جيّدةٌ عمّا شعرت به حوّاء في الجنّة قبل أن تبدأ المشاكل. ذلك العشب في الحقل، هل هو أخضر أم ذهبيّ؟ يبدو لي يا ماريلّا أنّ يومًا مثل هذا، حيثُ الأشجار مزهرةٌ في الخارج والرياح لا تعرف من أيّ جهةٍ تهبّ، يخوّل لنا أن نشعر بنشوةٍ شبيهةٍ جدًّا بما ينتظرنا في الجنّة.مكتبة سُر مَن قرأ

بدت ماريلّا مذعورةً ونظرت بقلقٍ حولها للتأكّد من أنّ التوأم لم يكونا قريبين. اقتربا حينها من تلك الزاوية من البيت.

سأل دايفي وهو يتشمّم الهواء بسعادةٍ ويؤرجح معولًا في يديه المتّسختين:

- أليست أمسيةً طيّبة الرائحة؟

كان يعمل في حديقته. في ذلك الربيع، حوّلت ماريلّا شغفَ دايفي بالطين إلى شيءٍ مفيدٍ، فمنحته هو ودورا قطعةَ أرضٍ صغيرةً

ليجعلا منها حديقةً. وانخرط كلّ واحدٍ منهما في العمل بطريقته. زرعت دورا نباتاتٍ ونثرت بذورًا وسقتها بعنايةٍ وانتظامٍ وحيادٍ. كانت حديقتها خضراء مع صفوفٍ صغيرةٍ منظّمةٍ من الخضار والنباتات. أمّا دايفي فقد اشتغل بحماسٍ أكثر من اللّازم. لقد حفر وعزق وجرف وسقى وزرع بقوّةٍ وعلى نحوٍ لم يعطِ فيه لبذوره أيّ فرصةٍ للنموّ.

سألت آن:

- كيف حال حديقتك يا دايفي؟

أجاب ديفي بحسرةٍ:

- إنّها تنمو ببطءٍ، لا أعرف لماذا لا تنمو بسرعةٍ أكبر. يقول ميلتي بولتر إنّه كان عليّ أن أزرع والقمر مضيءٌ، وإنّ المشكل كلّه في ذلك. يقول إنّه يجب ألّا تزرع البذور أو تذبح الخنزير أو تقصّ شعرك أو تفعل أيّ شيءٍ مهمٍّ في غياب القمر. هل هذا صحيحٌ يا آن»؟ أريد أن أعرف.

قالت ماريلّا ساخرةً:

- ربّما إذا لم تنزع نباتاتك من جذورها كلّ يومٍ، لترى كيف تنمو في الطرف الآخر، فقد تحقّق نتائج أفضل.

احتجّ دايفي قائلًا:

- لقد نزعت ستّ نباتاتٍ فقط. أردت تفقّد ما إذا كانت توجد يرقاتٌ على الجذور. يقول ميلتي بولتر إنّ الإشكال إذا لم يكن بسبب القمر فلا شكّ أنّه بسبب اليرقات. لكنّني لم

أجد سوى واحدةٍ فقط. كانت مجعّدةً ورائعةً ومثيرةً جدًّا. وضعتها على حجرٍ ثمّ تناولت حجرًا آخر وسحقتها. صدّقيني، لقد تناهى صوت قرعٍ مرحٍ. شعرت بالأسف لأنّه لم يكن هناك المزيد. لقد زرعت دورا حديقتها في الوقت نفسه الذي زرعت فيه حديقتي، ومع ذلك تنمو حديقتها بشكلٍ جيّدٍ. واختتم بنبرة أملٍ: «إذَن لا يمكن أن يكون السّبب هو القمر».

قالت آن:

- ماريلّا، انظري إلى شجرة التفاح تلك. تبدو مثل كائنٍ بشريٍّ. إنّها تمدّ أذرعها الطّويلة لتختار تنانيرها الورديّة وتتزيّن بها.

قالت ماريلّا برضًا كبيرٍ:

- أشجار الدّوقة الصّفراء تلك تثمر بشكلٍ جيّدٍ دومًا. سوف تحبل تلك الشجرة بثمارٍ ممتازةٍ هذا العام. إنّها رائعةٌ للفطائر. أنا سعيدة جدًّا.

لكن لم يكن مقدّرًا لماريلّا ولا آن ولا لأيّ شخصٍ آخر أن يصنع فطائر من تفاح الدوقة الصفراء في ذلك العام.

حلّ الثالث والعشرون من شهر ماي. كان يومًا حارًّا بشكلٍ غير معتادٍ، مقارنةً بذلك الوقت من السّنة. لم يعانِ من حرارته أحدٌ أكثر من آن وخليّة نحلها الصغيرة من التلاميذ، أولئك الذين كانوا يتعرّقون أمام تمارين الكسور والنحو في قسم مدرسة «آفونلي».

هبّت ريحٌ حارّةٌ كامل الظهيرة. ولكن بعد الساعة الثانية عشرة ظهرًا تلاشت في سكونٍ شديدٍ، وأصبح الجوّ ثقيلًا وجامدًا. في الثالثة والنصف، سمعت آن قعقعة الرعد. سمحت للأطفال بالخروج، حتّى يتمكّنوا من العودة إلى ديارهم قبل هبوب العاصفة.

أثناء خروجهم إلى الساحة، لاحظت آن أنّ الجوّ أصبح مظلمًا بشكلٍ غير عاديٍّ، لأنّ الشّمس ما تزال مشرقةً بعدُ. أمسكت أنيتا بيل يدها بتوتّرٍ وقالت:

- أوه يا آنستي، انظري إلى تلك السحابة الفظيعة!

نظرت آن وأطلقت صرخة ذهولٍ. رأت في الشمال الغربيّ كتلةً من السحاب، لم يسبق لها أن شاهدها طوال حياتها. كانت كتلةً تتجمّع بسرعةٍ، سوداء تمامًا، باستثناء حوافّها الملتوية ذات اللون الأبيض المروّع. كانت مجرّد رؤيتها تتجمّع هناك وسط السماء الزرقاء تثير الرعب بشكلٍ لا يوصف. وبين حينٍ وآخر تعبرها صاعقةٌ من البرق، يتبعها هديرٌ وحشيٌّ. كانت تتقدّم منخفضةً إلى درجة أنّها كادت تلامس قمم التلال المشجّرة.

ظهر السيد هارمون أندروز في عربته أعلى التّلّ. كان يحثّ أحصنته الرماديّة على الركض بأقصى سرعةٍ. وأوقفها مقابل المدرسة. صرخ قائلًا:

- أعتقد أنّ العم آبي قد أصاب مرّةً واحدةً في حياته يا آن. يبدو أنّ عاصفته قد أقبلت مبكّرًا قليلًا. هل رأيت سحابةً مماثلةً من قبل؟ الأولاد في طريقي سارعوا إلى الصّعود معي،

وأولئك الذين عليهم أن يقطعوا أكثر من ربع ميلٍ للعودة إلى بيوتهم ركضوا نحو مكتب البريد وبقوا هناك حتّى تهدأ العاصفة.

أمسكت آن بيدي دايفي ودورا وهرولت إلى أسفل التلّ، على طول مسار بيرش، وتجاوزت وادي البنفسج وبحيرة الصّفصاف، بخطواتٍ أسرع ممّا يمكن أن تهرول به أرجل التوأم السمينة. وصلوا إلى جرين غابلز في الوقت تقريبًا، وانضمّت إليهم ماريلّا التي كانت تحثّ بطّها ودجاجها على الدخول إلى الملجإ. اندفعوا إلى المطبخ، وبدأ الضوء يتلاشى رويدًا رويدًا، كما لو أنّ ريحًا قويّةً قد امتصّته. تدحرجت كتلة السّحاب الفظيعة أمام الشمس وسقط الظلام على المكان. وفي اللّحظة نفسها، زمجر الرعد وتوهّج البرق. بدأ الثّلج يتساقط بقوّةٍ ويلفّ المشهد في غضبه الأبيض.

ومن خلال ضجيج العاصفة، سُمِع دويّ الأغصان الممزّقة وهي تضرب المنزل، وصوتُ تهشُّم الزجاج. في غضون ثلاث دقائق، تحطّم بلّور كلّ النوافذ الغربيّة والشماليّة، وتدفّق الثّلج عبر الفتحات التي غطّت الأرض بالحجارة، وكان أصغرها بحجم بيضةٍ. كانت العاصفة تهبّ بلا هوادةٍ لمدّة ثلاثة أرباع الساعة. ظلّ هذا الحادث راسخًا في ذهنِ كلّ من شهده. ومن شدّة الرّعب، اهتزّت رباطة جأش ماريلّا، لمرّةٍ واحدةٍ في حياتها. ركعت بجانب كرسيّها الهزّاز في زاوية المطبخ، وهي تلهث وتبكي، وسط دويّ الرعد الذي يصمّ الآذان. سحبت آن الأريكة بعيدًا عن النافذة،

ووجهها مبيضٌّ كالورق، وجلست عليها مع التوأم وهما على كلا جانبيها. ومع أوّل زمجرةٍ قال دايفي:

- «آن، آن، هل هو يوم القيامة؟ آن، آن، لم أقصد قطُّ أن أكون شقيًّا». ثمّ دفن وجهه في حضن آن. فأبقته عندها، وجسده الصغير يرتجف. أمّا دورا، فقد حافظت على برودة دمها على الرغم ممّا اعتراها من شحوبٍ. بقيت جالسةً، ثابتةً وهادئةً، ويدها مسمّرةٌ في يدِ آن. كان من الصّعبِ أن يحرّكها حتّى زلزالٌ.

ثمّ توقّفت العاصفة فجأةً كما بدأت. توقّف الثلج عن الهطول، وتدحرج الرعد مزمجرًا بعيدًا باتّجاه الشرق، وأشرقت من جديدٍ شمسٌ فرحةٌ على عالم تغيّر بسرعةٍ، إلى درجة أنّه بدا من العبث تصوُّر أنّ ثلاثة أرباع الساعة يمكن أن تُحدث كلّ هذا التّحوّل.

نهضت ماريلّا من ركوعها، ضعيفةً ومرتجفةً، وتهالكت على كرسيّها الهزاز. كان وجهها شاحبًا وبدت أكبر بعشر سنواتٍ. وسألت بجدّيّةٍ:

- هل نجونا جميعًا من ذلك؟

قال دايفي بمرحٍ:

- طبعًا نجونا. ولم يعتريني سوى قليلٍ من الخوف. في البداية فقط. وقد اتّخذت قرارًا بسرعةٍ وفي طَرفة عينٍ. لن أصارع تيدي سلون يوم الاثنين كما وعدت. أمّا وقد انقضت العاصفة الآن، فربّما أفعل ذلك. أخبريني يا دورا هل كنت خائفةً؟

اعترفت على مضضٍ:

- شيءٌ من الخوف فقط، ولكنّي شددت على يد آن بقوّةٍ، ولم أتوقّف عن تلاوة صلواتي.

قال دايفي:

- حسنًا، كنت سأتلو صلواتي أيضًا لو أنّي فكّرتُ في ذلك، لكنّي نجوت مثلكِ كما ترين، دون تلاوتها.» أضاف بنبرةِ المنتصر.

أحضرت آن لماريلّا كوبًا ممتلئًا من نبيذ الكشمش القويّ، وكانت قد اختبرت قوّته منذ سنواتٍ، ثم توجّهوا نحو الباب للنّظر إلى المشهد الغريب.

امتدّت على نطاقٍ واسعٍ سجّادةٌ بيضاء من الثّلج، يصل علوّها إلى حدود الرّكب. كان قد تراكم تحت الأفاريز وعلى الدّرجات. وعندما ذابت الثلوج بعد ثلاثة أيّامٍ أو أربعةٍ، ظهر بوضوحٍ الدّمار الذي أحدثته. إذ انكسر كلّ أخضر ينمو في الحقل أو الحديقة. لم تُجرَّد أشجار التفاح من أزهارها فحسب، ولكنّ الأغصان نفسها انتُزعت. ومن بين المائتي شجرة التي زرعها أعضاء جمعيّة التّحسينات، فإنّ العاصفة انتزعت العدد الأكبر منها أو مزّقته إلى أشلاء.

سألت آن مذهولةً: «هل يمكن أن يكون هذا العالم هو نفسه الذي كان قبل ساعةٍ؟ لا شكّ أنّ الأمر استغرق وقتًا أطول من ذلك ليحدث هذا الخراب كلّه».

قالت ماريلّا مؤكّدةً:

- لم نرَ مثل هذا قطُّ في جزيرة الملك إدوارد، أتذكّر عاصفةً هوجاء عندما كنت طفلةً صغيرةً، ولكنّها لا تقارن بهذه. سوف نسمع الحديث عن أضرارٍ كثيرةٍ، هذا مؤكّدٌ.

همست آن في حيرةٍ:

- أتمنّى أنّ الرّيح القوّية لم تحمل أيّ ولدٍ من الأولاد.

عرفت لاحقًا أنّهم كانوا جميعًا بخيرٍ، فكلّ الذين توجّب عليهم قطع مسافةٍ طويلةٍ، سمعوا نصيحة السيّد أندروز ولجؤوا في مكتب البريد.

قالت ماريلّا:

- ها هو جون هنري كارتر.

كان هذا جون يجترح لنفسه طريقًا وسط الثلج، وهو مع ذلك يبتسم بملامح خائفةٍ.

- أوه، يا له من رعبٍ يا آنسة كثبرت. لقد أرسلني السيّد هاريسون لأرى ما إذا كان كلّ شيءٍ على ما يرام عندكم.

فأجابت متذمّرةً:

- جميعنا على قيد الحياة، ولم يتضرّر أيّ بناءٍ. أتمنّى أنّكم بخير أيضًا.

- لم نكن محظوظين كثيرًا آنستي. لقد تضرّرنا. ضربت الصّاعقة مدخنة المطبخ، نزلت عبر الأنبوب، وضربت قفص جينجر،

ثمّ أحدَثت حفرةً في الأرضيّة ووصلت حتّى القبو. هذا ما حدث يا سيّدتي.

تساءلت آن:

- هل جرح جينجر؟

- بل مات على عين المكان يا آنستي.

لاحقًا، زارت آن السّيّد هاريسون لمواساته. وجدته جالسًا على الطّاولة، يداعب جثّة جنجر بيدٍ مرتعشةٍ.

قال بحزن:

- لن يشتمك جينجر المسكين بعد الآن يا آن.

لم تكن آن تتوقّع أنّها ستبكي جينجر في يومٍ من الأيّام، ولكنّ الدّموع صعدت إلى مقلتيها.

- لقد كان رفيقي الوحيد يا آن. وهو الآن ميّتٌ. حسنًا، أنا عجوزٌ أحمق إذ أهتمّ بهذا. لن أهتمّ مجدّدًا. أعلم أنّك ستقولين عبارات تعاطفٍ بمجرّد أن أتوقّف عن الكلام. لكن أرجوكِ لا تفعلي. إذا فعلتِ فسأبكي مثل طفلٍ. ألم تكن هذه عاصفةً فظيعةً؟ أعتقد أنّ الناس لن يضحكوا بعد الآن على تنبّؤات العمّ آبي. يبدو كما لو أنّ كلّ العواصف التي تنبّأ بها طوال حياته ولم تحدث قطّ، جاءت دفعةً واحدةً. ما يثير الانتباه حقًّا، هو كيف تنبّأ باليوم على نحوٍ دقيقٍ؟ انظري إلى كلّ هذه الفوضى هنا. يجب أن أسارع في البحث عن بعض الألواح لسدّ تلك الفتحة في الأرض.

قضّى سكّان أفونليا اليوم الموالي في التّزاور، ليقارنوا الأضرار فيما بينهم. وبما أنّ الثّلج قد جعل الطّرق مستحيلةً على العربات، فقد كانوا يتنقّلون سيرًا على الأقدام أو على الأحصنة.

جاء البريد متأخّرًا مع أنباء سيّئةٍ من جميع أنحاء المقاطعة. فقد دُمّرت المنازل وقتل الناس وجُرحوا. كان نظام الهاتف والتلغراف بأكمله مضطربًا، وهلكت كلّ الماشية التي فاجأتها العاصفة في الحقول.

ذهب العمّ آبي في الصباح الباكر إلى محلّ الحدادة وقضّى اليوم كلّه هناك. كانت ساعةَ نصره، وقد استمتع بها إلى أقصى حدٍّ. من الظّلم القول إنّ هذه العاصفة أسعدته، ولكن لأنّها حدثت فعلًا، فقد سعد كثيرًا لأنّه توقّعها وحدّد يوم وقوعها بدقّةٍ. لقد نسي أنّه نفى توقّع اليوم. أمّا فارِق الوقت فلم يكن مهمًّا.

جاء جيلبرت إلى غرين غابلز في اليوم نفسه. ووجد آن وماريلّا منهمكتين في تسمير قماشات على النوافذ المكسورة.

تنهّدت ماريلّا:

- الرّبّ وحده يعلم متى سنتمكّن من توفير البلّور، لقد ذهب السّيّد باري إلى كارمودي اليوم بعد منتصف النّهار، ولم يستطع الحصول على مربّعٍ بلّوريٍّ واحدٍ. منذ العاشرة صباحًا، خطف متساكنو كارمودي كلّ البلّور الذي كان في محلاّت لاوسون وبلير. هل كانت العاصفة مريعةً هكذا في وايت ساندز يا جيلبرت؟

- نعم، لقد ظللتُ محجوزًا في المدرسة مع الأطفال، واعتقدت أنّ بعضهم سوف يجنّون من الرّعب. فقد أغمي على ثلاثةٍ منهم. وأصابت فتاتان منهم نوبةٌ عصبيّةٌ، أمّا تومي بلويت فلم يتوقّف عن الصّراخ طوال المدّة التي استغرقتها العاصفة.

قال دايفي:

- أنا لم أصرخ سوى مرّةٍ واحدةٍ.

وتابع بحزنٍ:

ولكنّ حديقتي دُمّرَت بأكملها.

ثمّ أضاف وكأنّه يجد في ذلك بعضَ المواساة:

- وحديقة دورا أيضًا.

جاءت آن راكضةً من الجناح الغربيّ للبيت.

- أوه جيلبرت، هل سمعت الأخبار؟ لقد ضربت العاصفة بيت السّيّد بولتر وسوّتها بالأرض. لا شكّ أنّي شرّيرة جدًّا لأقول هذا، ولكنّ الأمر أسعدني كثيرًا. يقول السّيّد بولتر إنّ الجمعيّة قد لجأت إلى السّحر لجعل هذه العاصفة تحدث.

أجاب جيلبرت ضاحكا:

- حسنًا، ثمّة أمرٌ واحدٌ مؤكّدٌ، لقد صنع المُلاحظ سمعة العمّ آبي بوصفه عالمًا في الطّقس. سوف تدخل عاصفة العمّ آبي التاريخ المحلّي. إنّها صدفةٌ عجيبةٌ أن تحدث في اليوم نفسه

الذي اخترناه. أشعر ببعض الذّنب. كأنّي قد استعملت السّحر فعلًا. بإمكاننا أن نسعد بانهيار البيت القديم، لأنّ بقيّة ما حدث ليس ورديًّا جدًّا. ولاسيّما عندما نفكّر أنّه لا شجرة واحدةً من أشجارنا قد نجت.

استخلصت آن بنبرة تفلسُفٍ:

- ليس أمامنا سوى غراسة أشجارٍ أخرى في الربيع المقبل. هو ذا جانبٌ إيجابيٌّ من عالمنا. إنّنا متأكّدون دومًا من قدوم ربيعٍ آخر.

(25)
فضيحة في أفونليا

في صباح يومٍ مبهجٍ من شهر جوان، بعد أسبوعَين من عاصفة العمّ آبي، سارت آن ببطءٍ عبر ساحة غرين غابلز قادمةً من الحديقة، وهي تحمل في يديها براعم نرجستَين بيضاوين.

قالت بحزن ورفعت الزهور أمام عيني ماريلّا القاتمتين:

- انظري.

كان شعر هذه الثانية ملفوفًا في مئزرٍ من القماش القطنيّ الأخضر. وقد عادت لتوّها إلى البيت بدجاجةٍ منتفشة الريش.

تابعت آن:

- هذه هي البراعم الوحيدة الناجية من العاصفة. وهي غير مكتملةٍ. أنا آسفة جدًّا. أردت وضع بعضها على قبر ماثيوز. لطالما كان مولعًا جدًّا بنرجسات شهر جوان.

اعترفت ماريلّا:

- أنا نفسي أفتقدها، على أنّه لا يبدو من الصواب أن نبكي الأزهار وقد حدثت أشياء عديدةٌ أسوأ من ذلك. فقد دُمّرت جميع محاصيل الحبوب والفاكهة.

أجابت آن بنبرةٍ مُطمئنّةٍ:

- ولكنّ المزارعين بذروا قمحهم من جديدٍ، وبحسب السّيّد هاريسون، إذا واتانا صيفٌ جيّدٌ، فالمحصول سيكون جيّدًا، ولكن متأخّرًا نسبيًّا. أمّا خضاري فهي تنمو بشكلٍ جيّد. ومع ذلك لا شيء يمكنه تعويض زنابق شهر جوان. لن تحصل عليها المسكينة هستر غراي هي أيضًا. فقد ذهبتُ إلى حديقتها مساء الأمس لأتفقّدها. ووجدتُ كلّ شيءٍ دُمّر. أنا متأكّدةٌ من أنّها ستفتقد زنابقها.

قالت ماريلّا بصرامةٍ:

- يجب ألّا تتحدّثي هكذا يا آن، حقًّا. لقد ماتت هستر غراي منذ ثلاثين سنةً وروحها في الجنّة الآن. هذا ما آمله على الأقلّ.

أجابت آن:

- أعرف هذا، ولكنّي أحسبُها تتذكّر حديقتها دومًا وأظنّها ما تزال تحبّها.

- لديّ قناعة بأنّي مهما بلغت المدّة التي سأقضّيها في السّماء، فسوف أرغب دومًا في النّظر إلى أسفل ورؤية كيف يضع الناس الأزهار على قبري. لو أنّ لي حديقةً مثل هستر غراي، فسوف أحتاج إلى أكثر من ثلاثين سنةً لنسيانها ومواساة نفسي لأنّي لم أعد قادرةً على رؤية روعتها.

احتجّت ماريلّا بلطفٍ وهي تدخل البيت حاملةً الدجاجة:

- حسنًا، احذري أن تقولي هذا أمام التّوأم.

ثبّتت آن نرجستَيها في شعرها وسارت نحو الحاجز، وهناك وقفت قليلًا لتستمتع بشمس جوان قبل أن تتفرّغ لأداء واجبات يوم السبت. كانت الحياة تستعيد جمالها مرّةً أخرى، والأمّ الطبيعةُ تبذل قصارى جهدها لإزالة آثار العاصفة. وعلى الرغم من أنّها لم تنجح بشكلٍ كاملٍ، فقد حقّقت العجائب فعلًا.

قالت آن لطائرٍ أزرق كان يغنّي ويتأرجح على غصن شجرة صفصافٍ:

- أتمنّى البقاء خاملةً طوال اليوم، لكن المعلّمة التي تساعد في تربية التوأم، لا يمكنها الانغماس في الكسل أيّها الطّائر الصّغير. إنّ غناءك ينجح في التّعبير عن مشاعري أفضل بكثيرٍ ممّا أستطيع. مَن القادم مِن هناك؟

كانت عربةً سريعةً تهتزّ في الطريق، وعلى مقعدها الأماميّ يجلس شخصان وفي خلفها وُضع جذعٌ كبيرٌ. عندما اقتربت تعرّفت آن على السائق. كان ابن وكيل المحطّة في برايت ريفر. لكنّ رفيقته بدت غريبةً، امرأةً قصيرةً قفزت برشاقةٍ عند البوابة حتّى قبل أن يتوقّف الحصان. كانت قصيرةً جدًّا، من الواضح أنّها تقارب الخمسين من عمرها، ولكن مع خدَّين متورّدين وعينين سوداوين برّاقتين، وشعرٍ أسود لامعٍ، تعلوه قبّعةٌ رائعةٌ زُيِّنت بالأزهار والريش. ورغم أنّها قادت العربةَ لثمانية أميالٍ على طريقٍ مغبّرٍ، فقد كانت نظيفةً كما لو أنّها خرجت للتوّ من صندوق العجائب الشّهير.

سألت على نحوٍ مباشرٍ:

- هل السّيّد م. جيمس هاريسون يسكن هنا؟

أجابت آن، وقد عادت لتوّها من دهشتها:

- لا، منزله هناك.

وشوشت المرأة الصغيرة:

- بدا لي أيضًا أنّ هذا المكان منظّمٌ جدًّا، أكثر نظامًا من أن يكون بيت السّيّد جيمس أ. إلّا إذا كان قد تغيّر منذ زمنٍ بعيدٍ.

وأضافت:

- هل صحيحٌ أنّ جيمس. أ. سوف يتزوّج امرأةً من هذه القرية؟

صرخت آن بنبرة لوم حادٍّ، حتّى إنّ الغريبة رمقتها بفضولٍ، كما لو اشتبهت في أنّها تخطّط للزّواج من السّيد هاريسون:

- لا، أوه لا.

قالت الغريبة الجميلة بإصرارٍ:

- ومع ذلك، قرأت الخبر في جريدة الجزيرة، لقد أرسلت إليّ صديقةٌ نسخةً مُعلَّمةً. كثيرًا ما يفعل الأصدقاء مثل هذه الأشياء. كان اسم السّيّد جيمس أ. مكتوبًا فوق «مواطن جديد».

غمغمت آن:

- أوه، لقد كانت مجرّد دعابةٍ. فالسّيّد هاريسون لا ينوي الزّواج من أيّ أحدٍ، أؤكّد لك ذلك.

قالت السيّدة ذات الخدّين الورديّين وهي تعود برشاقةٍ إلى مقعدها في العربة:

- أنا سعيدةٌ جدًّا لسماع ذلك.

وأضافت:

- لأنّه متزوّجٌ. وأنا زوجته. أوه، قد تبدين متفاجئةً. أفترض أنّه كان يتنكّر في زيّ أعزب ويكسِر القلوب يمينًا ويسارًا. حسنًا يا جيمس أ.

أومأت برأسها ناظرةً إلى البيت الأبيض الطويل وقالت:

- لقد انتهت متعتك، فأنا هنا. رغم أنّه ما كان لي أن أزعج نفسي بالمجيء لو فكّرت أنّك ستتعرّض للأذى.

ثمّ تساءلت ناظرةً إلى آن:

- هل مازال ببّغاؤه ذاك يشْتمُ كالعادة؟

قالت آن المسكينةُ بصوتٍ مخنوقٍ، حتّى إنّها نسيت اسمها في تلك اللّحظة:

- لقد مات ببّغاؤه... مات... في ما أظنّ.

صرخت السيّدة ذات الوجه المورَّد بابتهاجٍ:

- مات!، يمكنني التّفاهم مع جيمس أ. مادام هذا الطّائر بعيدًا عنّي.

ومع عباراتها الغامضة هذه، تابعت طريقها بمرحٍ، بينما سارعت آن نحو المطبخ للقاء ماريلّا.

- من كانت تلك المرأة يا آن؟

قالت آن بنبرةٍ جادّةٍ، ولكن بعينين راقصتين:

- ماريلّا، هل يبدو أنّي فقدت عقلي؟

أجابت ماريلّا دون أيّ نيّةٍ في السخريّة:

- ليس أكثر من المعتاد.

- حسنًا، هل أنا مستيقظةٌ؟

- آن، توقّفي عن الهراء وأخبريني مَن كانت تلك المرأة.

- ماريلّا، إن لم أكن مجنونةً أو نائمةً فهذا يعني أنّ تلك المرأة ليست حلمًا وأنّها حقيقيّةٌ. على أيّ حالٍ، أنا متأكّدةٌ من أنّني لن أتمكّن مطلقًا من تخيّل قبّعةٍ مماثلةٍ. ماريلّا، تقول هذه الغريبة إنّها زوجة السيّد هاريسون!

جاء دور ماريلّا في الاندهاش:

- زوجته! آن شيرلي! لماذا إذَن يدّعي أنّه أعزب؟

احتجّت آن، محاولةً أن تكون عادلةً:

- لكنّه لم يفعل ذلك إطلاقًا، لم يدّع قطُّ أنّه ليس متزوّجًا. النّاس هم من سارعوا إلى هذا الاستنتاج. أوه ماريلّا، أتساءل ما رأي السّيّدة لينـد في هذا.

عرفتا رأيها عندما جاءت في ذلك المساء لتزورهما. لم تكن

السّيّدة ليند متفاجئةً على الإطلاق. لطالما شكّت في أمرٍ مّا كهذا، ولم تتوقّف عن الاعتقاد في غموضٍ مّا يحيط بالسّيّد هاريسون.

قالت بسخطٍ:

- أن يهجر زوجته!

وأضافت:

- قرأت أمرًا مماثلًا حدث في الولايات المتّحدة، ولكن من كان يتوقّع حدوثه هنا في أفونلي؟

احتجّت آن، مصرّةً على الإيمان ببراءة صديقها حتّى تثبت إدانته:

- ولكنّنا لا نعرف ما إذا كان هجرها أم لا»، وأردفت: «نحن لا نعرف شيئًا عن الحكاية.

قالت السّيّدة ليند، الّتي لا تعرف معنى كلمة رقّةٍ:

- حسنًا، سنعرف ذلك قريبًا. لم أكن أعرف أي شيءٍ عن قدومها. والسيّد هاريسون ذهب إلى كارمودي اليوم لإحضار بعض الأدوية لتوماس. سيكون هذا عذرًا جيّدًا. سأذهب لاكتشاف القصّة كاملةً، وسأخبركما في طريق العودة.

هرعت السيّدة ليند إلى مكانٍ لم تكن آن تجرؤ على وضع قدميها فيه. لم تكن ستذهب عند السّيّد هاريسون مهما يكن المقابل. ولكن كان لها بطبيعة الحال نصيبُها الطبيعيّ من الفضول، وشعرت بسعادةٍ خفيّةٍ لأنّ السيّدة ليند ستحلّ اللغز. انتظرت هي وماريلّا عودتَها، لكن دون جدوى. لم تزر السيّدة ليند جرين غابلز تلك الليلة. وعند

وصول دايفي إلى البيت من عند عائلة بولتر في الساعة التاسعة، أوضح السبب:

- قابلتُ السيّدة ليند وامرأةً غريبةً قرب الوادي. يا إلهي كيف كانتا تتحدّثان في آنٍ واحدٍ! أوصتني السيّدة ليند أن أخبركما بأنّها آسفة لأنّ الوقت قد تأخّر عن المجيء ليلة البارحة. آن، يكاد الجوع يقتلني. تناولنا الشاي عند ميلتي في الرابعة وأعتقد أنّ السيّدة بولتر شرّيرةٌ حقًّا. فهي لم تقدّم لنا أيّ مربّى أو مرطّبات، وحتّى الخبز كان يابسًا.

- دايفي، يجب ألّا تنتقد الطّعام المقدَّم لك عندما يدعوك النّاس. هذا يعدّ قلّة حياءٍ!

وافق ديفي بمرحٍ: حسنًا سوف أكتفي بالتفكير في ذلك فحسب. وقال: هلّا قدّمت لي العشاء يا آن.

نظرت آن إلى ماريلّا، وتبعتها إلى المطبخ وأغلقت الباب بحذرٍ.

- يمكنك أن تقدّمي له بعض الخبز بالمربّى يا آن. أعرف جيّدًا كيف يكون تناول الشاي في بيت ليفي بولتر.

أخذ دايفي قطعة الخبز بالمربّى وهو يتحسّر. وقال:

- إنّه عالمٌ مخيّبٌ للآمال على كلّ حالٍ، تعاني قطّة ميلتي من تشنّجاتٍ. إنّها تعاني من نوباتٍ كلّ يوم على امتداد ثلاثة أسابيع. يقول ميلتي إنّ من الممتع جدًّا مشاهدتها. وقد ذهبت اليوم لرؤيتها، لكنّ القطّة العجوز الشرّيرة لم تظهر لنا شيئًا، وظلّت بصحّةٍ جيّدةٍ طوال اليوم. انتظرناها أنا وميلي

طوال فترة ما بعد الظهر. ولكن لا بأس.

توهّج دايفي بعد أن أعاد إليه مربّى الخوخ طاقتَه:

- قد أراها في وقت مّا آخر. فالقطّة المعتادة على مثل تلك التشنّجات لا يمكن أن تتوقّف فجأةً، أليس كذلك؟ هذا المربّى رائعٌ جدًّا.

ليس لدايفي أحزانٌ يعجز مربّى الخوخ عن تخفيفها.

مرّ يوم الأحد كئيبًا، فقد أمطرت طوال اليوم ولم تكن في الخارج أيّ حركةٍ. أمّا يوم الاثنين، فقد سمع الجميع نسخةً من حكاية السّيّد هاريسون. كانت تتردّد في المدرسةِ، وعاد دايفي إلى المنزل محمّلًا بالمعلومات:

- ماريلّا، لدى السيّد هاريسون زوجةٌ جديدةٌ. ليست جديدةً بالمعنى الحرفيّ، ولكنّ ميلتي يقول إنّهما توقّفا منذ فترةٍ طويلةٍ عن كونهما متزوّجين. لطالما اعتقدت أنّ النّاس يظلّون متزوّجين إلى الأبد إذا ما تزوّجوا. ولكنّ ميلتي يقول إنّ هناك وسائل لإيقاف الزواج، إذا لم يعد هناك تفاهمٌ بين الزوجين. يقول مثلًا إنّ بإمكان الإنسان أن يترك زوجته ويذهب، وهو ما فعله السّيّد هاريسون. يقول إنّه ترك زوجته لأنّها ترميه بأشياء على رأسه، أشياء صلبةٍ. أمّا آرتي سلون فيقول إنّه تركها لأنّها تمنعه من التّدخين ويذكر نيد كلاي أنّ السبب هو كونها لا تتوقّف عن التذمّر وعن لومه. أمّا أنا فلن أترك زوجتي بسبب هذا. سوف أنظر إليها في

عينيها وأقول يا سيّدة دايفي، عليك أن تفعلي ما أريده تمامًا، لأنّي أنا الرّجل. أعتقد أنّ هذا بإمكانه أن يهدّئها. أمّا أنيتا كلاي فتقول إنّ زوجة السّيد هاريسون هي التي تركته لأنّه لا يمسح أحذيته المطّاطيّة مطلقًا عندما يدخل إلى البيت، وهي لا تلومها على ذلك. سوف أذهب إلى بيت السيّد هاريسون لأرى كيف تبدو زوجته.

سرعان ما عاد دايفي، وعليه شيءٌ من خيبة الأمل.

- لم تكن السيّدة هاريسون هناك. لقد ذهبت إلى كارمودي مع السيّدة راشيل ليند لشراء ورق زينةٍ جديدٍ للصالون. آن، السيّد هاريسون يطلب منك زيارته، لأنّه يريد الحديث معك. لاحظت أنّ الأرضيّة نظيفةٌ، وذقن السيّد هاريسون حليقٌ بالرغم من عدم وجود صلاةٍ يوم أمس.

صَعُب على آن التعرّف إلى مطبخ السيّد هاريسون، فقد نُظِّفت الأرضيّة بالفعل حتّى أصبحت نقيّةً، وكذا كلّ قطعة أثاثٍ في الغرفة. كان الموقد مصقولًا، حتّى إنّها رأت فيه انعكاس وجهها. وبدت الجدران بيضاء وزجاج النوافذ يلمع في ضوء الشمس. وقد جلس السيّد هاريسون إلى الطّاولة بملابس عمله. كانت يوم الجمعة الفارط مخرّمةً وممزّقةً، أمّا الآن فهي مرمّمةٌ بدقّةٍ. وقد حلق ذقنه بأناقةٍ وقصّ شعره بعنايةٍ.

قال السيّد هاريسون في نبرةٍ تذكّر بتلك المستخدمة من أهالي أفونليا في الجنازات:

- اجلسي يا آن، اجلسي. لقد ذهبت إميلي إلى كارمودي مع راشيل ليند. وقد وطّدت معها صداقةً مدى الحياة. إنّ روح التناقض عند النساء مثيرةٌ حقًّا. لقد انتهت أيّامي السعيدة يا آن. انتهى كلّ شيءٍ. فبدايةً من الآن، أظنّ أنّ الحكم سيكون للنظام والنظافة في ما تبقّى حياتي، هكذا أعتقد.

بذل السيّد هاريسون كلّ ما في وسعه للتحدّث بنبرةٍ حزينةٍ، لكنّ وميض عينيه خانه.

قالت آن وهي توجّه إصبعها نحوه:

- سيّد هاريسون، عودة زوجتك تسعدك. لا تتظاهر بعكس ذلك، لأنّي أراه بوضوحٍ.

خبّأ ابتسامةً خجولةً.

ثمّ قال معترفًا:

- حسنًا، لنقل إنّي أتعوّد على الفكرة. لا يمكنني القول إنّي غضبت لرؤية إيميلي. فالرجل يحتاج إلى حمايةٍ في قريةٍ مثل هذه، حيث لا يمكنك لعب مباراة شطرنج مع جارك دون أن تُتّهم بأنّك تُغازل أخته قبل نَشْر ذلك في صحيفةٍ.

لاحظت آن بصرامةٍ:

- ما كان لأحدٍ أن يتّهمك بالخروج مع إيزابيلا آندروز، لو لم تدّعِ أنّك أعزب.

- لم أتظاهر بأنّني كذلك. ولو سألني أحدٌ مّا عمّا إذا كنت متزوجًا لأجبتُ بنعم. لكنهم سلّموا بالأمر. لم أكن راغبًا

في الحديث عن هذا الأمر. كنت أشعر بألمٍ شديدٍ إزاء ذلك. كان للسيّدة راشيل لِيند أن تسعدَ لو عرفت أنّ زوجتي تركتني، أليس كذلك؟

- ومع ذلك يؤكّد بعض الأشخاص أنّك أنتَ من تركها.

- لقد بدأت هي بذلك يا آن. حسنًا سأخبرك بكلّ شيءٍ، فأنا لا أريدك أن تظنّي بي السوء أكثر ممّا أستحقّ، ولا بإميلي أيضًا. دعينا نخرج إلى الشرفة. كلّ شيءٍ هنا في غاية النظافة إلى درجةٍ تجعلني أشعر بالحنين. مؤكّدٌ أنّي سأعتاد ذلك بعد فترةٍ. أمّا الآن، فأنا أفضّل النظر إلى السّاحة. لم يتسنَّ لإميلي بعدُ ما يكفي من وقتٍ لترتيبها.

ومنذ أن جلسا براحةٍ في الشرفة بدأ السيّد هاريسون يروي محنته.

- قبل مجيئي إلى هنا يا آن، عشتُ في «سكوتسفورد»، «نيو برونزويك». وكانت أختي تهتمّ بالبيت، وكنّا نتفاهم جيّدًا. كانت مرتّبةً بشكلٍ معقولٍ، تتركني على سجيّتي وتدلّلني، كما تقول إميلي. لكنّها ماتت قبل ثلاث سنواتٍ. وكانت قبل موتها قلقةً بشأن مصيري. وأخيرًا جعلتني أعدها بأن أتزوّج. نصحتني بالزواج من إميلي سكوت، لأنّها تمتلك المال وهي ربّة بيتٍ ممتازةٌ. أجبتها: «إميلي سكوت لا أظنّها حتّى تنظر إليّ.» فقالت: «اطلب منها ذلك وسترى.» وكي أهوّن عليها وعدتها بأنّني سأفعل ذلك، وفعلت. وقالت إميلي إنّها ستتزوّجني. لم أفاجأ قطُّ في حياتي هكذا يا آن.

امرأةٌ جميلةٌ وذكيّةٌ مثلها وعجوزٌ مثلي. اعتقدت في البداية أنّني محظوظٌ. حسنًا، لقد تزوّجنا وذهبنا في رحلة زفافٍ صغيرةٍ إلى سانت جون لمدّة أسبوعين ثمّ عدنا. وصلنا إلى المنزل في الساعة العاشرة ليلًا، وأقسم لك يا آن، أنّ تلك المرأة بدأت في غضون نصف ساعةٍ تنظّف المنزل. أوه، أعلم أنّك تفكّرين الآن في أنّ منزلي كان يحتاج إلى ذلك. لديك وجهٌ معبّرٌ جدًّا يا آن. نقرأ عليه أفكارك كأنّه كتابٌ مفتوحٌ. لكنّ هذا غير صحيحٍ، لم يكن البيت على تلك الدّرجة من السوء. لقد تجاوزتني أشياء كثيرةٌ عندما كنت أعزب، أعترف بذلك. قبل الزواج، كنت أطلب من امرأةٍ أن تأتي وتنظّف البيت. ولكنّي قمت بإصلاحاتٍ وطَليتُ أشياء عديدةً. إذا اصطحبت إيميلي إلى قصر جديدٍ من الرخام الأبيض، فستبدأ في فركِ الأرضيّة على الفور، بمجرّد أن تنتهي من ارتداء فستانٍ قديم. وهكذا نظّفت المنزل حتّى السّاعة الواحدة من تلك اللّيلة. واستيقظت عند الرابعة وبدأت التنظيف مرّةً أخرى. وواصلت على هذا النحو، حتّى بدا لي أنّها لم تتوقّف البتّة. لقد كان تنظيفًا ومسحًا ونفضًا للغبار طوال اليوم، ما عدا أيّام الأحد، التي تقضّيها في انتظار يوم الاثنين لتبدأ من جديدٍ. كانت تلك طريقتها في تسلية نفسها وكان بإمكاني قبول ذلك لو تركتني وشأني. لكنّها لم تفعل. شرعت في تربيتي من جديدٍ، غير أنّها لم تعثر عليّ وبي ما يكفي من الصغر. لم يكن يُسمح لي بالدخول

إلى المنزل ما لم أغيّر أحذيتي المطّاطيّة بنعلٍ عند الباب. لم أكن أجرؤ على تدخين غليوني إلّا في الحظيرة. وكانت هناك مشاكل عديدةٌ في النحو عندما أتكلّم. كانت إيميلي معلّمة مدرسةٍ في سنوات شبابها، ولم تنسَ الأمر على الإطلاق.

وفوق ذلك، كانت تكره رؤيتي آكل بسكّيني. هكذا تسير الأمور، تذمّرٌ وأوامر ليل نهار. لكن يا آن، كي أكون عادلًا، لم يكن العيش معي سهلًا أيضًا. لم أبذل جهدًا كافيًا لأطوّر من نفسي. كنت أردّ الفعل ببغضٍ وغضبٍ كبيرٍ عندما تنبّهني إلى خَطَأ. أخبرتها ذات يومٍ أنّها لم تَشْكُ من أخطائي في النحو عندما تقدّمتُ لها. لم يكنْ قول شيءٍ كهذا لبقًا منّي. قد تسامح المرأة الرجل على ضربها، ولا تسامحه على التلميح إلى أنّها سعدت كثيرًا بالزواج. حسنًا، لقد تشاجرنا هكذا طويلًا ولم يكن الأمر ممتعًا بالمرّة. لكن لعلّ أحدنا اعتاد على الآخر لولا جنجر. كان القطرة التي أفاضت الكأس. لم تكن إيميلي متعوّدةً على الببّغاوات، ولم تستطع التسامح مع شتائم جنجر. أمّا أنا، فقد تعلّقتُ بذاك الطائر كذكرى عن أخي البحّار. كان صديقي المفضّل ونحن صبيّان، وقد أرسل إليّ جنجر وهو يحتضر. لم أجد فائدةً في محاولة تأديبه. لا شيء يرعبني أكثر من قلّة حياء البشر، ولكن يمكننا أن نتسامح مع ببّغاء لم يفعل شيئًا غير تكرار ما سمعه دون أن يفهم، تمامًا مثلما لا أفهم أنا الصّينيّة. إيميلي لا ترى الأشياء من زاوية النظر نفسها. النساء يفتقرن إلى المنطق. فقد بدأت

تبذل جهدًا كي تُخلّصه من عادة الشّتم، لكنّها لم تحظَ بالحدّ الأدنى من النجاح. تمامًا مثلما لم تنجح في تصحيح بعض أخطائي النحويّة. بدا أنّ جنجر يزداد سوءًا كلّما حاولت هي أكثر. تمامًا مثلي أنا.

- استمرّت الأمور على هذا النحو، وكنّا نزداد غلظةً، حتّى بلغنا الذروة. دعت إميلي قسّيس بلدتنا وزوجته لتناول الشاي، مع قسّيس آخر وزوجته كانت تزورهما. وعدتها بوضع جنجر بعيدًا حيث لا يسمعه أحدٌ. لم تكن إيميلي تلمس قفصه ولو بمكنسة يبلغ طولها عشرة أقدام. وكنت أنوي فعل ذلك حقًّا، لأنّي لم أرد أن يسمع القسّيسان أيّ شيءٍ مثيرٍ للاستياء في بيتي. لكن على نحو مّا نسيت ذلك تمامًا. وليس هذا أمرًا عجيبًا فقد كانت إميلي تزعجني كثيرًا بشأن الملابس النظيفة والانتباه إلى أخطاء النحو في كلامي. ولم أفكّر مطلقًا في ذاك الببّغاء المسكين حتّى جلسنا لتناول الشاي. لحظةَ بدأ القسّ الأوّل يتلو صلوات شكره، رفع جنجر صوته، وكان في الشرفة قبالة نافذة غرفة الطعام. لقد رأى الدّيك في الساحة وكان لرؤيته تأثيرٌ سلبيٌّ كبير على جنجر. هذه المرّة أعترف أنّه بالغ كثيرًا.

ابتسمي كما شئت يا آن. لا أنكر أنّني أضحك كلّما تذكّرت الحادثة. لكن في ذلك الوقت شعرت بالحرج الشديد تمامًا مثل إميلي. خرجتُ وحملت جنجر إلى الحظيرة. لا أستطيع القول إنّي استمتعت بطعامي. كان يكفيني النّظر نحو إيميلي

لأعرف أنّ هناك مشاكل كثيرةً تتخمّر لي ولجنجر. بعد مغادرة الضّيوف، ذهبت لأحضر الأبقار من المرعى. وعندما فكّرت في الأمر، شعرت بالأسف تجاه إيميلي. فكّرت بأنّي لم أعرها ما يكفي من احترام. ومن جهةٍ أخرى، تساءلت عمّا إذا كان القسّيسان قد فكّرا في أنّ جنجر تعلّم شتائمه منّي. في النهاية، قرّرت أنّه يجب التخلّص من جنجر، ولكن بطريقةٍ لائقةٍ. عندما أعدت الأبقار إلى المنزل، ذهبت لأخبر إميلي بذلك. لكنّها لم تكن هناك. وجدت فقط رسالةً على الطاولة، تمامًا كما في الروايات. كتبت إميلي أنّ عليّ الاختيار بينها وبين جنجر. لقد ذهبت إلى منزل والديها وستبقى هناك حتّى أذهب وأخبرها بأنّي تخلّصت من الببّغاء.

- كنت مستاءً جدًا يا آن، وقلت إنّها قد تبقى حتّى يوم القيامة إذا ما تمسّكتُ به. وهذا ما فعلت، جمعت كلّ أشيائها الخاصّة وأرسلتها إليها. جرى حديثٌ كثيرٌ. كانت قرية سكوتسفورد تنافس أفونليا في النميمة. والجميع تعاطفوا مع إيميلي، وهو ما لم يساعد مطلقًا في تهدِئتي. وفهمتُ أنّ عليّ الخروج وإلّا فلن أحصل على أيّ سلامٍ أبدًا. فكّرت في المجيء إلى الجزيرة. عشت هنا عندما كنتُ شابًّا وأحببت المكان كثيرًا. لطالما قالت إيميلي إنّها لن تعيش أبدًا في مكانٍ يخشى الناس فيه الخروج ليلًا خوفًا من السّقوط من فوق الحافّة. وهكذا، فقط حتّى أعارضها، جئت إلى هنا. هذه هي الحكاية يا آن. ولم أتلقّ أخبارًا من إيميلي مطلقًا قبل أن أعود

من الحقل السبت الماضي وأجدها تفرك الأرضيّة بالمكنسة. وكان العشاء جاهزًا على الطّاولة، وهي الوجبة الوحيدة المحترمة التي حظيتُ بها منذ رحيلها. طلبت منّي أن أبدأ بالأكل أوّلًا على أن نتحدّث لاحقًا. استنتجت أنّها تعلّمت دروسًا بخصوص طريقة تعاملها مع رجلٍ. إنّها هنا إذَن، وهي تنوي البقاء، مادام جنجر قد مات، والجزيرة بدت لها أوسع ممّا تخيّلت. ها هي قادمةٌ مع السّيّدة ليند. لا، لا تذهبي يا آن. أرغب في أن أعرّفك بإيميلي. لقد ولّدتِ لديها انطباعًا قويًّا السّبت الفارط. إنّها تريد أن تعرف من كانت الشّابّة الصّهباء الجميلة التي تسكن البيت المجاور، مهما يكن الثمن.

حيّت السّيدة هاريسون آن بحرارةٍ وأصرّت على أن تبقى لتناول الشّاي. وقالت:

- حدّثني جيمس أ. عنك كثيرًا. أخبرني كم كنتِ لطيفةً، تعدّين له المرطّبات وكلّ الأشياء الجميلة.

وأضافت:

- أرغب في التّعرّف إلى كلّ جيراني الجدد في أقرب وقتٍ ممكنٍ. السيّدة ليند امرأةٌ ساحرةٌ، وودودةٌ جدًّا.

عندما كانت آن عائدةً إلى البيت في غروب الشمس الجميل من شهر جوان، رافقتها السيّدة هاريسون قليلًا عبر الحقول حيث كانت اليراعات تشعل مصابيحها المتألّقة.

- لا شكّ أنّ أ. جيمس قد روى لكِ حكايتنا.

- نعم.

- إذن أنت لا تحتاجين إلى أن أضيف شيئًا، لأنّ جيمس أ. رجلٌ عادلٌ وصادقٌ. لم يكن الوحيدَ الذي يقع عليه اللوم. أدرك ذلك الآن. لم أكد أقضّي ساعةً في البيت منذ عودتي، حتّى تمنّيت لو أنّي لم أتسرّع منذ البداية. ومع ذلك، لم أكن لأستسلم مطلقًا. أدرك الآن أنّني طلبت الكثير من الرجل. وكنت غبيّةً حقًّا حين نبّهته إلى أخطائه النحويّة. لا يهمّ إذا ارتكب الرّجل أخطاء في النّحو، مادام يكسب عيشه جيّدًا، ولا يجول في غرفة المؤونة لمعرفة كمّيّة السكّر التي استخدمتها في أسبوع. أشعر أنّنا سنكون سعيدَين الآن أنا وجيمس أ. أتمنّى أن أعرف من هو هذا «المُلاحظ»، كاتب المقال، حتّى أشكره. أنا ممتنّةٌ له حقًّا.

حرصت آن على ألّا تكشف لها شيئًا. ولم تعرف السيّدة هاريسون قطّ أنّها قد عبّرت عن امتنانها للشخص المعنيّ. شعرت آن بالحيرة إزاء النتائج البعيدة المدى لتلك «الملاحظات» التي كان القصد منها الضّحك. لقد أصلحا بين رجلٍ وزوجته وصنعا سمعة نبيٍّ.

كانت السيّدة لِيند في مطبخ جرين غابلز، تروي الحكاية كاملة لماريلّا.

سألت السيّدة لِيند:

- حسنًا يا آن، كيف وجدتِ السيّدة هاريسون؟

- إنّها تعجبني كثيرًا. أعتقد أنّها امرأةٌ لطيفةٌ حقًّا.

قالت السيّدة راشيل مؤكّدةً:

- إنّها بالفعل كذلك. وكما قلت الساعةَ لماريلّا، أعتقد أنّ علينا التغاضي عن سيّئات السيّد هاريسون من أجلها، ومحاولةَ إشعارها بأنّها في بيتها هنا. حسنًا، يجب أن أعود. لا شكّ أنّ توماس يحتاج إليّ. فأنا أسمح لنفسي بالخروج قليلًا منذ تعوّدت إليزا على المجيء ومؤانسته. تحسّنت حاله كثيرًا في الأيّام القليلة الماضية، لكنّي لا أحبّ أن أغيب عنه كثيرًا. سمعت أنّ جيلبرت بليث قد استقال من منصبه في وايت ساندز. أعتقد أنّه ينوي مواصلة دراسته في الكلّيّة هذا الخريف.

نظرت السيّدة راشيل بحدّةٍ إلى آن، لكنّ آن انحنت على دايفي الذي داعبه النعاس فوق الأريكة. حملته، وخدُّها يضغط على رأسه الأصفر المجعّد. وبينما كانا يصعدان السّلّم، أحاط دايفي بذراعه المرهقة جِيدَ آن، في عناقٍ دافئٍ، ثمّ طبع على خدّها قبلةً نديّةً.

- أنت لطيفة جدًّا يا آن. كتب ميلتي بولتر اليومَ شيئًا مّا على لوحته وأراه إلى جيني سلون.

«آن:

الأزهار حمراء، والزّنابق زرقاء

العسل حُلوٌ، وكذلك أنتِ

هذا يعبّر تمامًا عن مشاعري تجاهك».

(26)
متغيّرات

انزلق توماس ليند من الحياة بهدوءٍ وسرّيةٍ، تمامًا كما عاشها. كانت زوجته ممرّضةً حنونًا وصبورةً لا تتعب. لقد كانت راشيل صعبةً أحيانًا على توماس وهو في كامل صحّته، عندما يستفزّها بطؤه أو رخاوته. ولكن عندما أصابه المرض، لم يكن يوجد صوتٌ ألطف من صوتها، ولا يدٌ أكثر مهارةً من يدها، ولا عِنايةٌ أكثر تكريسًا من عنايتها. قال ذات مرّةٍ، وهي تجلس بجانبه في الفجر، ممسكةً بيده البيضاء النحيفة في يدها القويّة والمتعوّدة على العمل الشّاق:

- كنت زوجةً صالحة لي يا راشيل، زوجةً صالحةً فعلًا. آسف لأنّي سأغادرك دون أن أترك لك الشّيء الكثير. لكنّ الأطفال سيعتنون بك. إنّهم جميعًا أطفالٌ أذكياء ومقتدرون، تمامًا مثل والدتهم. أمٌّ جيّدةٌ... امرأةٌ جيّدةٌ...

ثمّ نام. وفي صباح الغد، بينما كان الفجر الأبيض يزحف فوق أشجار الصّنوبر المدبّبة حول الوادي، اتّجهت ماريلّا بهدوءٍ إلى الجناح الشرقيّ من البيت وأيقظت آن.

- آن، لقد غادَرَنا توماس ليند. جاء خادمهم للتوّ يعلمني بالخبر. أنا ذاهبةٌ إلى بيتِ راشيل.

في اليوم الذي تلا جنازة توماس ليند، عادت ماريلّا إلى جرين غابلز وبدت مشغولةً على نحوٍ غريبٍ. كانت تنظر إلى آن من حينٍ إلى آخر، وبدت على وشك قول شيءٍ مّا، ثمّ تهزّ رأسها وتزمّ شفتيها. بعد تناول الشاي، ذهبت لترى السيّدة راشيل. وعندما عادت، ذهبت إلى الجناح الشرقيّ من البيت، حيث كانت آن تصحّح الفروض المدرسيّة.

سألتها آن:

- كيف حال السّيّدة ليند هذه اللّيلة؟

أجابت ماريلّا وهي تجلس على سرير آن:

- إنّها أكثر هدوءًا واتّزانًا.

كان الجلوس على سريرٍ منضّدٍ يعدّ خطأً لا يُغتَفر وفقًا لقواعد السّلوك السّليم لدى ماريلّا، وهو ما يكشف اضطرابها غير المعتاد.

وتابعت:

- لكنّها في منتهى الوحدة. كان على إليزا العودة إلى بيتها اليوم. فابنها مريضٌ، وشعرت أنّها لا تستطيع البقاء هناك لفترةٍ أطول.

قالت آن:

- سأذهب للحديث معها بعض الوقت. كنت أنوي الليلة دراسة بعض المقطوعات الموسيقيّة اللّاتينيّة، ولكن يمكنها الانتظار.

قالت ماريلّا بصوتٍ مرتعشٍ:

- أعتقد أنّ جيلبرت بلايث سيرتاد الكلّيّة في الخريف.

ثمّ أردفت:

- هل تريدين الذّهاب أنت أيضًا يا آن؟

نظرت آن نحوها بدهشةٍ.

- أودّ ذلك، بطبيعة الحال يا ماريلّا. لكنّ هذا ليس ممكنًا.

- يبدو لي هذا ممكنًا. لطالما فكّرت أنّ عليك متابعة دراستك. لم يكن سهلًا عليّ بالمرّة التفكير في أنّك قد تتنازلين عن ذلك بسببي.

- ولكنّي يا ماريلا لست نادمةً على ثانيةٍ واحدةٍ قضّيتها في البيت. كنت سعيدةً جدًّا. أتعلمين؟ لقد كانت السّنتان الأخيرتان لذيذَتين بشكلٍ خاصٍّ.

- أوه نعم، أعرف أنّك استمتعت كثيرًا. ولكن ليست هذه هي المشكلة. عليكِ متابعة دراستك. لقد ادّخرتِ ما يكفي من المال لقضاء سنةٍ في ريدموند، وعائداتُ المحصول ستغطّي مصاريفك لسنةٍ أخرى. ثمّ يمكنك الحصول على منحٍ دراسيّةٍ وأشياء مثل هذه.

- بالفعل، ولكنّي لا أستطيع المغادرة يا ماريلّا. لقد تحسّن نظرك، هذا صحيحٌ. ومع ذلك، لا يمكنني تركك وحيدةً مع التّوأم. إنّهما يتطلّبان رعايةً كبيرةً.

- لن أكون وحيدةً معهما. هذا ما أردت الحديث فيه معك. لقد أجريت محادثةً طويلةً مع راشيل اليوم. إنّها قلقةٌ بخصوص

أشياء كثيرةٍ. يبدو أنّهم رهنوا المزرعة قبل ثماني سنواتٍ لمنح ابنهم الصغير مساعدةً عندما هاجر إلى الغرب. ولم يتمكّنوا من دفع المزيد منذ ذلك الحين، لا شيء أكثر من الفائدة. وبطبيعة الحال، لقد كلّفهم مرض توماس الكثير. يجب بيع المزرعة، وتقول راشيل إنّه لن يتبقّ أيّ شيءٍ بعد دفع الفواتير. تقول إنّ عليها الذّهاب للعيش مع إليزا، وفكرة مغادرة «آفونلي» تكسر قلبها. يصعبُ على امرأةٍ في مثل سنّها أن تعقد صداقاتٍ واهتماماتٍ جديدةً. حسنًا يا آن، بما أنّها اعترفت لي بما يقلقها، فقد راودتني الفكرة، أي أن أقترح عليها المجيء والعيش هنا. لكنّي فكّرت أنّ من المستحسن التحدّث معك قبل أن أقترح عليها ذلك. إذا جاءت راشيل للعيش معي، فستستطيعين الذّهاب للدّراسة في الجامعة. ما رأيك؟

قالتْ آن في ذهولٍ:

- أشعرُ كأنّ أحدًا مّا وهبني القمرَ، ولم أعرف تحديدًا ما أفعل به.

- أمّا في خصوصِ دعوةِ السّيدةِ ليند كي تأتي للعيشِ هنا، فهذا قرارك يا ماريلّا. هل تعتقدين... هل أنتِ متأكّدةٌ... أنّ هذا الوضع يلائمك؟ السيدة ليند امرأةٌ طيّبةٌ وجارةٌ جيّدةٌ، لكن... لكن....

- لكنّ لها مساوئها، هل تقصدين هذا؟ حسنًا، معك حقٌّ

طبعًا، لكنّي أفضّل تحمّل مساوئ أفظع بكثيرٍ على أن أرى راشيل تغادر أفونليا. سأفتقدها بشكلٍ رهيبٍ. إنّها صديقتي الوحيدة هنا، وفي غيابها سأضيع. كانت جارتي لخمسةٍ وأربعين عامًا، لم نتشاجر خلالها مطلقًا. على الرغم من أنّنا اقتربنا من ذلك عندما نعتّها بأبشع النعوت حين قالت إنّكِ صهباء بلا سحرٍ. هل تتذكّرين يا آن؟

أجابت آن بحزنٍ:

- طبعًا أتذكّر ذلك، الناس لا ينسون أشياء كهذه. كم كرهت السيدة راشيل المسكينة في تلك اللحظة!

- وعندما أفكّر في اعتذارك منها. أعترف لك بكلّ وعيٍ أنّك لم تمنحيني لحظة راحةٍ واحدةً. لقد شوّشتني ولم أعرف كيف أتحكّم فيك. لقد فهمك ماثيو بشكلٍ أفضلٍ.

قالت آن بنبرتها المتأثّرة، كلّما تحدّثت عنه:

- ماثيو يفهم كلّ شيءٍ.

- أعتقد أنّنا كنّا نحاول، أنا راشيل، ألّا نتصادم في كلّ شيءٍ. بدا لي دومًا أنّ السبب في عدم قدرة امرأتين على التعايش بمنزلٍ واحدٍ هو تشاركهما المطبخ نفسَه ووقوف إحداهما في طريق الأخرى. إذا أتت راشيل إلى هنا، فيمكن أن تأخذ الجناح الشماليّ من غرفة نومها، وتستعمل غرفة الضّيوف مطبخًا، مادمنا لا نحتاج إطلاقًا إلى غرفة ضيوفٍ. يمكنها وضع موقدها وأثاثها هنالك، وتكون مرتاحةً ومستقلّةً

تمامًا. وبطبيعة الحال سيكون لديها ما يكفي من المال للعيش. سيتكفّل أطفالها بذلك. لذا، كلّ ما سأوفّره لها هو الإيواء. نعم يا آن، أعتقد أنّ الوضع يلائمني.

قالت آن على الفور:

- إذَن اقترحي عليها، أنا أيضًا سأكون متأسّفةً جدًّا لرؤية السيّدة راشيل تغادر الجزيرة.

- وإذا جاءت، فستستطيعين الذّهاب إلى الكلّيّة إن شئت. سوف تؤنسني، وتعتني بالتّوأم على نحو ما لم أستطع أنا الاعتناء بهما. وهكذا، لا يبقى لك أيّ عذرٍ في عدم الذّهاب.

أمضت آن فترةً طويلةً في التأمّل عند نافذتها تلك الليلة. كان الفرح والندم يتصارعان في قلبها. لقد وصلت فجأةً وعلى نحوٍ غير متوقَّعٍ إلى مفترق طرقٍ. وكانت الكلّيّة من بين الخيارين مأهولةً بالآمال والرّؤى. لكنّ آن أدركت أيضًا أنّها باختيارها السير في هذا الطّريق، سوف تترك الكثير من الأشياء الجميلة وراءها: كلّ الواجبات والاهتمامات البسيطة الصغيرة التي أصبحت عزيزةً جدًّا عليها في العامين الماضيين، وقد شحذها حماسها بالجمال والبهجة. يجب أن تتخلّى عن مدرستها، وقد أحبّت كلّ واحدٍ من تلاميذها، حتّى الأغبياء منهم والأشرار. إنّ مجرّد التفكير في بول آرفنغ جعلها تتساءل عمّا إذا كانت كلّيّة ريدموند ستعوّض كلّ شيءٍ.

اعترفت آن للقمر:

- لقد نبتت لي جذورٌ صغيرةٌ كثيرةٌ خلال هذين العامين،

وعندما أنسحب، أعرف أنّي سأتأذّى كثيرًا. لكن أعتقد أنّ من الأفضل أن أذهب. وكما قالت ماريلّا، لا يوجد سببٌ وجيهٌ يمنعني من ذلك. يجب أن أخرج طموحاتي من الخزانة وأزيل الغبار عنها.

أرسلت آن استقالتها في الغد. وبعد محادثةٍ حميمةٍ مع ماريلّا، قبلت السّيّدة راشيل بامتنانٍ الانتقالَ للعيش في جرين غابلز. لكنّها اختارت العودة إلى منزلها في الصّيف. لن تُباع المزرعة قبل الخريف، وكانت هناك ترتيباتٌ عديدةٌ يتعيّن إجراؤها.

تنهّدت السيّدة راشيل:

- لم أفكّر مطلقًا في أنّ بإمكاني العيش بعيدًا عن الحركة، وبالأخصّ في جرين غابلز»، ولكن لا يبدو لي جرين غابلز معزولًا كما في السّابق، فآن تستقبل أصدقاء كثيرين، والتوأم يجعلان البيت نابضًا بالحياة. وعلى أيّة حالٍ، أفضّل العيش في قاع بئرٍ، على مغادرة «آفونلي».

سرعان ما أوقع هذان القراران بخبر وصول السيّدة هاريسون في ثرثرات سكّان «آفونلي» اليوميّة. كان الحكماء يهزّون رؤوسهم بسبب تسرّع ماريلّا كثيرت في طلبها من السيّدة راشيل الانتقال للعيش معها. رأى الناس أنّهما لن تتفاهما معًا. كانتا «عنيدتين»، وتمّ توقّع الأسوأ من هذا، دون أيّ تأثيرٍ في الطّرفين المعنيّين. لقد توصّلتا إلى فهمٍ واضحٍ ودقيقٍ لواجبات كلّ واحدةٍ منهما وحقوقها، وكانتا تنويان الالتزام بها.

أعلنت السّيّدة راشيل بحزم:

- لن أتدخّل مطلقًا في شؤونك، ولا أنتِ في شؤوني، سوف أبذل ما في وسعي من أجل التّوأم، وبكلّ سرورٍ. ولكن لا يجب التّعويل عليّ في الإجابة على أسئلة دايفي. لستُ موسوعةً ولا محامي فيلادلفيا. سوف تشتاقين إلى آن في هذا الأمر.

لاحظت ماريلّا:

- أحيانًا تبدو إجابات آن على درجة الغرابة نفسها التي في أسئلة دايفي. من المؤكّد أنّ التّوأم سيفتقدها، ولكن يجب ألّا تضحّي بمستقبلها من أجل عطش دايفي إلى المعرفة. عندما يطرح أسئلةً تستحيل عليّ الإجابة عنها، أخبره بكلّ بساطةٍ أنّ الأطفال لم يُخلقوا ليُسمعوا، وإنّما لنمتّع الأنظار بهم. لقد رُبّيت على هذا النّحو، وأعتقد أنّ هذا يساوي تمامًا كلّ طرق تربية الأطفال الحديثة.

لاحظت السّيّدة لينـد باسمة:

- ولكن يبدو أنّ طُرق آن تتماشى جيّدًا مع دايفي. فطبعه قد أُصلح بشكلٍ كبيرٍ جدًّا.

قالت ماريلّا:

- ليس صبيًّا شرّيرًا. لم أتوقّع على الإطلاق أن أتعلّق بالطفلين بهذه الطّريقة. دايفي يخدعك على الدّوام، بطريقةٍ أو بأخرى، أمّا دورا فهي طفلةٌ صغيرةٌ رائعةٌ، رغم أنّها.. ماذا أقول.. أنّها..

قالت السّيّدة راشيل:

- مُملّةٌ؟ هذا صحيحٌ تمامًا. مثل كتابٍ تتشابه كلّ صفحاته، هذا هو. سوف تصبح دورا امرأةً موثوقةً وجيّدةً، لكنّها لن تُبهر إطلاقًا. من المُطمئِن الاعتماد على هذا النّوع من الأشخاص، حتّى وإن لم يقدّموا إضافةً أو أهمّيّةً أكثر من الأشخاص الآخرين.

ربّما كان جيلبرت بليث الوحيد الذي سعد كثيرًا عندما سمع خبر استقالة آن. أمّا تلاميذها فقد تعاملوا مع الأمر على أنّه كارثةٌ محضٌ. عانت أنيتا بيل من نوبةٍ هستيريّةٍ عندما عادت إلى المنزل. أمّا أنتوني باي فقد خاض معركتين ضاريتين بلا سببٍ مع أولادٍ في الخارج كي يخفّف من انفعاله. بكت باربرا شو طوال الليل. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ بول آرفنغ تحدّى جدّته قائلًا إنّ عليها ألّا تتوقّع منه أكلَ شيءٍ على مدى أسبوعٍ.

قال:

- لا يمكنني ذلك يا جدّتي. لا أعرف حقًّا ما إذا كنت أستطيع ازدراد لقمةٍ واحدةٍ. أشعر وكأنّ هناك كرةً مخيفةً في حلقي. كنت سأبكي عند عودتي من المدرسة لو لم يكن جاك دونيل يراقبني. أعتقد أنّني سأبكي عندما أخلد إلى النّوم. لن أستيقظ بعينين محمرّتين غدًا، أليس كذلك؟ البكاء يريحني كثيرًا. على أيّة حالٍ، لا يمكنني أكل العصيدة. سأحتاج إلى كامل طاقتي كي أتحمّل هذا السّوء يا جدّتي، ولن تتبقّى

لي أيّ طاقةٍ لتحمّل العصيدة. أوه، جدّتي، لا أعرف ماذا سأفعل عندما ترحل معلّمتي الجميلة. يقول ميلتي بولتر إنّه يراهن على أن تحصل جين أندروز على مكان آن. أعتقد أنّها لطيفةٌ. لكنّها لن تفهم الأشياء مثل الآنسة شيرلي.

تلقّت ديانا الخبر بشعورٍ سيّئٍ هي أيضًا.

قالت بحزنٍ:

- سوف أشعر بوحدةٍ رهيبةٍ هنا الشّتاء المقبل.

عندما تلألأتْ أغصانُ الكرز فضّيّةً على ضوء القمرِ، وسبح منزل «جرين غابلز» في إشراقٍ ناعمٍ يشبه الحلم، جلستِ الفتاتان تتحدثانِ، آن على كرسيِّها الهزّازِ المنخفضِ بجوارِ النّافذةِ، وديانا مقرفصة على السّرير.

- سترحلين أنت وجيلبرت. وعائلةُ آلان أيضًا. سوف ينادُون السّيّد آلان ليكونَ قَسّا في «شارلوت تاون»، وسيقبلُ بالطّبع. هذا ليس عادلًا بالمرّة. لن يكون لنا قسّيسٌ طَوالَ الشّتاء القادمِ على ما أعتقد، وسيكونُ علينا الاستماعُ إلى سلسلةٍ طويلةٍ من المرشّحين للمنصبِ، ولن يكون نصفُهم جيدًا.

قالت آن بحزمٍ:

- آملُ ألا يعيّنوا السّيّد باكستر منْ «إيست جرافتون» هُنا على أيِّ حال، إنّه يريدُ المنصبَ، لكنّ مواعظه سوداويّةٌ جدّا. يقول السيد بيل إنّه قسّيسٌ منَ المدرسةِ القديمةِ، أمّا السّيّدةُ

ليند فتقولُ إنّ كلّ ما يعاني منهُ هُو عسرُ الهضْم. يبدو أنّ زوجتَه ليستْ طاهيةً جيّدة. وتضيفُ أنّه عندما يتعيّن على رجلٍ أن يأكلُ خبزًا محمّصًا لأسبوعين من ثلاثةٍ، فمنَ المؤكّدِ أنّ معرفتَهُ باللّاهوتِ ستضطربُ بعض الشّيء. إنّ فكرةَ مغادرةِ «آفونلي» تُحزنُ السّيّدةَ آلان كثيرا. إذ تقول إنّ الجميعَ عاملَها بلطفٍ هنا منذُ قدومِها كعروسٍ، إلى درجةِ إحساسِها بأنّها ستفارقُ أصدقاءَ مدَى الحَياة. وزيادةً على ذلك، هناكُ قبرُ الرّضيعِ، كما تعلمين. تقولُ إنّها لا تعرفُ كيف يمكنُها المغادرةُ وتركهُ هناك. مات صغيرًا جدًّا، عمره ثلاثةُ أشهرٍ فقط. وهي تخشَى أن يفتقدَها، رغم معرفتها بأنّ هذا التّفكيرَ خاطئٌ، ولا تجرؤُ على إخبارِ السّيّدِ آلان بشيءٍ من ذلك. اعترفتْ لي بأنّها كانتْ تتسلّلُ عبر بستانِ البتولا خلفَ بيتِهم، كلّ ليلةٍ تقريبًا، وتسيرُ إلى المقبرةِ حتّى تنشدَ لهُ أغنيّةَ مهدٍ صغِيرة. حدّثتني بكلّ هذا ليلةَ البارحةِ، عندما كنتُ أضعُ بعضَ الورودِ البرّيّةِ على قبرِ ماثيو. وقد وعدتُها أن أضعَ الزّهورَ على قبرِ الرّضيعِ مادمتُ في «آفونلي»، وعندما أرحلُ سوف ...

قاطعتها ديانا بنبرةٍ حميمةٍ:

- سوف أواصلُ أنا فعلَ ذلك، طبعًا سأفعلُ ذلك، وسوفَ أضعُ الأزهارَ على قبرِ ماثيو أيضًا، وأنا أفكّرُ فيكِ يا آن.

- أوه، شكرًا جزيلا. كنت على وشكِ طلبِ هذا منكِ. ولن

تنسيْ هستر جراي الصّغيرةَ، أليْس كذلك؟ هل تعلمينَ، لقد فكّرتُ وحلمتُ كثيرًا بهستر جراي الصّغيرةِ، إلى درجةِ أنّها أصبحت حقيقيّةً بشكلٍ غريبٍ بالنّسبة إليّ. أفكّرُ فيها، هناك، في حديقتِها الصّغيرةِ، في تلك الزّاويةِ الخضراءِ الهادئةِ، وأتخيّلُ التّسلّلَ إلى هُناك في إحدَى أمْسِياتِ الرّبيعِ، في الوقتِ السّحريِّ بيْنَ الضّوءِ والظّلمةِ، ثمّ السّيرَ على أطرافِ أصابعي فوقَ تلّ أشجارِ الزّان حتّى لا تُخيفَها خطواتِي. سأجدُ الحديقةَ تمامًا مثلمَا هي، جميلةً مع زنابقِ جوان وورودِه المتفتّحةِ باكرًا، وذلك المنزلَ الخلفيَّ الصّغيرَ الّذي تتخلّلهُ العرائشُ، وهستر غراي ستكون هُناك، بعينيْها الناعمتيْن، وشعْرِها الأسْودِ المُنجَرفِ مع الريح. سأراها تتجوّلُ واضعةً أطرافَ أصابعِها تحت ذقونِ الزّنابقِ، وتهمِسُ بأسرارِها للوُرودِ، وسأتقدّمُ نحوَها، أوه !، بهدوءٍ شديدٍ، لأمسك يديْها، وأقولَ لها «صغيرتِي هيستر غراي، هلاّ كنتِ صديقتِي، فأنا أيضًا، أحبُّ الوُرود. سوفَ نجلسُ على المقعدِ القديمِ للحديثِ والحلمِ بعضَ الشّيءِ، أو البقاءِ هُناك صامتتيْن. ثمّ سيصعدُ القمرُ، عندها سأنظرُ حولي، ولن تكونَ هستر غراي هُناك، ولا البيتُ الصّغيرُ المُغطّى بالعرائشِ، ولا الورودُ... لا شيءَ غير الحديقةِ المهجورةِ تنتثرُ فيها زنابقُ جوان بين الأعشابِ، وتنفخُ فيها الرّيحُ بكآبةٍ شديدةٍ بين أشجارِ الكرَز. ولنْ أعرفَ مطلقًا إن كانَ هذا حلمًا أو حقيقة.

غيّرت ديانا وضعيّةَ جلوسِها، وذهبتْ لتستندَ إلى ظهرِ السّرير. فعندما تروِي لكَ صديقتكَ أشياءَ غريبةً، على ضوءِ القمرِ الباهرِ، فمن الأفضلِ أنْ تفكّرَ في ألاّ شيءَ خلفَك.

قالت متذمرةً:

- إنّي متخوّفةٌ من انهيارِ جمعيّةِ تحسينِ المدينةِ بعد مغادرتكِ أنت وجيلبرت.

أجابتْ آن في الحين وهي تخرج من أحلامِها، وتعود إلى الأشياءِ العمليّة:

- أنا متأكّدةٌ من أنّها لن تنهارَ. إنّها مبنيّةٌ على أساسٍ صحيح، ولن تنهارَ، بالأخصّ منذُ أن بدأ ينضمّ إليها كبارُ السّنّ. أنظري ماذا يفعلون لمساحاتِهم الخضراءِ، وطرقِهم، هذا الصّيف. كما سأحاولُ إيجادَ أفكارٍ جديدةٍ في «ريدموند». سوف أكتبُ وثيقةً جديدةً وأرسلُها إليك. لا يجبُ أن تنظُري إلى المستقبلِ هذِه النّظرةَ المتشائمةَ يا ديانا. ولا تلومِيني على لحظةِ سعادتِي الآن، فعندَما أكون على أهبةِ الرحيلِ، سوف أكونُ حزينةً بما يكفي.

- من الطّبيعيّ أن تكونِي سعيدةً، فسوف تذهبين إلى الجامعةِ، وستعقدِين العديدَ منَ الصّداقاتِ الجديدةِ السّاحرة.

قالتْ آن متأمّلةً:

- آمل ذلكَ حقّا. فهذا يساعدُني على رؤيةِ الحياةِ بسِحْر. ولكنْ، بغضّ النّظر عنْ عددِ الأصدقاء الّذين سأعرفهم،

لن يكونوا أبدًا أعزّاءَ على قلبِي مثل الأصدقاءِ القدامى، وخاصةً الفتاةَ ذاتَ العينيْن السوداويْن والغمّازتيْن. هل تعرفينها يا ديانا؟

تنهدتْ ديانا قائلةً:

- ولكن سيكون هناك الكثيرُ من الفتياتِ الذّكياتِ في «ريدموند». أنا مجرّدُ فتاةٍ ريفيّةٍ صغيرةٍ تخطئُ في النّحو، على الرّغم من أنّي أصيبُ إذا لم أستغرقْ فِي التّفكير. كان العامانِ الماضيانِ أجملَ من أنْ يدوما. في كلّ الأحوالِ، أعرف شخصًا سعيدًا جدّا بذهابكِ إلى «ريدموند». سأطرحُ عليكِ سؤالاً يا آن، سؤالاً جِدّياً. لا تنزعِجِي! وأجيبِيني بصراحةٍ! هل تكنّينَ مشاعرَ لجيلبرت؟

- صداقةٌ عميقةٌ، ولكنْ، لا شيءَ آخر ممّا تفكّرين فيه.

تنهّدتْ ديانا، متمنّيةً لو أنّ آن أجابتْها بطريقةٍ مُختلِفة.

- هل تنوين الزّواجَ يومًا يا آن؟

قالتْ آن مبتسمةً على ضوءِ القمرِ:

- ربّما، ذاتَ يوم. عندما ألاقِي الرّجل المناسبَ لي.

- ولكن كيف تميّزين الرّجلَ المُناسِبَ منْ غيره؟

- أوه، أميّزه. هناكَ إشارةٌ مّا دومًا، تثبتُ لكِ ذلك. تعرفين الشّخص المثاليَّ بالنسبة إليّ يا ديانا.

- ولكنّ المثاليّ يتغيّر أحيانا.

- ليس في حالتي. ولا يمكنني أن أحبَّ رجلًا لا يرتقي إلى مثاليّتي.

- وماذا لو لم تقابلِيه أبدا؟

أجابتْ بفرحٍ:

- إذن سأموتُ عانسا. أعتقدُ أنّ هناك ميتاتٍ أبشعُ من هذه.

قالت ديانا دون أيِّ نيةِ الدّعابة:

- أوه، أعتقد أنّ الموت في هذه الحالةِ سيكون سهلاً بما يكفي، إنّما حياةُ العانسِ هي الإشكال، على الرّغم منْ أنّني لا أمانع إطلاقًا أن أكونَ عانسًا مثل الآنسة لافندر. لكنّ هذا مستحيلٌ بالنسبةِ إليّ. فعندما أبلغُ الخامسةَ والأربعين منْ عمري، سأكونُ سمينةً بشكلٍ رهِيب. وإذا كانتِ العانسُ الرّشيقةُ تَحظى ببعضِ الرّومانسيّة، فإنّ الوضعَ يستحيلُ أنْ يكونَ نفسه بالنّسبة إلى عانسٍ سمينة. أوه! أتعرفين أنّ نيلسون أتكينز اقترحَ الزّواج على روبي جيليس قبلَ ثلاثةِ أسابيع. أخبرتني روبي كلّ شيءٍ عنِ الأمْر. تقول إنّها لم تنوِ الارتباطَ بهِ قطُّ، لأنّ منْ تتزوّجُ به يجبُ أن تتفاهمَ أيضًا مع والديْهِ المسنّيْن. لكنْ، روبي تقول إنّه قدّم إليها اقتراحًا رومانسيًّا وجميلًا إلى درجةِ أنّه سحرَها. وبما أنّها لم تكنْ تريدُ التّسرّع، فقد طلبتْ منه مهلةَ أسبوعٍ للتّفكير. وبعد يومينِ، كانت في اجتماعٍ للخيّاطاتِ في بيتِ أمّه، ورأتْ على طاولةِ الصّالونِ كتابًا بعنوانِ: «الدّليلُ الكاملُ لآدابِ التّعامل».

قالت روبي إنّها ببساطةٍ لم تستطعْ وصفَ مشاعرِها عندما وجدتْ في فصلٍ من الكتابِ عنوانُه «المغازلةُ والزّواجُ» طلبَ الزّواجِ ذاتَه الّذي قدّمه نيلسون، بحذافيره. فعادتْ إلى المنزلِ وكتبت إليه رسالةَ رفضٍ لاذِعة. قالت إنّ والديْهِ يتناوبان على مراقبتِهِ منذ ذلك الحينِ، خوفًا من أن يغرقَ نفسَه في النّهر. لكنّها أكّدت بألاّ خوفَ عليه. ففِي «المغازلة والزواج» شرحٌ لكيفيّةِ تصرّفِ المحبوبِ المرفوضِ، ولا توجدُ إشارةٌ إلى الغرقِ فِي ذلك. وتضيفُ أنّ ويلبر بلير يلهثُ وراءَها حرفيًّا، لكنّها عاجزةٌ تمامًا عن فعلِ شيءٍ إزاءَ ذلك.

قامت آن بحركةٍ تعبّرُ عن نفادِ صبرها.

- أكرهُ قولَ هذا، ولكنْ، يبدُو هذا خيانةً. حسنًا، لم أعدْ أحبّ روبي جيليس الآن. لقد أحببتُها عندما ارتدْنا المدرسةَ، ومعهدَ «كوينز»، معًا، ليس أكثرَ منكِ ولا من جين بالطّبع. لكنّها السّنةَ الفارطةَ في «كارمودي»، بدتْ لي مختلفةً جدًّا، جدّا.

وافقتْ ديانا:

- أعلم. إنّ جانبَ عائلةِ جيليس في داخلِها يعبّرُ عنْ نفسِه. الأمرُ أقوى منها. تقولُ السّيّدة لِيند إنّه حتّى إذا فكّرت فتاةٌ من عائلةِ جيليس في أي شيءٍ آخرَ غيرَ الأولادِ، فلن تظهِرَه أبدًا في محادثاتِها. إنّها لا تتحدثُ عن شيءٍ آخر سوى

الأولادِ، والمجاملاتِ الّتي يقولونها لها، ومدى جنونِهم جميعًا بها في «كارمودي». والغريب أنهم فعلا كذلكَ.

اعترفتْ ديانا بهذا الكلامِ بامتعاضٍ إلى حدٍّ مّا.

- عندما رأيتُها اللّيلةَ الماضيةَ في متجرِ السّيّد بلير، وشوشتني أنّها قد أتمّتْ لتوِّها «غزوة» جديدة. لم أسألها عن الشّخصِ، لأنني كنتُ أعلم أنّها تتوقُ إلى ذلك. حسنًا، لطالَما أرادتْ روبي هذا، على ما أعتقد. تتذكّرين أنّها حتّى عندما كانت صغيرةً، تقول دوما إنّها ترغبُ في أن يكونَ لها عشراتُ العشّاقِ عندما تكبر، وأن تستمتعَ ما أمكنَها قبل أن تستقرّ. إنّها مختلفةٌ جدّا عن جين، أليس كذلك؟ جين لطيفةٌ جدًّا ورقيقةٌ. امرأةٌ حقيقيّة.

وافقتْ آن:

- عزيزتي جين جوهرةٌ حقيقيّة. لكن...

أضافتْ مائلةً إلى الأمامِ لتداعبَ اليدَ الصّغيرةَ الممتلئةَ المتدلّيةَ من فوقِ الوسادةِ:

- لا أحد يضاهي عزيزتي ديانا. هل تتذكّرين أوّل أمسيةٍ التقينا فيها عزيزتي ديانا؟ وتعاهَدْنا في حديقتكِ أن نظلَّ صديقتيْن للأبد؟ لقد حافظنا على ذلكَ العهْد. لم يحدثْ أبدًا أن تشاجرنا مرّةً واحدةً، ولا حتّى بهدوء. لن أنسَى أبدًا تأثّري الشّديدَ يومَ أخبرتِني أنّكِ تحبّينَني. كنتُ وحيدةً طَوالَ طفولتي، متعطّشةً للمحبّة. لقد أدركتُ للتوّ مدَى

وحدتي آنذاك. لم يكنْ أحد يهتمّ بي. كنت سأكونُ بائسةً لولا الحياةُ الغريبةُ الّتي أحلمُ بها، وأتخيّلُ فيها كلّ الأصدقاءِ والحبّ الّذي أحتاجُه. لكن عندما أتيتُ إلى «غرين غابلز»، تغيّرَ كلّ شيء. وبعد ذلك قابلتُك. لا تعرفينَ كم تعني لي صداقتك. أريدُ أن أشكركِ هنا، والآن، عزيزتي، على المودّةِ الدّافئةِ والصّادقةِ الّتي تمنحينَها لي دوما.

قالت ديانا باكيةً:

- وسأظلُّ كذلك، مدَى الحياة. لن أحبّ شخصًا آخر كما أحبّكِ أنت. وإذا تزوجتُ يومًا مّا، وأنجبتُ فتاةً صغيرةً، فسأسمّيها آن.

(27)
أمسيةٌ في البيتِ الحجريّ

سأل دايفي بفضولٍ:

- إلى أين أنتِ ذاهبةٌ بملابسكِ هذه يا آن؟ تبدِين مستأسدةً في هذا الفستان.

نزلتْ آن لتناولِ العشاءِ مرتديةً فستانًا جديدًا منَ الموسلين الأخضرِ الفاتِح. وهو أوّل لون ترتدِيهِ منذُ وفاةِ ماثيو. وقد ناسبها الفستانُ بشكلٍ رائعٍ، وأَبْرزَ التّدرّجاتِ الدّقيقةَ لوجهِها المتورّدِ، واللّمعانَ الفضّيَّ لشَعْرِها.

وبّخته آن:

- دايفي، كم مرةً أنبّهكَ إلى ألاّ تستعملَ تلك الكلمة. أنا ذاهبةٌ إلى جناحِ الصّدى.

توسّلَ إليها دايفي:

- خذيني معك.

- كنت سأصحبكَ لو أنّي ذاهبةٌ بالعرَبة. لكنّني سأمشِي، وهو بعيدٌ جدًا على ساقيْكَ الصّغيرتيْن. إلى جانبِ ذلك، سيرافقني بول، وأخشَى ألاّ تستمتعَ برفقته.

أكّد دايفي، وقد بدأ يشنّ غاراتٍ في حلوى البودينغ:

- أوه، لكنّي أحبُ بول أفضل بكثيرٍ من قبل. منذ أن أصبحت صبيًّا جيّدًا، لم أعدْ أمانعُ في كونه أفضل منّي. إذا واصلتُ هكذا، فسأدركُ مرتبتهُ يومًا مّا، سواءً في طولِ ساقيه أو في طيبته. كما أنّ بول يتعاملُ معنا بلطفٍ كبيرٍ في المدرسة. ولا يدعُ كبارَ الأقسامِ الأخرى يتدخلونَ في شؤوننا، كما أنّه يعلّمنا الكثيرَ من الألعاب.

سألت آن:

- كيف سقط بول في النّهرِ ظُهرَ الأمس، عندما قابلتِني في السّاحةِ، وقتَ الرّاحة، كان يقطرُ بأكملِه، فأرسلتهُ في الحينِ كي يغيّرَ ملابسَهُ في بيتِهم، دونَ أنْ أسألَه عمّا حدث.

أوضح دايفي:

- حسنًا، لقد كان ذلك حادثًا جزئيًّا. تعمّد وضعَ رأسِه في الماءِ، فانزلق باقِي جسدِه. كان ذلك حادثا. كنّا جميعًا عند النّهر، وكانت بريلي روجرسون غاضبةً من بول لسببٍ مّا. إنّها شرّيرةٌ ومريعةٌ على أيّ حال. قالتْ إنّ جدّته تضعُ له بكراتِ شعرٍ في رأسِه كلّ ليلة. لم يكنْ بول سيهتمّ بما قالتْهُ، لولا انفجارِ جرايسي أندروز بالضّحكِ، فأصبحَ وجهُ بول محمرّا منَ الخجلِ، لأن جرايسي فتاتُهُ كما تعلمين. إنّه مجنونٌ بها بشكلٍ كبير. يُهديها الورودَ، ويحملُ عنْها كتبَها حتّى طريقِ البحر. أجابَها بأنّ جدّتهُ لم تفعلْ هذا إطلاقًا، وأنّ

شعرهُ مجعّدٌ بطبعِه. ثمّ تمدّدَ على حافّةِ النّهرِ، وغطّسَ رأسَهُ في الماءِ ليثبتَ لها ذلك. أوه، ليس في النّهرِ الّذي نشربُ منه.

صرخ دايفي عندما رأى سَحنةَ ماريلّا المريعةَ:

- كنّا أسفلَ النّهرِ الأصغرِ. وكانت ضفّتُه زلِقةً جدًّا، فسقط بول بأكملِه داخله. أؤكّدُ لكِ أنّه أحدثَ طرطشةً كبيرة. أوه آسف يا آن ! لمْ أقصدْ قولَ هذا. لقد انزلقَ لسانِي. وعندما خرجَ، بدا مضحكًا جدًّا جدًّا، مبتلًّا بأكمِله، ومغطًّى بالوحل. ضحكتِ الفتياتُ أكثر، ولكنْ، ليس جرايسي. إذ بدتْ متأسّفةً جدّا. جرايسي فتاةٌ لطيفةٌ لكنَّ أنفَها أفطس. عندما أصبحُ كبيرًا بما يكفِي ليكونَ لديّ فتاةٌ، لا أريدُ أن يكون أنفها أفطس. سأختارُ فتاةً ذاتَ أنفٍ جميلٍ مثل أنفكِ يا آن.

قالت ماريلّا بنبرةٍ حادّةٍ:

- لن تنظرَ أيُّ فتاةٍ مطلقًا إلى صبيٍّ يوسّخُ وجهَهُ بحلوى الباودنغ بهذه الطّريقة.

احتجّ دايفي محاولًا إصلاحَ الأمرِ بمسحِ اللّطخاتِ بظهرِ يده:

- لكنّني سأغسلُ وجهي قبل أن أذهبَ لمقابلتِها. وسأغسلُ خلفَ أذنيَّ أيضًا، دونَ أنْ يُطلبَ منّي. تذكّرتُ ذلك هذا الصّباحَ يا ماريلّا. ولن أنسى كالسّابق أبدًا. لكنْ ...

تنهّد دايفي.

- لدينا الكثير من الزّوايا، وهو ما يجعل تذكّرها كلَّها صعْبا.

حسنًا، إذا لم أتمكنْ من الذّهاب لزيارةِ الآنسةِ لافندر، فسأذهب وأرى السّيّدة هاريسون. أؤكّدُ لكما أنّها امرأةٌ لطِيفة. فهي تحتفظُ بعلبةِ البسكويتِ في مطبخِها للأولادِ الصّغارِ، ودائمًا ما تعْطيني الكشطَ منَ المقلاةِ الّتي تخلطُ فيها كعكةَ الثّمار. تلتصقُ الكثيرُ من الثّمارِ بالجوانب. لطالما كان السيد هاريسون رجلاً لطيفًا، لكنّه صارَ ألطفَ منذُ تزوّج. أعتقد أن الزّواجَ يجعلُ النّاس أجمل. لماذا لا تتزوجين يا ماريلّا؟ أريد أن أعرف.

وبما أنّ حالةَ العزوبيّةِ لمْ تكنْ تشكّلُ عقدةً أبدًا بالنّسبةِ إلى ماريلّا، أجابتْهُ بودٍّ، متبادلةً نظراتٍ ذاتَ مغزى مع آن، مفادُها أنّ سببَ ذلك هو ألاّ أحدَ أرادَ أن يكونَ معَها حقّا.

احتجّ دايفي قائلاً:

- لكن، ربّما لمْ تطلُبِي من أيِّ رجلٍ أنْ يكون معك.

قالتْ دورا مصدومةً، مقاطعةً المحادثةَ دون أن يُوجّهَ إليها الكلامُ:

- أوه، دايفي! يجبُ على الرّجال أن يطلبوا هذا.

تذمّر دايفي قائلًا:

- لا أعرف لماذا عليهم القيامُ بذلك دوما. يبدُو لي أنَّ الرّجالَ يفعلون كلّ شيءٍ في هذا العالم. هل يمكنُني الحصولُ على مزيدٍ منَ الحلوى يا ماريلّا؟

قالت ماريلا:

- لقد أكلت ما يكفي.

لكنّها أعطته حصّةً ثانيةً معتدِلة.

- أتمنّى أن يعيشَ النّاس على الحلوى. لماذا لا يستطيعون يا ماريلّا؟ أريد أن أعرف.

- لأنّهم سيسأمُون منها بسرْعَة.

قال دايفي مشكّكًا:

- أودّ أن أجرّب ذلك بنفسي. لكنّي أعتقدُ أنّه منَ الأفضلِ تناولُ الحلوى عند استقبالِ الضّيوف، على عدمِ تناولِها إطلاقا. ليس لدى عائلةِ ميلتي بولتر حلوى علَى الإطلاق. يقول ميلتي إنّ والدتَه عند استقبالِ الضّيوفِ تقدِّم إليهم الجبنَ، بعد أنْ تقطِّعَه بنفسِها: قطعةٌ لكلّ ضيفٍ، وقطعةٌ ثانيةٌ مجاملةً واحترامًا لآداب الضيافة.

قالتْ ماريلا بحزمٍ:

- إذا كان ميلتي بولتر يتحدّثُ بهذه الطّريقةِ عن والدتِه، فلا داعي لأن تُعيدَ ذلك.

- بحقّ الرّبّ!

تعلّم دايفي هذه العبارةَ منَ السّيّد هاريسون، واستخدَمها بحماسةٍ كبيرة.

- كان ميلتي يقولُ هذا كمجاملة. إنّه فخورٌ للغايةِ بوالدته. فالنّاس يقولونَ إنّ بإمكانِها كسبُ عيشِها منْ حصاة.

قالتْ ماريلّا وهي تنهضُ مسرعةً لتخرجَ:

- لا بدّ أنّ تلك الدّجاجاتِ اللّعينةَ تدوسُ أصصَ أزهاري مرّةً أخرى، الآن.

لمْ تقتربِ الدّجاجاتُ المفترى عليها حتّى اقترابًا طفيفًا من الأصص. ولمْ تنظرْ ماريلّا بداخلها. وبدلاً من ذلك، جلستْ عند فتحةِ القبوِ، وانبرتْ تضحكُ، حتّى خجِلتْ منْ نفسِها.

عندما وصل آن وبول إلى البيتِ الحجريّ مساءَ ذلك اليوم، وجدا الآنسة لافندر وشارلوتا الرّابعة في الحديقةِ، منهمكتيْن في إزالةِ الأعشابِ الضّارّةِ، والتّشذيبِ، كما لو كان ذلك مسألةَ حياةٍ أو موت. عندما رأتهما الآنسةُ لافندر، في لباسِ الدّانتيل ذِي الشّرائط، أسقطتْ مقصّاتِها، وركضتْ بفرحٍ لاستقبالِهما، بينما ابتسمتْ شارلوتا الرّابعة بمرح.

- مرحبًا يا آن. توقّعتُ قدومكِ اليوم. أنت تنتمينِ إلى المساءِ، لذلك يحضِرُك معه. فالمؤكّد أنّ الأشياءَ المتناسِقةَ تجتمع معًا. لو كان النّاس يعرفون ذلك، لتجنّبوا العديدَ منَ المتاعب. لكنّهم لا يدركون. لذلك فهم يهدِرون طاقةً كبيرةً تحرّكُ السّماء والأرضَ، فقط لتجميعِ أشياءَ لا يتناسقُ بعضُها مع بعض. وأنت يا بول، لقد كبرت! أنت أطولُ ممّا كنتَ عليه في المرّةِ السّابقة.

قال بول بفرحةٍ واضحةٍ:

- نعم، وكما تقولُ السّيّدةُ ليند، صرتُ أنمو مثلَ عشبةٍ ضارّةٍ

في اللّيل. وتقول جدّتي إنّ العصيدة أتت أكلَها أخيرًا. ربّما هو كذلك. الرّبّ وحده يعلم ...

ثمّ تنهّدَ بعمقٍ وتابعَ

- لقد أكلت ما يكفي لجعلِ أيّ شخصٍ ينمو. والآن سأستمرّ حتّى أصبحَ في طولِ أبي. إنّ طولَه ستّةَ أقدامٍ، كما تعلمين يا آنسة لافندر.

نعم، كانتِ الآنسةُ لافندر تعلم. تورّدَ خدّاها الجميلانِ أكثر. أمسكتْ يد بول من جهةٍ، وآن من جهةٍ أخرى، وسارتْ إلى المنزلِ في صمْت.

سأل بول قلِقًا:

- هل هو يومٌ مناسبٌ لسماعِ الأصداءِ يا آنسة لافندر؟

هبّتْ في يومِ زيارتِه الأولى عاصفةٌ، ومن ثمّ لم يكنْ هُناك أصداءُ، وشعُرَ بخيبةِ أملٍ كبيرة.

أجابتِ الآنسةُ لافندر وهي تستيقظُ من خيالاتِها:

- نعم، إنّه أنسبُ يومٍ لذلك، لكنْ، يجبُ أن نأكل لُقمةً، أولاً. لا بدّ أنّكما جائعانِ، بعد مشيِكما طَوالَ الطّريق إلى هنا عبر غاباتِ الزّان. يمكنني الأكلُ أنا وشارلوتا في أيِّ ساعةٍ منَ اليَوم. لدينا شّهيةٌ جامِحة. لذلك سنقُوم بغارةٍ على غرفةِ المؤُونة. لحسنِ الحظّ أنها جميلةٌ وممتلئةٌ. كان لديّ حدسٌ أنّني سأستقبلُ زوّارا اليومَ، لذلك جهّزتُ نفسِي أنا وشارلوتا الرّابعة.

قال بول:

- أعتقد أنّك من الأشخاصِ الّذين لديهم دومًا أشياءُ لذيذةٌ في غرفةِ مؤونتِهم. جدّتي تحبُّ ذلك أيضًا، لكنّها لا توافقُ على لمجةٍ صغيرةٍ من حينٍ إلى آخر بين الوجبات.

وأضاف بتأمّلٍ:

- أتساءل ما إذا كان بإمكاني تناولُها بعيدًا عن البيتِ، وأنا أعلم مُسبقًا أنّها لا توافق.

قالتِ الآنسةُ لافندر وهي تتبادلُ نظراتٍ مرحةً مع آن، فوقَ الشّعرِ البنّيِّ المجعّدِ لبول:

- أوه، لا أعتقد أنّها سترفضُ بعد سيْرك تلك المسافةَ الطّويلةَ.. أعتقدُ أنّ اللّمجاتِ غيرُ مفيدةٍ للصّحة. لهذا هي موجودةٌ بكثرةٍ في جناحِ الصّدى. فأنا وشارلوتا الرّابعة، نتحدّى كلّ القوانينِ الغذائيّةِ المعروفة. فنحن نأكلُ كلّ أنواعِ الأطعمةِ غير المفيدةِ الّتي نفكّر فيها نهارًا أو ليلاً، وننتعشُ مثل أشجارِ الغار.

إنّنا عازمتان دومًا على الإصلاحِ من سلوكنا هذا. وعندما نقرأُ مقالا في جريدةٍ يحذّرنا من تناولِ أكلةٍ نحبها، فإنّنا نقصُّه ونعلّقهُ على حائطِ المطبخِ حتّى نتذكّره. لكنّنا نعجزُ عن ذلك، ونتوجّه إلى أكلِ ذلك الطّعامِ بالذّات. لم يقتلنا شيءٌ حتى الآن، ولكنّ شارلوتا رأت كوابيسَ بعد أن أكلنا اللّحمَ المفرومَ وكعكةَ الفاكهةِ قبل أن نذهبَ إلى الفراش.

قال بول:

- تسمحُ لي جدّتي بكوبٍ من الحليب، وشطيرةِ خبزٍ بالزّبدةِ قبل أن أخلدَ إلى النوم. وفي ليالي الأحدِ، تضيفُ المربّى على الخبزِ، لذلك أكونُ سعيدًا دومًا ليلةَ الأحد، لأسبابَ عديدة. يمرّ يومُ الأحد طويلًا جدًا على طريقِ الشّاطئ. تقول جدّتي إنّه قصيرٌ جدًا بالنسبة إليها، وإنّ أبي لم يكن يجدُ أيّام الآحاد مضجرةً عندما كان طفلاً صغيرًا. لن يمرَّ الوقتُ ثقيلًا إذا ما تسنّى لي التّحدثُ إلى شخصيّاتِي الحجريّةِ، لكنني لمْ أفعل ذلك أبدًا لأنّ جدّتِي لا تسمح لي بذلك أيامَ الآحاد. إنّي أفكّر كثيرًا، لكنّي أخشى أن تكون أفكاري لا تتماشى مع الدّين. تخبرني الجدّةُ أنّ علينا ألاّ نفكرَ في شيءٍ غير الأفكار الدّينيّةِ يوم الأحد. لكنّ معلّمتي، الواقفةَ هنا، قالتْ لي ذات مرّةٍ إنّ كلَّ فكرةٍ جميلةٍ هي فكرةٌ دينيةٌ، مهما كان موضوعُها، أو يومُ تفكيرِنا فيها. لكنّني متأكّدٌ من أنّ جدّتي تعتقدُ أنّ خطبَ الأحدِ ودروسَهُ هي وحدها المحمّلةُ بأفكار دينيّةٍ حقًا. وعندما يتعلّق الأمرُ باختلافٍ في الآراء بين جدّتِي ومدرّستي، فأنا لا أعرفُ كيف أتصرّف.

وضع بول يده على صدره، ورفع عينيْه الزرقاويْن الجادّتين نحو الآنسةِ لافندار المتعاطفةِ:

- أمّا في أعماقِ قلبي، فأنا أتّفقُ معَ مدرّستي. لكن كما تعرفين، لقد ربّتْ جدّتي ابنَها على طريقتِها، ونجحتْ في ذلك نجاحًا

باهرًا، لكنّ معلّمتي لمْ ترب أيّ شخصٍ حتّى الآن، على الرّغم منْ أنها تساهمُ في تربيةِ دايفي ودورا. لكن لا يمكننا الآن تخمينُ ما سيكونا عليه عندما يكبران. لذلك أشعرُ أحيانًا أنه منَ الآمنِ اتّباعُ آراءِ الجدّة .

وافقت آن في الحين:

- معك حقّ، في كلّ الأحوالِ، أتخيّلُ أنّي وجدَّتكَ إذا تفحّصنا المعنى الحقيقيَّ لآرائنا، سنكتشف أنّنا نريد قول الأشياءِ نفسِها تقريبًا، بالرغم من طرقِنا المختلفةِ في قولها. من الأفضلِ لك أن تتّبعَ طريقتَها، لأنّها تمتَحُ منَ الخِبرة. بينما علينا الانتظارُ لرؤيةِ ما سيصبح عليه التّوأمُ قبل التّأكّدِ من أنّ طريقتِي جيّدةٌ بالقدْرِ نفسِه.

بعد الغداءِ، ساروا إلى الحديقةِ، حيث تعرّف بول إلى الأصداءِ، بكلِّ دهشةٍ وسرورٍ، بينما جلستْ آن والآنسةُ لافندر على المقعدِ الحجريِّ تحتَ أشجارِ الحور.

قالتِ الآنسةُ لافندر بحزنٍ:

- إذن ستغادرين في الخريف؟ عليّ أن أفرحَ من أجلكِ يا آن، لكنّي أشعرُ بأسفٍ شديد، بكلِّ غرور. أوه، أشعرُ أحيانًا أنّه من غيرِ المجدِي عقدُ الصّداقات. إنّهم يخرجونَ من حياتِكِ في يومٍ من الأيّامِ، والجرحُ الّذي يخلّفونَه يؤلمُ تمامًا كالفراغِ السّابقِ لمعرفتِنا بهم.

قالت آن:

- ما تقولينه يشبهُ كثيرًا أحاديثَ الآنسةِ إليزا أندروز، ولكنْ، لا يا آنسةُ لافندر، لا شيءَ أسوأُ من الفراغِ... وأنا لن أخرجَ من حياتِك. فهناك الرّسائلُ، والعُطل. تبدِين شاحبةً ومتعبةً يا عزيزتي.

صرخ بول واقفًا في الحفرة، حيثُ سارع ليجرّبَ أصواتًا مختلفةً، لم تكن رنّانةً في البدايةِ، ولكنّ السّاحراتِ بعْد النّهرِ يحوّلنها إلى أصداءَ شبيهةٍ برنينِ الذّهبِ والفضّة:

- أوه... هوو... هوو.

قامتِ الآنسةُ لافندر بيديْها الجميلتيْن بحركةٍ تعبّرُ عن نفادِ صبرها.

- أوه !، كلّ شيءٍ يتعبني... حتّى الأصداء. لا يوجدُ سوى الأصداءِ في حياتي. أصداءُ آمالٍ وأحلامٍ وأفراحٍ ضائعة. أصداءٌ جميلةٌ وساخِرة. أوه !، من المريعِ أن أتحدّث هكذا عندما أستقبل ضيوفا. ولكنْ لأنّي أتقدّم في السّنّ، وهذا لا يناسبني مطلقا. سوف أكون رديئةً في السّتّين، أعرف ذلك. وربّما كلّ ما سأحتاجُ إليه هو وصفةٌ من الحبوبِ الزّرقاء.

في تلك اللّحظة، عادتْ شارلوتا الرّابعة، بعد أن اختفتْ إثر الغداءِ، وأعلنت أنّها وجدتْ في الزّاويةِ الشّماليّةِ الشّرقيّة من مرعَى السّيّد جون كيمبال براعمَ منَ الفراولةِ المبكّرة، وسألتِ الآنسةَ شيرلي إن كانتْ ترغبُ في الذّهابِ، وقطفِ بعضٍ منها.

قالت الآنسة لافندر:

- فراولة مبكّرةٌ معَ الشّاي! أوه، أنا لستُ مسنّةً إلى تلك الدّرجةِ ... ولستُ في حاجةٍ إلى حبةٍ زرقاءَ واحدة! عزيزتاي، عندما تعودا مع الفراولةِ، سنحتسي الشّايَ هنا تحتَ شجَرةِ الحُورِ الفضّيّة. سأجهّزهُ بنفسي مع الكريمةِ المحلّيّة.

وهكذا، ذهبتْ آن وشارلوتا الرّابعة إلى مرعى السّيّد كيمبال. كان ركنًا بعيدًا أخضرَ يهبُّ فيه هواءٌ ناعمٌ مثل المخملِ، ركنًا فوّاحًا مثلَ سريرٍ من البنفسجِ، وذهبيًّا مثل العنبر.

استنشقت آن:

- أوه، كم هو منعشٌ وساحرٌ هذا المكان ! أشعر كما لو أنّي أشربُ ضوءَ الشّمس.

- نعمْ سيّدتي. هذا ما أشعر به أيضًا.

وافقت شارلوتا الرّابعة، الّتي كانت ستقول نفس الشّيءِ بالضّبطِ، حتّى لو أخبرتها آن بأنّها تشعرُ وكأنّها بجعةٌ برّيّة. كلّما زارتْ آن «إيكو لودج»، صعدتْ شارلوتا الرّابعةُ إلى غرفتِها الصّغيرةِ فوقَ المطبخِ، وقلّدتْ أمامَ مرآتِها طريقةَ حديثِ آن وحركاتها. لم تستطعْ مدحَ نفسِها، لأنّها لم تنجحْ في الأمرِ تماما. لكنْ بما أنّها تعلّمتْ في المدرسةِ أنّنا ندركُ الإتقانَ بالممارسةِ، أملتْ في أنّها ستتمكّن مع الوقتِ منْ رفعِ ذقنِها بتلك الطّريقةِ اللّطيفةِ، وأن تعطيَ لعينيْها ذلك اللّمعانَ الحيِيّ، كأنّهما مرصّعتان بالنّجوم، وأن تمتلكَ طريقةَ المشيِ، وكأنّها غصنٌ يتأرجحُ في الرّيح. يبدو ذلك سهلاً للغايةِ

عندما ننظرُ إلى آن. لقد أعجبتْ بها شارلوتا الرّابعة منْ كلّ قلبِها. ليْس لأنّها تعتقدُ أنها جميلةٌ للغايةِ، فخدّا ديانا القرمزيّانِ، وشعرُها الأسودُ المجعّدُ يتماشى أكثرَ بكثيرٍ مع ذوقِ شارلوتا الرّابعة من سحرِ آن، بعينيْها الرماديّتيْن المشرقتيْن، وخدّيْها المتورّديْن الفاتِحين. صارحتْ آن بصدق:

- لكنّني أفضّلُ أنْ أشبهكِ على أنْ أكونَ جميلة.

ضحكتْ آن، وكما يُقالُ: تذوّقتْ رحيقَ الزّهرةِ، ولم تكترثْ للسعِ الأشواك. فقد تعوّدتْ على تلقّي المجاملاتِ مختلطة. إذْ لم يكنْ مجتمع «آفونلي» على رأيٍ واحدٍ بخصوصِ مظهرِها الخارجيّ. فبعضُ النّاس الّذين سمعوا عن جمالِها، والتقُوا بها، شعرُوا بخيبةِ أمل. وأولئك الّذين سمِعوا أنّها فتاةٌ مألوفةٌ وعاديّةٌ، تساءلوا بأيّ عيونٍ رآها الآخرون. ولم تكنْ آن نفسُها تشعر بأنّها على تلكَ الدّرجةِ من الجمال. فعندما تنظر في المرآة، لم تكنْ ترى سوى وجهٍ صغيرٍ شاحبٍ مع سبعِ بقعِ نمشٍ على أنفها. لم تكشفْ لها مرآتُها أبدًا لعبةَ المشاعرِ المراوغةِ والمتغيّرةِ باستمرارٍ الّتي تضيءُ ملامحَها مثلَ شُعلةٍ ورديّةٍ، ولم تظهرْ لها أيضًا سحرَ الحلمِ والضّحكِ المتناوبيْنِ في عينيْها الكبيرتيْن.

وبالرّغم من أنّ آن لم تكنْ جميلةً بالمعنى المنحسِرِ للكلمةِ، فلا يمكن أن يفوتّ أحدٌ سحرَها الرّقيق ومظهرها المميّز. كلّ شيءٍ فيها يعبّر عن الشّبابِ والتّناغمِ والطّاقةِ الهائلة. ومن يعرفون آن عن قربٍ يدركون أنّ جاذبيّتَها الكبيرةَ كانت في هالةِ الاحتمالاتِ

المحيطةِ بها، أيْ قوة تطوّرِها المستقبليّ. إنّها تبدو وكأنّها تمشي في جوٍّ من أشياءَ على وشكِ الحدوث.

وبينما كانتا تقطفان الفراولةَ، اعترفتْ شارلوتا الرّابعة لآن بمخاوفِها بخصوصِ الآنسةِ لافندر. فالخادمةُ الصّغيرةُ الكريمةُ كانت حائرةً حقًّا في حالةِ سيّدتها المحبوبة.

- الآنسة لافندر ليستْ بخيرٍ، آنسة شيرلي. أنا متأكّدةٌ من أنّها ليستْ على ما يرام، بالرّغم من أنّها لا تشكو أبدًا. لكنّها منذ فترةٍ طويلةٍ، لم تعدْ كما كانتْ من قبل، منذ يومِ زيارتِكِ أنت وبول. أصيبتْ بنزلةِ بردٍ تلك اللّيلة. خرجتْ بعد مغادرتكِ، وتمشّتْ طويلًا في الحديقةِ بعد حلولِ الظّلامِ، وهي لا تضع شيئًا سوى شالٍ صغير. كان هناك الكثيرُ من الثّلجِ على الدَّرَجِ، وأنا متأكدةٌ منْ أنها أصيبتْ ببردٍ، سيدتي. ومنذ ذلك الحين، بدتْ متعبةً ووحيدةً، لا تهتمّ بأيِّ شيء. لم تعدْ تتظاهرُ أبدًا باستقبالِ زوّارٍ، ولا تستعدُّ لذلك، ولا لشيءٍ يا سيّدتي. فقط عندما تأتينَ، يبدو أنها تنشط قليلاً. وأسوأُ إشارةٍ على الإطلاقِ يا آنسة شيرلي...

خفّضتْ شارلوتا الرّابعةُ صوتَها كما لو أنّها على وشكِ الإفصَاحِ عنْ أعراضَ غريبةٍ ومخيفةٍ حقًا:

- هي أنّها لا تغضبُ أبدًا الآن عندما أكسرُ الأشياء. أتعرفين يا آنسة شيرلي؟ بالأمسِ كسرتُ كوبَها الأخضرَ والأصفرَ، الموضوعَ دومًا على خزانةِ الكتب. لقد أحضَرَتْهُ لها جدّتُها

من «إنجلترا»، والآنسةُ لافندر متعلّقةٌ جدًّا به. كنتُ أزيلُ عنهُ الغبارَ بحذرٍ شديدٍ آنسة شيرلي، لكنّهُ انزلقَ منْ بينِ يديَّ هكذا، قبل أن أتمكّن منَ الإمساكِ به، وتهشّمَ إلى مليون قطعةٍ صغيرة. كنتُ متأسّفةً جدًّا وخائفةً، أؤكّدُ لك. اعتقدتُ أنّ الآنسة لافندر سوف توبّخني بطريقةٍ مُريعة. وتمنّيتُ هذا حقّا. لكنّها فقط دخلتْ، وألقتْ بالكاد نظرةً وقالت:

- هذا غيرُ مهمٍّ يا شارلوتا. اجمعِي القطعَ وارمِيها.

- هكذا يا آنسة شيرلي، اجمعِي القطعَ وارميها. وكأنّ الأمرَ ليس متعلّقًا بالكوبِ الإنجليزيّ الّذي أحضرته لها جدّتُها. أوه، إنّها ليستْ بخيرٍ حقًّا، وأنا قلقةٌ جدّا. فليس لها غيري يرعاها.

لمعتْ في عينيْ شارلوتا الرّابعةِ دموع. داعبتْ آن، بلطفٍ، الكفَّ البنّيَ الصّغيرَ الممسكَ بوعاء ورديّ.

- أعتقد أن الآنسةَ لافندر في حاجةٍ إلى بعضِ التّغيير يا شارلوتا. إنّها تبقى وحدَها كثيرا هنا. ألا يمكننا حثّها على الخروجِ في رحلةٍ صغيرة؟

هزت شارلوتا رأسَها بشرائطِ شعرِها الكثيرةِ، بلا عزاء.

- لا أعتقد ذلك يا آنسة شيرلي. الآنسةُ لافندار تكرهُ القيامَ بزيارات. لم تكن تقابلُ سوى ثلاثةِ أقاربَ، وتقول إنها تزورهم فقط بدافعِ الواجبِ العائليّ. وفي المرّة الأخيرة عندما عادتْ إلى المنزل، قالت إنّها لن تقوم بهذا الواجبِ

العائليِّ بعد الآن. قالت لي: «لقد عدت إلى المنزل راغبةً بشدّةٍ في الوحدةِ يا شارلوتا، لا أريدُ أن أبتعدَ عن عريشةِ العنبِ وشجرةِ التّينِ مرّةً أخرى. يحاول أقاربي بكلّ جهدٍ أن يشعروني بأنّي عانسٌ، وهذا يحزنني أيّما حزن». لذلك لا أعتقدُ أنه بإمكاننا إقناعُها بالذّهاب لزيارةِ أحد .

قالتْ آن بحزمٍ واضعةً في وعائِها الورديِّ آخرَ حبّةِ فراولة:

- سنرى ما يمكننا فعله. بمجرّد أن أخرجَ في إجازةٍ، سوف آتي وأقضّي معكما أسبوعًا كاملاً. سنتنزّه كلّ يومٍ، ونتخيّلُ كلَّ الأشياءِ المثيرةِ للاهتمام. سنرى ما إذا كنّا نستطيعُ إبهاج الآنسة لافندر.

قالت شارلوتا بحماس:

- هذا تمامًا ما يجبُ فعلُه يا آنسة شيرلي.

كانت سعيدةً من أجل السّيّدة لافيندار ومن أجلها أيضًا. فطَوالَ أسبوعٍ كاملٍ تتأمّلُ فيه آن باستمرارٍ، ستكون بالتّأكيد قادرةً على تعلّمِ كيفيّة التّحرّك والتّصرّف مثلها.

عندما عادتِ الفتاتان إلى جناحِ الصدّى، وجدتا الآنسة لافندر وبول يحملان الطّاولةَ الصّغيرةَ المربّعةَ من المطبخِ إلى الحديقةِ، وكان كلّ شيءٍ جاهزًا لتناولِ الشّاي. لم يكنْ لأيِّ شيءٍ على الإطلاقِ طعمٌ مثل طعمِ تلك الفراولةِ والقشدةِ، وهنّ تتناولنها تحتَ سماءٍ زرقاءَ رائعةٍ ببعضِ الغيومِ البيضاءِ الصّغيرة والرّقيقة، وفي الظّلال الطّويلةِ للأشجارِ بهمساتِها ووشوشاتِها.

بعد الشّاي، ساعدتْ آن شارلوتا على غسلِ الصّحونِ في المطبخِ، بينما جلستِ الآنسةُ لافندر على المقعدِ الحجريّ مع بول، وسمعت حكاياتِه عن شخصيّاتِه الحجريّة. كانت تلك الآنسةُ اللّطيفةُ لافندر مستمِعةً جيّدةً، لكنْ في النّهاية، صُدِم بول بأنّها فقدتِ الاهتمامَ فجأةً بالبحّارة التّوأم.

سأل بول بجِديّةٍ:

- آنسة لافندر، لماذا تنظرين إليّ هكذا؟

- كيف أنظر إليك يا بول؟

قال بول الّذي كان يتمتّعُ بمثل هذه الومضاتِ من البصيرةِ الخارقةِ، إلى درجةِ أنّهُ لم يكنْ من الآمنِ تمامًا الإفصاحُ له بالأسرارِ، وهو على وشكِ التّجلّي بهذه الومضاتِ:

- تمامًا كما لو كنتِ تنظرينَ من خلالي إلى شخصٍ أذكّركِ به.

قالت الآنسةُ لافندر حالمةً:

- صحيحٌ، أنت تذكّرني بشخصٍ كنت أعرفُه منذ فترةٍ طويلة.

- عندما كنت يافعة؟

- نعم، عندما كنتُ شابّة. هل أبدُو عجوزًا جدًّا بالنّسبةِ إليكَ يا بول؟

اعترف لها بول:

- أتعلمين؟ لا يمكنُني اتّخاذُ قرارٍ نهائيٍّ بشأنِ ذلك. فشَعركِ يقول إنّكِ عجوز. إذ لم يسبقْ لي أبدًا أن عرفتُ شابًّا بشعرٍ

رماديّ. لكنْ، عندما تضحكين، تبدُو عيناكِ شابّتيْن تمامًا كعينيْ معلّمتي الجميلة. سوف أخبركِ بشيءٍ يا آنسة لافندر...

أصبح صوتُ بول ووجهُه مهيبيْن كأنّه قاضٍ

- أعتقد أنك ستكونين أمًّا رائِعة. لديك في عينيْك النِّظرةُ الملائمةُ، النِّظرةُ الّتي طالما وجّهتْها إليّ والدَتي. منَ المؤسفِ حقًّا ألاّ يكون لكِ أبناء.

- لديّ صبيٌّ متخيّلٌ يا بول.

- أوه، حقّا؟ كم يبلغ عمره؟

- إنّه تقريبًا في مثل سنّك، على ما أعتقد. لا بدّ أنّه كبيرٌ الآن بما أنّي بدأتُ الحلمَ به منذُ مدّةٍ طويلةٍ، قبل ولادتك. لكنّي لا أتركهُ مطلقًا يتجاوزُ الحاديةَ أو الثّانية عشرة من عمُره، لأنّي إذا قمتُ بذلك، فسوف يكبر كثيرًا، وسأفقده.

قال بول وهو يهزُّ رأسَه:

- أعرف. هذا هو جمالُ الأحلام. إنّها تبقَى فِي العمرِ الّذي تريدُه. أعتقد أنكِ ومعلّمتي الجميلةَ وأنا، الحالمونُ الوحيدُون في العالم. أليس مرِحًا ولطيفًا أن نتعرّف على بعضنا بعضًا؟ لكنّي أعتقدُ أنّ هذا النّوع من النّاسِ ينتهون دومًا إلى التعرّفِ على بعضهم بعضًا. ليْس لجدّتي أحلامٌ أبدًا، وتعتقدُ ماري جو أنّي غريبُ الأطوارِ لأنّني أملكُ شخصيّاتٍ متخيّلة. أعتقدُ أنّه من الرّائعِ امتلاكُهم كما تعلمين يا آنسة لافندر. حدّثيني عن طفلِ أحلامكِ الصغير.

- لديهِ عينانِ زرقاوان وشعرٌ مجعّد. ينزلقُ في غرفتي كلَّ صباح، ويوقظُني بقُبْلة. ثم يلعبُ هنا طَوَال اليوم في الحدِيقة، وأنا ألعبُ معه. نتشاركُ كلّ الألعابِ الّتي تمرّ بأذهاننا. نتسابقُ، ونتحدّث مع الأصداءِ، وأروي له الحكايات. وعندما يأتي المساء ...

قاطعها بول فورًا:

- أعرف. يأتي ويجلسُ إلى جانبكِ، هكذا، لأنّه، وهو في الثّانية عشرةَ أكبر منْ أنْ يجلسَ على ركبتيك. لذلك يسندُ رأسه علَى كتِفكِ، هكذا، ثمّ تضمّينَهُ بذراعيكِ بقوّةٍ شديدةٍ، وتريحين خدّكِ على رأسِه. نعم، هكذا هوُ الأمرُ بالضّبطِ، كما تعلمين يا آنسة لافندر.

وجدتْها آن هَكذا عندما خرجتْ منَ البيتِ الحجريِّ، ولم تودَّ إزعاجَها عندما رأتِ التّعبيرَ على وجهِ الآنسةِ لافندر.

- أخشى أنّ علينا الذّهاب يا بول، إذا أردنا العودةَ إلى المنزلِ قبل حلولِ الظلام. آنسة لافندر، سأدْعو نفسي لأقضّيَ أسبوعًا كاملًا في جناحِ الصّدى.

هدّدتها الآنسةُ لافندر:

- إذا أتيت لأسبوعٍ، سأبقيك لأسبوعين.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(28)
عودةُ الأميرِ إلى القصرِ المسْحور

انقضى آخر يومٍ في المدرسة. اجتاز تلاميذُ آن امتحانَ نصفِ السّنةِ ببراعة. وفي الختامِ تقدّموا لها بخطابٍ صغيرٍ، وأهدُوها طاولةً للكتابة. بكتْ جميعُ الفتياتِ والسّيّداتِ الحاضِرات، وقيل إنّ الصّبيةَ قد بكوا أيضًا، رغم أنّهم نفُوا ذلك.

تحدّثتْ عنِ الأمرِ السّيّدات هارمون أندروز وبيتر سلون ووليام بيل في طريقِ العودةِ إلى منازلهنّ.

تنهّدتِ السّيّدةُ بيتر سلون، كعادتِها دومًا، حتّى عندما تنتهِي من حكايةِ نكتةٍ:

- من المؤسفِ للغايةِ أن تغادرَ آن، بينما الأطفالُ متعلّقون بها كثيرًا.

أضافتْ على عجل:

- لكنّنا نعلم أنّه ستكون لنا معلّمةٌ جيّدةٌ العامَ المقبلَ أيضًا.

لاحظتِ السّيّدةُ أندروز ببرودٍ:

- سوف تقومُ جين بواجبها. أعتقد أنّها لن ترويَ قصصًا كثيرةً عنِ السّاحراتِ للأطفالِ، ولن تقضّيَ وقتًا طويلًا في

التّسكّعِ معهُم في الغابَة. لكنّ اسمَها مدرجٌ في قائمةِ الشّرفِ لدَى المديرِ، والنّاس في «نيوبريدج» في حالةٍ رهيبةٍ بسببِ مغادرتها.

قالتِ السّيّدةُ بيل:

- أنا سعيدةٌ لأنّ آن ستذهبُ إلى الجامعة. لطالَما تمنّتْ ذلك، وسيكونُ هذا رائعًا بالنسبةِ إليها.

كانت السّيّدة أندروز مصمّمةً على عدمِ الاتّفاقِ تمامًا مع أيٍّ كان في ذلكَ اليوم:

- حسنًا، لا أعرفُ. لا أرى أنّ آن في حاجةٍ إلى المزيدِ من التّعليم. فعلى الأرجحِ، ستتزوّج جيلبرت بليث، إذا استمرّ افتتانُه بها حتّى إكمالِ دراستِه الجامعيّة. وفي هذه الحالةِ، فيما ستفيدُها اللّاتينيّة واليونانيّة؟ إذا كانوا سيعلّمونهم في الكلّيّة كيفيّة الاهتمامِ برجلٍ، فقد يكونُ هناك بعضُ المنطقِ في ذهابها.

تقولُ الشّائعاتُ في «آفونلي» إنّ السّيّدةَ هارمون أندروز لمْ تتعلّمْ مطلقًا كيف تهتمُّ بزوجِها، ولهذا السّببِ، لم تكن أسرةُ أندروز مثالًا للسّعادةِ الزّوجيّة.

قالتِ السّيّدةُ بيل:

- أرى أنّ قرارَ تعيينِ السّيّدِ ألان في «شارلوت تاون» معلّقٌ على جدارِ الكنيسة. هذا يعني أنّهُ سيغادِرنا قريبا.

أجابتِ السّيّدةُ سلون:

- لن يغادرَ وعائلتَه قبل سبتمبر. ستكون خسارةً فادحةً لنا... بالرّغم منْ أنّ الآنسةَ آلان ترتدِي بطريقةٍ خليعةٍ، ولا تناسبُ زوجةَ قَسّ. ولكنّ العالمَ ليْس مثاليّا. هل رأيتنَّ أناقةَ السّيّدِ هاريسون ونظافتَهُ اليوم؟ لم أر قطُّ رجلًا يتغيَّر إلى هذِه الدّرجةِ مثلهُ. إنّه يرتادُ الكنيسةَ كلَّ يومِ أحدٍ، حتّى إنّه ترشّحَ إلى منصبِ القَسّ.

لاحظت السّيّدةُ أندروز:

- لقد كبرَ بول آرفنغ بشكلٍ كبيرٍ هذه الأيّامَ الأخيرة. كان صغيرًا جدًّا مقارنةً بالآنَ عنْدَ مجيئِه. لقد تعرّفتُ عليه بصعوبةٍ اليوم. إنّهُ يشبه أباه كثيرا.

أضافتِ السّيّدةُ بيل:

- إنّهُ طفلٌ لامعٌ جدّا.

- إنّه ذكيّ بما فيه الكفاية، لكن...

خفّضتِ السّيّدةُ أندروز صوتَها:

- أعتقدُ أنّه يروي قصصًا غريبة. عندما عادتْ جرايسي من المدرسةِ الأسبوعَ الماضي، روتْ لي الحكاياتِ اللّامنطقيّةَ الّتي حكاها لها عن شخصيّاتِ الشّاطئ. لم يكنْ هناك كلمةٌ حقيقيّةٌ واحدةٌ في هذه القصصِ كما تعلمْن. أخبرتُ غريسي ألّا تصدّقه، فقالت إنّ بول لم يقصد ذلك. ولكن إذا لم يكن يريدُها أن تصدّقَ حكاياتِه فلماذا رواها لها إذن؟

قالتِ السّيّدةُ سلون:

- تقول آن إنّ بول عبقري.

قالتِ السّيّدةُ أندروز:

- قد يكون هذا صحيحا. لا يمكنُ أبدًا معرفةُ ما ننتظره من الأمريكيّين.

كانت معرفةُ السّيّدةِ أندروز بكلمةِ «عبقريّ» مشتقةٌ من الأسلوبِ العامّيّ الّذي يطلقُها على أيّ فردٍ غريبِ الأطوار. «عبقريّ مجنونٌ/ عبقريٌّ غريبُ الأطوار». فربّما كانتْ تشاركُ ماري جو رأيَها فِي أنّ الصّبيَّ غيرُ عاديّ.

جلسَتْ آن بمفردِها على مكتبِها في القسمِ، تمامًا مثلما جلستْ في اليومِ الأوّلِ منَ المدرسةِ قبلَ عامين. وضعتْ ووجهَها على يديْها، وعيناها النّديّتانِ تنظرانِ بحزنٍ منَ النّافذةِ إلى مياهِ البحيرةِ اللاّمعةِ، وقد انقبض قلبُها لفِراقِ تلاميذِها إلى درجةِ أنّ المدرسةَ قد فقدتْ في عينيْها كلَّ سحرِها. إنّها ماتزال تشعرُ بذراعيْ أنيتا بيل حولَ رقبتِها، وتسمعُ الصّوتَ الطفوليَّ الباكي يقولُ: «لن أحبّ أيّ معلّمةٍ أبدًا مثلمَا أحبّكِ يا آنسة شيرلي، أبدًا».

لقد اشتغلتْ عاميْن بجدّيةٍ وإخلاص، وقامتْ بأخطاءَ كثيرةٍ، وتعلّمتْ منْها، وتقدّمتْ بفضلها. وقد حصلتْ على مكافأتِها. لقد علّمت تلاميذَها أشياءَ عديدةً، وشعرتْ بأنهم علّمُوها أكثرَ ممّا علّمتْهم: دروسُ الحنانِ، وضبطُ النّفسِ، والحكمةُ البريئةُ، والنّفاذُ إلى قلوبِ الأطفال. ربما لم تنجحْ في «إلهام» تلاميذِها أيّ طموحاتٍ خارقةٍ، لكنّها علمتهم، عبر لُطفِها الطّبيعيِّ الرّاسخِ، وأكثرَ منْ كلِّ

النّظريّاتِ التّعليميّةِ الأخرى، أنّه من الضّروريّ في المستقبلِ أن يعيشُوا حياتَهم بتميّزٍ وأناقةٍ وحكمةٍ، متمسّكين بالحقيقةِ واللّياقةِ والطّيبةِ، بعيدًا عنِ الكذبِ والرّداءةِ والفَظاظة. ربّما لم يكونوا جميعًا مُدركين لهذه الدّروسِ، لكنّهم سيتذكّرونها ويمارسُونها على أرضِ الواقعِ لفترةٍ طويلةٍ، بعد نسيانِهم عاصمةَ أفغانستان أو تواريخَ الحروبِ الأهْليّة.

قالت آن بصوتٍ عالٍ وهي تقفلُ دُرْجَ مكتبِها بالمفتاحِ:

- لقد انتهى فصلٌ آخرٍ في حياتي.

أحزنَها ذلك كثيرًا، لكنَّ الجانبَ الرّومانسيَّ في فكرةِ «انتهاءِ الفصل» واستْها قليلاً.

قضّتْ آن أسبوعيْن في جناحِ الصّدَى في بدايةِ إجازتِها، وأمضتْ وكلَّ منْ معَها وقتًا ممتعًا.

اصطحبتِ الآنسةَ لافندر إلى رحلةِ تسوّقٍ في المدينةِ، وأقنعتها بشراءِ فستانٍ جديدٍ من الموسلين القطنيِّ، ثمّ تلتْ ذلك متعةُ تشذيبِهِ وتجميلِه، بينما جمعتْ شارلوتا الرّابعةُ القصاصاتِ، ورتقتْها في قمّةِ سعادتِها. اشتكتِ الآنسةُ لافندر منْ أنّها فقدتِ الاهتمامَ بكلِّ شيءٍ، لكنّ التّألّقَ عادَ إلى عينيْها وهي ترى فستانَها الجديد.

تنهدت قائلة:

- كم أنا خرقاءُ. أشعر بالخجلِ منَ التّفكيرِ بأنّ فستانًا جديدًا قادرٌ على إبهاجِي، حتى وإنْ كان مصنوعًا من الموسلين القطنيّ. بينما لا يمكنُ أن يسعدَني ضميرٌ مرتاحٌ، أو مساهمةٌ في الحملاتِ التّبشيريّة.

وبعد أسبوعٍ، ذهبت آن لقضاءِ يومٍ في «غرين غابلز» لإصلاحِ جواربِ التّوأمِ والإجابةِ على أسئلةِ دايفي المتراكمة. في المساءِ نزلتْ إلى طريقِ الشّاطئِ لمقابلةِ بول آرفنغ. عندما مرّتْ قربَ النّافذةِ المنخفضةِ لغرفة آرفنغ، لمحتْ بول جالسًا على ركبتيْ شخصٍ مّا. وفي اللّحظةِ التّاليةِ، جاء مسرِعًا عبرَ الرّدهةِ، وصرخ بحماسٍ:

- أوه يا آنسة شيرلي، لو فقط تعرفين ما حدث! أمرٌ رائعٌ جدّا. أبي هنَا ... هل يمكنكِ تصديقُ ذلك؟ أبي هنا! ادخلِي بسرعة. أبي هذه مُعلّمتي الجميلة. أنتَ تعرفُها يا أبي.

تقدّم ستيفن آرفنغ للقاءِ آن بابتسامة. كان طويلَ القامةِ، وسيمًا، في منتصفِ العمر، بشعرٍ رماديٍّ فولاذيٍّ، وعينينِ زرقاوينِ داكنتين. بدا ووجُهُ قويًّا، لكنْ، حزينًا، ومصَمّمًا بروعةٍ حولَ الذّقنِ والحاجِب. «بالضّبطِ، وجهُ بطلٍ روائيٍّ»، قالتْ آن في نفسِها بإحساسٍ شديدِ الرّضا. فمنَ المحبطِ للغايةِ مقابلةُ «بطلٍ مفترضٍ» واكتشافُ أنّه أصلعُ أو محدودبٌ، أو مفتقرٌ للوسامةِ الرّجوليّة. كان أمرًا مروّعًا بالنسبة إلى آن ألّا يرتقيَ بطلُ قصّةِ الآنسةِ لافندر الرّومانسيّةِ إلى مستوى توقّعاتِها.

قال السّيّد آرفنغ وهو يصافحُها بحرارةٍ:

- إذن، هذه هيَ معلّمةُ بول الجميلةُ الّتي طالَما سمعت عنها. كانت رسائلُ بول زاخرةً بك يا آنسة شيرلي، إلى درجةِ شعورِي بأنّي على معرفةٍ جيّدةٍ بكِ فعلا. أودّ شكركِ على ما فعلته لبول. أعتقد أنّكِ أثّرتِ فيه التّأثيرَ الّذي كان يحتاجُه.

أمّي امرأةٌ رائعةٌ، لكنّ حسَّها الواقعيَّ الصّلبَ، الموروثَ من أصلِها الاسكتلنديِّ، لم يمكّنْها من فهمِ مزاجِ ابني. لقد وفّرتِ ما كان ناقِصا. أعتقدُ أنّ بول بينكما قد حَظِيَ بتربيةٍ جيّدةٍ العامينِ الماضيينِ، بالرغم منْ فقدانه لأمّه.

الجميعُ يحبُّ أن يكونَ موضعَ تقدِير. وقد أدخلتْ إشادةُ السّيّدِ آرفنغ على وجهِ آن مَسَحةً ورديّة. كما أنّ الرّجلَ المشغولَ والمرهقَ من العالَمِ، إذا ما نظرَ إليْها، فسيفكّرُ على الفورِ في أنّه لم يرَ قطُّ فتاةً أجملَ من هذهِ المعلّمةِ الصّغيرةِ بشعْرِها الأحمرِ، وعينيْها الرائعتيْن.

جلس بول بينهما، سعيدًا كما لمْ يكنْ من قبل.

قالَ بتوهّجٍ:

- لم أحلم أبدًا بأنّ أبي قادِم. حتى جدّتي لم تعرفْ ذلك. كانتْ مفاجأةً رائعة.

هزّ بول شعرَه البنّيّ المجعّدَ بشدّةٍ وتابع:

- عمومًا لا أحبّ المفاجآت، لأنّي أفقد متعةَ الانتظارِ هَكذا. لكنْ في حالةٍ مثل هذه، كانت مفاجأةً رائعة. جاء أبي اللّيلةَ الماضيةَ بعد أن دخلتُ فراشي. وبعد أن توقّفتْ جدّتي وماري جو عن دهشتِهما بمجيئِهِ، صعد إلى غرفتِي لرؤيتِي هو وجدّتي. لم يكونا ينويانِ إيقاظِي قبل الصّباح. لكنّي فتحتُ عينيّ ورأيتُه. أؤكّد لك أنّي قفزتُ عليه مباشرة.

قال السّيّد آرفنغ وهو يضعُ ذراعيه حول كتفيْ بول مبتسمًا:

- بعناقٍ مثلَ عناقِ دبٍّ صغيرٍ. بالكاد عرفتُه، لقد كبُر، وأصبحَ أكثر سُمرةً وقوّة.

تابع بول:

- لا أعرف من كان أسعد برؤيةِ أبي، أنا أو جدتي. قضّتْ طَوالَ اليومِ في المطبخ تعدّ المأكولاتِ المفضّلةَ لديه. تقولُ إنّها لا تثق في طبخِ ماري جو. كانتْ تلك طريقتُها في التّعبيرِ عن سعادتِها. أمّا أنا فأفضّلُ الجلوسَ والحديثَ مع أبي. الآن، سأترككُما لبعضِ الوقتِ لو سمحتُما. يجبُ أنْ أعيدَ الأبقارَ منَ الرّعيِ بدلَ ماري جو. هذا هو أحدُ واجباتِي اليوميّة.

عندما خرج بول لأداءِ «واجبه اليوميّ»، تبادل السّيّد آرفنغ مع آن الحديثَ في مواضيعَ مختلفة. لكنْ، شعرت آن أثناء حديثِهما بأنه يفكّر في شيءٍ آخر، ظهرَ على السّطحِ في نهايةِ المطافِ:

- في الرّسالةِ الأخيرةِ حدّثني بول عن أنّكما ذهبتُما معًا في زيارةٍ لإحدى... صديقاتِي... القديماتِ... الآنسة لويس في البيتِ الحجريِّ في «غرافتون». هل تعرفينها جيّدا؟

أجابت آن بنبرةٍ حاولت ما أمكنَها أن تكونَ بريئةً، حتّى لا تُظهرَ العاطفةَ المفاجئةَ الّتي هزّتْها من رأسِها حتّى أخمصِ قدميْها عندما سمعتْ سؤالَ السّيّد آرفنغ:

- نعم بالطّبع، إنّها صديقةٌ عزيزةٌ جدًّا.

شعُرتْ آن «غريزيّا» بأنَّ الرّومانسيّةَ تختلسُ النّظرَ إليْها عندَ الزّاوية.

نهضَ السّيّد آرفنغ، وتوجّهَ إلى النّافذةِ، يتأمّلُ بحرًا ذهبيًّا هائجًا، تنفخُ فوقَه ريحٌ برّيّة. سادَ الصّمتُ لحظاتٍ قليلةً في الغرفةِ الصّغيرةِ ذاتِ الجدرانِ المظلِمة. ثمّ التفتَ، ونظرَ إلى وجهِ آن المُتعاطِفِ بابتسامةٍ نصفها غريبٌ ونصفُها رقيق.

وشوشها:

- أتساءلُ عمّا تعرفينه.

أجابتْ في الحينِ:

- أعرف كلّ شيءٍ، فأنا والآنسةُ لافندر صديقتان حميمتان. وإلّا ما كانتْ روتْ لأيٍّ كان، أشياءَ مقدّسةً كهذه. إنّها توأمُ روحي.

- نعم، أتصوّرُ ذلك. حسنًا، أريد أن أطلبَ منكِ خدمة. أرغبُ في رؤيتِها إن كانتْ لا تمانِع. هل يمكنكِ أن تسألِيها إذا ما كانتْ تسمحُ لي بزيارتِها؟

ألنْ تسألها؟! أوه بالطّبع ستسألها! لقد كانت قصّتها قصّةَ حبٍّ حقيقيّةٍ بكلِّ سِحرِ الشّعرِ والأحْلام. ربّما تأخّرتْ بعضَ الشّيءِ، مثل وردةٍ تتفتحُ في أكتوبر، بينما كان من المفترضِ أن تتفتّح في جوان. ولكنّها تظلُّ مع ذلك وردةً، بكلّ سحرِها وعطرِها، مع بريقِ الذّهبِ في قلبِها. لم تحملها قدماها أبدًا بأكثرِ استعدادٍ في مُهمّةٍ، مثلما حملتاها في تلكَ المسيرةِ إلى «غرافتون» عبر غاباتِ الزّانِ، في صباحِ اليومِ التّالي. وجدتِ الآنسةَ لافندر في الحديقة. كانت آن متحمسةً إلى درجةِ الخوفِ، يداها باردتانِ وصوتُها مرتجف.

- لديّ ما أخبرك به يا آنسة لافندر... أمرٌ هامٌّ جدّا. هل يمكنكِ تخمين ما هو؟

لم تكنْ آن تعتقدُ أنّ هذا ممكنٌ، لكنّ وجهَ الآنسةِ لافندر شحبَ، ونطقتْ بصوتٍ هادئٍ ومنعدمِ الإحساسِ، فاقدٍ لكلِّ لونٍ أو بريقٍ:

- عاد ستيفن آرفنغ؟

صرخت آن بخيبةِ أملٍ، منزعجةً لأنّ «لغزها» العظيمَ مكشوف:

- كيف عرفت هذا؟ من أخبرك به؟.

- لا أحد. خمّنتُ ذلك بمفردِي، فقط من الطّريقةِ الّتي تحدثتِ بها.

قالتْ آن:

- إنّه يريدُ زيارتَكِ، هل لي أن أكتبَ لهُ، وأخبرَه أنّكِ موافقة؟

قالتِ الآنسةُ لافندر بارتباكٍ:

- نعم، بالطبع. لا يوجد سببٌ يجعلنِي أرفض. بإمكانِه المجيءُ لزيارتِي كأيِّ صديقٍ قديم.

كان لدى آن رأيُها الخاصُّ حول ذلك. أسرعتْ إلى المنزلِ، وكتبتْ إلى ستيفن على مكتبِ الآنسةِ لافندر.

فكّرت ببهجةٍ:

- أوه، أن تعيشَ كأنّك داخلَ روايةٍ، يا لها منْ متعة !. سينتهي كلُّ شيءٍ بخيرٍ، لا بدّ من ذلك، وسيَحْظى بول بأمٍّ كما يحبُّها، وسيعيشُ الجميعُ سعداء. لكنَّ السّيّد آرفنغ سيصطحبُ

معه الآنسةَ لافندر، ومنْ يدري ما سيكونُ مصيرُ بيتِ الحَجر. هناك وجهانِ في هذه العُملةِ، مثلما هو الحالُ مع أيِّ شيءٍ آخر.

كُتبت الرّسالةُ المهمّةُ، وأخذتها آن بنفسِها إلى مكتبِ بريد «غرافتون»، حيثُ أوقفتْ ساعي البريدِ في الطّريق، وطلبتْ منه أن يودِعها مكتبَ «آفونلي».

أكّدتْ عليه آن:

- إنّها على غايةٍ من الأهمّية.

وجدتْ ساعي البريدِ رجلًا عجوزًا متجهّمًا إلى حدٍّ ما، لا علاقةَ له على الإطلاقِ بساعِي بريدٍ للحبّ. ولم تثقْ آن تمامًا في ذاكرتِه. لكنه قال إنّه سيبذل قصارَى جهدِه للتّذكّرِ، فاكتفت بذلك.

شعرتْ شارلوتا الرّابعةُ بأنّ بعضَ الغموضِ يحومُ حول البيتِ الحجريِّ مساءَ ذلك اليوم، لغزٌ استُبعدتْ منه. كانت الآنسةُ لافندر تتجوّلُ في الحديقةِ مشتّتةَ الذّهن. حتّى آن أيضًا بدتْ وكأنّها مسكونةٌ بالشّيطانِ، ولم تتوقّفْ عن الذّهابِ والإيابِ، والصّعودِ والهبوط. تحّملتْ شارلوتا الرّابعة الوضعَ، حتّى نفدتْ فضيلةُ صبرِها، ثمّ واجهتْ آن عندما جاءتْ هذه الأخيرةُ تتسكّعُ للمرّة الثّالثةِ بلا هدَفٍ، عبر المطبخ.

قالتْ شارلوتا الرّابعةُ وهي تهزُّ شرائطَها الزّرقاءَ بسخطٍ:

- أرجوك آنسة شيرلي، من الواضحِ أنّكِ والسّيدة لافندر تخفيان سرًّا، وأستميحك عذرًا آنسة شيرلي، إذا ما تماديتُ،

ولكنْ، من غيرِ اللاّئقِ أن تبقياني جانبًا، بينما نحنُ صديقاتٌ حميمات.

- أوه، شارلوتا عزيزتي، كنتُ سأخبركِ بكلّ شيءٍ لو كان السّرُّ سرّي، ولكنّه سرُّ الآنسةِ لافندر، كما ترين. ومع ذلك، سأقولُ لك أمرًا، وإذا لم يحدثْ، عِديني ألاّ تفصِحي عن كلمةٍ واحدةٍ منهُ لأيِّ روحٍ حيّة. الأميرُ السّاحرُ قادمٌ اللّيلة. لقد جاء منذُ زمنٍ بعيدٍ، ولكنّه في لحظةٍ جنونيّةٍ رحلَ بعيدًا، وتجوّل في كاملِ العالَمِ، ونسِيَ سرَّ الطّريقِ السّحريّ إلى القلعةِ المسحورةِ، حيث كانتِ الأميرةُ تستنزفُ كلّ دموعِها من أجلِه. ولكنّه تذكّرهُ في النّهاية، والأميرةُ ما تزال تنتظرهُ ... لأنّه لا يمكن لأحدٍ أن يحملها سوى أميرِها العزيز.

سألت شارلوتا محتارةً بشكلٍ تامٍّ:

- أوه، ماذا تقولين يا آنسة شيرلي؟

انفجرت آن ضاحكة.

- حتّى أكون واضحةً أكثر، ستستقبلُ الآنسةُ لافندر صديقًا قديمًا هذا المساء.

سألتْ شارلوتا:

- تقصدين عشيقًا قديمًا؟

أجابتْ آن بحزمٍ:

- هذا على الأرجح ما أقصده. إنّه والدُ بول... ستيفن آرفنغ.

ومن يدري كيفَ ستنتهِي كلُّ هذه الحكايةِ، ولكنْ، لنأملْ خيرًا يا شارلوتا.

أجابت شارلوتا بحسمٍ:

- أتمنّى أن يتزوّجَ الآنسةَ لافندر... مقدّرٌ لبعضِ النّساءِ أن يبقيْن عانساتٍ، وهذه هي الحالةُ بالنّسبة إليّ، لأنّي لا أستطيعُ تحمّلَ الرّجال. ولكن ليستْ هذه حالةُ الآنسة لافندر على الإطلاق. وإنّي محتارةٌ جدًّا كيف ستتصرّفُ عندما أبلغُ السّنَّ الّذي يسمحُ لي بالانتقالِ إلى بوسطن. لم يعدْ هناك بناتٌ في عائلتِنا. ماذا ستفعلُ إذا ما اضطرّتْ إلى العيش مع غريبةٍ تضحكُ من ألعابِها، وتتركُ الأشياءَ قابعةً بفوضى في أمكنتِها، وترفض أن يُطلقَ عليها: شارلوتا الرابعة. ربّما كانتْ ستجدُ فتاةً لها ما يكفي من الحظِّ كيْ لا تكسرَ الصّحون، ولكنْ، من المستحيلِ أن يُحبّهَا أحدٌ أكثرَ منّي.

وعلى إيقاعِ هذه الكلماتِ، دفعتِ الخادمةُ الصّغيرةُ أنفها نحو بابِ الفرنِ، وبدأتْ تشتمّ. أقيمتْ جلسةُ الشّايِ كالعادةِ تلك الليلةِ في جناحِ الصّدى، ولكنْ، لا أحد تمكّنَ من أكلِ شيءٍ حقًا. بعد الشّايْ، توجّهتِ الآنسةُ لافندر إلى غرفتِها، وارتدتْ فستانَها «الأورغاندي» الجديدَ، وتولّتْ آن تصفيفَ شعرِها. تحمّستْ كلتاهما بشكلٍ مخيف. لكنّ الآنسةَ لافندر تظاهرتْ بالهدوءِ الشّديدِ واللامبالاة.

قالت فاحِصةً السّتارةَ، وكأنْ لا شيءَ آخر كان مهمًّا في تلكَ اللّحظة:

- يجب أن أصلحَ ذلك التمزّقَ في الستارةِ غدًا. لم تصمد هذه السّتائر كما ينبغي، بالنّظرِ إلى السّعرِ الّذي دفعتُه فيها. يا إلَهي، لقد نسِيتْ شارلوتا نفضَ الغبارِ عن درابزين الدَّرَجِ مرّةً أخرى. يجبُ حقّا أنْ ألاحظَ لها ذلك.

جلستْ آن على دَرَجِ الرّدهةِ، وعندها رأتْ ستيفن آرفنغ قادمًا منَ الطّريقِ، عابرًا الحديقة.

قال ناظرًا حوله بعينيْن مبتهجتيْن:

- هذا هو المكان الوحيدُ الّذي يتوقّفُ فيه الزمن. لم يتغيّرْ شيءٌ في هذا المنزلِ أو الحديقةِ منذ جئتُ إلى هنا قبلَ خمسةٍ وعشرين عامًا. إنّه يجدّدُ شبابي مرة أخرى.

أجابت آن بجدّيّةٍ:

- الزّمنُ لا يتحرّك مطلقًا في قصرٍ مسحور. لا تبدأُ الأحداثُ بالسّقوطِ إلاّ بقدومِ الأمير.

ابتسمَ السّيّدُ آرفنغ ببعضِ الحزنِ، للوجهِ الشّابِّ المرفوعِ نحوه، المشعِّ بوعودِ المستقبل.

قال دون أن يطلبَ من آن تفسيرَ كلامها. فقد فهمها، مثلما تتفاهَم كلّ الأرواحِ - التّوأم:

- أحيانا يأتي الأميرُ متأخّرًا بعضَ الشّيء.

قالت آن محتجّةً، وهي تهزّ رأسَها الأصهبَ بنزعةٍ حاسمةٍ، ثمّ فتحتْ باب الصالون:

- أوه، لا، ليس عندما يأتِي الأميرُ الحقيقيّ إلى الأميرةِ الحقيقيّة

وعندما دخلَ، أغلقت الباب بإحكامٍ خلفه، واستدارتْ، وواجهتْ شارلوتا الرّابعة، الّتي كانت تقفُ في الرّدهةِ، وتقوم بشتّى أنواعِ الإشاراتِ بوجهِها المُشْرِق.

قالت لاهثة:

- أوه يا آنسة شيرلي، لقد نظرتُ من نافذةِ المطبخِ، وهو وسيمٌ بِشكلٍ لا يوصَف. وله العمر المناسبُ للآنسةِ لافندر. أوه يا آنسةُ شيرلي، هل تعتقدين أنّهُ من السّيّءِ التلصّصُ عند الباب؟

قالت آن بحزم:

- هذا مروّع يا شارلوتا، لذا تعاليْ معِي بعيدًا عنِ الإغراء.

تنهدتْ شارلوتا قائلةً:

- لا أستطيعُ فعلَ شيء. ومنَ المريعِ أن أظلّ هُنا فِي الانتظار. وماذا سيحدثُ لو لمْ يتقدّمْ لها في النّهايةِ يا آنسة شيرلي؟ لا يمكنكِ الوثوقُ أبدا في الرّجال. اعتقدتْ أختي الكبرى، شارلوتا الأولى، في يومٍ من الأيّامِ أنها مخطوبةٌ لرجل. لكنْ، اتّضح في النّهايةِ أنّ له رأيًا مختلفًا، ومنذ تلكَ اللّحظة، قالت إنّها لن تثقَ في رجلٍ مرّةً أخرى. وسمعتُ عن حالةٍ أخرى، أحبَّ فيها رجلٌ فتاةً بجنونٍ، كي يكتشفَ في النّهايةِ أنّ

معشوقتَه الّتي طالَما أرادَها كانتْ في الحقيقةِ أختَه. عندما لا يكونُ الرّجُلُ متأكّدًا من نفسِه يا آنسة شيرلي، كيف يمكنُ لامرأةٍ مسكينةٍ أن تكون متأكّدةً من نفسِها هي الأخرى؟

قالت آن:

- لنذهبْ إلى المطبخِ، وننظفْ الملاعق الفضّيّة. هذه مهمّةٌ لا تتطلّب الكثيرَ من التّفكير، لحُسنِ الحظّ. فأنا لا أستطيعُ التّفكيرَ اللّيلة. وهكذا سيمرُّ الوقت.

مرّتْ ساعة. وعندَما وضعتْ آن آخرَ ملعقةٍ لامعةٍ، سمعتا البابَ الأماميّ يُغلق. حائرتان، بحثتا عنْ بعضِ الارتياحِ في عينيْ بعضِهما بعضًا.

قالت شارلوتا:

- أوه يا آنسة شيرلي، إذا كان قد غادرَ مبكّرا، فهذا يعني ألاّ شيءَ قد حدث، ولن يحدثَ شيءٌ على الإطلاق.

توجّهتا نحو النّافذة. لم يكن في نيّةِ السّيّدِ آرفنغ المغادرةَ على الإطلاق. فقد توجّهَ مع الآنسةِ لافندر ببطءٍ نحو المقعدِ الحجريّ.

وشوشت شارلوتا بسعادةٍ:

- أوه يا آنسة شيرلي، أنظري، لقد وضع ذراعهُ حول خصرِها. لابدّ أنّه طلبَ يدَها، وإلاّ ما كانت ستسمحُ له بذلك.

أمسكتْ آن شارلوتا الرّابعةَ من خصرِها الممتلئِ، ورقصتا حولَ المطبخِ حتّى نفدت أنفاسُهما.

صرخت آن بمرحٍ:

- شارلوتا، لستُ عرّافةً ولا ابنة عرّافةٍ، ولكنّي توقّعتُ أن تكونَ هناك زيجةٌ في هذا البيتِ الحجريّ القديمِ، قبل أن تحمرَّ أشجارُ القيقب. هل تريدِين أن أفسّر لك كلامي؟

أجابت شارلوتا:

- لا، أستطيع فهمَ هذا. الزّيجةُ ليستْ كلمةً صعبةً تشبهُ الشِّعر. أوه أنتِ تبكينَ يا آنسة شيرلي، لماذا؟

قالتْ آن بنبرةٍ باكيةٍ وهي تمسحُ دموعها:

- لأنّ ما يحدثُ جميلٌ جدّا... مثل الكتبِ... إنّه رومانسيٌّ وحزين. كلّ هذا رائعٌ بشكلٍ مثاليٍّ... ولكنّه على نحو مّا، مختلطٌ ببعضِ الحزن.

استخلصتْ شارلوتا الرّابعةُ:

- هناك مجازفةٌ مّا في الزّواج، ولكن بالطّبع يا آنسة شيرلي، هناكَ أشياءُ أسوأُ منَ الارتباطِ برجل.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(29)
شعرٌ ونثرٌ

في الشّهر الموالي، عاشتْ آن ما يمكنُ أن يطلقَ عليه في «آفونلي»، دوّامةً من الإثارة. إذ حلّتْ تحضيراتُها المتواضِعةُ للذّهابِ إلى جامعةِ ريدموند في المركزِ الثّاني من اهتماماتِها. لأنّ الآنسة لافندر تستعدّ للزّواجِ، وهو ما أصبح معهُ المنزلُ الحجريّ مسرحًا للمشاوراتِ والتّخطيطاتِ والمناقشاتِ اللّانهائيّة. حامتْ شارلوتا الرّابعةُ في الأرجاءِ ببهجةٍ واندِهاش. وعندما جاءتِ الخيّاطةُ، عاشتْ جميعُهنّ نشوةَ اختيارِ الأزياءِ ومعاناةَ تفصيلها. أمضتْ آن وديانا نصفَ وقتِهما في جناحِ الصّدى. ومرّتْ ليالٍ لم تستطعْ فيها آن النّومَ متسائلةً ما إذا قدْ أصابتْ في نصحِ الآنسة لافندر باختيارِ البنّي بدلاً منَ الأزرقِ الدّاكن بالنسّبة إلى فستانِ شهرِ عسلِها، وقصّةً مفتوحةَ العنُقِ لفستانِها الرّماديّ الحريريّ.

اعترتِ السّعادةُ قلوبَ كلّ الأشخاص المعنيّين بزواج الآنسة لافندر. ومنذ أن أعلمهُ والدُه بالخبرِ، سارع بول آرفنغ إلى «غرين غابلز» ليناقشَ الأمرَ مع آن.

قال بفخر:

- علمتُ أنه يمكنني الوثوقُ بأبي، كي يختارَ لي أمًّا ثانيةً جميلة.

من الجيّد أن يكونِ لديكِ أبٌ يمكنكِ الاعتمادُ عليه يا آن. أحبُّ الآنسة لافندر. جدّتي سعيدةٌ أيضًا. وتقول إنها أكثرُ سعادةً لأنّ والدي لم يختَرْ أميركيّةً كزوجةٍ ثانيةٍ، لأنّ هذا الزّواجَ إذا نجحَ في المرّةِ الأولى، فلا يمكنُ أن ينجحَ في المرّةِ الثّانيةِ على الأرْجَح. السّيّدة ليند توافقُ تمامًا على هذا الزّواجِ، وتعتقدُ أنّ الآنسةَ لافندر ستتخلّى عن أفكارِها الغريبةِ، وستتصرّفُ مثل الآخرينَ، الآن. لكنّي آملُ ألّا تتخلى عنها يا آن، لأنّني أحبّها كما هي، ولا أريدُها أن تشبهَ الآخرين. هناك العديدُ من النّاسِ المتشابهين يا آن، كما تعلمين.

توهّجتْ شارلوتا الرّابعةُ هي الأخرى:

- أوه يا آنسة شيرلي، سار كلّ شيءٍ على ما يرام. عندما يعودُ السّيّدُ آرفنغ والآنسةُ لافندر من شهرِ العسل، سأذهب للعيشِ معهما في «بوسطن»، وليس في عمري سوى خمسَ عشْرة سنةً، بينما لم تذهب أخواتي قطُّ قبل سنِّ السّادسة عشرة. أليس السّيّد آرفنغ رائعًا؟ إنّه يقبّل الأرضَ الّتي تسير عليها، وأشعرُ بتأثّرٍ شديدٍ عندما أرى الطّريقةَ الّتي ينظرُ بها إليها. إنّهُ أمرٌ يفوق الوصف، يا آنِسة شيرلي. إنّي سعيدةٌ جدّا بأنّهما مولعانِ بعضهما ببعضٍ إلى هذه الدّرجة. الحبُّ أفضلُ طريقةٍ للتّفاهم في النّهاية، على الرّغم من أنّ بعض الأشخاصِ يمكنهم التّعايشُ دونه. لديّ خالةٌ تزوجت ثلاثَ مراتٍ وتقول إنّها تزوّجتِ في المرّةِ الأولى عن حبٍ

وفي المرّتينِ الأخيرتينِ عن مصلحةٍ فقطْ، وكانت سعيدةً بالزّيجاتِ الثّلاثِ، ما عدا أوقاتِ الجنازات. لكنّني أعتقدُ أنّها جازفتْ يا آنسة شيرلي.

قالتْ آن لماريلّا تلك الليلة

- أوه، يا لها من قصّةٍ رومانسيّة. لو لم أخطئِ الطّريقَ يومَ ذهبنا لزيارةِ عائلة كيمبل، لما تعرّفتُ على الآنسةِ لافندر أبدا. ولو لم ألتقِ بها، لما عرّفتها على بول أبدًا. ولم يكنْ سيكتبُ إلى والده ويحدّثَه عن زيارةِ الآنسةِ لافندر في اللّحظةِ الّتي سافرَ فيها السّيّد آرفنغ إلى سان فرانسيسكو. يقولُ السّيّد آرفنغ إنّه عندما تلقّى تلكَ الرّسالةَ، قرّر إرسالَ شريكِه إلى سان فرانسيسكو مكانَهُ، والمجيءَ إلى هنا. لم يسمعْ عنِ الآنسةِ لافندر منذُ خمسة عشر عامًا. أخبرهُ شخصٌ مّا بعد ذلك أنها ستتزوجُ. واعتقد أنّها ستفعلُ، ولم يسألْ عنها أيَّ شخصٍ أبدًا. والآن، أصبح كلّ شيءٍ على ما يرام. وكان لي يدٌ في تحقيق ذلك. ربما، كما تقولُ السّيّدة ليند، كلُّ شيءٍ مُقدّرٌ، وكان لا بدّ من حدوثِه على أيِّ حال. لكن مع ذلك، من الجيّد الاعتقادُ أنّ القدرَ قد استعانَ بنا. نعم، في الواقعِ، إنّها حكايةٌ رومانسيّةٌ للغاية.

أجابت ماريلا بنبرةٍ منكسرةٍ:

- لا أرى أنّها رومانسيّةٌ على الإطلاق.

تعتقد ماريلّا أنّ الحدثَ قد شغلَ آن جدًا. بينما كان عليها

الاستعدادُ للكلّيةِ، بدلَ «الانتقال» إلى جناحِ الصّدى على مدى يومين لمساعدةِ الآنسةِ لافندر.

- في البداية، يتشاجرُ شابّان، ويغضبان من بعضِهما بعضًا، ثم يذهبُ ستيف آرفنغ إلى الولاياتِ المتّحدةِ، ويتزوّجُ بعد فترةٍ، ويعيشُ السّعادةَ على جميعِ الأصعِدة. ثم تموتُ زوجتُه، وبعد فترةٍ وجيزةٍ يعودُ إلى القريةِ ليرى ما إذا كانتْ شُعلتُه الأولى تريدُه أو لا. في هذه الأثناءِ، ظلّتْ الشّعلةُ عزباء، فقط لأنه لم يأتِ شخصٌ لطيفٌ بما يكفي ليطلبَ يدَها. ثمّ يلتقيانِ، ويتّفقانِ على الزّواج. الآن، أخبريني ما الرومانسيُّ فِي هذا؟

- أوه، لا شيء رومانسيٌّ، إذا ما رويتِهِ على هذا النّحو.

قالت آن بصوتٍ مخنوقٍ، وبدتْ وكأنّ أحدَهم قد ألقى عليها سطل ماءٍ بارد:

- تبدو الحِكايةُ هكذا، إذا ما رويناها بهذهِ الطّريقةِ «النّثريّة» البسيطة. لكنّ الأمر سيختلفُ تمامًا إذا ما نظرنا إليها نِظرةً شعريّةً. وأعتقدُ أنّها أجمل.

استعادت آن نفسَها، محافظةً على لمعانِ عينيها، واحمرارِ خدّيْها:

- عندما ننظر بِعينيْ الشِّعر.

نظرتْ ماريلا إلى الوجهِ الشّابِّ المشرقِ، وامتنعتْ عن أيّ تعليقاتٍ ساخرة. وربّما أدركتْ بعضَ الشّيء أنّ منَ الأفضلِ لها امتلاكُ «الرّؤيةِ والقوّة الإلهية» مثل آن، تلك الهبةِ الّتي لا يستطيعُ

العالَمَ منحَها أو سلبَها، هِبةٌ تكشِفُ الحقِيقة أو تحوّلُها، وتحيطُها بضوءٍ سماويٍّ، وتهبُها مجدًا ونضارةً غير مرئيّيْن لأولئك الّذين ينظرون، مثلها ومثل شارلوتا الرّابعة، إلى الأشياءِ «نثرا» لا «شعرا».

سألت بعد صمتٍ:

- متى موعدُ الزفاف؟

- آخر أربعاءٍ في أوت. سيتزوجانِ في الحديقةِ تحتَ عريشةِ زهرِ العسلِ، حيثُ طلبَ السّيّد آرفنغ يدَها قبلَ خمسة وعشرين عامًا. ماريلّا، إنّ هذا رومانسيٌّ، حتى «نثرا». لن يكونَ هُناك ضيوفٌ سِوى السّيّدةِ آرفنغ والدةِ ستيفن، وبول، وجيلبرت، وديانا، وأنا، وأقاربِ الآنسةِ لافندر. ثمّ سيغادران في قطارِ السّاعةِ السّادسةِ في رحلةِ شهرِ العسلِ على ساحلِ المحيطِ الهادِئ. وعندما يعودان في الخريفِ، سيرافقُهما بول وشارلوتا الرّابعةُ للعيشِ معهُما في بوسطن. وسيبقى جناحُ الصّدَى كما هو. سيبيعان فقط الدّجاجَ والبقرَ، ويقفلانِ النّوافذَ، وسوف يعودانِ دومًا لقضاءِ الصّيفِ هنا. أنا سعيدةٌ للغاية. سيؤلمني، في الشّتاء المقبلِ، في ريدموند، التّفكيرُ في البيتِ الحجريِّ العزيزِ، وهو صامتٌ ومهجورٌ، بغرفٍ فارغةٍ، أو أسوأُ من ذلك، مسكونٌ من أشخاصٍ آخرين. أمّا الآن فيمكنني رؤيتهُ تمامًا كما رأيتهُ دومًا، منتظرًا الصّيفَ بمرحٍ يعيد إليه حياتَه وبهجتَه.

وليستْ قصّة العاشِقينِ الكهلينِ في البيتِ الحجريّ قصّة الحبّ

الوحيدةِ، بل هناك المزيدُ منها في هذا العالم. وقد عثرت آن فجأةً على إحداها في إحدى الأمسياتِ، عندما كانت ذاهبةً إلى» أوركاد سلوب» عبرَ الطّريقِ المختصرةِ في الغابةِ، ثمّ داخلةً إلى حديقةِ عائلةِ باري حيثُ وقف فريد رايت وديانا باري معًا تحت شجرةِ صفصافٍ كبيرة. اتّكأتْ ديانا على الجذعِ الرّماديّ، وحاجباها مستندانِ إلى خدّينِ قرمزيّين. بينما أمسك فريد بيدها، ووجهُه منحنٍ تُجاهها، وهو يحدّثها بصوتٍ منخفض. بدا وكأنّهما وحيدان في العالم، في تلكَ اللّحظةِ السّحريةِ، لذلك لم يرَ أيّ منهما آن، التي ألقتْ نظرةً خاطفةً، ثمّ استدارتْ عائدةً بلا ضوضاءَ عبْر غابةِ التّنّوبِ، ولم تتوقفْ أبدًا حتى أدركتْ غرفتَها، وجلستْ ملاحقةً أنفاسَها بجوارِ نافذتِها. حاولتِ الإمساكَ بزمامِ نفسِها. ثمّ غمغمتْ:

- ديانا وفريد عاشقان، أوه، يبدو ... يبدو ... يبدو أنّهما كبرا بشكلٍ ميؤوسٍ منه.

شكّتْ آن مؤخرًا في أنّ ديانا تخونُ بطلَ أحلامِها المبكّرةِ، البيرونيَّ الحزينَ. ولكنْ، نظرًا إلى أنّ ما نراهُ أقوى بكثيرٍ ممّا نسمعُه أو نشكُّ فيه، فإنّ إدراكها لتلكَ الحقيقةِ أصابها بصدمةِ الكشفِ المفاجِئ. وتبع ذلك شعورٌ غريبٌ ببعضِ الوحدة، كما لو أنّ ديانا، على نحوٍ مّا، دخلتْ إلى عالمٍ جديدٍ آخر، وأغلقتِ البوّابةَ خلفَها، تاركةً آن في الخارج.

فكّرتْ ببعضٍ منَ الحزنِ:

- كلّ شيءٍ يتغيّرُ بسرعةٍ مخيفةٍ، وأخشى أنّ علاقتِي بديانا قد

تغيّرتْ أيضا. أنا متأكّدةٌ منْ أنّي لن أستطيعَ الآنَ أنْ أعهدَ إليها بجميعِ أسراري، لأنّها ستقولها لفريد. وماذا يمكن أن ترى في فريد؟ إنّه ولد طيّبٌ، تحلو صحبتُه... ولكنّه في النّهايةِ ليس سِوى فريد رايت.

إنه سؤالٌ محيّرٌ للغاية. ماذا يمكنُ لشخصٍ أن يرى في شخصٍ آخر؟ لكنّ ذلك يعدُّ حظًّا، لأنّه إذا ما تشابهَ الجميعُ، سيصدقُ ما قاله الهنديّ العجوزُ، «سيرغبُ الجميعُ في ضربِي. من الواضحِ أنّ ديانا رأتْ شيئًا مّا في فريد رايت، وقد تكون عينا آن معصوبتيْن. جاءتْ ديانا إلى «غرين غابلز» مساءَ اليومِ التّالي، لترويَ لآن القصّةَ كاملةً، في عزلةِ الغرفةِ الشّرقيّة. تبادلتِ الفتاتان قبلًا ضاحكتيْن وباكيتيْن.

قالت ديانا:

- إنّي سعيدةٌ، ولكنْ، يبدو لي أمرًا أخرقَ أن أكونُ مخطوبة.

سألت آن بِفضولٍ:

- وبماذا تشعرين وأنتِ مخطوبة.

أجابت ديانا:

- حسنا، هذا متعلّقٌ بالشّخصِ الّذي ترتبطين به.

بتلك السَّحنةِ الحكيمةِ الّتي تعلُو دومًا وجوهَ المخطوبِين أمام أولئك الّذين ليْسوا كذلك.

- إنّه لأمرٌ رائعٌ تمامًا أن أكونَ مخطُوبةً لفريد. لكنّي أعتقدُ أنّ ذلك سيكونُ مريعًا معَ أيِّ شخصٍ آخر.

قالت آن ضاحكةً:

- ليس مريحًا لبقيّةِ الفتياتِ معرفةُ أنّ هناكَ فريد واحد.

احتجّتْ ديانا، مستاءةً:

- أوه يا آن، أنتِ لا تفهمين. ليس هذا ما قصدتُه... يصعبُ تفسيرُ ذلك. على كلّ حالٍ، ستفهمين في يومٍ منَ الأيّامِ، عندما يأتِي دورُكِ.

- تعرفين جيّدا أنّي أفهمكِ عزيزتي ديانا. فيم يصلحُ الخيالُ، إذا كان لا يساعِدنا على رؤيةِ الحياةِ بعيونِ الآخرين؟

- أتعلمين؟ يجب أن تكوني إشبِينتِي. عِديني بذلك، حيثُما تكونِي، عندما أتزوّج.

وعدتها آن في الحينِ:

- سوف آتي من الضّفّةِ الأخرى للعالمِ إذا كان ذلك ضروريّا.

تابعتْ ديانا بوجهٍ محمرٍّ:

- طبعًا، سيكون ذلك بعد وقتٍ طويل. ثلاثُ سنواتٍ على الأقلِّ، لأنّ عمري ليس سِوى ثمانية عشر عامًا، وأمّي تقّول بألاّ واحدةَ من بناتِها ستتزوّجُ قبلَ الواحدةِ والعشرين. من جهةٍ أخرى، سوف يشتري والدُ فريد مزرعةَ أبراهام فلتشر، ويقولُ إنّ عليهِ دفعَ ثلثيْ المبلغِ قبلَ أنْ تصبحَ باسمِ ابنه.

لكنّ ثلاثَ سنواتٍ ليست كافيةً لتحضِير ملابِسي. لم أبدأْ بعد بتفصيلِ أيِّ ملابسَ فاخِرة. لكنّني سأبدأ غدًا في خياطةِ مناديلِ الكروشيه. ملكتْ ميرا جيليس سبعةً وثلاثين منْها

عندما تزوجتْ، وأنا مصرّةٌ على الحصولِ على أكبرِ عددٍ ممكنٍ منها.

اعترفت آن، بوجهٍ جادٍّ وعينين لامعتين:

- أعتقد أنّه من المستحيلِ تمامًا تسييرُ البيتِ بستّةٍ وثلاثين منديلًا فقطْ.

شعرتْ ديانا بالاستفزاز. ولامتها:

- لم أتصوّر أبدًا أنْ تسخري منّي.

صرختْ آن بنبرةٍ نادمةٍ:

- ولكنّي لا أسخرُ منكِ يا عزيزتي. أنا أشاكسكِ قليلاً فقط. أعتقدُ أنك ستكونين أجملَ مدبّرة منزلٍ في العالم. وأعتقدُ أنّه معك تمامَ الحقِّ أن تخطّطِي منَ الآن لمنزلِ أحلامك.

لم تكدْ آن تنطقُ عبارةَ «منزل الأحلام» حتّى بدأتْ على الفورِ تُشيّدُ منزلَها الخاصَّ في الخيال. إنّهُ منزلٌ يسكنهُ، بالطّبع، ربُّ بيتٍ مثاليٌّ، رجلٌ غامضٌ وشامخٌ وكئيبٌ بعض الشّيء. ولكنَّ الغريبَ في الأمرِ، أنّ جيلبرت بليث كان يحومُ حولَه أيضًا، ويساعدُها على ترتيبِ الصّورِ، وتعهّدِ الحديقة، وإنجازِ مهامَّ أخرى يعدُّها البطلُ الشّامخُ والكئيبُ غيرَ لائقةٍ بكرامتِه. حاولتْ آن إبعادَ صورةِ جيلبرت عن قصرِها في إسبانيا، ولكنّهُ بطريقةٍ مّا، استمرّ في الوجودِ هناك. لذلك كفّتْ عنِ المحاولةِ، وواصلتْ هندستَها في السّحابِ بنجاحٍ كبيرٍ، إلى درجةِ أنّ «منزل أحلامها» قد شُيّدَ، وأُثِّثَ حتّى قبلَ أن تتابعَ ديانا الكلامَ مرّةً أخرى.

- أفترض يا آن، أنّك تعتقدين أنّه من المضحكِ أنّني أحبُ فريد، بينما هو مختلفٌ تمامًا عن نوعِ الرّجالِ الّذينَ طالما قلتُ إنني سأتزوّجُ واحدًا منهم. يعنِي منَ النّوع الطويلِ والنّحيفِ، لكنّني بطريقةٍ مّا، لا أريدُ أن يكونَ فريد طويلَ القامةِ ونحيفًا. لأنّه، كما ترين، لنْ يكونَ فريد بعد ذلك.

أضافتْ ديانا ببعضِ النّدمِ:

- سنكون زوجيْن بدينيْن بشكلٍ مخِيف. ولكنْ في النّهاية، من الأفضلِ أن يكونَ أحدُنا قصيرًا وبدينًا والآخر طويلًا ونحيفًا، مثل مورغان سلون وزوجتِه. تقولُ السّيّدةُ ليند إنّها لا تستطيعُ كبحَ نفسِها عن التّفكير في كاريكاتور: الضّخمِ والقصيرِ، عندما تراهما معًا .

في تلك اللّيلةِ، اعترفت آن لانعكاسِها في المرآةِ ذاتِ الإطارِ الذّهبيِّ، وهي تمشّطُ شعرَها:

- حسنا، يسرّني جدّا أن أرى ديانا مغمورةً بالسّعادة. ولكن عندما يأتي دوْرِي، أتمنّى أن أعيشَ تجربةً أكثرَ إثارة. ولكنّ ديانا فكّرتْ هكذا أيضا. فكم مرّةً سمعتها تردّدُ أنّها لن تتزوّجَ على الإطلاقِ بطريقةٍ محدودةٍ ومبتذلةٍ... لابدّ من وجودِ شيءٍ مّا خارقٍ احتلّ قلبها. لقد تغيّرتْ. ربّما تغيّرتُ أنا الأخرى. لا... إنّي مصمّمةٌ على البقاءِ كما أنا. أوه، كم نصبحُ مضطرباتٍ عندما تتزوّجُ صديقاتنا الحمِيمات.

(30)
زواجٌ في البيتِ الحجريِّ

حلّ الأسبوعُ الأخيرُ من شهرِ أوت. ستتزوجُ الآنسةُ لافندر خلالَه، وبعد أسبوعينِ سيغادر جيلبرت وآن إلى كلّيةِ «ريدموند». وفي أسبوعِ مغادرتِها، ستنتقلُ السّيّدةُ راشيل ليند إلى «غرين غابلز»، وستضعُ أشياءَها في غرفةِ الضّيوفِ السّابقة، الّتي كانت جاهزةً لاستقبالِها. باعتْ قطعَ أثاثها الزّائدةَ عن طريقِ المزادِ، وتستمتعُ حاليّا بالمهمّةِ اللّائقةِ في مساعدةِ عائلة آلان على حزمِ أمتعتِهم. كان من المقرّرِ أن يخطُبَ السّيّد ألان خطبةَ وداعِه الأحدَ المُقبل. ها هو النّظامُ القديمُ يتغيّرُ بسرعةٍ ليعطيَ مكانهُ للجديدِ، وشعرتْ آن بذلك، ببعضٍ من الحزنِ المحيطِ بحماستِها وسعادتِها.

لاحظ السّيّد هاريسون بسَحنةٍ متأمّلةٍ:

- ليست التّغييرات أشياءَ ممتعةً كلّيًّا، ولكنّها مميّزة. بإمكان الأشياءِ أن تظلَّ كما هيَ مدّةَ عامين، وهذا يكفي. أمّا إذا ظلّتْ أكثر، فستكاد تتعفّن.

دخّنَ السّيّدُ هاريسون غليونَه في الشّرفة. فقد سمحتْ له زوجتُه، في روحٍ منَ التّضحيةِ، بأن يدخّنَ بالدّاخلِ، شرْطَ أن يجلسَ

قربَ نافذةٍ مفتوحَة. غيْر أنّهُ جازاها على هذه التّضحيةِ بالتّدخينِ في الخارجِ كلّما سمح الطّقسُ بذلك. وهكذا خيّمَ التّفاهمُ المشترك.

جاءت آن لتطلبَ من السّيّدة هاريسون بعضًا من أزهارِ الأضاليا الصّفراء. ستذهب هي وديانا إلى جناحِ الصّدى في ذلك المساءِ، لمساعدةِ الآنسةِ لافندر وشارلوتا الرّابعةِ في الاستعداداتِ النهائيّةِ لعرسِ الغد. لم يكنْ لدى الآنسةِ لافندر أزهارُ أضاليا. فهي لا تحبُها، كما أنّها غيرُ مناسبةٍ لحديقتِها ذاتِ الطّرازِ القديم. لكنّ الزهورَ بجميعِ أنواعِها نادرةٌ إلى حدّ مّا في «آفونلي»، والمناطقِ المجاورةِ، في ذلك الصّيفِ، بعد عاصفةِ العمّ آبي. اعتقدتْ آن وديانا أنّ جرّةً قديمةً في لونِ الكريما، والّتي عادةً ما تُخصّصُ لحفظِ الحلوى، ستكونُ ممتازةً لو امتلأتْ بأزهارِ الأضاليا، ووضعتْ في زاويةِ السُّلّمِ القاتِمة. ستعطِي تباينًا لونيًّا بديعًا مع جدارِ الرّدهةِ المغطّى بالورقِ الأحمر.

– أعتقد أنّك ستذهبينَ إلى الجامعةِ خلال أسبوعينِ. سنفتقدكِ حقّا، أنا وإيميلي. مؤكّدٌ أنّ السّيّدةَ ليند ستكون في مكانكِ، ولكنّها ليستْ سِوى بديل. فلا أحد يستطيعُ تعويضَك.

من المستحيلِ ترجمةُ نبرةِ السّيّدِ هاريسون السّاخرةِ إلى كلمات، على الرّغمِ منَ العلاقةِ الحميمةِ بين زوجتِه والسّيّدة ليند. وأفضلُ ما يمكنُ قولُه في وصفِ علاقتِه بها، هي أنّها قائمةٌ على الحيادِ المسلّح.

أجابت آن:

«نعم، أنا ذاهبةٌ. عقلي سعيدٌ، ولكنّ قلبِي حزين.

- أعتقد أيضا أنّك تنوينَ الحصولَ على كلِّ التكريماتِ الممكنةِ في «ريدموند»؟

اعترفت آن:

- سأحاول أن أحصلَ على تكريمٍ أو اثنين، لكنّني لا أهتم كثيرًا بأشياءَ من هذا القبيلِ، كما فعلتُ قبلَ عامَيْن. ما أريدُ الخروجَ به من الكليّةِ هو معرفةُ أفضلِ طريقةٍ لعيشِ الحيَاة. أريدُ تعلُّمَ كيف أفهمُ، وكيف أساعدُ الآخرين ونفسي.

أومأ السّيّد هاريسون برأسِه.

- هذا هو المطلوبُ بالضّبط. هذا ما يجبُ أن تقدِّمهُ الكلّيّةُ، بدلاً منَ الرّغبةِ في الخروجِ بالمعارفِ النّظريّةِ ومراكمةِ الكتبِ وتوليدِ التّكبّرِ، بحيث لا يوجدُ مجالٌ لأيّ شيءٍ آخر. أنت بخيرٍ. لن تُلحِقَ الكلّيّةُ أيَّ أذًى بكِ، على ما أعتقد.

توجهتْ آن وديانا بالعربةِ إلى جناحِ الصّدَى بعد تناولِ الشّايِ، محمّلتينِ بكلّ أنواعِ الورودِ، بعد العديدِ من الحملاتِ المفترسةِ في حدائقِهما وحدائقِ جيرانِهما. وجدتا المنزلَ الحجريَّ يشعُّ بالإثارة. وحلّقتْ شارلوتا الرّابعة هنا وهناك بحيويةٍ وخفةٍ إلى درجة أنّ شرائطَها الزّرقاءَ بدتْ وكأنّها تمتلكُ القدرةَ على الوجودِ في كلِّ مكانٍ في وقتٍ واحِد: مثل خوذة نافار. لوّحتْ شرائطُها أينما حلّت.

صرخت بحماسٍ:

- شكرًا للرّبّ أنّكما قد جئتما. أكوامٌ من الأشياءِ تنتظرُ القيامَ بها: كريمةُ الكعكةِ غيرُ متجمّدةٍ، يجب تلميعُ كلِّ الأطباقِ

الفضّيّةِ، وتعبئةُ الوسائدِ بشَعرِ الخيل. كما أنّ الديوكَ المعدّةَ للسّلطةِ مازالت تركضُ هُناك في الحظيرةِ وتصيحُ، يا آنسةُ شيرلي. ولا يمكنُ التّعويل على الآنسةِ لافندر للقيام بأيّ شيء. من الجيّدِ أنّ السّيد آرفنغ جاءَ قبل دقائقَ، واصطحبَها في نزهةٍ على الأقدامِ في الغابة. مغازلاتُ الحبِّ أمرٌ رائعٌ يا آنسةُ شيرلي، ولكنْ، كلّ شيء يفسدُ إذ ما اختلطتْ بشؤونِ الطّبخ والتّنظيف. هذا رأيي يا آنسة شيرلي.

بذلتْ آن وديانا مجهودًا كبيرًا، إلى درجةِ أنّ شارلوتا نفسَها كانتْ راضيةً بحلولِ السّاعةِ العاشرةِ صباحا. ضفرتْ شعرَها ثمّ دخلتِ الفراشَ مُرهقةً تماما.

- لكنني متأكّدةٌ من أنّه لنْ يغمضَ لي جفنٌ، يا آنسة شيرلي، خوفًا من حدوثِ خطأٍ مّا في اللّحظةِ الأخيرة كألاّ تجمُدَ الكريمةُ، أو أنْ يصابَ السّيّدُ آرفنغ بجلطةٍ، ولا يمكنُه المجيء.

سألت ديانا، وغمّازتاها ترتسمانِ في زاويتيْ فمِها:

- ليس من عادتِه الإصابةُ بالأزماتِ القلبيّةِ، أليس كذلك؟

بالنّسبة إلى ديانا، إذا لم تكن شارلوتا الرّابعةُ فتاةً جميلةً، فهي حتمًا مصدرُ سعادةٍ أبديّ.

قالتْ شارلوتا الرّابعة:

- هذه ليست أشياءُ تحدثُ، في العادة. إنّها تحدثُ فقطْ، هذه هيَ الحياة. يمكن لأيِّ شخصٍ أن يصابَ بجلطة. ليْس

علينا أبدًا معرفةُ كيف يحدثُ هذا. يبدو السيد آرفنغ مثل عمّ لِي أصيبَ مرّةً بجلطةٍ، بينما كان جالسًا لتناولِ العشاء. ولكنْ، ربما سارَ كلُّ شيءٍ على ما يرام. في هذا العالمِ، ليس أمامنا سوى الأملِ في الأفضلِ، والاستعدادِ للأسوأ، وقبولِ ما قدّرهُ لنا الرّب.

قالت ديانا:

- كلّ ما يقلقني هو ألاّ يمرّ الغدُ بخيرٍ. لقد توقّع العمّ آبي هطولَ الأمطارِ، في منتصفِ الأسبوعِ، ومنذ العاصفةِ الكبيرةِ، لم يعدْ بإمكاني عدمُ التّفكيرِ في أنّ هناكَ حقيقةً فيما يقوله.

لم تنزعج آن من هذا، فهي الوحيدةُ الّتي تعرفُ أكثر من ديانا علاقةَ العمّ آبي بالعاصفة. نامتْ نومًا عميقًا، واستيقظتْ في ساعةٍ غير ملائمةٍ بسببِ شارلوتا الرّابعة.

وشوشتْ من ثقبِ القفلِ:

- أوه يا آنسةُ شيرلي. من المروّعِ أن أوقظكَ مبكرًا جدًا، لكنْ هناك الكثيرُ من الأشياءِ لننجزَها. و... أوه يا آنسة شيرلي، أخافُ أن تهطلَ الأمطارُ، وأردت أن أوقظكِ لتخبريني عن رأيكِ في هذا.

ركضتْ آن إلى النّافذةِ، متمنّيةً أنّ شارلوتا الرّابعة تقولُ هذا فقطْ لإيقاظِها، ولا لشيءٍ آخر. لكنْ للأسفِ، بدا الفجرُ كئيبًا فعلا. فأسفل النّافذةِ، بدتْ حديقةُ الآنسةِ لافندر قاتمةً وخاليةً من

النّسائمِ. وبدلَ أنْ تتألّقَ بأشعّةِ الشّمسِ البكر، أظلمتِ السّماءُ فوق أشجارِ التّنوب بغيومٍ متجهِّمَة.

قالت ديانا:

- هذا مؤسفٌ جدّا.

قالت آن بعزمٍ:

- لنأمل الأفضل، لو أنّ الأمطارَ لا تهطل فقط، سيكون هذا اليومُ الباردُ والرّماديّ أفضل من يومٍ شمسهُ حارقة.

قالت شارلوتا بحزنٍ، وهي تتسلّل داخل الغرفةِ، بضفائرِ رأسِها الكثيرةِ المتأرجحةِ في كلّ الاتجاهات:

- لكنها ستمطر، سيظلّ الطّقسُ غائمًا حتّى اللّحظةِ الأخيرةِ، ثمّ يمطرُ بقوّةٍ شدِيدة. وسوف يتبلّلُ النّاسُ، ويتركون آثارَ الطّينِ في جميعِ أنحاءِ المنزل. ولن يتمكّنا من الزّواجِ تحتَ أشجارِ زهْرِ العسَل. ومن المؤسفِ ألاّ تشرقَ الشّمسُ على العروس، قولي ما تريدِين يا آنسة شيرلي، لكنّي عرفتُ أنّ هذا أجمل من أن يدوم.

يبدُو أنّ شارلوتا الرّابعة قد استعارتْ بالتّأكيدِ ورقةً من كتابِ الآنسة إليزا أندروز.

لم تمطرْ، ومع ذلك بقيَ الطّقس مُهدّدا. مع منتصفِ النّهار، انتهتِ الفتياتُ من تزويقِ المنزلِ، وإعدادِ الطّاولة. وفي الأعلَى، جلستْ عروسٌ «مزيّنة لزوجها» تنتظرُ.

صرخت آن:

- كم أنت جميلة!

أضافت ديانا:

- رائعة!

قالت شارلوتا بنشاطٍ وهي تتوجّهُ نحو غرفتِها الصّغيرةِ لترتديَ ملابسها:

- كلّ شيءٍ جاهزٌ يا آنسة شيرلي، ولم يحدثْ بعدُ أيُّ شيءٍ مُريع.

فكّت جميعَ ضفائرِ شعرِها الغزيرِ المجمّعِ في ذيليْن مربوطيْن بأربعِ عقدٍ من شريطٍ أزرقَ جديدٍ تمامًا. أشبهتِ العقصتان في الأعلى جناحين كان من الممكنِ أن ينبتا على رقبةِ شارلوتا، تمامًا مثل ملاكِ رافائيل. افتخرتْ شارلوتا بمظهرها جدًا. وبعد أن ارتدتْ فستانًا أبيضَ، مكويًّا إلى درجةِ أنّ بإمكانه الوقوفُ بمفردِه، تفحّصتْ نفسَها في المرآةِ برضًا كبيرٍ رافقها وهي تسيرُ في الرّدهةِ، إلى أن ألقتْ نظرةً على غرفةِ الضّيوفِ، ورأت فتاةً صغيرةً ونحيلةً ترتدي فستانًا أبيضَ ضيّقًا، وتضع في تموّجاتِ شعرِها الأصهبِ النّاعمِ أزهارًا مثل النّجوم.

- أوه، لن أتوصّل أبدا إلى أن أشبهَ الآنسةَ شيرلي. قالت شارلوتا ببعضِ اليأس. يجبُ أن أولدَ هكذا، على ما أعتقد... لقد تدرّبت كثيرا، ومن المستحيلِ، مع ذلكَ أن أبدوَ هكذا.

وصل الضيوفُ على السّاعة الواحدةِ، ومن بينهم السّيّد آلان وحرمه، بما أنّ هذا الأخيرَ سيشرفُ على الزّواجِ، لأنّ قسّيسَ «غرافتون» في إجازة. مرّ كلّ شيءٍ ببساطة. نزلتِ الآنسةُ لافندر

الدَّرَج لمقابلةِ عريسِها، وعندما أمسكَ بيدِها رفعتْ عينيْها البنيّتيْن الكبيرتيْن نحوهُ بنظرةٍ جعلت شارلوتا الرّابعة تشعرُ بالغرابةِ أكثرَ منْ أيّ وقتٍ مضى. سارا نحو شجرةِ زهْرِ العسل، حيث كان السّيّد آلان بانتظارهما. اجتمع الضيوفُ على سجيّتهم. وقفت آن وديانا إلى جانبِ المقعدِ الحجريّ القديمِ، وشارلوتا الرّابعة بينهما، ممسكةً بيديها بشدةٍ في كفّيْها الصغيرينِ الباردينِ والمرتعشيْن.

فتح السّيّدُ آلان كتابَه الأزرقَ، وابتدأ الحفل. في اللّحظة الّتي أُعلِن فيها السّيّدُ آرفنغ والآنسةُ لافندر زوجين، حدث أمرٌ مّا شديدُ الجمالِ والرمزيّة. فقد انبثقتْ الشّمسُ فجأةً من بينِ السّحبِ، وسكبتْ شلاّلًا منَ الضّوءِ على العروسِ السّعيدة. فحفلتِ الحديقةُ بالظّلالِ الرّاقصةِ والوميض.

قالت آن في نفسها وهي تسارع لتقبيل العروس:

- يا له من فألٍ جميل.

ثمّ تركتِ الفتياتُ الثّلاثُ بقيّةَ الضّيوفِ يتبادلون الضّحكاتِ مع الزوجيْن، ثمّ دخلنَ إلى البيتِ ليتأكّدن من أن كلَ شيءٍ جاهزٍ للحفل.

قالت شارلوتا متنفّسةً الصّعداء:

- الشّكر للرّبِّ، يا آنسة شيرلي، لقد تزوّجا سالميْن غانميْن، مهما كان ما سيحدثُ الآن. أكياسُ الأرزّ في غرفةِ المؤونةِ سيّدتي، والأحذيةُ القديمةُ خلف البابِ، والكريمَا في سلّمِ القبو.

على السّاعة الثّانية والنّصف، توجّه العروسانِ إلى المحطّةِ، ليستقلاّ قطارَ المساءِ، وتوجّه معهما الجميعُ نحو «برايت ريفر» ليتمنّوا لهما رحلةً سعِيدة.

عندما خرجتِ الآنسةُ لافندر ... العفو، السّيّدة آرفنغ، من بابِ بيتِها القديمِ، ألقى جيلبرت والفتياتُ الأرزَّ وراءَها، وألقتْ شارلوتا الرّابعة فردةَ حذاءٍ قديمٍ بدقّةٍ شديدةٍ إلى درجةِ أنّها ضربتِ السّيّد آلان مباشرةً على رأسه. لكنّ بول كان يعدُّ أجملَ توديع. خرجَ من الشّرفة وهو يرنّ بجرسٍ ضخمٍ قديمٍ من النّحاسِ الأصفرِ كان يزيّنُ رفّ غرفةِ الطعامِ. كانَ يريد إحداث صوتٍ بهيج. وبعد تلاشِي الصّوتِ بعيدًا، جاءتْ إجابةُ السّاحراتِ بنقرِ أجراسهنّ فوقَ كلّ التّلالِ البعيدةِ، والغدرانِ الصّغيرةِ، بعد النّهر. جاء الرّنينُ لطيفًا وخافتًا، كما لوْ أنّ أصداءَ الآنسةِ لافندر الحبيبةِ أرادتْ أن تباركَ لها وتودّعَها. وهكذا، وسَطَ هذه الموسيقى المبهجةِ، تركتِ الآنسة لافندر حياةَ الأحلامِ والخيالاتِ القديمةِ، لتدخلَ حياةً أكثر واقعيّةٍ في عالمِ الحقيقة.

بعد ساعتين، نزلتْ آن وشارلوتا الرّابعة إلى الطّريق. قصد جيلبرت «ويست غرافتون» لأداءِ مهمّةٍ، وكان لدى ديانا بعضُ الالتزاماتِ في بيتِهم. عادتْ آن وتشارلوتا لترتيبِ البيتِ الحجريّ الصّغيرِ وإغلاقِه. سبحتِ الحديقةُ في أشعّة الشّمسِ الذّهبيّة، وحامتْ فيها الفراشاتُ والنّحلات. لكنْ، غطّتِ البيتَ الصّغيرَ مَسْحةُ العُزلةِ الّتي لا تفسّرُ تلك، والّتي تلِي الاحتفالاتِ دومًا.

قالت شارلوتا الرّابعةُ الّتي بكتْ طَوالَ طريقِ عودتِها من المحطّةِ:

- أوه، كم يبدو وحيدا! في النّهاية ليس حفلاتُ العرسِ أقلّ حزنًا من المآتم، عندما تنتهي، يا آنسة شيرلي.

ازدحمتِ الأمسيةُ الموالية بالأشغال. كان لا بدّ من إزالةِ الزّخارفِ، وغسلِ الأطباقِ، وتعبئةِ الأكلاتِ الشّهيّة المتبقّية في سلّةٍ، فمن شأنِها إسعادُ إخوةِ شارلوتا الرّابعة في المنزل. لم ترتحْ آن حتّى أنجزتْ كلّ شيء. بعد أن عادتْ شارلوتا إلى المنزلِ مع وليمتِها، ذهبتْ آن لتسدلَ السّتائر. فشعرتْ وكأنّها تذرعُ قاعةَ مأدبةٍ مهجُورة. أغلقتِ البابَ، وجلستْ تحتَ شجرِ الحُور الفضّيِّ منتظرةً جيلبرت. وبالرّغمِ من تعبِها، لم تستطعْ كبحَ نفسِها عن تأمّلاتٍ طويلةٍ، وطويلةٍ جدّا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

سألها جيلبرت عند وصوله:

- فيم تفكّرين يا آن؟

كان قد تركَ الحصانَ والعربةَ قربَ الطّريق.

أجابت:

- في السّيّدةِ لافندر والسّيّد آرفنغ. أليس منَ الرّائعِ رؤيةُ كيف سارتِ الأمورُ، وكيف التقيا بعد كلّ سنواتِ الفِراق وسوءِ التّفاهم؟

قال جيلبرت دون أن يبعدَ أنظارَهُ عن الوجهِ المرفوعِ نحوه:

- نعم، أعترف بأنّ هذا جميل. ولكن، كان سيكونُ أجملَ، لو لمْ يكن هناكَ فراقٌ أو سوءُ فهمٍ... لو قضّيا كاملَ حياتِهما

شادّيْنِ على يديْ بعضِهما بعضًا، دونَ أيّ ذكرى وراءَهما، غير اللّحظاتِ الّتي قضّياها معا.

ولوهلةٍ، دقّ قلبُ آن بغرابةٍ، لأوّلِ مرّة. خفّضتْ عينيْها أمامَ أنظارِ جيلبرت، وتزيّنَ خدّاها بمسحةٍ وردِيّة. بدا الأمرُ مثل رفعِ السّتارِ على عالمٍ داخليٍّ، اكتشفتْ خلاله أحاسيسَ وحقائقَ لا شكَّ فيها. ربّما لا ينبجسُ الحبُّ في حياةِ النّاسِ بفخفخةٍ وضوضاءَ، مثل فارسٍ يعدُو على حصانِه. ربّما يتسلّلُ مثل صديقٍ قديمٍ آتٍ عبر طرقٍ هادئة. ربّما كشفَ عن نفسِه بطريقةٍ «نثريّة»، حتّى يندلعَ فجأةً شعاعٌ مفاجئٌ يخونُ الإيقاعَ والموسيقى. ربّما ... ربّما ... يتطوّرُ الحبّ بشكلٍ طبيعيٍّ عبر صداقةٍ جميلةٍ، مثل وردةٍ بقلبٍ ذهبيٍّ تنزلقُ منْ غمدِها الأخضر، ثم ينزلُ السّتارُ مرّةً أخرى. لكنّ آن الّتي صعدتِ الطّريقَ المظلمَ، لمْ تكن نفسها الّتي نزلتهُ البارحةَ بسعادَة. إصبعٌ لا مرئيٌّ طوى صفحةَ المُراهقة. والآن، وصلتْ إلى صفحةِ «المرأة» بسحرِها، وغموضِها، بمعاناتِها، وسعادتها.

فضّلَ جيلبرت بحكمةٍ ألاّ يضيفَ شيئًا آخر. لكنّهُ قرأ في صمْتِه، تاريخَ السّنواتِ الأربعِ المقبلةِ، على ضوءِ ذكرياتِ آن الخجولة. أربعُ سنواتٍ من العملِ الجادّ السّعِيدِ، مُتوّجةً بالمعرفةِ المفيدةِ المكتسبةِ والحبّ.

اختبأ المنزلُ الحجريُّ الصّغيرُ بين الظّلالِ، وهما يتركانهِ خلفَهما في الحدِيقة. لئنْ كان وحيدًا فهو غيرُ متروك. وسوف يعرفُ مزيدًا من الأحلامِ والضّحكاتِ وفرحةِ الحياة. فالمستقبلُ يعدُّ له أصيافًا

عديدةً من حينٍ إلى آخر. يستطيعُ الانتِظار. وهُناك، أبعدَ من النّهرِ الّذي يجرِي، ظلّتِ الأصداءُ تنتظرُ زمانَها.

مكتبة | سُر مَن قرأ

أكمل الحكاية مع آن ..
تأتيكم قريبا في مكتبة

telegram @soramnqraa

صدرت عن دار رشم ودار مسكيلياني للمؤلفة نفسها

(1)

آن في الضيعة الحضراء

«آن في الضيعة الخضراء» رواية لليافعين والشباب معًا، تتصدّى لقضايا العائلة والبيت والوطن، الجمال والمخيّلة والإبداع، الصّداقة، العاطفة والرّومانسيّة والشّغف. يجتمع كلّ هذا في كتاب واحد، يأخذ قارئه في رحلة كي يُشارِكَ بطلتَهُ أخطاءَها وتعلّمَها الشّغوف، إنّه كتاب يُعلّمنا كيف نصلح أخطاءنا وننهض من سَقَطاتنا، وبذلك يمكننا أن نبني جيلًا مختلفًا لا يستكين إلى الهزيمة والفشل. ولعلّ هذه الخاصيّة هي التي جعلت هذه الرواية تُترجم إلى أكثر من ثلاثين لغة وتُهاجر إلى المسرح والسينما في مناسبات تكاد لا تُحصى، وجعلت الدّول الأوروبيّة على اختلاف لغاتها مهتمّة بها، حريصة على ترجمتها وتجديد ترجمتها من فترةٍ إلى أخرى واقتباسها في صيغ كثيرة، حتّى تُوافق روحَ كلِّ عصر ويافعيه. إنّها رواية مكتوبة للمستقبل، لكلّ الأجيال القادمة جيلًا بعد جيل، وهي ينبوع آخر يمكن أن يشرق في العربيّة.

أشرف القرقني

(2)

آن في آفونلي

في الجزء الثاني من سلسلة «آن في الضيعة الخضراء» للروائية الكندية لوسي مود مونتغومري، «آن في آفونلي»، يواصل القارئ مرافقة «آن» في مغامراتها واكتشافاتها وهي تعيده إلى طفولة الخيال وبراءته الأولى. فهي رواية تحتفي بالأحلام والرومانسية وعفويّة الحياة، في عيني فتاةٍ في السادسة عشرة، تتّقد ذكاءً ورقّةً وجمالًا، وتتمتّع بمحبّة محيطها. وهي بـ«خفّة» وجودها في العالم، تكتشف ذاتها والأشخاص من حولها والطبيعة بدهشة الأطفال وعمق الحكماء، مختبرةً التدريس والاستماع إلى قصص حبّ الآخرين وتربية اليتامى.

في قريةٍ صغيرة في جزيرة الأمير إدوارد، تتواشج الحكايات كاشفةً عن علاقات إنسانيّة شديدة البساطة والشفافية، مقتفيةً آثارَ الإنسان القرويّ، في سردٍ يمزج بين الحكايات السحرية والواقعية. إنّ مغامرات «آن» وهي تنتقل من المراهقة إلى النضج، تلامس قلوب القرّاء وتوقظ لديهم رغبة الإقامة في العالم بخفّة وسلاسة.

محمّد الحباشة

(3)

آن بنت الجزيرة

لو لم ترضَخ لوسي مود مونتغومري لمشيئة ناشِرها الأوّل ولم تُصدر بعد سبع سنواتٍ «آن بنت الجزيرة»، روايتها الثالثة في سلسلة «آن في الضيعة الحضراء»، لحَرمتْ كلّ شباب العالم لذّةَ متابعةِ قصّةِ البطلة اليتيمة ذات الشعر الأحمر التي شُغفنا بها في الجزأين الأوّل والثاني.

ها هي آن تزداد نضجًا، وتغادر جزيرتها إلى مدينةٍ بعيدة لتدرس بالجامعة وتحقّق حلمًا قديمًا شاركَها إيّاه القرّاء في كلّ جيل. تترك خلفها دفء العائلة وبيت الطفولة وأصدقاء الصِّبا وسنوات الشغف الأولى، وتلهث وراء العلم والتحصيل، وتخطو خطواتها الأولى في عالم التأليف والإبداع دون أن يغفل قلبها لحظةً واحدة عن تقلّبات الحبّ والهوى.

لا تزال الرواية حتى اليوم تعلّم الشباب سبل الاعتماد على الذات، وتغرس فيهم روح الكدّ والمثابرة، وتحثّهم على الإيثار والعواطف النبيلة. واليوم، نقدّم للقارئ العربيّ هذه الرواية التي تحتلّ مكانة خاصّة في سلسلة روايات مونتغومري حتّى إنّ جُلّ الاقتباسات إلى السينما انطلقت منها رأسًا.

تأتيكم قريبا في مكتبة وليد بن أحمد

(4)

آن في عزبة الصفصاف

ثلاثُ سنواتٍ هي الفترةُ الزّمنيّة التي يشغلُها المتنُ الحكائيّ لـ«آنْ في عزبة الصّفصاف». تنجحُ لُوسي مُود مُونتْغُومري كعادتها في تحويلِها إلى عوالمَ شاسعةٍ، متشابكة وساحرة.

في هذا الجزء تتخرّج «آنْ» في جامعة ردْمُوندْ. وتُغادر الضّيعة الخضراء راحلةً إلى سامرْسايْد، حيثُ تُعيَّنُ مُديرةً للمدرسة الثّانويّة ومعلّمة فيها. لكنّها كعادتِها، تُقابَل بأسهُم الأحكام المسبَقة والرّفض الأعمى الذي تُعلنهُ في وجهِها منذ البداية عائلةُ برينغلْ المهيمنةُ في المدينة.

لعلّ إصرارَ «آنْ» على الإخلاص لجوهرها النقيّ والخلاّق وسطَ أشواك الازدراء والكراهية هو ما ظلّ يُشير دومًا إلى مصيرها البسيط والعجيب في آنٍ واحدٍ. ومن خلال تشبُّثها المؤلم الممتعِ بطبيعتها المختلفة التي تقرنُ العواطف المرهفةَ بالذّهن المُتّقد، تنتصرُ «آنْ» دومًا في معارِكها. وهذا ما يتجلّى على التّدريج في الرّسائل التي تُشكّلُ معظمَ البناء الروائيّ لهذا الكتاب.

تأتيكم قريبا في مكتبة أشرف القرقني

مكتبة

لوسي مود مونتغومري

آن في آفونلي

في الجزء الثاني من سلسلة «آن في الضيعة الخضراء» للروائية الكندية لوسي مود مونتغومري، «آن في آفونلي»، يواصل القارئ مرافقة «آن» في مغامراتها واكتشافاتها وهي تعيده إلى طفولة الخيال وبراءته الأولى. فهي رواية تحتفي بالأحلام والرومانسية وعفويّة الحياة، في عيني فتاةٍ في السادسة عشرة، تتّقد ذكاءً ورقّةً وجمالًا، وتتمتّع بمحبّة محيطها. وهي بـ «خفّة» وجودها في العالم، تكتشف ذاتها والأشخاص من حولها والطبيعة بدهشة الأطفال وعمق الحكماء، مختبرةً التدريس والاستماع إلى قصص حبّ الآخرين وتربية اليتامى.

في قريةٍ صغيرة في جزيرة الأمير إدوارد، تتواشج الحكايات كاشفةً عن علاقات إنسانيّة شديدة البساطة والشفافية، مقتفيةً آثارَ الإنسان القرويّ، في سردٍ يمزج بين الحكايات السحرية والواقعية. إنّ مغامرات «آن» وهي تنتقل من المراهقة إلى النضج، تلامس قلوب القرّاء وتوقظ لديهم رغبة الإقامة في العالم بخفّة وسلاسة.

محمّد الحباشة

telegram @soramnqraa

ISBN: 978-9938-9990-5-1
9 789938 999051
www.rashm-store.com